مفاهيم

يجب أن تصحح

تأليف

الإمام العلامة المحدث

السيد محمد بن علوي المالكي الحسني

رحمه الله تعالى

عُني بتحقيقه

الدكتور السيد أحمد بن محمد بن علوي المالكي الحسني

توزيع

دار السنابل — دار الحاوي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ ، والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ أشرفِ المرسلينَ ، سيِّدِنا ومولانا محمدٍ وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ أجمعينَ .

وبعد :

فهٰذهِ هيَ الطَّبعةُ الشَّرعيةُ الأُولىٰ مِنْ نوعِها ، والمُعتمَدةُ لمُؤلَّفاتِ والدِنا الإمامِ العلَّامةِ المُحدِّثِ السيِّدِ محمدِ بنِ علويٍّ المالكيِّ الحسنيِّ (ت ١٤٢٥ هـ) رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ورضيَ عنهُ ، والتي سبقَ أن طُبِعَتْ في حياتِهِ عِدَّةَ طبَعاتٍ ، أدامَ النَّفعَ بعلومِهِ في الدَّارَينِ .

وقد تَميَّزَتْ هٰذهِ الطَّبعةُ بمراجعتِها وتصحيحِها مِنْ قِبَلِ المُؤلِّفِ قبلَ وفاتِهِ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ .

وقد وَفَّقَنا اللهُ تعالىٰ ؛ فقمنا بخدمتِها ومراجعةِ الأحاديثِ والنُّصوصِ والنُّقولِ ، ومقابلتِها علىٰ مصادرِها وَفْقَ منهجِ المُؤلِّفِ في تآليفِهِ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ؛ فخرجَتْ هٰذهِ الطَّبعةُ بحمدِ اللهِ في حُلَّةٍ قشيبةٍ على التَّمامِ والكمالِ .

نسألُ اللهَ تعالىٰ لنا التوفيقَ والقَبولَ ، إنَّهُ وليُّ ذٰلكَ والقادرُ عليهِ ، وصلَّى اللهُ علىٰ سيِّدِنا محمدٍ وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ وسَلَّمَ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

وكتبه

السّيّد أحمد بن محمّد علويّ المالكيّ الحسنيّ

تمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام علىٰ أشرف المرسلين ؛ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

فإن الله سبحانه وتعالىٰ أنعم علينا بنعم كثيرة ؛ أجلها وأعظمها نعمة الإسلام ، أكرم بها من نعمة ، **ومنها** : نعمة الأمن التي نتمتع فيها بالأمان والسكينة والاطمئنان في ربوع هـٰذه البلاد ، **ومنها** : نعمة تطبيق الشريعة الإسلامية بإقامة الحدود والتحاكم إلىٰ كتاب الله وسنة رسوله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ؛ وذٰلك بفضل الله ثم بفضل الحكام الذين جعلهم الله حماةً لهـٰذه البلاد ؛ بلاد الحرمين الشريفين ، والذين وفقهم الله لخدمتها ، وشرفهم بالقيام بأمانة الحراسة والرعاية والحفظ لها ، فبذلوا جهدهم في سبيل ذٰلك .

ووجدوا بحمد الله العون في أبناء هـٰذا الشعب المخلص الوفي الذي أعطى البيعة بصدق ، وحفظ العهد بحق ، ورعى الذمة في الحضور والغيبة ، فنحن علىٰ ذٰلك العهد قائمون ، وبتلك الذمَّة موفون ؛ انطلاقاً من إيماننا الصافي ، وعقيدتنا السلفية ومنهجنا النبوي ؛ لأن هـٰذه البلاد بفضل الله طاهرة من كل رجس ، سالمة من كل شرك ، بإخبار رسول الله

صلى الله عليه وسلم إذ قال : « لَا يَجْتَمِعُ دِينَانِ فِي جَزِيرَةِ ٱلْعَرَبِ »[١] ، وقال : « إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يُعْبَدَ فِي جَزِيرَةِ ٱلْعَرَبِ »[٢] ، وقال : « ٱللَّهُمَّ ؛ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَناً يُعْبَدُ »[٣] ، ودعاؤه مستجاب .

وقال : « إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَتَخَوَّفُ عَلَىٰ أُمَّتِي : ٱلْإِشْرَاكُ بِٱللهِ ، أَمَا إِنِّي لَسْتُ أَقُولُ يَعْبُدُونَ شَمْساً وَلَا قَمَراً وَلَا وَثَناً ، وَلَـٰكِنْ أَعْمَالاً لِغَيْرِ ٱللهِ وَشَهْوَةً خَفِيَّةً »[٤] .

خصوصاً وقد أخبر أن هـٰذه البلاد معقل الإيمان ومرجع أهله وملاذ حملته إذ قال : « إِنَّ ٱلْإِيمَانَ لَيَأْرِزُ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ كَمَا تَأْرِزُ ٱلْحَيَّةُ إِلَىٰ جُحْرِهَا »[٥] ، وفي رواية : « إِنَّ ٱلدِّينَ لَيَأْرِزُ إِلَى ٱلْحِجَازِ كَمَا تَأْرِزُ ٱلْحَيَّةُ إِلَىٰ جُحْرِهَا ، وَلَيَعْقِلَنَّ ٱلدِّينُ مِنَ ٱلْحِجَازِ مَعْقِلَ ٱلْأُرْوِيَّةِ[٦] مِنْ رَأْسِ ٱلْجَبَلِ »[٧] .

وفي حديث ابن عمر عند مسلم : « إِنَّ ٱلْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيباً وَسَيَعُودُ

---

(١) أخرجه مالك في « الموطأ » (٨٩٢/٢) عن ابن شهاب الزهري رحمه الله تعالىٰ مرسلاً .

(٢) أخرجه مسلم (٦٥/٢٨١٢) ، والترمذي (١٩٣٧) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، والبيهقي في « الشعب » (٦٤٣٦) عن عبد الرحمـٰن بن غَنْم ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما ، والبزار في « مسنده » (٤١٢٦) ، واللفظ له بإسناد حسن ، كما في « مجمع الزوائد » (٧٠٤/١٩) عن أبي الدرداء رضي الله عنه .

(٣) أخرجه مالك في « الموطأ » (١٧٢/١) عن عطاء بن يسار رحمه الله تعالىٰ مرسلاً ، وأحمد في « المسند » (٢٤٦/٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) أخرجه ابن ماجه (٤٣٦٧) عن شداد بن أوس رضي الله عنه .

(٥) أخرجه البخاري (١٨٧٦) ، ومسلم (٢٣٣/١٤٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٦) **الأُروِيَّة** ـ بضم الهمزة وتكسر وتشديد الياء ـ : الأنثىٰ من المعز الجبلي .

(٧) أخرجها الترمذي (٢٦٣٠) عن عمرو بن عوف رضي الله عنه .

غَرِيباً كَمَا بَدَأَ ، وَهُوَ يَأْرِزُ بَيْنَ ٱلْمَسْجِدَيْنِ كَمَا تَأْرِزُ ٱلْحَيَّةُ فِي جُحْرِهَا »[1] .

ولقد عمل أئمة هـٰذه البلاد وحكامها منذ بداية عهدهم علىٰ ترسيخ هـٰذه المعاني ، وتثبيت ذٰلك في قلوب الناس ابتداءً من المرحوم الملك عبد العزيز الذي وحَّد الجزيرة وجمع الكلمة ، وأزال الفوارق العصبية وهدم الحواجز العنصرية ، فعاش الناس متحابين يجمعهم مبدأ واحد ، وتلم شعثهم راية واحدة راية (لا إلـٰه إلا الله محمد رسول الله) .

عاشوا علىٰ هـٰذا المبدأ وإن اختلفت آراؤهم أو تنوعت مشاربهم ؛ فالأصل واحد والولاء واحد ، والعهد صادق ، والوفاء لازم ، ولـٰكن بعض المتطفلين من الدخلاء والعملاء الأجانب يحبون أن يصيدوا في الماء العكر ، فيشوهوا الصورة ويشيعوا الفتنة ويلبسوا البرآء الذين لا يعرفون النفاق ثوب السوء وإرادة الشر .

وهم بهـٰذا يفتحون باباً آخر نحن في غنىً عنه ، ويوجهون الأنظار إلىٰ ما هي غافلة عنه ، ولـٰكن لا بأس ؛ فإن الثقة في الله وحسن الظن في حكامنا أهل العقل والنظر يبعثان الطمأنينة في النفوس : بألا يأخذوا بأقوال الوشاة ودعاة الفتنة من الذين لا همَّ لهم إلا تفريق كلمة المسلمين .

خصوصاً وإننا في ظل هـٰذه الدولة السنية التي تحمي العقيدة الصحيحة الصافية ، وتبذل جهدها لنشرها والدعوة إليها في ظل دولة التوحيد التي تنصر العلم وحملته والدعاة إليه ، وتشجِّع على البحث

---

(١) صحيح مسلم (١٤٦) .

العلمي النزيه النظيف في أي مجال كان وعلىٰ أي ميدان ومن أي جهة ، وتكرم في سبيل ذٰلك أهله ، وتقدم لهم الجوائز السخية ، والأوسمة الرفيعة ، سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين ، سعوديين أم غير سعوديين علىٰ حد سواء في مجال الدعوة الإسلامية أو البحوث العلمية والتطبيقية ؛ لأن المقياس هو العلم وحده ، والبحث وحده .

وهي بهٰذا الموقف تعمل علىٰ صقل العقول ، وتنوير البصائر ، وتلاقي الأفكار المعبرة عن المفاهيم التي تجيش في خواطر العلماء والباحثين وتفيض علىٰ قلوبهم ، وتتواجد في نفوسهم فيجدون السبيل ميسراً للتعبير بالكلمة .

ولا شك أن هٰذا أقوىٰ سبيل لإظهار الحق وإثباته ؛ لأن الوضوح والجلاء هو الأساس في بناء المجتمع ، وتلاحم أبنائه ، ولا يتم هٰذا إلا بالتعبير عن المفاهيم التي يحس بها الإنسان ويراها بالنسبة لأي قضية إسلامية واجتماعية .

وهٰذه القاعدة هي من أجلِّ الأصول التي ينبغي أن تُتَّبع في الدعوة إلى الإسلام ، لقد أعطى الإسلام الفرصة لأعدائه للنظر والتبصر فقال : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ (١) .

وأعطى الفرصة لإبداء أي اعتراض أو مفهوم أو برهان في نفس المعارض المعاند فقال : ﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (٢) .

وطلب من المشركين أن ينظروا ويتفكروا في أمر الدين تارة

---

(١) سورة التوبة ، الآية (٦) .

(٢) سورة البقرة ، الآية (١١١) .

منفردين وتارة مجتمعين ؛ وذلك بعقد المجالس والندوات للتشاور في حقيقة الدين وحقيقة الداعي محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ﴾[1] .

بل وأعظم من هٰذا وذاك : أنه أعطى الثقة للمعاند ليتقدم ويتكلم ويحس بنفسه وبموقعه ، وبأنه كائن حي له عقله فلا بد أن يعقل ، وله فهمه فلا بد أن يفهم ، وبعد هٰذا التعقل والتفهم لا بد أن نسمع منه ثمرة عقله وثمرة فهمه ، فقال تعالىٰ : ﴿ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[2] .

هٰكذا أمر الله تعالىٰ نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين المبطلين الضالين الذين لا دين لهم صحيح ولا عقيدة معتبرة عند الجدال والمناقشة : إما أن أكون أنا علىٰ هدىً أو أنتم ، وإما أن أكون أنا علىٰ ضلال أو أنتم ؟!

ومن هٰذا المنطلق أقدم هٰذه المفاهيم عن بعض القضايا الإسلامية المختلف فيها بين العلماء والتي لا يستطيع أحد أن يقول : إنه اتفقت آراء العلماء فيها علىٰ كلمة واحدة .

ولا بد من إظهارها ووضعها بين يدي العلماء والباحثين للدراسة والنظر ؛ فإن كانت صواباً . . فالحمد لله ؛ وذلك من توفيق الله وتسديده ، وإن كانت خطأ . . فإنه مني وباجتهادي ، وذلك لبيان

---

(١) سورة سبأ ، الآية (٤٦) .

(٢) سورة سبأ ، الآية (٢٤) .

الحقيقة وتصحيح المفاهيم العامة ، وليس لنا من وراء ذٰلك إلا الإصلاح وتوخِّي الصواب ؛ لأننا بشر نصيب ونخطئ ، وكل منا يؤخذ منه ويرد عليه إلا السيد المعصوم الذي لا ينطق عن الهوىٰ إن هو إلا وحي يوحىٰ ، وكل كتاب قابل للزيادة والنقصان ، والتغيير والتبديل ، والإصلاح والتهذيب إلا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

ومن ادعىٰ سوىٰ ذٰلك . . فهو مفتر ممتر .

ونحن نعوذ بالله من أن نكون ممن يتعلم العلم للمماراة أو للمجادلة كما قال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ طَلَبَ ٱلْعِلْمَ لِيُجَارِيَ بِهِ ٱلْعُلَمَاءَ ، أَوْ لِيُمَارِيَ بِهِ ٱلسُّفَهَاءَ ، أَوْ يَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ ٱلنَّاسِ إِلَيْهِ . . أَدْخَلَهُ ٱللهُ ٱلنَّارَ » رواه الترمذي [١] .

وكتابنا هٰذا كغيره من الكتب ، قابل للإصلاح والمراجعة ، وأنا بفضل الله أعترف في كل كتاب ألَّفته بذٰلك ، وأقول في آخر ما كتبت : **إني أسأل الله التوفيق والسداد فيما كتبته ؛ فإن كان صواباً . . فمن الله ، وإن كان خطأً . . فمن نفسي واجتهادي ، وأرجو ممن يطلع عليه أن يرشدني وأن يدلني علىٰ أخطائي .**

والعلماء لا يزالون يراجع بعضهم بعضاً فيما يكتبون ؛ فإذا حصل الإقناع والرضا . . لا يتوقف عن الأخذ به إلا مستكبر ، إلا إذا كان له في ذٰلك تأويل أو وجهة نظر ، أو دليل أو شبهة دليل ؛ فإنه إن لم يلتمس له العذر . . فأقل ما في الأمر أن يسكت عنه ، والحوار بين العلماء بصورة

(١) سنن الترمذي (٢٦٥٤) عن كعب بن مالك رضي الله عنه .

خاصة يتميز بالموضوعية وروح التفاهم والورع وتقوى الله عزَّ وجلَّ ؛ لأن رائدهم جميعاً التوعية والتوجيه والذود عن محارم الله عزَّ وجلَّ ، والأخذ بيد الناس لكل ما فيه الخير ؛ فهم ورثة الأنبياء ، وإني أسأل الله عزَّ وجلَّ أن يجنبنا مصادر الزلل ، وأن يهدينا سواء السبيل .

إنه سميع مجيب وبالله التوفيق

السيد محمد بن علوي المالكي الحسني

تقديم
فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف

مفتي الديار المصرية السابق

وعضو جماعة كبار العلماء بالأزهر الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد ، وعلىٰ آله وصحبه والتابعين .

وبعد :

فقد اشتمل هٰذا الكتاب العظيم للعلامة المحقق الجليل فضيلة الأستاذ السيد محمد علوي المالكي علىٰ مباحث هامة مفيدة وموضوعات جليلة عديدة ، تنفع المسلمين في هٰذه الأزمان التي يحتاجون فيها إلى الوقوف على المعلومات الهامة والأحكام العامة لخدمة الإسلام ، وتحقيق العقائد الدينية ، والدعوة إلى الأخذ بما جاد به الرسول صلى الله عليه وسلم على الأمة الإسلامية من الخير الجزيل والفوائد العظيمة النادرة ، والنصح لأمة الإسلام في هٰذه الأزمان بالموعظة الحسنة ، والتي يحارب فيها الإسلام من كثير من الأعداء ، ويحرصون فيه علىٰ تأييد المبادئ الضالة والدعايات الكاذبة ضد الإسلام وأهله ؛ تحقيقاً لأغراضهم ضد الإسلام وأهله ، وسعياً لتأييد أعدائه .

والله تعالىٰ متم نوره علىٰ عباده المسلمين بما وفق له هٰذا العالم الجليل لتأييد ونشر دعوته وتحقيق مسائله ، والإرشاد إلىٰ ما دعا إليه

من العلم الجزيل والفوائد الثمينة والموضوعات الهامة التي تحقق الهداية والدراية والدعوة الصالحة ؛ حسماً للنزاع والمكابرة والخلاف والمدابرة .

وقد ظهر من مباحث هٰذا الكتاب أنه حجة وبرهان وقول صادق وبيان ، فيه للمسلمين عزة وكرامة ، وتحقيق وافٍ وأمانة ، وأن نشره في هٰذه الأزمان مما يعتزُّ به الإسلام ، ويُقْضَىٰ به علىٰ مكايد الأعداء اللئام .

وقد أفاض المؤلف حفظه الله في البيان الواضح ؛ حيث تحدث بعلم غزير وتحقيق واضح عن مسائل هامة في معرفة المفاهيم الصحيحة السليمة ، والذود عن كل مفهوم سقيم ؛ لصدِّ الأعداء الكائدين ، ولإقامة الحق المبين في بلاد الإسلام والمسلمين .

ذٰلك أن من مباحث هٰذا الكتاب ودعوته الحقَّة ، وأسلوبه الرصين ما يأتي :

التحذير من المجازفة بتكفير المسلمين : ونقل فيه انعقاد الإجماع علىٰ منع تكفير أحد من أهل القبلة .

التفرقة بين مقام الخالق والمخلوق : وهو الحد الفاصل بين الكفر والإسلام .

المجاز العقلي : وضرورة ملاحظته في مقياس الكفر والإيمان .

التعظيم بين العبادة والأدب .

الواسطة بين الخالق والمخلوق : وبيَّن فيها الواسطة الشركية .

البدعة وتقسيم العلماء لها : بيَّن فيه لأصحاب الأفهام السقيمة والصدور الضيقة من حاربوا كل جديد وتنكروا لكل مخترع مفيد ، بيَّن لهم المفهوم الصحيح للبدعة وتقسيم العلماء لها .

الأشاعرة : بيَّن فيه مذهبهم وذكر بعض من ينتسب إليهم ؛ لكي يتورَّع كل من ينسب إليهم سهام الضلال والمروق من الدين .

حقيقة التوسل : وبيَّن فيه التوسل المتفق عليه ، وحديث توسُّل آدم بالنبي صلى الله عليه وسلم ، ونقل كلاماً نفيساً ورأياً لطيفاً للشيخ ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب ، ونقل كلاماً جيداً عن الشوكاني في جواز التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وفي نهاية البحث ذكر أشهر من يقول بالتوسل من كبار الأئمة وحفاظ السنة .

الشفاعة : حقيقتها وطلب الصحابة من النبي صلى الله عليه وسلم الشفاعة ، وتفسير ابن تيمية لآيات الشفاعة .

مفهوم الاستعانة : والتوجه بالطلب للنبي صلى الله عليه وسلم ، وبعض الدعاوى الباطلة التي تثار حول هٰذا الموضوع في الباب الثاني من الكتاب ، فذكر فيه مباحث قيمة عن الخصائص النبوية وحقيقة النبوة والبشرية ، ومفهوم الحياة البرزخية .

وفي بحث مستفيض تحدث المؤلف عن التبرُّك ، ومفهومه الذي يخطئ كثير من الناس في فهم حقيقته .

وشرع في الباب الثالث من الكتاب فذكر فيه مباحث مختلفة يتعطَّش إليها الباحث ، فمن بينها مشروعية الزيارة النبوية وما يتعلق بها .

والمفهوم الصحيح لحديث : « لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ . . . »[1] ، وكلام أئمة السلف في مشروعية زيارة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وذكر في هٰذا الباب بعض المباحث اللطيفة عن الآثار النبوية والاعتناء بها ، واعتناء القرآن بآثار الأنبياء السابقين ، ومحافظة الصحابة علىٰ بعض الآثار النبوية ، ومفهوم الاجتماع والمولد النبوي .

وذكر قصة (عتق ثويبة) وتوجيه العلماء لها .

وهٰذا عرض إجمالي لما تضمنه الكتاب ، والذي يعتبر مؤلفه أحد علماء الحرمين الشريفين من تضلَّع من بحر الحوض الإلٰهي والسنة النبوية صاحب المجالس العلمية والدروس النبوية ، والتي كان يحضرها الجمُّ الغفير من المستفيدين .

صاحب المساهمات العلمية والندوات الفقهية التي كان يشارك بها في رابطة العالم الإسلامي ، وفي حفلات مسابقة تحفيظ القرآن الكريم ومؤتمرات السنة النبوية .

صاحب التآليف الكثيرة والتي بلغت نيفاً وثلاثين مؤلفاً ؛ منها ما هو في القرآن وعلومه ، وفي الحديث وفنونه ، والسيرة النبوية والنصائح الدينية ، والدعوة الإصلاحية .

وكل ذٰلك يدعونا إلىٰ تقدير هٰذا الكتاب ودعوة المسلمين إلىٰ مطالعته ، والقيام بدعوته ، وحثِّ العالم الإسلامي إلىٰ وجوب دراسته ، وتعليم أولادهم بما فيه من الحق الصريح والقول الصحيح ، والدفاع عن حرمات الإسلام ، وبيان ما اجترحه الأعداء من الضلالات والأكاذيب

---

(١) سيأتي تخريجه (ص ٤١٢) .

والدعوات الباطلة ، والله تعالىٰ يؤيد عباده الصالحين بتأييد دينه القويم أتم تأييد .

وفي الختام :

نسأل الله تعالىٰ أن يوفق المسلمين جميعاً لمطالعة هـٰذا الكتاب وتأييد دعوته .

ونسأل الله تعالىٰ لمؤلفه المثوبة والسلامة من المكايد ، وتحقيقاً لما دلَّ عليه القرآن من نصر دعاة الحق والدين ، وخذلان دعاة الباطل أعداء الدين ، والله الموفق والهادي إلى الحق المبين .

تحريراً في آخر جمادى الأولىٰ سنة (١٤٠٥ هـ)

حسنين محمد مخلوف

مفتي الديار المصرية السابق
عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف
عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي
الحائز علىٰ جائزة الملك فيصل العالمية
لخدمة الدعوة الإسلامية

مصادقة كبار علماء العالم الإسلامي

هٰذا ؛ وقد اطَّلع بعض كبار علماء العالم الإسلامي علىٰ ما كتبه سماحة الإمام شيخ الإسلام الشيخ محمد مخلوف ، مفتي مصر سابقاً وعضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف ، وعضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي في مقدمة كتاب « المفاهيم » فأيَّدوا ذٰلك ووافقوا عليه ، وكتبوا المصادقة عليه ؛ وهم :

ـ العلامة المؤرخ الفقيه الشيخ محمد بن أحمد بن حسن الخزرجي : **وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف بدولة الإمارات العربية المتحدة** .

ـ فضيلة العلامة الكبير الداعي إلى الله الشيخ الأستاذ الدكتور محمد الطيب النجار : **رئيس جامعة الأزهر سابقاً ، ورئيس مركز السنة والسيرة ، وعضو لجنة جائزة الملك فيصل العالمية** .

ـ فضيلة الأستاذ الدكتور الشيخ أبو الوفا التفتازاني : **وكيل جامعة القاهرة** .

ـ فضيلة الفقيه المفتي الشيخ محمد بن عبد الرحمٰن آل الشيخ أبي بكر بن سالم : **مفتي جمهورية جزر القمر الإسلامية** .

ـ فضيلة الأستاذ المستشار السيد علي بن عبد الرحمٰن الهاشمي الحسني : **المستشار بديوان رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة** .

ـ فضيلة الشيخ إمام موسىٰ ضيف الله : **عضو الرابطة الإسلامية ، وإمام مسلمي تشاد** .

تقريظ

العلامة المؤرخ الفقيه الشيخ محمد الخزرجي

وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف

بدولة الإمارات العربية المتحدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ذي المحامد والآلاء ، المنعم علىٰ عباده بما شاء ، وأصلي وأسلم علىٰ أفضل الأنبياء ، وعلىٰ آله وصحبه النجباء .

أما بعد :

فقد تصفَّحت الكتاب الذي جمعه وألفه العالم الجليل المحقق النبيل السيد محمد بن علوي المالكي الحسني ، فرع الشجرة النبوية ، وسليل العترة الهاشمية المسمىٰ : « **مفاهيم يجب أن تصحَّح** » .

ففي كتابه هـٰذا وضع الأمور في مجاريها ، وحاد عن الشطط في مراميها ، وجنَّبها الإفراط والتفريط ، وصحَّح الأوهام والتخليط ، وبذل النصيحة لإخوانه المسلمين بالأدلة القاطعة والبراهين ؛ ليسلكوا مسالك السلف ، ويقلدوا أهل الفضل من الخلف .

والكتاب يتعلق بأمور ثلاثة : مباحث **في العقيدة** ، **مباحث نبوية** ، مباحث مختلفة **في الحياة البرزخية** ، **ومشروعية الزيارة والمناسبات الدينية** .

ومعشر المسلمين اليوم أشد حاجة إلىٰ علم هـٰذه الحقائق المشتملة

عليها هٰذه المباحث ، وقد اختلط عليهم الحابل بالنابل ، وتصدر للفتوىٰ كل جاهل ، ممن يقصر إدراكه عن فهم كتاب الله عزَّ وجلَّ ، ومقاصد السنة النبوية .

فجاء بالإيضاح والتدقيق ؛ ليبتعدوا عن مواقع الضلال ، ويكونوا خير مثال ، موفقين في الأفعال والأقوال .

والله أسأل أن يمنَّ علىٰ مؤلفه بلطفه وعنايته ، ويشمله بحفظه ورعايته ، صلى الله وسلم علىٰ سيدنا محمد ، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين ، والحمد لله رب العالمين .

حرّره

محمّد بن الشّيخ أحمد بن الشّيخ حسن الخزرجيّ

وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف

ورئيس لجنة التراث والتاريخ

وقاضي إمارة أبو ظبي سابقاً

في دولة الإمارات العربية المتحدة

تقريظ

العلامة الشيخ محمد الطيب النجار

رئيس مركز السنة والسيرة الدولي
ورئيس جامعة الأزهر سابقاً

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين؛ سيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وأصحابه، ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن حياة العالم الجليل السيد محمد علوي المالكي المكي الحسني كحياة الشجرة الطيبة التي نمت في أرض طيبة، وترعرعت في بيئة صالحة وتهيأت لها العناية والرعاية حتى انبسطت ظلالها، وأينعت ثمارها، وفاض على الناس خيرها وبرها.

ولا غرو ولا عجب؛ فلقد كان والده الجليل السيد علوي المالكي ـ طيَّب الله ثراه وأكرم مثواه ـ من العلماء الأعلام الذين وهبوا أنفسهم للعلم فعاشوا في محرابه سَدَنة راهبين، وكراماً كاتبين، وعلماء عاملين.

وكان بيته في مكة المكرمة وإلى جوار الكعبة المشرفة: هو

الندي الحافل الذي يضم الصفوة المختارة من علماء المسلمين ، يستمعون إلىٰ آي الذكر الكريم ، وإلى السنة النبوية الشريفة ، ويتدارسونهما في وعي عميق ، وتمحيص وتدقيق ، ثم تنتهي جلساتهم بالاستماع إلى المدائح النبوية من شعر العارف بالله صاحب الدار ؛ حيث يلقيها فضيلته بلسان عربي وقلب تقي وإيمان نقي .

فليس بغريب إذاً أن يكون الشيخ الجليل والابن الصالح السيد محمد علوي المالكي صورة صادقة لوالده الجليل ، وأن يسير في حياته علىٰ نهج أبيه علماً وأدباً وديناً .

(ومن يشابه أباه فما ظلم)

وهٰذا الكتاب الذي بين أيدينا الآن : إنما هو كتاب واحد من بين عشرات الكتب الدينية والعلمية التي أخرجها السيد محمد ، وكلُّها والحمد لله مليئة بالعلم النافع والرأي السليم والفكر الناضج ، وقد نفع الله بها الملايين من المسلمين ، وذٰلك فضل الله ، والله ذو الفضل العظيم .

أما هٰذا الكتاب الذي سماه مؤلفه الفاضل : « **مفاهيم يجب أن تصحَّح** » . . فهو بحق بيان واضح لبعض المفاهيم التي آمن بها بعض الناس ، وظنوا أن إنكارها باطل من القول وزور .

وكان من حق العلم على المؤلف الفاضل أن يصحِّح تلك المفاهيم الخاطئة ، وأن يدلي فيها بكلمة الحق خالصة لوجه الله وحده ، وهو بهٰذا العمل الشجاع يتعرض لوخز الإبر ويمشي على الشوك ، ولٰكن

من أجل الوصول إلىٰ أنبل الغايات وخير القربات ، فجزاه الله عن العلم والدين خير الجزاء .

هـٰذا ؛ ومن الله العون وبه التوفيق

الأستاذ الدّكتور محمّد الطّيّب النّجّار

وكيل الأزهر الأسبق ، ورئيس جامعة الأزهر سابقاً
وعضو مجمع البحوث الإسلامية بمصر
وعضو مجمع اللغة العربية بمصر
وعضو المجالس القومية المتخصصة
وعضو لجنة جائزة الملك فيصل العالمية

تقريظ

علّامة المغرب المحدّث المحقّق
الأستاذ السيّد عبد الله كنّون الحسنيّ

رئيس رابطة علماء المغرب
وعضو رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ، والصلاة والسلام علىٰ مولانا رسول الله ، وآله وصحبه ومن والاه .

وبعد :

فقد أطلعني الأخ في الله العلامة الجليل السيد محمد علوي المالكي علىٰ هٰذا الكتاب الذي سمَّاه : « **مفاهيم يجب أن تصحَّح** » ، وجعله ثلاثة أبواب :

الباب الأول : في العقيدة .

والباب الثاني : في النبوة .

والباب الثالث : في الزيارة .

ولا يعني بهٰذه المطالب أصولها وحقائقها المبينة في مظانها ، ولٰكنه يريد ما يتعلق بها من مباحث اختلفت الأقوال فيها بين العلماء من السلف والخلف كما اختلفوا في المسائل الفقهية الفرعية ، والتي لم يرد فيها نصٌّ صريح ، فذهب اجتهاد كل منهم

إلىٰ ما اطمأنت إليه نفسه ، ولٰكن أحداً منهم لم يعب علىٰ غيره ولا أنكر ما أدَّاه إليه اجتهاده ، وكان الاجتهاد ولا يزال يؤدي إلىٰ نفس النتائج ، ولن يؤدي حتماً إلىٰ نتيجة واحدة ، ولذا كان المجتهدون كلهم مأجورين ، والأجر إنما يكون علىٰ عمل صالح ، لا علىٰ عمل مذموم .

وكنا نقول : إن الخلاف في مثل هٰذه المطالب قد انتهىٰ ، كما انتهى الخلاف في الفروع الفقهية بصلاة المسلمين في المؤتمر الإسلامي المنعقد بالقدس سنة (١٩٣١ م) خلف الإمام الطباطبائي الشيعي على اختلاف مذاهبهم ، وبعدما أغلقت المحاريب المتعددة التي كانت في المسجد الأموي والأزهر وغيرهما ، وصار المسلمون يصلون وراء إمام المسجد الواحد في المحراب الواحد ، ولا يسألون عن مذهبه ولا عن عقيدته ؛ كما كان الصحابة يصلون خلف الحجاج بن يوسف في البصرة وغيره في غيرها .

ولٰكن أبى الشيطان إلا أن يبعثها جذعة بين المسلمين في الوقت الذي هم فيه أحوج ما يكونون إلى الوفاق ونبذ الخلاف ، والتصدي لعدو دينهم كما أمرهم الله سبحانه وتعالىٰ في قوله : ﴿ وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ﴾ (١) ، فعادت فتنة الأشعرية والسلفية في العقيدة ، وفرَّقت المسلمين وجعلت بعضهم يبدِّع بعضاً أو يكفِّره .

والأشعرية إنما قامت لما طغى التجسيم على الناس ؛ أعني :

---

(١) سورة التوبة ، الآية (٣٦) .

العامة ، وصاروا لا يُحققون مفهوم التنزيه ، فجنحوا إلى التأويل إنقاذاً للعقيدة .

والتأويل منحىً شرعي لا جدال فيه بنص القرآن ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾[1] .

وقد كان الأشعري من الراسخين في العلم ، وكذا أبو المعالي الجويني إمام الحرمين ، وأبو حامد الغزالي حجة الإسلام ، وغيرهم من أعلام الأشاعرة ؛ وهي ثلاثة أقوال في المتشابه :

ما يعزىٰ إلى السلف ؛ وهو اعتقاد مدلول اللفظ مع التنزيه ونفي التشبيه .

والتأويل بما تحتمله اللغة وطرق المجاز ؛ وهو مذهب الخلف ، ومذهب الأشعري الذي صار إليه بعد التأويل ؛ وهو أن هـٰذه المتشابهات صفات لله عزَّ وجلَّ لا نعرف كنهها ، ولـٰكننا نؤمن بها كما جاءت ، علىٰ أن المؤولين كما قلنا : إنما أرادوا بذٰلك إنقاذ العامة من شبه المتشابهات ، ولذٰلك قلَّ منهم من لم يكن يرجع إلى التفويض ؛ حتىٰ إن بعضهم كان يقول : (اللهم ؛ إيماناً كإيمان العجائز) .

والمهم أنهم كلهم أهل سنة وجماعة ، مؤمنون بما جاء به عن الله ورسوله الكريم كما أمر ، فكيف يصحُّ أن يكفر أو يبدِّع هـٰذا ذاك ؟!

---

(١) سورة آل عمران ، الآية (٧) .

ما هو إلا التعصُّب وضيق العطن إن لم يكن للسياسة في ذٰلك مدخل ، وقد وقع فعلاً في المغرب : أن المهدي بن تومرت بعد أن رجع من رحلته لطلب العلم في المشرق ولقي أقطاب المذهب الأشعري مثل : إلكيا الهراسي وتلك الطبقة . . قام بنشر هٰذا المذهب في المغرب ، ولما ادَّعى المهدوية وأسس دولة الموحدين . . ألزم الناس به ، وحارب مذهب السلف ، ونبذ المرابطين وسمَّىٰ أصحاب الدولة قبله بالمجسِّمين ، وكانوا علىٰ مذهب السلف في العقيدة ، وسمىٰ أصحابه بـ (الموحدين) ، كما حارب المذهب المالكي ورجاله من فقهاء المغرب والأندلس ، وهٰكذا نشأت العداوة بين الطرفين ، وكان السبب سياسياً قبل كل شيء [١] .

وما قيل في هٰذه المسألة مما اشتمل عليه الباب الأول من الكتاب . . يقال في مسألة المولد النبوي من مسائل (الباب الثاني) ، ومسألة الزيارة من مسائل (الباب الثالث) .

فالاحتفال بمولده صلى الله عليه وسلم إن لم يفعله من سبق . . فكثير مما نفعله لم يفعله ، وهي حجة لم يقبلها الفاروق من الصديق لما طلب جمع المصحف ، فكان أن رجع إلىٰ كلامه وجمعه .

ونظيرها : أمر عمر بن عبد العزيز علماءَ الأمصار بكتابة الحديث [٢] ، وكان من قبلهم يتحرَّجون من ذٰلك ، فوافقوه جميعهم ولم يقولوا له :

(١) انظر « الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصىٰ » (١/٢/٧٩) .
(٢) أخرجه البخاري في ترجمة باب قبل الحديث (١٠٠) .

أتفعل ما لم يفعله الأولون ، وكذا يقال في نقط المصحف وشكله ، وإحداث المحاريب في المساجد وبناء المآذن بحيث صار الأمر إلىٰ ألَّا يبنىٰ مسجد بدون محراب ولا مأذنة ، ولم يكن ذٰلك في عهده عليه الصلاة والسلام .

والقائمة طويلة ، والمقصود : أن من غلبت عليه محبة المصطفىٰ نبي الرحمة وشفيع الأمة صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم فاحتفل بمولده . . فهو أحرىٰ أن نقول له : حسناً ، لا أن ننكر عليه ونقيم الدنيا ونقعدها لأمر أقل ما يحكم به عليه أنه جائز .

والعجب العجيب : أن يعترض مؤمن علىٰ زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد أمرنا بزيارة القبور ـ مطلق القبور ـ لنتَّعظ بها ونعتبر ، وبزيارة قبور آبائنا وأمهاتنا وقرابتنا ؛ صلة للرحم وتعهداً لهم بالدعاء الصالح ، وقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم استأذن ربه في زيارة قبر أمه فأذن له [١] ، فكيف لا نزور قبر أشرف المرسلين الذي هدانا الله به إلى الصراط المستقيم ، وهو أمنُّ الناس علينا وأحبهم إلينا ، بل وأحب إلينا من آبائنا وأبنائنا ومن أنفسنا التي هي بين جنبينا ؟!

لا جرم أن ذٰلك ؛ أي : ترك زيارة قبره ، وخصوصاً لمن حج وأصبح من المدينة علىٰ غلوة أو غلوتين لمن أعظم الجفاء ، ولو لم يصح حديث : « مَنْ حَجَّ وَلَمْ يَزُرْنِي . . فَقَدْ جَفَانِي » [٢] ،

(١) أخرجه مسلم (١٠٨/٩٧٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه .
(٢) انظر « كشف الخفاء » (٢٧٨/٢) .

فاتركوا الناس وإيمانهم أيها المنكرون ، وإذا لم تتحرك مشاعركم لهٰذه المشاهد . . فعليكم أنفسكم ، ولا تحرموا عباد الله من التعرض لنفحاته التي يمنُّ بها علىٰ من يشاء ؛ فالأمر كما قال الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم : « إِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَٱللَّهُ المعطي »[(١)] .

وشكراً للسيد السَّند محمد علوي لتحريره هٰذه المباحث وتحقيقه لمفاهيمها ، وأعتقد أنه قد بلغ بها المنتهىٰ ، فلا يشغل نفسه بعد بالجدال فيها والمراء عليها ، ففي الحديث : « مَنْ تَرَكَ ٱلْمِرَاءَ وَهُوَ مُحِقٌّ . . بَنَى ٱللَّهُ لَهُ قَصْراً فِي أَعْلَى ٱلْجَنَّةِ ، وَمَنْ تَرَكَهُ وَهُوَ مُبْطِلٌ . . بَنَى ٱللَّهُ لَهُ قَصْراً فِي رَبَضِ ٱلْجَنَّةِ »[(٢)] .

ذٰلك لأن مهمة العلماء في عصرنا هٰذا هي إيقاظ الشعور والغيرة في نفوس المسلمين ، وحمل رؤسائهم وقادتهم على الوقوف في وجه أعداء الإسلام ، المستعبدين للمستضعفين من المؤمنين في فلسطين وأرتيريا وأفغانستان والفليبين .

ومن يشغل نفسه بهٰذه المسائل ويفرق بها صفوف المسلمين . . إنما يغطي علىٰ تقصيره وانحرافه عما هو واجب عليه ، مما لا يعذر فيه ولا يجزيه من الله شيء ؛ فالإسلام لا أرض له اليوم ، والمسلمون يسامون الهوان في كل مكان ، ولن تقوم قائمة ولن ترفع عنهم عصا الذل

---

(١) أخرجه البخاري (٧١) ، ومسلم (١٠٠/١٠٣٧) عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما .

(٢) بنحوه أخرجه أبو داوود (٤٧٦٧) عن أبي أمامة رضي الله عنه ، والترمذي (١٩٩٣) عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

حتىٰ يجنِّدوا أنفسهم للدفاع عن كيان الإسلام ، وحماية بيضته مع من بيده الحل والعقد من أولي الأمر ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

كتبه بفاس في (٢) شعبان (١٤٠٥ هـ)

عبد الله كنون الحسني

الأمين العام لرابطة العلماء بالمغرب
وعضو مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة
وعضو الجامعة العربية
وعضو أكاديمية المملكة المغربية
وعضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي
وعضو مجلس الوصاية على العرش بالمغرب

(١) سورة يوسف ، الآية (٢١) .

تقريظ

فضيلة الدكتور الحسيني هاشم

وكيل الأزهر الشريف

وأمين عام مجمع البحوث الإسلامية سابقاً

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام علىٰ أشرف المرسلين ؛ سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين .

وبعد :

فأقدم للعالم الإسلامي كتاب « **مفاهيم يجب أن تصحَّح** » لمؤلفه فضيلة الأستاذ الكبير والداعية الإسلامي ، المحب لله تعالىٰ ولرسوله صلى الله عليه وسلم السيد محمد علوي المالكي المكي الحسني ، خادم العلم وأهله بالحرمين الشريفين .

وقد اتَّسم بيت المالكي بالعلم والهداية ، وكل من له صلة بالحرمين الشريفين المباركين . . يعرف أصالة بيت المالكي في الهداية والإرشاد والدعوة إلى الله تبارك وتعالىٰ بالحكمة والموعظة الحسنة ، وربط الدارسين في حلقاتهم بأهم وسائل التربية وأنجحها بحب الله تبارك وتعالىٰ وحب رسوله صلى الله عليه وسلم ، وما قامت دولة الدعوة الإسلامية ونجحت هٰذا النجاح الباهر . . إلا بالحب الذي غرسه رسول الله صلى الله عليه وسلم في قلوب المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم .

حب لله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وحب للمسلمين يتمثل في المؤاخاة بين الأوس والخزرج وبين المهاجرين والأنصار .

امتنَّ الله بمنهج الحبِّ على المسلمين ، وبين لهم بأنه نعمة من عند الله تعالىٰ ، فقال تعالىٰ : ﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾[1] .

وأشاد بمنهج الحب فقال تعالىٰ : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ . . . ﴾ الآية[2] .

وبيت المالكي اتخذ هٰذا المنهج الإسلامي وركَّز عليه ؛ فقد رأيت والد السيد محمد علوي في دروسه بالمسجد الحرام يدرِّس التفسير والحديث والفقه ، ويربط كل ذٰلك بحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

وسار علىٰ منهجه نجله السيد محمد يدرس التفسير والحديث واللغة ، ويربط ذٰلك بحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

من أجل ذٰلك التفت القلوب حول بيت المالكي ، وتوافد عليه طلاب العلم من أرجاء العالم الإسلامي ؛ ليتعلموا العلم والعمل وحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

ووضع الله القبول لهٰذا البيت المبارك .

وإن القارئ لهٰذا الكتاب الذي نقدمه يجد فيه المنهج العلمي الذي يدل على الأصالة في الدراسة العلمية والتحقيق الجيد .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية (١٠٣) .

(٢) سورة آل عمران ، الآية (٣١) .

كما يدل على الدعوة الصادقة إلىٰ حب الله وحب رسوله صلى الله عليه وسلم ؛ فالكتاب يتعرض لعدة قضايا هامة مجملة فيما يلي :

الباب الأول : مباحث في العقيدة ، وفيها بيان فساد مقاييس التكفير والتضليل اليوم .

الباب الثاني : وفيه مباحث نبوية ؛ منها : الخصائص النبوية وحقيقة النبوة البشرية ، ومفهوم التبرك بالنبي وآثاره صلى الله عليه وسلم .

الباب الثالث : مباحث مختلفة عن الحياة البرزخية ، ومشروعية الزيارة النبوية ، وما يتعلق بها .

وإن هٰذا الكتاب يوفر على المسلمين الخلافات التي تمزِّق وحدتهم ؛ وذٰلك ببيان المنهج السليم والقول الحق ، حتىٰ يجتمع المسلمون على الخير والحق .

وفي الختام : نسأل الله العليَّ القدير أن ينفع المسلمين بهٰذا الكتاب القيم ، وأن يكتب الخير والفلاح لمؤلفه ولكل قارئ له ، والله ولي التوفيق .

الدكتور الحسيني عبد المجيد هاشم

وكيل الأزهر الشريف

والأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية سابقاً

في (١٤٠٥/٦/٣ هـ)

تقريظ

فضيلة الأستاذ الدكتور رؤوف شلبي

وكيل الأزهر الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة على سيدنا ومولانا رسول الله ؛ سيدنا محمد بن عبد الله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه ، بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فإن الشيخ الفاضل الدكتور محمد علوي المالكي المكي الحسني من خيرة علماء الإسلام وأحسنهم سلوكاً ، وأفضلهم خلقاً ، وقد عرفناه منذ كان طالباً بالدراسات العليا بجامعة الأزهر الشريف .

والأزهر حصن الضاد وعرين الدعوة وموئل الشريعة ، به صان الله أمة العرب من الشرك في الدين ، ومن اللحن في اللغة ومن الصدِّ عن سبيل الله ، وقد رفع لواء التوحيد النقي ، ودافع عن الإسلام ونشر لواءه في ربوع الدنيا كلها ، لا نجد في قرية صغيرة ولا مدينة كبيرة في شتى أنحاء العالم إلا وهناك عالم من علماء الأزهر تخرَّج في أروقته ، وسمع من شيوخه وحمل إجازته .

والشيخ محمد علوي من هؤلاء العلماء الأفذاذ الذين ترعرعوا في جنبات الأزهر ، وحمل مع علمائه لواء الدفاع عن التوحيد الحق ،

والسلوك الفاضل ، وتصدىٰ بخلق فاضل وأسلوب مهذب ، غير عيَّاب ولا شتَّام وسبَّاب لمن انحرفوا عن الجادة مدعين الإسلام .

والذين يجاهدون في سبيل الله عليهم أن يتأدبوا بأدب الإسلام :

يحافظون علىٰ سمو مكارم الأخلاق التي جاء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ليتممها .

ويترفعون عن المراء والجدل وكثرة القيل والقال ، وفرط السؤال ؛ فقد نهانا حبيبنا صلى الله عليه وسلم عن القيل والقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال [١] .

وأن يلتمسوا كل أمر يوحد بين المسلمين ويجمعهم ، ولا يفرِّقوا أو يشتِّتوا ؛ فإن الجهاد تبعة ثقيلة ؛ من تصدىٰ لها . . عليه أن يتحلىٰ بأخلاق أصحاب مولانا وسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكتاب الشيخ محمد علوي « **مفاهيم يجب أن تصحَّح** » من الكتب العاقلة المهذبة التي تردُّ كيد الذين يحاولون وضع الغبش في عيون المسلمين باسم الإسلام ؛ لدافع شخصي وفكرة سياسية مريضة عرفها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها ، ورفضوها وقصمها الله عند من له ذوق إسلامي يحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وجماعة المسلمين .

والشيخ الجليل الموقر ، ولا أزكيه على الله ؛ فهو حسبه وحسيبه . . من العلماء القلَّة الذين يجاهدون في سبيل الحق علىٰ بصيرة وهدىً ، وهو غني عن التعريف .

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٧٧) ، ومسلم (١٣/٥٩٣) عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه .

وإني لأسأل الله أن يحفظه بأدبه الجمِّ وجهاده المخلص ، وأن يحرسه وأن يرفع عنه السوء والبلاء ، وأن ينشر به كلمة الحق والدين القويم ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمد ، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين .

الدكتور رؤوف شلبي

وكيل الأزهر الشريف

تقريظ

العلامة الداعي إلى الله ، السيد يوسف هاشم الرفاعي

عضو مجلس الأمة

ووزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء الكويتي سابقاً

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا وشفيعنا وأسوتنا وإمامنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلىٰ آله وصحبه ومحبيه ومن والاه .

وبعد :

في خضم الصحوة الإسلامية التي تعمُّ العالم الإسلامي اليوم ، وفي معمعة المناقشات والمجادلات ، والمحاورات العارمة التي تشهدها المساجد والمعاهد ، والجامعات والمدارس في بلاد المسلمين اليوم ، حول حقيقة وجوهر مذهب السواد الأعظم من أهل السنة كانت المكتبة الإسلامية والشباب المسلم في أمسِّ الحاجة إلىٰ كتاب « **مفاهيم يجب أن تصحَّح** » الذي وفَّق الله تعالىٰ سماحة أخينا الكريم السيد الدكتور العلامة الشريف محمد علوي المالكي الحسني حفظه الله تعالىٰ لتأليفه ، فخرج إلى النور مشكاة يستضيء بها كل الطلاب .

ولا شكَّ أن كل طالب حق سوف يسرُّ بهٰذا السفر القيّم ، وكل معاند سوف تنهار حجته وتبطل لجاجته بعد أن بين السيد محمد علوي ما بيَّن ، وأوضح ما أوضح ؛ مستنداً بذٰلك كله إلىٰ كتاب الله وسنة

رسوله سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإلىٰ أقوال وآثار السلف الصالح من هٰذه الأمة المحمدية الكريمة .

والله تعالىٰ أسأل : أن يكون الرجوع من الجميع بعد مطالعة هٰذا الكتاب القيّم إلى الحق لأنه ديدن المؤمن ؛ كما ورد في الأثر : « ٱلْحِكْمَةُ ضَالَّةُ ٱلْمُؤْمِنِ ، أَنَّىٰ وَجَدَهَا . . ٱلْتَقَطَهَا »(١) .

ولا شك أنه في مواجهة أعداء الإسلام وأعداء أهل السنة اليوم ، المتكالبين علينا من كل مكان . . يقتضينا الصدع بأوامر الشرع الشريف ، والحزم والحكمة والعقل أن نتعاون ونتآلف ، ونتحابَّ ونحسن الظن ببعضنا بعضاً ، ويكون شعارنا أن نتعاون فيما اتفقنا عليه ، وأن يعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه ، حتىٰ نسير بسفينة الإسلام إلىٰ شاطئ العزة والكرامة والسلامة ، وبالله التوفيق ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمد ، وعلىٰ آله وصحبه وسلم .

السيّد يوسف هاشم الرّفاعيّ

عضو مجلس الأمة ووزير الدولة
لشؤون مجلس الوزراء الكويتي سابقاً
ورئيس لجنة الأقليَّات الإسلامية
في العالم بالمؤتمر الإسلامي

---

(١) أخرج الترمذي (٢٦٨٧) ، وابن ماجه (٤٣٣٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الكلمة الحكمة ضالة المؤمن ؛ فحيث وجدها . . فهو أحق بها » .

تقريظ

فضيلة العلامة الدكتور عبد الفتاح بركة

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير ، والصلاة والسلام على الشاهد البشير النذير ، وعلىٰ آله وأصحابه ذوي المقام الخطير ، ومن تبعهم ووالاهم إلىٰ يوم الدين .

وبعد :

فقد اطلعت علىٰ كتاب « **مفاهيم يجب أن تصحَّح** » للعالم العلامة المحقق الجليل السيد محمد علوي المالكي الحسني ، وهو ابن أستاذي وشيخي السيد علوي المالكي رحمه الله وأجزل في العلماء العاملين مثوبته ؛ جزاء ما قدم للعلم وأهله وللدعوة ورجالها .

وأعلم أنني لن أزيد في بيان فضائل هٰذا الكتاب ، ولا في بيان فضائل مؤلفه ، مما بذله من الجهد في تحليل المشاكل ، وتقريب المسائل ، والتدقيق في الفروع وربطها بالأصول . . أكثر مما أفاضت فيه هٰذه النخبة الفاضلة من العلماء الأجلاء ، وإنما يحدوني إلى الكتابة أن أنتسب إلىٰ هٰذه الزمرة الخيرة ، وأضم صوتي إلىٰ ندائهم العلوي بهٰذا الحق الصراح ، فأرفع من صوتهم وأكثر من سوادهم ، وأشرف بنصرة الحق والتواصي به معهم .

ومن الحق أن نقول : إن لدى الأمة الإسلامية من هموم العداوات الخارجية ما يكفيها ، وأعداؤها يتربصون بها ويكيدون لها ، ولا يملون ليلاً ولا نهاراً من تدبير المؤامرات ، واختلاق الذرائع والمبررات ؛ للإيقاع بالأمة الإسلامية ، ونبذها في حالك الظلمات .

ولو اقتصر الأمر علىٰ ذٰلك . . فربما هان الأمر ، ووجدنا في أنفسنا من المقومات ما يجعلنا نتصدَّىٰ لهٰذه المؤامرات والمخططات ، ونرد سهامها إلىٰ صدور أصحابها ، ولٰكن الأمر أوسع من ذٰلك ؛ فقد كان من تدبير هٰؤلاء الأعداء أن يشغلوا المسلمين بأنفسهم ، وأن يشعلوا بينهم نيران العداوة والبغضاء ، والتنابذ والتدابر ، وقد نجحوا ـ أو كادوا ـ في جميع الميادين ، ودبَّ دبيب سمومهم إلى الفكر الذي يقوم عليه كيان الأمة ، وكل فرقة تقع في غير ميدان الفكر الديني فعلاجها قريب ، وتجاوزها يسير .

أما إذا اعتمدت الفرقة علىٰ قواعد نظرية وأصول فكرية . . فمن الصعب أن تجد لها علاجاً شافياً ، أو دواء ناجعاً ، خاصة إذا تسربت الخلافات إلى الأصول وتناولت العقائد ، فعندئذٍ تحار العقول وتثور الفتن ويضيع الرشاد .

وكل مخلص لدينه ، غيور علىٰ أمته ، عليه أن يبتعد عن هٰذه المزالق وينجو بنفسه من نيرانها ، ويحمي الأمة مما يحمله من شررها ، أو أن يكون عالماً ثبتاً ، بصيراً في أمر نفسه ، وفي أمر الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ؛ فيعمل علىٰ إزالة الشبهات ، وإبطال أسباب الخلافات ، ويرد المسائل إلىٰ أصلها النقي مبرأة من عوامل

الفرقة ، وأسباب الشقاق ؛ حتىٰ يمكن أن يعيد للأمة صحتها ، ويحفظ عليها وحدتها ، ويهيِّئ لها أسباب عزتها وكرامتها .

وفي هٰذا الكتاب النفيس جهد كبير من عالم مدقق محقق يعمل به علىٰ جمع كلمة المسلمين ، ومحو آثار العصبية عند الاختلاف في المسائل الفرعية والاجتهادية ، خاصة فيما يتعلق بتنابذ بعض طوائف المسلمين فيما بينهم بالكفر أو بالشرك وما يتعلق ببعض الفرق الإسلامية ؛ كالأشاعرة والسلفية الحديثة ، وباستعمال المجاز العقلي وضرورة ملاحظته عند تطبيق المقاييس علىٰ ما يكون به الكفر والإيمان ، وكذٰلك بالنسبة لمعنى الشفاعة ، وزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وغير ذٰلك من الموضوعات الحساسة .

وذٰلك من خلال محاور ثلاثة :

مباحث حول العقيدة ومقاييسها ، ومباحث نبوية ، ومباحث تتعلق بالحياة البرزخية ، ومشروعية الزيارة والمناسبات الدينية .

والمسلمون أحوج ما يكونون اليوم إلىٰ رأب الصَّدْع فيما بينهم ، والاجتماع علىٰ كلمة سواء ، يعذر فيها المسلم أخاه فيما يسعه الدين من اختلاف في الرأي والاجتهاد ، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر علىٰ مواجهة أعدائنا الحقيقيين الذين يكيدون للإسلام ؛ ليُطفئوا نور الله بأفواههم ، والله متم نوره ولو كره الكافرون .

وعسىٰ أن يكون هٰذا الكتاب القيم إسهاماً مباركاً في إزالة أسباب الخلف والاختلاف ، وتحقيق أسباب الألفة والائتلاف بين المسلمين .

والله من وراء القصد ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام علىٰ خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين .

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

الأستاذ الدكتور عبد الفتّاح عبد الله بركة

تقريظ

العلامة الدكتور أحمد عمر هاشم

رئيس قسم الحديث الشريف

وبعض علماء الأزهر الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام علىٰ أشرف المرسلين ؛ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

فهٰذا بيان من علماء مجلس قسم الحديث النبوي بجامعة الأزهر الشريف بالقاهرة ، بشأن ما وصل إلىٰ أيدينا وأيدي المسلمين من كتاب « حوار مع المالكي » .

لقد عهدنا المملكة العربية السعودية مهد العلم ، ومهبط الوحي ، وعهدنا حكومتها الرشيدة وأسرة (آل سعود) أهل إيمان وإخلاص ، وأصحاب دعوة صادقة للوحدة والتضامن الإسلامي ، وما زالوا كذٰلك والحمد لله ، وسيظلون رافعين راية الحق والوحدة والتضامن حامين البقاع المقدسة ، وخادمين للحرمين الشريفين .

كما عهدنا وعهد الكثير منا ممن عمل أستاذاً بكليات المملكة وممن ذهب إلى الحرم المكي ، عندما يدخل من (باب السلام) ـ حيث يشاهد أكبر حلقة علمية كبرىٰ للحديث النبوي ـ كان يفيض فيها سماحة الشيخ الوقور فضيلة الدكتور السيد محمد علوي المالكي الحسني .

وكنا نحن العلماء الذين عملنا بالتدريس هناك وذهبنا إلى الحرم المكي كنا نشاهد هٰذا المحدث الكبير ، الذي قيَّضه الله تعالىٰ لخدمة الحديث النبوي الشريف كما قيَّض والده من قبله ، فكان لهٰذا البيت فضل وأثر ، ومجد لا ينازع .

واختص هٰذا البيت الكريم : بالرواية الشفاهية للأحاديث النبوية التي يصل فيها السند الصحيح المتصل من هٰذا العالم الجليل فضيلة السيد محمد علوي المالكي الحسني عن والده ، عن شيخه وشيخ شيخه . . . وهٰكذا إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هٰذا إلىٰ جانب مؤلفاته المتدفِّقة وعلمه الغزير ، وتلاميذه الكثيرين ومحبيه في شتىٰ أنحاء العالم الإسلامي .

وهٰذا العالم الجليل مثله يعتبر ثروة علمية وروحية ، ورائداً من روَّاد الثقافة الإسلامية ، وإماماً من أئمة الحديث الذين جمعوا إلىٰ جانب علمهم عملهم وإخلاصهم نحسبه كذٰلك ولا نزكي على الله أحداً ، وما شهدنا إلا بما علمنا .

ولٰكن مما يؤسف له أن بعض الذين جرحوا هٰذا العالم الإمام المحدث الكبير لم يكونوا علىٰ صواب ، بل إنهم وقعوا في خطأ فاحش ، حيث وصل بالمعترضين علىٰ آرائه أنهم حاولوا أن يخرجوه عن حظيرة الإسلام ، مع أن جميع آرائه والتي قال بها لها سند من أقوال من سبقه من الأئمة المتقدمين الذين لهم قدرهم : أمثال الإمام السيوطي وابن حجر والسبكي وغيرهم .

ولو أن المعترضين رجعوا إلى المراجع التي استقىٰ منها فضيلته

آراءه . . لوجدوا أنها صحيحة وأن لها سنداً من السنة ، وقال بها كثيرون من الأئمة والعلماء .

وأما بعض الآراء الغريبة التي نسبوها إليه وهو منها براء . . فإن فيها تدليساً وليست بآرائه ، وإنما حاولوا أن يحرفوا الكلم عن مواضعه ، فكيف يحكمون عليه بالكفر ؟! هلَّا شقُّوا عن قلبه ؟!

لقد قرأنا كتبه ومؤلفاته فما وجدنا فيها شيئاً مما أثاره ذاك الذي ألَّف كتاب « حوار مع المالكي » إلا العلم النافع والهدي الناجع ، وفضيلة الشيخ محمد علوي المالكي الحسني عالم متخصص في الحديث النبوي ، وقد حصل علىٰ أعلى الشهادات العلمية من أقدم وأعرق الجامعات الإسلامية ؛ وهي : جامعة الأزهر ، وله مؤلفاته في السنة ، وفي التشريع ، وفي حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وله أبناؤه وتلاميذه في كل مكان ، وقد قرأنا له كتبه ، واستمعنا إلىٰ أحاديثه وشاهدنا سلوكه وصلواته ومجالسه العلمية ، فوجدناه رجلاً (أُمَّةً) يقود أبناءه إلى العلم والعمل ، ويصنِّف كتبه بتوثيق علمي وأمانة .

إنه من أعظم العلماء الذين تفخر بهم المملكة العربية السعودية ، بل يفتخر به كل إنسان مسلم وكل عالم مسلم .

إننا نناشد صاحب كتاب « حوار مع المالكي » وأمثاله أن يتوبوا إلى الله تعالىٰ ، فقد باؤوا بذنب كبير في رميهم وتجريحهم لهٰذا الإمام الكبير والمحدث العظيم واتهامهم وبهتانهم ؛ لأن الإسلام نهىٰ عن تكفير المسلم لأخيه ؛ لأن الإيمان محله القلب ، والكفر أيضاً كذٰلك في القلب ، ولا يطَّلع علىٰ ما في القلوب إلا علام الغيوب ، ولقد نعى الرسول صلى الله عليه وسلم علىٰ أسامة بن زيد قتله لرجل ألقىٰ إليه

السلام ، وأمر الإسلام بالتبين ، قال الله تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾[1] .

ولم يقبل الرسول عليه الصلاة والسلام اعتذار أسامة ، وقال له : « هَلَّا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ »[2] .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « أَيُّمَا ٱمْرِئٍ قَالَ لِأَخِيهِ : يَا كَافِرُ . . فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا »[3] ، وفي رواية : « مَنْ دَعَا رَجُلاً بِٱلْكُفْرِ أَوْ قَالَ : عَدُوَّ ٱللهِ ، وَلَيْسَ كَذَٰلِكَ . . إِلَّا حَارَ عَلَيْهِ » أي : رجع[4] .

ويقول أيضاً : « ثَلَاثٌ مِنْ أَصْلِ ٱلْإِيمَانِ : ٱلْكَفُّ عَمَّنْ قَالَ : لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللهُ لَا نُكَفِّرُهُ بِذَنْبٍ ، وَلَا نُخْرِجُهُ مِنَ ٱلْإِسْلَامِ بِعَمَلٍ . . . »[5] .

هٰذا هو حكم الإسلام بنص القرآن والسنة ، فكيف ساغ لمؤلف كتاب « الحوار » وأمثاله أن يقعوا في هٰذا البهتان والعدوان ؟! ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾[6] .

وكيف حدث منهم هٰذا التكفير مع عالم طبقت شهرته الآفاق وسارت كتبه الموثقة ، ومصنفاته المحققة في العالم الإسلامي سير

(١) سورة النساء ، الآية (٩٤) .
(٢) أخرجه البخاري (٤٢٦٩) ، ومسلم (١٥٨/٩٦) واللفظ له عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما .
(٣) أخرجه البخاري (٦١٠٤) ، ومسلم (٦٠) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .
(٤) أخرجها مسلم (١١٢/٦١) عن أبي ذر رضي الله عنه .
(٥) أخرجه أبو داوود (٢٥٢٤) عن أنس بن مالك رضي الله عنه .
(٦) سورة البقرة ، الآية (٢٩) .

الضوء في الآفاق ؟! سبحانك هٰذا إفك عظيم !! إننا نناشد هٰؤلاء الذين وقعوا في هٰذا الخطأ الفاحش ، والجريمة الكبرىٰ أن يثوبوا إلىٰ رشدهم وأن يتوبوا إلى الله تعالىٰ ، وأن يرددوا شهادة التوحيد والتوبة النصوح مما اقترفوه .

فقد اشتمل كتاب ابن منيع على اعتداء وبهتان علىٰ شخص فضيلة السيد محمد علوي المالكي الحسني ، واعتداء علىٰ علمه وعلىٰ نسبه الشريف ، ووقع هٰذا المؤلف في سباب المسلم ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « سِبَابُ ٱلْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ »[1] .

كتاب « الحوار » عون للصهيونية وأعداء الإسلام

وفي رأينا ـ نحن علماء الأزهر ـ أن كتاب « حوار مع المالكي » وأمثاله يجب أن يصادر ولا يقرأه مسلم ؛ لأنه يفرِّق كلمة المسلمين ؛ فآراء الشيخ المالكي التي حاول صاحب هٰذا الكتاب تسفيهها آراء علمية ومحترمة ، ولها في القرآن والسنة أصل ، وقال بها أئمة وعلماء لهم وزنهم .

ومثل هٰذا الكتاب أكبر عامل من عوامل تفريق المسلمين ، ومساعدة للصهيونية والشيوعية العالمية وأعداء الإسلام .

إن كتاب « حوار مع المالكي » أكبر معول هدم لضرب وحدة علماء المسلمين وتمزيق كلمتهم ، وفي هٰذا خطر على الدعوة الإسلامية ، وعلى التضامن الإسلامي ووحدة الكلمة ؛ فكم في كتب الفقه والمذاهب ، وفي التفسير وشروح السنة آراء متعددة ، ولكل مذهب منهجه ودليله !

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨) ، ومسلم (١١٦/٦٤) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

ومع هٰذا فلم يسفِّه أحدٌ أحداً ، ولم يحكم أحد علىٰ أحد بالكفر ؛ لأنه لا يطَّلع على القلوب إلا علام الغيوب .

وإن هٰذا الكتاب وإن موقف مؤلفه ومن لف لفه من العالم الداعية الشيخ محمد علوي المالكي الحسني : إنما هو عون لتحقيق المخططات الصهيونية العالمية والشيوعية والإلحاد ، وسائر أعداء الإسلام ، الذين يسعون بكل حيلة وبكل وسيلة لتفرقة المسلمين ، وتمزيق شملهم .

وإذا كان التفرق من علماء الإسلام أنفسهم ومن تكفير بعضهم لبعض . . فهٰذا منتهىٰ ما يصبو إليه أعداء الإسلام ويسعون إليه بكل حيلة .

إن هدف الاستعمار قديماً (فرِّق . . تسد) ، وإن هدف الاستعمار الثقافي والغزو الفكري حديثاً هو ضرب الثقافة الإسلامية في شخص العلماء والدعاة ، ومثل هٰذا الكتاب ضربة في الصميم لطعن وحدة المسلمين وعلمائهم .

كتاب « حوار مع المالكي » وأمثاله طعنة للإسلام في مقتل

إن مؤلف هٰذا الكتاب ومن يقول بقوله قام بمهمة تمزيق الكلمة ، وعمَّق الخلاف بين المسلمين .

فإذا كانت الصهيونية العالمية والشيوعية الملحدة والاستعمار يبذل هٰؤلاء جهوداً لتفريق كلمة المسلمين ، وبعض المسلمين يجاهدونهم . . فماذا يصنع المسلمون حين يرون بعض العلماء يجهِّل بعضاً ويكفِّر بعضاً ؟!

إن مخطط العلمانية الحديثة بالتعاون مع الشيوعية أن يفصلوا الدين

عن الحياة ؛ بحجة أن الإسلام ما عاد ينفع المسلمين ، وإن الطريق إلىٰ هـٰذا ـ كما يرىٰ كبار الشيوعيين ـ الطريق إلىٰ فصل الدين عن الدولة هو التشكيك في الإسلام نفسه ، ولا يتأتى التشكيك في الإسلام إلا عن طريق التشكيك في علماء الإسلام وكبار دُعاته الذين يقتنع الناس بهم ويلتفون حولهم ؛ فإذا فقد الناس الثقة بهـٰؤلاء العلماء . . فقدوا الثقة بما يقولون ، وحينئذٍ يكونون قد نجحوا فيما أرادوا .

كتاب « الحوار » وأمثاله يمثل هـٰذا الدور في زعزعة الثقة بالعلماء ودعاة الإسلام المجاهدين في سبيل الله .

هل تساعد يا بن منيع أعداء الإسلام في طعن علماء الإسلام ؟! أولىٰ بك وبأمثالك أن يجاهدوا أعداء الإسلام الذين حاربوا العقيدة ، وأن تجاهد الملاحدة والصهيونية والماسونية والبهائية والقاديانية والشيوعية وغيرها .

إن وحدة المسلمين واجب مقدس ، وإن من حاول ضربها . . وجب على المسلمين أن يوقفوه ؛ لأنه يريد تفريق الأمة وتمزيق وحدتها .

وقد اشتمل كتاب « الحوار » علىٰ سبٍ وقذف ، لو طبِّق حكم الشريعة الإسلامية في صاحبه . . لوجب أن يجلد ثمانين جلدة وألا تقبل له شهادة .

وإننا نهيب بعلماء الإسلام في شتىٰ أنحاء المعمورة وبعلماء المملكة بصفة خاصة أن يوقفوا مثل هـٰذا التفسُّخ والتمزُّق ؛ فقد عهدنا المملكة العربية السعودية بلد التضامن الإسلامي ، ومهد العلم ومهبط الوحي ، وملتقى الفكر الإسلامي الذي يوحِّد ولا يفرِّق .

وكلنا ـ نحن علماء الإسلام ـ نعلِّق كبير الآمال علىٰ جلالة الملك المفدَّىٰ وحكومته الرشيدة أن يضربوا علىٰ أيدي العابثين بوحدة الأمة الإسلامية ، والمفرقين لكلمة العلماء .

ونناشدهم أن يجمعوا بين العالم الكبير المحدث الداعية فضيلة السيد محمد علوي المالكي الحسني وبين علماء المسلمين وطلابه ومحبيه في الحرم المكي ، حتىٰ يزيد النفع به وبعلمه ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم .

توقيعات عن علماء مجلس قسم الحديث
بجامعة الأزهر بالقاهرة وبعض كبار علماء الأزهر

الدكتور أحمد عمر هاشم

رئيس مجلس قسم الحديث سابقاً
وعميد كلية أصول الدين بالزقازيق

فضيلة الشيخ محمد السنراوي

المفتش الأول بالأزهر
والمستشار الديني لمحافظة الفيوم

الدكتور عبد الغني الراجحي

أستاذ الدراسات العليا بجامعة الأزهر

تقريظ

مفتي السودان سماحة الفقيه

العلّامة الشيخ سيّد أحمد العوض

رئيس مجلس الإفتاء الشرعي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، مولي النعم ومنشئ الخلق من العدم ، والصلاة والسلام علىٰ أكرم خلق الله على الله ؛ سيدنا محمد بن عبد الله ، أرسله ربه رحمة للعالمين ، وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد :

فقد هيئت لي الفرصة ـ والحمد لله رب العالمين ـ للاطلاع على الكتاب الذي ألَّفه العالم المحقق والشريف السيد محمد بن علوي المالكي المكي الحسني ـ خادم العلم بالحرمين الشريفين ـ والذي سماه : « **مفاهيم يجب أن تصحَّح** » ، تعلقت هٰذه المفاهيم بأمور ثلاثة ضمنها مؤلفه في أبواب ثلاثة :

اشتمل **الباب الأول** منها على المباحث المتعلقة بالعقيدة ، حيث بيَّن بالأدلة والبراهين في هٰذا الباب فسادَ مقاييس التكفير والتضليل اليوم .

وفي **الباب الثاني** بيَّن كذٰلك المباحث النبوية المشتملة علىٰ

خصائص النبي صلى الله عليه وسلم وحقيقة النبوة وحقيقة البشرية ، ومفهوم التبرك بالنبي صلى الله عليه وسلم وبآثاره ، وجاء فيه بالأدلة والبراهين القاطعة الواردة عن الصحابة ومن بعدهم من علماء الأمة الأجلَّاء .

وتعرض في **الباب الثالث** لمباحث تكلم فيها على الحياة البرزخية ، ومشروعية الزيارة النبوية ، وما يتعلق بها من الآثار والمشاهد والمناسبات الدينية ، وغير ذٰلك مما له تعلق بهٰذا المقام ، فحقق ودقق وأصلح الأفهام .

إن الذين يتعرضون اليوم لنصح المسلمين بالأمر والنهي . . اختلطت عليهم مقاييس التكفير والتضليل ، فسارعوا إلىٰ تكفير المسلمين ووصفهم بالشرك المبين ؛ اعتماداً علىٰ أن من قارف أمراً من هٰذه الأمور المذكورة في الأبواب الثلاثة علىٰ خلاف فهمهم المبني علىٰ مذهبهم . . فقد خرج عن الدين .

إن الأستاذ الكبير والعالم النحرير السيد العلوي خادم العلم والدين بالحرمين الشريفين قد صحح في كتابه : « **مفاهيم يجب أن تصحَّح** » هٰذه المفاهيم ، وأجلىٰ عنها الغموض ، وفسرها تفسيراً واضحاً مبنياً على النصوص الواردة في الكتاب والسنة ، وشرح علماء الملَّة لها بالتفصيل والتدليل .

فعلى الذين يتعرضون لنصح المسلمين وتبصيرهم بأمور الدين أن يطلعوا علىٰ هٰذا الكتاب النفيس ؛ ليكونوا علىٰ علم تام بهٰذه الحقائق ، ولا يسارعوا بوصف الكفر والضلال علىٰ أهل الملة السمحة

والمحجة البيضاء ـ جزاه الله خير الجزاء ـ فقد أحسن ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾[1] ، وصلى الله وسلم علىٰ سيدنا محمد النبي الأعظم ، وعلىٰ آله وصحبه ذوي الفضل والكرم .

حرره في (١٥) ربيع ثاني سنة (١٤٠٧ هـ)
الموافق (١٧) ديسمبر سنة (١٩٨٦ م)

سيّد أحمد العوض مدني

قاضي المحكمة العليا ـ جمهورية السودان
ورئيس مجلس الإفتاء الشرعي

---

(١) سورة يونس ، الآية (٢٦) .

تقريظ

شيخ الحديث ورئيس الجامعة الأشرفية

وأمير جمعية علماء الإسلام في باكستان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، وصلى الله تعالىٰ علىٰ خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد :

فقد اطلعت على الكتاب القيم اللطيف « **مفاهيم يجب أن تصحَّح** » لفضيلة العلامة الأستاذ الشيخ السيد محمد علوي المالكي الحسني .

وفي الحقيقة إن هـٰذا الكتاب يحتوي علىٰ مواضع مبتكرة ، ومضامين عالية ، يحتاج إليها العلماء والطلاب .

وفيه من حسن ذوق المؤلف وعلوِّ فكرته ما تحلُّ به المغلقات في موضوعات كثيرة في أصول الدين .

ولا شك أن هـٰذا الكتاب كشف الحجاب عن نكات مستورة وبعيدة عن أنظار العلماء .

فجزاه الله أحسن الجزاء ، وأسبغ عليه من نعمه ظاهرة وباطنة .

نسأل الله تعالىٰ أن يمتع المسلمين ، وخاصة أهل العلم به وبعلومه

دائماً في مشارق الأرض ومغاربها ، وما ذلك على الله بعزيز آمين ، يا رب العالمين .

توقيع

شيخ الحديث بالجامعة الأشرفية بلاهور

محمّد مالك بن محمّد إدريس الكاندهلويّ

غفر الله له

تصديق

رئيس الجامعة الأشرفية

محمّد عبيد الله بن مفتي حسن الأمرتسريّ

تصديق

نائب رئيس الجامعة الأشرفية

عبد الرّحمن بن مفتي حسن الأمرتسريّ

توقيع

أمير جمعية علماء إسلام باكستان

حامد مياه بن محمّد مياه

خليفة شيخ الإسلام حسين أحمد المدني

تقريظ
مدير التعليم بجامعة العلوم الإسلامية ـ كراتشي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين ، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين .

وبعد :

فقد قرأت ما كتبه فضيلة الشيخ الفاضل السيد محمد علوي المالكي الحسني حفظه الله تعالىٰ ، وما كتبه العلماء الأفاضل من تقاريظ .

وإنني أوافق علىٰ ما كتبه فضيلة العلامة المفتي الشيخ حسنين محمد مخلوف حفظه الله تعالىٰ ، وأرىٰ أن الوقت قد حان لتجتمع كلمة علماء الحق ، وأن يكونوا صفاً واحداً كالبنيان المرصوص إزاء العدو المشترك ، الذي يهدف بحوله وقوته القضاء علىٰ هـٰذا الدين الحنيف وأهله ، والإساءة بالمقدسات الإسلامية ، وليسامح بعضهم بعضاً في الأمور التي هي مجال لاجتهاد المجتهدين حتىٰ لا تضيع قوتهم فيما بينهم ، بل يجب أن تصرف هـٰذه القوة لنشر الدين الحنيف والدفاع عنه .

وقد شاهدت فضيلة الشيخ الفاضل السيد محمد علوي المالكي الحسني أيام دراسته عندما زار كراتشي ومكث فيها شهوراً ، شاهدته وهو يحرص علىٰ حضور مجالس أهل الحق والتوحيد من العلماء

الكبار ؛ أمثال : فضيلة العلامة المحدث الجليل الشيخ محمد يوسف البنوري ، وفضيلة العلامة المفتي الجليل الشيخ محمد شفيع رحمهما الله تعالىٰ .

وأسأل الله سبحانه له التوفيق والسداد .

الدكتور

عبد الرّزاق إسكندر

مدير التعليم والأمين العام

بجامعة العلوم الإسلامية ـ كراتشي

تصديق

نائب رئيس الجامعة

محمّد بن يوسف البنّوري

تقريظ

رئيس مجلس علماء الباكستان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام علىٰ من لا نبيَّ بعده ، وعلىٰ آله وأصحابه وأتباعه أجمعين .

أما بعد :

فأقول : أنا السيد محمد عبد القادر آزاد رئيس مجلس علماء باكستان : بأنني أصالة عن نفسي ، ونيابة عن مجلس علماء باكستان وأعضائه المنتشرين بفضل الله في كل مدينة من مدن باكستان وخارجها ، والذي يضم نحو عشرين ألف عالم : لقد اطلعنا علىٰ كتاب :

« مفاهيم يجب أن تصحَّح »

الذي صنَّفه فضيلة العلامة السيد الشريف محمد بن السيد علوي المالكي الحسني المكي ، فوجدناه يحتوي علىٰ ما عليه أهل السنة والجماعة سلفاً وخلفاً .

وقد أجاد فيه ، وأفاد بالأدلة القرآنية والحديثية ، ونرجو من الله سبحانه وتعالىٰ أن يجمع كلمة المسلمين على الحق المبين ، ونحن معه في جهاده في الدعوة إلى الله ، ونصرة أهل الحق أهل السنة والجماعة .

وصلى الله علىٰ سيدنا ومولانا محمد وعلىٰ آله وأصحابه وأتباعه أجمعين ، وبارك وسلم تسليماً .

سيد محمد عبد القادر آزاد

رئيس مجلس علماء باكستان

وخطيب المسجد الملكي بلاهور

(١٤٠٨/٥/١ هـ)

تصاديق :

نفيس الحسيني : خليفة الإمام الشيخ عبد القادر رائبوري .

محمد عبد الغني : الجامعة المدنية لاهور باكستان .

علي أصغر : خطيب منطقة بنجاب لاهور باكستان .

محمد عبد الواحد : خطيب الجامع الإسلامي بمنطقة سيالكوت الباكستان .



تقريظ
الأستاذ الدكتور حسن الفاتح قريب الله

مدير الجامعة الإسلامية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام علىٰ أشرف المرسلين ؛ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه ، ومن اهتدىٰ بهديه ، واتبع نهجه وتأسىٰ به إلىٰ يوم الدين .

أما بعد :

فلبيت السيد محمد علوي المالكي شهرة كبيرة ، ومكانة عالية ، تصدرها أهلوه بالعلم والخلق والالتزام الجاد بالدعوة إلى الله علىٰ منهج القرآن الكريم والسنة المطهرة ، يزيّنهم نسب عالٍ يجمعهم بالمصطفىٰ صلى الله عليه وسلم ، ويميزهم حب عميق للبلاد المقدسة واحترام وإكبار للمسؤولين عنها ، وعلىٰ رأسهم خادم الحرمين الشريفين .

لقد تسنَّم أهل البيت ذرى المجد ووهبوا حياتهم للدين يذودون عن حياضه ، وللمملكة يذبُّون عنها أذى المعتدين ، وما أهونهم !! وجهالة الأصدقاء من متلفعي ثوب العلم والدين ، وما أحمقهم !! وما هٰذا البحث الذي أشرف بالكتابة عنه الآن إلا دليل علىٰ صدق ما أقول ؛ فقد انبرىٰ لتأليفه علم بارز من هيئة كبار علماء الإسلام صحَّح فيه مفاهيم كاد يطمسها الجهلاء ، وأبان فيه حقائق كاد يضفي عليها الغير ضباباً

كثيفاً ، علىٰ أنه بالإضافة إلىٰ هٰذا وذاك ربط المملكة علمياً بركب العلماء وأبعدها ـ موفقاً ـ عن العزلة التي كان يسعى البعض ـ مدحوراً ـ لفرضها عليها .

لقد أبان الكاتب في مؤلفه فساد مقاييس التكفير والتضليل التي ينفثها أدعياء العلم ؛ ليباهوا بتقليل المسلمين لا بكثرتهم ، وليبذروا الفتنة بين صفوفهم متشبثين تارة بمسائل شكلية ، وأخرىٰ بمواضيع اختلف حولها العلماء مما جعل صوتهم بين الأصوات نشازاً وفكرهم بين الأفكار غريباً .

لقد ظُلم التصوُّف من بعض أولـٰئك الأدعياء ، فألصقوا به وبأهله تهماً هم منها برآء ، وشانئوهم بها أحق وأولىٰ ، فكان ولا بد إذاً من أن يدخل حلبة الصراع عالم يعرف كيف يجادل ، وخبير يدرك كيف يقاتل ؛ إذ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يكون في المسائل الخلافية ، علىٰ أنه إن كان للقلة سبب للتعصب . . فللكثرة الغالبة من المسلمين سبب أقوىٰ ؛ لتأصيل المفاهيم الصحيحة القائمة على الفهم الواعي لكتاب الله وسنة رسوله عليه أفضل الصلاة وأزكى التحية .

إننا نعرف التصوُّف ـ كما يقول المؤلف ـ : مدارس علمية ومعارف فكرية ، وهي كلها بمناهجها وبرامجها وطرقها تمثل الأفق الأعلىٰ للفكرة الإسلامية ، والوجه الأكمل لآدابنا ومثالياتنا ، تمثل الكمال في الإيمان والكمال في كل شأن من شؤون الحياة ، تمثل الخلاصة الزكية لكل دعوة ربانية ، إنه الصدق والأمانة والوفاء والإيثار والنجدة والكرم

ونصرة الضعيف وإغاثة الملهوف ، والتعاون على البر والتقوىٰ والتواصي بالحق والصبر ، والتسابق إلىٰ فعل الخير ؛ إنه الخلق القويم الصحيح ، وهو الشخصية الإسلامية في أبهىٰ حلة وأكمل صفة ، وأعلىٰ وأطهر نموذج .

أما أهل التصوُّف كما يقول الإمام الغزالي في كتابه « المنقذ من الضلال » : (هم السالكون لطريق الله تعالىٰ خاصةً ، وأن سيرتهم أحسن السير ، وطريقهم أصوب الطرق ، وأخلاقهم أزكى الأخلاق ، بل لو جمع عقل العقلاء ، وحكمة الحكماء ، وعلم الواقفين علىٰ أسرار الشرع من العلماء ؛ ليغيروا شيئاً من سيرهم وأخلاقهم ، ويبدلوه بما هو خير منه . . لم يجدوا إليه سبيلاً ؛ فإن جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقتبسةٌ من نور مشكاة النبوة ، وليس وراء نور النبوة علىٰ وجه الأرض نور يستضاء به)[(١)] .

ذٰلكم هو التصوُّف الذي عرفه السلف ، وتلك هي سيرة الصوفية كما عرفها الخلف ، لقد كانت مظاهر التصوُّف ، وما تزال هي حب الرسول صلى الله عليه وسلم والتعظيم له وزيارته والتبرُّك بآثاره ، وآثار من تأسوا به ، أما حقيقته . . فهي أن يعبد الفرد الله كأنه يراه ؛ فإن لم يكن يراه . . فليعلم أن الله يراه .

علىٰ ضوء ذٰلك المفهوم القائم على الكتاب والسنة صاغ المؤلف كتابه ، فكان للعلماء حجة ، وللمتعلمين نوراً وضياء ، لقد امتاز الكتاب بالمنهج العلمي السليم والأسلوب السهل الممتنع ، والمعلومات الثرَّة

(١) المنقذ من الضلال (ص ١٠٥ ـ ١٠٦) .

والبراهين الساطعة والحجج الدامغة ، زاد الله كاتبه توفيقاً ، وقارئه هداية ، وشانئه رجساً إلىٰ رجسه .

وآخر ما نقول هو : ﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[1] .

الأستاذ الدكتور حسن الفاتح قريب الله

مدير جامعة أم درمان الإسلامية

جمهورية السودان

---

(١) سورة المائدة ، الآية (٨٤) .

تقريظ

العلّامة الأديب الكبير الأستاذ أحمد عبد الغفور عطّار

من كبار أدباء المملكة

والحائز على جائزة الملك فيصل العالمية في الأدب العربي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ؛ سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

فقد أهدى إليَّ صديق عزيز كتاب « **مفاهيم يجب أن تصحَّح** » ، وهو آخر ما صدر لفضيلة العلامة الجليل السيد محمد بن علوي بن عباس المالكي الحسني ، وطلب مني هذا الصديق أن أبدي رأيي في الكتاب ، وهأنذا أجيبه فأقول :

كان في التقريظات التي كتبها علماء ذوو مناصب دينية رفيعة ، وعلم غزير نافع ، وجهاد في سبيل الحق ؛ كالأستاذ عبد الله كنون الحسني رئيس رابطة علماء المغرب ، والشيخ محمد الخزرجي وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الإمارات العربية ، والشيخ محمد الشاذلي النيفر عميد كلية الشريعة بتونس ، والشيخ محمد سالم عدود رئيس المحكمة العليا بجمهورية موريتانيا الإسلامية ، وفي المقدمة التي كتبها الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتي الديار المصرية السابق وعضو جماعة كبار العلماء بالأزهر الشريف غناء أي غناء ، إلا أن الصديق رجا أن يسمع

رأيي ـ وقد سمعه بعد قراءتي للكتاب ـ وأن يقرأه مكتوباً ، وأن آذن له في أن يقدمه للمؤلف يتصرف فيه كما يريد ، وقد فعلت ، وإني لسعيد أن يكون لرأيي هـٰذا القدر من الاهتمام الذي تعودته كتاباتي من القراء ، فأنا لا أكتب إلا الحق الذي أدين به .

قرأت كتاب « **مفاهيم يجب أن تصحَّح** » فإذا مؤلفه العلامة البحاثة لا يكتب ما كتب ابتغاء الجدل مع من يخالفونه في بعض آرائه أشد المخالفة التي تصل إلىٰ حد التكفير ، وإنما كتب مؤلفه ابتغاء تقرير الحق متخذاً أسلوب الحكمة والعفاف غير متورط في سباب أو قذائف يقذفها علىٰ مخالفيه ، فما بكتابه كلمة نابية ولا تجريح ، وإنما به عرض لما لديه من علم أكثر مما لديه من رأي خاص به .

إن المؤلف الفاضل النزيه لم يقصد أن يفرض رأيه على القارئ ، ولهـٰذا ابتعد في بحثه العلمي الإسلامي عن حقل آرائه الخاصة مع سدادها وبحرية الصواب فيها ؛ لأن الرأي قابل لأن يكون خطأً قبوله لأن يكون صواباً .

وليضمن المؤلف لكتابه النزاهة جنَّبه الرأي وبناه على الحق الذي يصدر من الكتاب والسنة ؛ شريعة وعقيدة ، وسلوكاً واجتماعاً ، وآداباً وعلوماً .

وهـٰذا الحق في الإسلام ليس مغلقاً ولا حكراً ، ولا حجراً محجوراً علىٰ أحد ، بل من حق أهل العلم بحثه ، واستنباط أحكام منه ، وطبيعي أن تختلف وجهات النظر في فهم بعض النصوص كبعض الآيات وبعض الأحاديث .

ونجد بين الأئمة الأعلام اختلافاً مثل اختلاف فروض الوضوء اختلافاً شديداً ، فعند السادة الحنابلة ـ مثلاً ـ من نواقض الوضوء : أكل لحم الجزور ، وعند غيرهم ليس بناقض بتَّة ، فالمسلمون ـ إلا الحنابلة ـ يكونون متوضئين ويأكلون لحم الجزور ثم يقومون إلى الصلاة يؤدونها ، والصلاة عِمادُ الدين ، وهي أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين .

فوضوء هٰؤلاء المسلمين منقوض وصلاتهم ليست بصحيحة إذا أخذنا بمذهب الحنابلة الذي أباه الأئمة الثلاثة : أبو حنيفة ، ومالك ، والشافعي رحمهم الله ، ورحم أحمد ابن حنبل .

وهٰذا الخلاف الشديد لم يخرج إلىٰ أن يكفر الأئمة بعضهم بعضاً ، وهناك ضروب كثيرة من مثل هٰذا الخلاف الذي يجب ألا يحملنا علىٰ تبادل القذائف والتهم والتكفير .

ولقد أحسن العلامة الجليل السيد محمد علوي المالكي الحسني في كتابه القيم النفيس « **مفاهيم يجب أن تصحَّح** » ومن خير مزايا المؤلف القدير : اتخاذه أسلوب الحكمة ، فنزَّه كتابه من السباب متوخياً أن يدعو إلى الحق والخير ، والجمال والفضيلة ، بأسلوبه الرائع الجميل الذي ينمُّ عن خلق بيت النبوة وآل البيت الكرام الأبرار .

وموجز رأيي وقولي في الكتاب : إنه تبيان للحق يوضح منهج المؤلف في الفكر الديني ، ومعدن فكره الديني نفسه ، وإنه لمعدن نفيس ، ولقد أحسن فيما صحح من مفاهيم استقبله أكابر أهل العلم والفضل بحفاوة ورضاً يتجليان في « التقريظات » التي شهدت للكتاب ومؤلفه ، شهادة نشاطر أصحابها فيما شهدوا ، ونشاركهم في الحفاوة التي يستحقانها ،

ونشكر للعلامة الجليل الداعية الإسلامي الكبير السيد محمد علوي المالكي الحسني جهوده المباركة في خدمة الإسلام ورسوله سيد الأنام محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ، كما نشكر له جهاده الصادق في الدعوة إلى الله ، ذلك الجهاد الذي كان ثمراته تثبيت الإسلام في شرق آسيا وجنوبها ، وإعلاء كلمة الله في أقطار كثيرة من أقطار العروبة والإسلام ، فجزاه الله كل خير ، ونفع بخلقه العظيم وعلمه الغزير وفضله المدرار .

أحمد عبد الغفور عطّار

مكة المكرمة

تقريظ

العلّامة الشّيخ يوسف بن أحمد الصّدّيقي

القاضي الوكيل لمحكمة الاستئناف العليا الشرعية بدولة البحرين وعضو الرابطة الإسلامية بمكة المكرمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وقائد الغر المحجَّلين ؛ سيدنا محمد حبيبنا وشفيعنا وطبيب قلوبنا ، صلاة وسلاماً دائمين ما تعاقب الليل والنهار ، وعلىٰ آله الأطهار وصحابته الأخيار .

أما بعد :

فقد اطلعت علىٰ كتاب عظيم بعنوان : « **مفاهيم يجب أن تصحَّح** » لمؤلف كريم سليل العترة الطاهرة النبوية ، ألا وهو العلامة الفاضل السيد محمد علوي المالكي ، فوجدته كتاباً حاوياً لمعان جليلة وأهداف سامية ، وأدلة واضحة ؛ لا سيما فيما أشار إليه من جواز التبرُّك بالآثار الشريفة ، والتوسل بالذات المحمدية ، وشد الرحل لمسجده العظيم ، والمثول أمام القبر الشريف الكريم ، وقد عضده بالأدلة من الكتاب والسنة ، ومن أقوال العلماء البارزين في هٰذا المضمار سلفاً وخلفاً .

فجزى الله مؤلفه خير الجزاء ، وأجزل له المثوبة دنيا وأخرىٰ ، ورزقنا الله وإياه محبة نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم ، والاقتداء

علىٰ أثره القويم ، وأماتنا علىٰ سنته ، وحشرنا تحت لوائه يوم الدين .

هٰذا ؛ وصلى الله علىٰ سيدنا محمد ، وعلىٰ آله وصحبه وأتباعه إلىٰ يوم الدين .

كتبه

يوسف بن أحمد الصّدّيقيّ

في (١٣) شعبان (١٤٠٥ هـ)

القاضي الوكيل لمحكمة الاستئناف العليا الشرعية

بدولة البحرين

وعضو المجلس التأسيسي للرابطة الإسلامية

مختصر تقاريظ علماء اليمن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ؛ سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

فقد اطلع علماء اليمن على كتاب « **مفاهيم يجب أن تصحَّح** » لمؤلفه العلامة الحجة فضيلة السيد محمد علوي المالكي ، فأقروه وقرَّروه وقرظوه ، ووجدوه أحسن مؤلف وأجوده في مواضيعه ، قرب مؤلفه فيه عقيدة السلف والخلف ، وبين فيه ما اشتبه على الناس من غوامض ، وما شرد عن أذهانهم من شوارد ، فهو عقد فريد على جِيد كتب أهل السنة قديمها وحديثها ، نثيرها ونظيمها ، فريداً في بابه ، وافياً ببغية طلابه ، موافقاً لعقائد أهل السنة التي يجب اعتقادها ، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

- **مفتي الجمهورية اليمنية** : السيد أحمد بن محمد زبارة .
- **مفتي لواء تعز** : السيد إبراهيم بن عمر بن عقيل .
- **صدر علماء زبيد** : الشيخ أسد بن حمزة بن عبد القادر .
- الشيخ أحمد داوود : **من علماء اليمن** .
- **رئيس الإنقاذ الإسلامي اليمني** : السيد عبد الهادي عجيل .

- **رئيس المركز الإسلامي بتعز** : محمد حزام المقرمي .

- **عامل وصايا قضاء زبيد** : الشيخ أحمد علي الوصابي .

- **مفتي زبيد** : السيد محمد بن سليمان .

- الشيخ عبد الكريم بن عبد الله .

- الشيخ حسين بن عبد الله الوصابي .

- الشيخ السيد محمد علي البطاح .

- **مفتي لواء الحديدة** : محمد علي مكرم .

- **مدير المعاهد العلمية بصنعاء** : الشيخ محمد بن علي المنصور .



تقريظ

العلّامة المحدّث المحقّق الفقيه الشّيخ محمّد الشّاذليّ النّيفر

عميد كلية الشريعة بتونس سابقاً

وعضو رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يجتاز العالم الإسلامي في عصرنا الحاضر أزمة الحملات العديدة التي يقوم بها المناوئون للإسلام ، وأشدها ما يحوكه الصهاينة من وسائل تنخر في جسم المسلمين ؛ كما ينخر السوس الخشب ، فهي غير ظاهرة للعيان مثله ، علاوة علىٰ نكايتهم في فلسطين تلك النكاية التي تنخر إلى العظم .

وفي جانب آخر الصليبية وحملاتها القاسية في محاربة الإسلام في بقاع الأرض ، عاملة ليلاً ونهاراً لحصر الإسلام في أضيق مكان أو القضاء عليه ، ويعاون كلّاً من الصهاينة والصليبيين حركات أخرىٰ ، فالحملات العديدة عنيفة يقاسي منها المسلمون ما يقاسون حتىٰ إنها لبَّست على البعض أفكارهم فجاروهم في أفكارهم ؛ كمن يتناول السم ويظنه الدواء الشافي .

فهٰؤلاء الذين ينعقون باسم الإصلاح والتقدمية لم يكفهم أنهم مسمومون ؛ حتىٰ أرغموا المسلمين علىٰ تلك السموم ؛ إذ ساعدتهم الظروف المعوجة على الحكم ، ورفعوا عقيرتهم بالدعوة لما يسمونه بالإصلاح والتقدمية كي يغروا العالم الإسلامي .

إنها حرب شعواء تقضُّ المضاجع وتدرُّ المدامع ، ونحن في أكثريتنا ساهون مشتغلون ببعضنا بعضاً كما هو الواقع في الحروب الساخنة بين المسلمين ، أو الحروب الباردة العامة المنتشرة بين الدول ، والنابعة من بعض المغرورين المسمومين من تلك الحملات ، يدعونا الواقع المؤلم أن نلتفت إلىٰ مقاومة تلك الحملات الشعواء ؛ حتىٰ ندرأ عن أنفسنا خطرها المحدق عوض أن نحارب أنفسنا ، مثل هٰذه الحملة على الأشعرية التي لا مبرر لها ؛ لأننا إذا نظرنا إلى الأشاعرة . . صح عندنا أنهم على السنة التي تركنا عليها النبي صلى الله عليه وسلم ، والتي ليلها كنهارها ، ورحم الله تعالى الإمام ابن عساكر حين تصدىٰ لإيضاح الأشعرية في وجهها الحقيقي في كتابه الشهير : « تبيين كذب المفتري فيما نسب للإمام أبي الحسن الأشعري » فإنه وضح أنها الوسط ، وخير الأمور الوسط بين التعطيل والتشبيه ، وقد ألهم الله الأشعري إلىٰ نصرة السنة بحجج العقول فانتظم شمل أهلها ، فأثبت لله سبحانه وتعالىٰ ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات ، ونفىٰ عنه ما لا يليق بجلاله ، فالأشعرية كما قيل [1] :

الأشعرية قوم قد وفِّقوا للصوابِ
لم يخرجوا في اعتقاد عن سنة وكتابِ

ويكفي مذهبه صحة : أن النبغاء من العلماء يكادون كلهم أن يكونوا أشعرية حتىٰ قبل ظهوره ؛ لأنهم علىٰ طريقة السنة ، ثم بعد ظهوره تقلدوا مذهبه وإن لم يكونوا كلهم فأكثريتهم .

---

(١) أوردهما ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص ١٣٦) ، وهما من المجتث .

وهٰذا ما أبداه ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » في (باب ذكر جماعة من أعيان مشاهير أصحابه) إذ كان فضل المقتدي يدل علىٰ فضل المقتدىٰ به ويكفيه أن من مقلديه القاضي أبا بكر بن الطيب بن الباقلاني البصري صاحب التصانيف المشتهرة في الرد على المخالفين ؛ حتىٰ إن أبا الحسن التميمي الحنبلي كان يقول لأصحابه : (تمسكوا بهٰذا الرجل ، فليس للسنة عنه غنىً أبداً)[1] .

وكذٰلك من رجاله الفحول الحاكم النيسابوري صاحب « المستدرك على الصحيحين » وابن فورك ، وأبو إسحاق الإسفراييني ، والحافظ الأصفهاني ، وأبو محمد القاضي عبد الوهاب البغدادي الفقيه المالكي ، وكتبه أشهر من نار علىٰ علم ، وقد اعتنىٰ بأحدها الإمام المازري وهو كتاب « التلقين » .

والمحدث الشهير الحافظ أبو ذر الهروي المالكي ، والحافظ أبو بكر البيهقي ، والحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي ، والإمام أبو المعالي الجويني ، وأبو الحسن الطبري ، وإلكيا الهراسي ، والإمام الشهير حجة الإسلام أبو حامد الغزالي .

ومنهم من أهل المغرب الإمامان الشهيران أبو الحسن القابسي والإمام المازري .

وتتبع هٰؤلاء إنما هو استيعاب علماء المسلمين ؛ فإذا كان هٰؤلاء علىٰ ضلال . . فقد اجتمعت الأمة علىٰ ضلال ، وفي ذٰلك تكذيب لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رواه سيدنا أنس رضي الله تعالىٰ

---

(١) تبيين كذب المفتري (ص ١٧١) .

عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ أُمَّتِي لَنْ تَجْتَمِعَ عَلَىٰ ضَلَالَةٍ ؛ فَإِذَا رَأَيْتُمُ ٱخْتِلَافاً . . فَعَلَيْكُمْ بِٱلسَّوَادِ ٱلْأَعْظَمِ »[1] .

ومثله الحملة على المولد النبوي الشريف مع أننا إذا حققنا النظر . . نراه ليس من البدع ، بل هو أمر مقصود منه تعظيم يوم مولد النبي صلى الله عليه وسلم ؛ اقتداء به في تعظيم نجاة موسىٰ عليه السلام في يوم عاشوراء .

ولتحاشي زيادة عيد في أعياد المسلمين . . لم يسم المسلمون ميلاده صلى الله عليه وسلم بعيد الميلاد ، بل سموه يوم المولد ، ولله درُّهم في ذٰلك !

وقد أزال الشُّبَه الإمام الجليل السيوطي في كتابه « حسن المقصد في عمل المولد » .

فهٰذه مفاهيم يجب تصحيحها ، وكذٰلك غيرها ؛ وهو ما اعتنىٰ به فضيلة العلامة الدكتور محمد علوي المالكي الحسني في كتابه الحافل « **مفاهيم يجب أن تصحَّح** » .

وقد حقق الكثير من هٰذه المفاهيم التي أثيرت حولها حملات ، وأبان فيها الوجه الصحيح ، فهو حري أن تتوقف عنده الأنظار لتحرير المواقف ؛ كالقضيتين المشار إليهما .

ونأمل أن هٰذه الحملات تنتهي بعد اتضاح ما يجب أن يصحح ، وأن تتجه الأقلام للطعنات الموجهة إلى الإسلام ؛ حتىٰ ننقذ الكثير من

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤١٠٧) .

الذين أضلتهم تلك الأقوال المزخرفة ، وبذلك نكون من الذين دافعوا بأقلامهم وأفكارهم عن حوزة الدين .

نسأله سبحانه وتعالىٰ أن يجعلنا جميعاً من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

محمد الشاذلي النيفر

عميد كلية الشريعة بتونس سابقاً

وعضو مجلس الأمة التونسي

وعضو رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة

تقريظ

العلامة الفقيه الشيخ محمد فال البناني

الأمين العام للرابطة الإسلامية الموريتانية

وعضو رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه المبين : ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ (١) .

والقائل : ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ (٢) .

والقائل : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ (٣) .

والصلاة والسلام علىٰ أشرف المرسلين ، قائد الغرِّ المحجَّلين من روي عنه :

- « ٱلْمُؤْمِنُ أَخُو ٱلْمُؤْمِنِ : لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ لِمَنْ يَظْلِمُهُ » (٤) .

- « مَثَلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ كَمَثَلِ ٱلْجَسَدِ ؛ إِذَا ٱشْتَكَىٰ

---

(١) سورة المائدة ، الآية (٢) .

(٢) سورة الحجرات ، الآية (١٢) .

(٣) سورة التوبة ، الآية (٧١) .

(٤) أخرجه البخاري (٢٤٤٢) ، ومسلم (٥٨/٢٥٨٠) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

مِنْهُ عُضْوٌ . . تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ ٱلْجَسَدِ بِٱلسَّهَرِ وَٱلْحُمَّىٰ »[1] .

ـ « ٱلْمُؤْمِنُونَ كَٱلْبُنْيَانِ ٱلْمَرْصُوصِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً »[2] .

ـ « لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا ، وَكُونُوا عِبَادَ ٱللهِ إِخْوَاناً »[3] . . . إلىٰ غير ذٰلك مما يدعو إلى التآلف والتحابب والتآخي ، وحسن الظن بالله وبعباد الله .

أما بعد :

فقد طالعت باهتمام بالغ كتاب « **مفاهيم يجب أن تصحَّح** » للعلامة الأديب الحديثي واللغوي الأريب ، أبي الأعلام النجباء والسادة النقباء ، الشريف ابن الشرفاء السيد محمد علوي المالكي الحسني نسباً ، المكي مولداً ووطناً ، فوجدته حزَّ في المفصل في كل المسائل التي حرَّر ؛ حيث إنه جلب عليها من النصوص والأدلة ما لم تبق معه شبهة في قلب من له مسكة من العلم والإنصاف ، ولا غرابة ؛ إذ هو عذيقها المرجَّب وجذيلها المحكَّك ، وابن عذيقها وجذيلها .

فعندئذٍ حدا بي أسلوبه الشيِّق ، وترتيبه وبحثه للمواضيع ، وتحقيقه مناطها إلىٰ أن أدليت بدلوي في تقريظه ؛ مساهمة في رد

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠١١) ، ومسلم (٢٥٨٦/٦٦) عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه البخاري (٤٨١) ، ومسلم (٢٥٨٥/٦٥) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٦٥) ، ومسلم (٢٥٥٨/٢٣) عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

المناوئين له إلىٰ صوابهم ، حيث إنني أرأب بهم عن تكفير مسلم بمسائل غير مجمع عليها ، وأجمعوا علىٰ أن المسلم إذا صدر منه قول أو فعل ، يحتمل الردة مع تسعة وتسعين وجهاً وغيرها من وجه واحد . . يرجع إلىٰ ذٰلك القول ؛ مخافة إخراج مسلم من الإيمان .

وعندي والله أعلم أنه لم يبق للمعاندين في هٰذه المسائل بعد النظر في كتاب « **مفاهيم يجب أن تصحَّح** » إلا التسليم لكل ما جاء فيه ؛ إذ إن ما جاء فيه . . كاد أن يكون مجمعاً عليه قديماً وحديثاً ؛ كما بينه الأئمة الأعلام والحفاظ الموثوق بهم في الملة الإسلامية ، فجزاهم الله عن الإسلام خير جزاء ، وجزى المؤلف هو الآخر خيراً ، وأبقاه ذخراً للمسلمين الذين لا يريدون إلا ظهور الحق ، وبارك فيه ورحم أسلافه الصالحين العالمين العاملين بعلمهم بما بثُّوا في قلوب أبناء المسلمين من قرآن وسنَّة وعلوم آلت لهما تلك العلوم التي بثُّوها في أهل داني الأرض وقاصيها ، سارت بها الركبان لتبليغها بدورهم في جميع أنحاء المعمورة .

وإنني لأشهد أن من أدركته من عائلة المؤلف ؛ وهو والده الشيخ السيد علوي عباس المالكي . . قد قام بدوره في ميدان الدعوة والإرشاد ، وتبليغ العلوم الدينية ، وكثيراً ما حضرت وفي أعوام متتالية دروسه في المسجد الحرام ؛ كالقرآن وتفسيره ، والحديث وفقهه ، والتوحيد وعقائده . . . إلىٰ غير ذٰلك مما أدىٰ إلىٰ تكاثر التلامذة والمستمعين في حلقاته رحمه الله رحمة واسعة ، وأطال بقاء وارثه في العلم وخليفته في التدريس ، الشاب الصالح الموحد التقي السيد محمد علوي المالكي

الحسني ، ابنه البار المنقذ من الضلالة ، والمحب لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم .

حرر بنواكشوط بتاريخ (٢٠) رجب (١٤٠٥ هـ)
الموافق (١١) أبريل (١٩٨٥ م)

المتبرئ من الحول والقوة
محمد فال البناني
عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي
والأمين العام للرابطة الموريتانية للدفاع عن الإسلام

تقريظ

العلامة الفقيه الأصولي الشيخ محمد سالم عدود

رئيس المحكمة العليا بموريتانيا سابقاً

وعضو المجمع الفقهي برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة

بسم الله الرحمن الرحيم

صَحَّتْ مفاهيمُ كان النَّاسُ قد هاموا ... فيها وزايلها لَبْسٌ وإبهامُ
بحثٌ دقيقٌ عميقٌ لا يقوم له ... خبطٌ وخلطٌ وتدليسٌ وإيهامُ
أبدىٰ به العلويُّ المالكيُّ لنا ... ما لم تنله من الحذَّاق أفهامُ
فكان منه وإن ماروا وإن جحدوا ... حشرٌ وشرحٌ وتوضيحٌ وإفهامُ
وساعدته على المطلوب أربعةٌ ... نصٌّ وقيسٌ وتفويضٌ وإلهامُ
فردَّ سبَّابةً كانت تشير له ... شتماً وليس لها في الكفِّ إبهامُ
فبان أنَّ الذي كانت تروجه ... وتدَّعيه خرافاتٌ وأوهامُ
لو استحقَّ سجوداً غير بارئنا ... خرَّتْ لوجه ابنِ عَبَّاسٍ بنا الهامُ
بذاك قرَّظْتُ ذاك البحثَ آمُل أن ... يكون مني لنصر الحقِّ إسهامُ

محمد سالم بن محمد علي بن عبد الودود «عدود»

رئيس المحكمة العليا لجمهورية موريتانيا الإسلامية سابقاً

ووزير الثقافة والشؤون الإسلامية

وعضو المجلس الفقهي برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة

تقريظ
الداعية الكبير العلامة الشيخ
محمد عزيز الرحمن الحقاني الهزاروي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وعلى آله وأصحابه ، ومن اتبع هديه .

أما بعد :

فقد طالعنا كتاب « **مفاهيم يجب أن تصحَّح** » لفضيلة العلامة الجليل السيد محمد علوي المالكي الحسني المكي ، فوجدناه ـ ما شاء الله ولا قوة إلا بالله ـ كتاباً قيماً ، جمع فيه فوائد متنوعة بأسلوب نفيس ، ملتزماً بوقار العلماء ونهج الحكماء ، فجزاه الله خيراً كثيراً .

ووجدنا أن كل ما فيه هو في الجملة ما عليه جمهور علماء أهل السنة والجماعة سلفاً وخلفاً ، وهو الذي وجدنا عليه مشايخنا من المحدثين والمفسرين ، والفقهاء المحققين ؛ كمسند الهند الإمام الشاه ولي الله الدهلوي الفاروقي ، وأنجاله الغرِّ الميامين ، وتلامذتهم .

ثم الأمير المجاهد الإمام العارف بالله الشيخ إمداد الله الفاروقي المهاجر المكي ورفقائه ، والشمسين النيِّرين حجة الإسلام الإمام محمد قاسم النانوتوي ، وقطب الإرشاد الإمام رشيد أحمد الكنكوهي ، وحكيم الأمة الإمام الشاه أشرف علي التهانوي الفاروقي ، وشيخ الإسلام الإمام

السيد حسين أحمد المدني الحسيني ، وقطب الأقطاب بركة العصر شيخ الحديث الإمام محمد زكريا الكاندهلوي ، ثم المهاجر المدني قدس الله سرَّهم ، وغيرهم من أعيان علماء أهل السنة والجماعة بشبه القارة الهندية .

وجلُّ كتبهم ورسائلهم طافحة ببيان هٰذه المسائل ، ولا سيما الرسالة القيمة « المهند على المفند » للإمام المحقق الجليل العلامة الشيخ خليل أحمد المحدث السهارنفوري الأنصاري ، وقد قرظها عامة العلماء الكبار في ذٰلك العصر ، وغالبها في بيان هٰذه المسائل المذكورة في كتاب « المفاهيم » ، وإن اختلفت العبارات وتنوعت أساليب الكتابات إلا أن المقصود واحد ، والمعنىٰ هو هو بعينه ، وكما يقول الشاعر [1] :

عباراتنا شتَّىٰ وحسنك واحدٌ ... وكلٌّ إلىٰ ذاك الجمال يشيرُ

نرجو من الباري الكريم : أن يجمع المسلمين علىٰ هٰذا الحق المبين ، ويوحد صفوفهم حيث إنهم ما احتاجوا إلىٰ توحيد الكلمة مثل احتياجهم إليه اليوم ؛ حيث تكالب حولهم الأعداء من اليهود والهندوك ، والنصارىٰ والشيوعيين والملحدين ، الشرقيين والغربيين .

كما نشطت الطوائف الزائغة ؛ كالقاديانية والبهائية ، والإسماعيلية الباطنية والروافض .

وأهل السنة نائمون ، والمستيقظون منهم جهودهم مشتَّتة وقُواهم منتشرة ، وقلوبهم مختلفة ، أشغلتهم أمور تافهة اختلفت فيها آراء العلماء منذ القدم عن أمور جسام وأخطار عظيمة ، ومنكرات ظاهرة

(١) أورده اليوسي في « زهر الأكم » (٣/٨١) من غير نسبة ، وهو من الطويل .

فظيعة تحدق بالأمة من كل جانب ، فليت أولئك العلماء المنتسبين إلى الطائفة الناجية (أهل السنة والجماعة) الذين يضللون المسلمين ويكفرونهم لأمور خلافية تنبَّهوا لذلك وعادوا إلىٰ رشدهم ، وبذلوا جهودهم لتوحيد شمل المسلمين ، والعود بهم إلىٰ دينهم وطاعة ربهم واتِّباع نبيهم صلى الله عليه وسلم .

وأنَّىٰ يكون ذلك إلا بالمحبة والحكمة ، وسعة الصدر والموعظة الحسنة ، وغضِّ النظر عن الأمور الخلافية ، وترك الفظاظة والغلو ؟! فقد قال العزيز الحكيم الخبير لأفضل رسله وخاتم أنبيائه ، وحبيبه وصفيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [1] .

وشكر الله سعي العلامة السيد محمد علوي المالكي الحسني ، وزاده توفيقاً وقبولاً ؛ فقد التزم في كتابه هٰذا بالأدب الرفيع مع خصومه الذين طعنوا فيه ظلماً وزوراً بالكفر والضلال ، ولم يذكر أحداً منهم بسوء ، بل إنه لم يذكر حتىٰ أسماءهم ، وإنما أتىٰ بالحجة الشرعية الناصعة ، والدليل الواضح من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأقوال أئمة العلم والدين ، وهٰذا هو الأصل ، والذي ينبغي بلا جدال ، وكان هٰذا هو المأمول منه حفظه الله ووفَّقه لكل خير .

فقد رأينا دائماً شيخنا الإمام القطب محمد زكريا الكاندهلوي المدني قدس الله سره يحبُّه حباً شديداً ويعتبره كأحد أبنائه ، وهو أيضاً من أعظم المحبين لشيخنا في حياته وبعد وفاته ، كما أنه عظيم المحبة والتقدير لمشايخه ومشايخنا الذين استفاد من علومهم ، وفاضت عليه

---

(١) سورة آل عمران ، الآية (١٥٩) .

بركاتهم ؛ كإمام العصر المحدث الجليل السيد محمد يوسف البنوري الحسيني ، والإمام المحدث الكبير السيد فخر الدين المراد آبادي شيخ الحديث بدار العلوم ديوبند ، والإمام المفتي محمد شفيع الديوبندي المفتي الأعظم لباكستان ، والإمام الداعية المحدث الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي وأمثالهم قدس سرهم .

« وَٱلْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ ، مَا تَعَارَفَ مِنْهَا . . ٱئْتَلَفَ ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا . . ٱخْتَلَفَ »[1] .

نرجوه سبحانه وتعالىٰ أن يتقبل هٰذا الكتاب وينفع به عباده ، ويجعله ذريعة وسبباً للرشد والهداية .

وصلى الله علىٰ سيدنا ومولانا محمد ، وآله وصحبه أجمعين ، والحمد لله رب العالمين .

محمّد عزيز الرّحمن الحقّاني الهزاروي

خطيب وإمام مسجد الصديق
الأكبر براولبندي ـ باكستان
خليفة الإمام المحدث العلامة
محمد زكريا الكاندهلوي ثم المدني

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٣٦) عن عائشة رضي الله عنها ، ومسلم (٢٦٣٨/١٥٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

تقريظ

فضيلة الشيخ أبو زيد إبراهيم سيد

موجه اللغة العربية بجمهورية مصر العربية

* * *

كتابك شمس

بسم الله الرحمن الرحيم

كتابكَ شمسٌ أشرقت بالحقيقةِ ... ونــورٌ سناه مـن ضيـاء الـنُّبـوَّةِ
طلعْتَ به صبحاً تفجَّر في الورىٰ ... يـشـعُّ بـأنـوار الـهـدىٰ والعـقيـدةِ
وضــوَّأتَ أفـكـاراً ونـارت بهديهِ ... عقولٌ تمادت في عميق الدُّجُنَّةِ
فـكـان مـنـاراً لـلمفاهيم مرشـداً ... يُصحِّح منها من نأىٰ عن شريعةِ
به (السَّيِّدُ) المعروف بالعلم والنُّهىٰ ... تـجلَّىٰ بعلـمٍ مـن كـتـابٍ وسُـنَّـةِ
ومـا رام إلَّا الله جــلَّ جـلالُـهُ ... وجمع صفوف المسلمينَ بوحدةِ
وقــال تـعــالَــوْا للإلٰـه وشـرعـةٍ ... وقــال كـفـانـا مـن عــداءٍ وفـرقـةِ
فإنَّا بني الإسلام جسم إذا اشتكىٰ ... من الجسْم عضوٌ فالجميع بحُمَّةِ
أجل بارك الرحمـٰنُ شيخاً مبجَّلاً ... تـسامىٰ بفـرع الـدوحة العـلَـويَّـةِ
ويَا ربِّ لـلإسـلام فـانـصر حماتَهُ ... وأيِّـدْ حـماة الـحـقِّ فِـي كـلِّ بقعةِ



تقريظ

فضيلة الشيخ محمد عبد الواحد أحمد

وكيل وزارة الأوقاف بجمهورية مصر العربية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي بصَّرنا بالحق وهدانا إليه ، وأرشدنا إلى الصواب وأعاننا عليه ، ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ، والصلاة والسلام علىٰ أشرف خلقه ، وأجلِّ رسله ؛ محمد بن عبد الله ، صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم .

وبعد :

فقد وفَّق الله تبارك وتعالىٰ طائفة من علماء الأمة المخلصين والهداة الراشدين ؛ فحافظوا علىٰ تراثهم الأصيل ، ووقفوا أنفسهم علىٰ دحض الشبهات ورد المتشابهات ، وإحقاق القواعد التي قامت عليها جماعات أهل السنة ، ذوو الهمم العالية والأفهام الزاكية ، برّاً بنبيهم ، ووفاء بحقه عليهم ، واسترضاء لربهم ، فكانوا خير خلف للسادة الأماجد من حملة الأمانة التي حمَّلهم إيَّاها ربهم ، وشرَّفهم بالانتساب إليها والدفاع عنها ، فنهضوا بأشرف المهام بعزيمة واقتدار .

ومن هٰؤلاء الهداة الراشدين والعلماء المجتهدين : العارف بالله والذائد عن دين الله ، والحب المحب لرسول الله ، الأمين علىٰ كلمة الله فضيلة السيد الشيخ الشريف محمد علوي المالكي الحسني أحسن الله إليه ، ومكَّن له في دينه ، وقَوَّىٰ على الحق يقينه وأعزَّه بالإسلام ، وأعزَّ

به الإسلام وبمن معه من أهل الرشد والإخلاص ، ممن وكل الله إليهم شرف الدفاع عن دينه ، وإبراز المكانة السنية التي أقام الله عليها رسوله الخاتم ، عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليم .

لقد صدع بالحق ونادىٰ بالصدق ، وذكرنا بالخصائص التي امتنَّ الله بها علىٰ رسوله المعظم صلى الله عليه وسلم ، وبالمنح التي تفضل بها عليه ، وامتزج حب المصطفىٰ عليه الصلاة والسلام بروحه وحنايا قلبه ، فأحيا سنة نبينا صلى الله عليه وسلم ، وأقام مجالس الصلوات والسلام عليه في مجالسه ، وعطَّر المحافل والمجامع بالثناء علىٰ أشرف مخلوق وأفضل رسول ، وأحب الخلق إلى الله سيدنا محمد بن عبد الله ، صلوات الله وسلامه عليه يوم مولده ويوم مبعثه ، ويوم يؤذن له بالشفاعة في ساحة القضاء ، أمام رب العالمين أحكم الحاكمين عزَّ وجلَّ ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمد ، وعلىٰ آله وصحبه وسلم .

كتبه

محمّد عبد الواحد أحمد

من علماء الأزهر ووكيل وزارة الأوقاف

تقريظ

فضيلة الشيخ إبراهيم الدسوقي مرعي

وزير الأوقاف السابق بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام علىٰ خاتم النبيين ؛ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه ، ومن دعا بدعوته إلىٰ يوم الدين .

وبعد :

فقد حظيت بهـٰذا الكتاب النفيس « **مفاهيم يجب أن تصحَّح** » لمؤلفه السيد الفاضل الدكتور السيد محمد علوي بن عباس المالكي الحسني ، ومن عنوان هـٰذا الكتاب أدركت مدىٰ ما يكنُّ مؤلفه من حب وتقدير لنبي الإنسانية والرحمة للعالمين ، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن غيرة علىٰ دينه وشفقة بإخوانه المسلمين .

ولا عجب ؛ فهـٰذا خلق المسلم الصادق فضلاً عن أن مؤلفه من آل بيت النبوة الذين طهَّرهم ربهم وقال فيهم : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[1] ، لقد أرادهم الله ليكونوا الأسوة والقدوة ، والهداة إلى الحق والشجىٰ في حلق أعدائه ، والقوة المخلصة لحماية هـٰذا الدين .

وإذا كنت حياتي أعمل جندياً في ميدان الدعوة الإسلامية . . فقد

(١) سورة الأحزاب ، الآية (٣٣) .

لمست عن كثب حاجة المجتمع المسلم إلىٰ هٰذا الكتاب وأمثاله ؛ حماية لهٰذه الأمة من حملات التشكيك التي منينا بها اليوم ، وإيذاناً بأن لهٰذا الدين جنوداً مخلصين ، يذودون عنه إلىٰ قيام الساعة ، ولا يضرُّهم من خالفهم حتىٰ يظهر الله الحق أو يأتي أمر الله .

والحمد لله ؛ فقد أوفىٰ هٰذا الكتاب على الغاية ، وأدَّىٰ كل ما نرجو ، فقد قدم الرأي الصائب الذي ارتضاه مؤلفه مؤيداً بالدليل وآراء الأئمة في العصور المتعاقبة ، في أهم القضايا التي عصفت أو كادت تعصف بوحدة هٰذه الأمة وتمزق شملها ، وفي مقدمتها قضية العقيدة !

فقد عرض الكتاب لما أثير حولها من شبهات ، وقدم من الأدلة ما يدحضها ، ويبطل آراء الغالين بما حاكوا من أباطيل حولها أولـٰئك الذين أقاموا من أنفسهم قضاة يحكمون علىٰ من يشاؤون بالكفر وعلىٰ آخرين بالإيمان ، متجاهلين قول النبي صلى الله عليه وسلم : « سِبَابُ ٱلْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ »[(١)] .

وإن شيمة الإسلام التسامح والتيسير ، وما أجمل ما أجاب به عليٌّ كرَّم الله وجهه حين سئل عن المخالفين له : أكفارٌ هم ؟ قال : (لا ؛ إنهم من الكفر فرُّوا) ، فقيل : أمنافقون هم ؟ قال : (لا ؛ إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً) ، فقيل : أي شيء هم ؟ فقال : (هم قوم أصابتهم الفتنة فعموا وصموا)[(٢)] .

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٤٤) ، ومسلم (٦٤/١١٦) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٢) أخرجه عبد الرزاق في « المصنف » (١٨٦٥٦) .

وفي الحديث الصحيح قال صلى الله عليه وسلم : « إِذَا قَالَ ٱلرَّجُلُ لِأَخِيهِ : يَا كَافِرُ . . فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا »[1] ، كما أن القرآن يعلمنا أن نطهر أنفسنا من مقالة السوء حتىٰ مع المشركين ؛ فيقول سبحانه : ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾[2] ، ويقول لموسىٰ وهارون حين بعثهما لفرعون : ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾[3] .

وفي الباب الثاني من الكتاب فنَّد مزاعم أولـئك الذين يرمون بالكفر زوراً من يعرفون لرسول الله صلى الله عليه وسلم قدره ، ويملأ قلوبهم حبه فيعظمونه ويوقرونه ، غير ذاكرين أن الله عظمه ورفع ذكره ، وألزم أمته الأدب معه بآيات في القرآن الكريم تتلىٰ ونتعبد بتلاوتها ، ففضله ومقامه وجاهه عند ربه باقٍ لا شك فيه عند أهل الإيمان حياً أو بعد أن لحق بربه .

ثم يتحدث عن التصوف ، وأنه الأفق الأعلىٰ للفكرة الإسلامية ، والوجه المشرق لآداب ديننا وكمالياته ، وأنه بريء من الخرافات والأباطيل والدجل ، وأن أقطاب التصوف قد تحدثوا عن الشريعة الإسلامية بما يؤكد التزامهم الكامل بكل ما جاءت به في عبادتهم ومعاملتهم ، وفي كل أمرهم .

وعن التوسل وأنه أحد طرق الدعاء ، وباب من أبواب الرجاء إلى الله عزَّ وجلَّ ، وأنه لا يوجد مانع شرعي أو عقلي يمنع التوسل بالنبي

(١) أخرجه البخاري (٦١٠٣) ، ومسلم (٦٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه .
(٢) سورة الأنعام ، الآية (١٠٨) .
(٣) سورة طه ، الآية (٤٤) .

صلى الله عليه وسلم في حياته أو بعد مماته فضلاً عن الأدلة التي ساقها في هٰذا المقام ، وإذا كان المتفق عليه هو التوسل بالأعمال الصالحة . . فإنه لا مانع إذاً من التوسل بالصالحين من هٰذه الأمة ، ومثل التوسل الاستعانة والاستغاثة وما شابه ذٰلك ، فالمؤمن في كل ذٰلك لا يرىٰ غير ربه .

وفي حديثه عن الشفاعة والاحتفال بالمولد النبوي ، والتبرُّك بآثاره صلى الله عليه وسلم وآثار الصالحين ؛ فقد ساق من الأدلة ما به يثبت أن ذٰلك سنَّة مرفوعة وطريقة مشروعة ، أقرَّها رسول الله صلى الله عليه وسلم وفعلها صحابته من بعده .

وفي الباب الثالث من الكتاب يتحدث عن زيارة النبي صلى الله عليه وسلم وآراء العلماء فيها ، وزيارة القبر النبوي ومشروعيتها ، وزيارة الآثار والمشاهد وأقوال الأئمة فيها .

هٰذا ؛ وقد جاء هٰذا الكتاب ليروي ظمأ الذين يعشقون الحقيقة ويبحثون عنها ، في وقت قد تكالبت فيه قوى الشر لتنال من الإسلام وتعاليمه ، وتوقد نار العداوة والبغضاء بين أبنائه ، فكان بفضل الله صيحة الحق تدفع الباطل فإذا هو زاهق ، ونور الإيمان يبدِّد ظلام الشك ويهدي إلى الصراط المستقيم .

جزى الله مؤلفه عن الإسلام والمسلمين خيراً ، ونفعنا بما قدم ورزقنا الإخلاص في عقيدتنا ، والتوفيق للتأسي بنبينا وحبه وحب الصالحين ومن اهتدىٰ بهديه ، واتبع ما جاء به صلى الله عليه وسلم .

كما نسأله أن يبارك جهود المخلصين من العلماء العاملين ويمدَّهم بمدده ، ويؤيدهم بروح منه لتبقىٰ كلمة الله هي العليا ، وحتىٰ لا تكون فتنة ويكون الدين لله ، والله الموفق .

(٢١) من ربيع الأول سنة (١٤٠٦ هـ)

الموافق (٤) من ديسمبر سنة (١٩٨٥ م)

إبراهيم الدسوقي مرعي

وزير الأوقاف السابق بمصر

تقريظ

فضيلة العلامة الشيخ حسين محمود معوض

من كبار علماء الأزهر الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله الرحمـٰن الرحيم ، علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الحمد لله رب العالمين ، نحمدك ربنا بجميع محامدك ما علمنا منها وما لم نعلم ، ونشكرك شكر من غمرته بفضلك وحبوته بعطفك ، لا يحصى الثناء عليك ربنا أنت كما أثنيت علىٰ نفسك ، عزَّ جارك وجلَّ ثناؤك ، ونصلي ونسلم علىٰ سيِّدنا محمَّد المبعوث رحمة للعالمين ؛ صلاة تنحل بها العقد ، وتنفرج بها الكرب ، ويستسقى الغمام بوجهه الكريم .

وبعد :

فقد تصفَّحت كتاب العالم الجليل الحسيب النسيب محمد علوي المالكي الحسني الذي سماه « **مفاهيم يجب أن تصحَّح** » فوجدته حافلاً بالعلم الغزير والفهم السليم ، وجزاك الله عن الإسلام والمسلمين خيراً ، بما قدمت لنا في هـٰذا الكتاب المليء بالأنوار التي تنبعث من بين سطوره ، وزادك الله علماً وفهماً ، وليس بعالم من لم يضف إلى العلم جديداً يبصر به الناس فيما غاب عن وعيهم ولم تدركه عقولهم .

والذي ينظر إلىٰ هـٰذا الكتاب وما تناوله فإنما يجد الحديث الطريف بالأدلة الناصعة ، التي لا تدع مجالاً إلى الشك في كل ما

تضمنه الكتاب ، مبرزة حقائق واضحة لا يشك فيها إلا ضال ولا يتنكَّب عن طريقها إلا زائغ عن الصراط المستقيم ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ هَـٰذَا ٱلدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرِفْقٍ »(١) ، « وَلَنْ يُشَادَّ ٱلدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا ، وَٱسْتَعِينُوا بِٱلْغَدْوَةِ وَٱلرَّوْحَةِ ، وَشَيْءٍ مِنَ ٱلدُّلْجَةِ »(٢) ، وهـٰذا يعطي أن التنطُّع في الدين مهلكة لكل متنطِّع .

وسبحان الله ! فإن الطبائع تختلف والفطر تتباين ، ولـٰكن إذا وضح الأمر واستبان . . فلا مفر للعاقل إلا أن يرجع إلى الصواب ويلزم نفسه به .

وقد ضُرب المثل بمن برز بالعلم في العصر الذهبي للإسلام والمسلمين ، فقيل في شأن علي رضي الله عنه وكرم وجهه : (قضية ولا أبا حسن لها)(٣) ، كما نال أيضاً شهادة أهل عصره بقولهم فيه : « أَنَا مَدِينَةُ ٱلْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا »(٤) .

ولم يقتصر الأمر علىٰ عصر النبوة ، بل إن النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) أخرجه البيهقي في « الشعب » (٣٦٠٢) عن عائشة رضي الله عنها .

(٢) أخرجه البخاري (٣٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) أورده الخضري في « حاشيته على ابن عقيل » (٣١٨/١) من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وروى ابن سعد في « طبقاته » (٢٩٣/٢) عن سعيد بن المسيب رحمه الله تعالىٰ قال : (كان عمر يتعوذ بالله من معضلة ليس فيها أبو حسن) ، وروى البخاري (٤٤٨١) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : قال عمر رضي الله عنه : (أقرؤنا أبيٌّ وأقضانا علي . . .) .

(٤) أخرجه الحاكم في « المستدرك » (١٢٦/٣) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، ورواه الترمذي (٣٧٢٣) بلفظ : « أنا دار الحكمة وعلي بابها » عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

زكَّىٰ من جاء بعد عصره ، فورد في شأن الشافعي رضي الله عنه : « عَالِمُ قُرَيْشٍ يَمْلَأُ طِبَاقَ ٱلْأَرْضِ عِلْماً »(١) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى المقبرة فقال : « ٱلسَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ ٱللهُ بِكُمْ عَنْ قَرِيبٍ لَاحِقُونَ ، وَدِدْتُ لَوْ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا » قالوا : أولسنا إخوانك يا رسول الله ؟ قال : « أَنْتُمْ أَصْحَابِي ، وَإِخْوَانُنَا ٱلَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ » ، قالوا : كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله ؟ قال : « أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلاً لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ ، أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ ؟ » قالوا : بلىٰ يا رسول الله ، قال : « فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرّاً مُحَجَّلِينَ مِنَ ٱلْوُضُوءِ ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى ٱلْحَوْضِ ، أَلَا لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ ٱلْبَعِيرُ ٱلضَّالُّ ، أُنَادِيهِمْ أَلَا هَلُمَّ فَيُقَالُ : إِنَّهُمْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ ، فَأَقُولُ : سُحْقاً سُحْقاً »(٢) .

وقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم تفاوت الناس في حديثه الصحيح : « ٱلنَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ ، خِيَارُهُمْ فِي ٱلْجَاهِلِيَّةِ . . خِيَارُهُمْ فِي ٱلْإِسْلَامِ إِذَا فَقِهُوا ، وَٱلْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ ، مَا تَعَارَفَ مِنْهَا . . ٱئْتَلَفَ ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا . . ٱخْتَلَفَ »(٣) .

---

(١) أخرجه الطيالسي في « مسنده » (٣٠٩) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٢٦/٥١) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وانظر « كشف الخفاء » (٥٣/٢) .

(٢) أخرجه مسلم (٣٩/٢٤٩) .

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٩٣ ، ٣٣٣٦) ، ومسلم (١٦٠/٢٦٣٨) واللفظ له ، عن أبي هريرة رضي الله عنه .

وإذا كان كتابك أخي العزيز قد تناولت فيه ما يأتي :

ـ الحكم علىٰ بعض المسلمين بالكفر ؛ لأنه حلف مثلاً بالنبي صلى الله عليه وسلم مع العلم بأن الفقهاء أباحوا الحلف بالكعبة والقرآن والنبي ؛ لأن الله عَظَّم هـٰذه الأشياء ، ولا مانع أن نعظم بالحلف ما عَظَّم الله سبحانه ، ولا يتعارض هـٰذا مع الحديث : « مَنْ كَانَ حَالِفاً . . فَلْيَحْلِفْ بِٱللهِ أَوْ لِيَصْمُتْ »(١) ؛ إذ أنت تعظم ما عظم الله .

ـ المجاز العقلي في القرآن .

ـ الواسطة بين الخالق والمخلوقين .

ـ الشفاعة .

ـ مفهوم الاستعانة .

ـ حديث المؤلف المستفيض عن التبرك بآثار الصالحين . . . إلىٰ غير ذٰلك من مباحث الكتاب ، وحتىٰ لا أطيل : فإني أعرض للبحث الأول ، وأعجب لمن له صلة بالعلم أن يكفر مسلماً والقرآن والسنة يتلاقيان ؛ فالله عزَّ وجلَّ يقول : ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾(٢) ويعني ذٰلك : أن كل ما دون الكفر . . يغفره الله ، ولا يكفر مسلم إذا ارتكب كبيرة أبداً كيف والله عزَّ وجلَّ يقول : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(٣) .



(١) أخرجه البخاري (٢٦٧٩) ، ومسلم (٣/١٦٤٦) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .
(٢) سورة النساء ، الآية (٤٨) .
(٣) سورة الزمر ، الآية (٥٣) .

تقريظ
المجلس العلمي بمدينة مراكش

الحمد لله الذي زيَّن العلماء وخصَّهم بالخشية ، وتفضَّل عليهم بالمعية ، وصلاة وسلاماً علىٰ خير البرية ، وعلىٰ آله وأصحابه والذرية .

وبعد :

فإن العلم بحر زاخر لا ساحل له ، ومنتهاه إلى الله سبحانه ، وإن العلم النافع هو ما يصحبه عمل ، ولا يكون معه التباهي ، ولا قصد التطاول على الغير ، ولا صرف وجوه الناس إلىٰ صاحبه .

وإن الاشتغال بالعلم تدريساً وتأليفاً عبادة وكفىٰ به شرفاً ؛ لأنه حرفة الأنبياء ؛ فـ (العلماء ورثة الأنبياء) كما جاء[1] ، فمرحىٰ بمن لقنه ودرسه ، أو ألف فيه أو شرح للناس ما هم محتاجون له ، وإن من الهداة الأعلام الذين درسوا وألفوا واجتهدوا في إيصال هـٰذا الخير للأمة : الشريف الحسني سيدي محمد علوي المالكي الذي ألف كتاب « **مفاهيم يجب أن تصحَّح** » فقد جاء هـٰذا الكتاب خدمة للإسلام ، ومشحذة للأفهام وإزالة للإيهام ، فهو من خير ما كتب في هـٰذا العصر في هـٰذا الموضوع .

ولما عرض هـٰذا الكتاب علىٰ أنظار العلماء العارفين . . تلقوه بالقبول والثناء علىٰ مؤلفه ، الذي أدَّىٰ عنهم واجباً في عنقهم تجاه الله ورسوله

---

(١) أخرجه أبو داوود (٣٦٣٦) ، والترمذي (٢٦٨٢) ، وابن ماجه (٢٣٤) عن أبي الدرداء رضي الله عنه .

صلى الله عليه وسلم والأمة ، بل ربما عقمت أقلام كثيرين على ميلاد هٰذا الكتاب .

ولهٰذا ؛ فإن أعضاء المجلس العلمي بمراكش وبإشراف الرئيس ، وبعد الاطلاع على هٰذا المؤلف وقراءة بعض فصوله والتأمل فيها ، يوافق مؤلفه الموافقة التامة عليه ، شاكرين له مجهوده الكبير ، ومباركين صنيعه الجميل ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

عبد السلام جبران

رئيس المجلس العلمي الإقليمي بمراكش
وأعضاء المجلس

تقاريظ نعتذر عن نشرها

هـٰذا ؛ وقد تفضل جملة من كبار علماء المسلمين بالكتابة عن هـٰذه المفاهيم وتأييدها ، وتقريظ كتابنا والثناء عليه ، فجزاهم الله خير الجزاء ، ولـٰكن لطولها نعتذر عن نشرها بنصّها ، ونكتفي بذكر بعض أصحابها ، وخلاصة رأيهم الكريم ، ألا وهي الموافقة التامة والتأييد الكامل ؛ وهم :

ـ سماحة الإمام العلامة الأصولي اللغوي الشيخ سيدي **الفاروقي الرحالي** شيخ العلماء ، ورئيس مجلس العلماء بالمغرب مراكش .

ـ سماحة العلامة المحقق الأصولي سيدي **محمد العربي بن البهلول الرحالي** .

ـ فضيلة الشيخ العلامة الفقيه محدث المغرب بل محدث الدنيا الشيخ السيد **عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري** .

ـ فضيلة العلامة المحدث الأصولي السيد **عبد العزيز بن محمد بن الصديق الغماري** .

ـ فضيلة الأستاذ الداعي إلى الله السيد **محمد بن علي الحبشي** ، رئيس المركز الإسلامي بأندونيسيا .

ـ سماحة الإمام العلامة العارف بالله والداعي إليه الحبيب **عبد القادر السقاف** ، إمام حضرموت وشيخ العلماء بها .

ملاحظةٌ هامّة
تتعلق بالأحاديث الواردة في الكتاب

هـٰذا ؛ وقد نقلنا في هـٰذا الكتاب جملة وافرة من الأحاديث النبوية والآثار المروية ، ونقلنا أقوال أئمة العلم من كبار علماء الحديث المعتمدين في الحكم عليها ، وبيان درجاتها ؛ فمنهم من صحَّح بعضها ، ومنهم من حسَّن بعضها ، ومنهم من توقف في بعضها ، ومنهم من ضعف بعضها .

والمقصود : أن التصحيح والتحسين والتضعيف ، إذا ثبت عن واحد من علماء الحديث المعتمدين ؛ مثل الترمذي والبيهقي والمنذري والهيثمي . . ففيه كفاية عن البحث والتنقيب والمراجعة في كتب الجرح والتعديل وأسماء الرجال .

نعم ؛ إذا لم يتكلم أحد من المحدثين المعتمدين في الحديث بشيء . . فالمجال مفتوح أمام من يريد البحث والنظر والمراجعة ، وهـٰذا باب واسع وميدان فسيح ، ومئات الأحاديث التي من هـٰذا النوع تنتظر من يخدمها ويحققها ويخرِّجها .

المؤلّف

منهج الكتاب

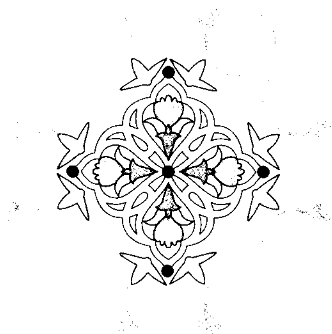
هٰذا ؛ وقد جعلنا هٰذا الكتاب علىٰ ثلاثة أبواب كالآتي :

الباب الأول : مباحث في العقيدة ، وفيها : بيان فساد مقاييس التكفير والتضليل اليوم .

الباب الثاني : مباحث نبوية ، وفيها : خصائص النبي صلى الله عليه وسلم ، وحقيقة النبوة ، وحقيقة البشرية ، ومفهوم التبرُّك بالنبي صلى الله عليه وسلم وآثاره .

الباب الثالث : مباحث مختلفة ، وفيها : بيان الحياة البرزخية ، ومشروعية الزيارة النبوية وما يتعلق بها من الآثار والمشاهد والمناسبات الدينية .

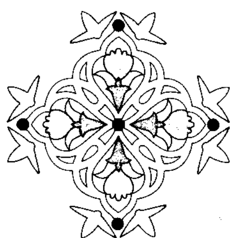




الباب الأوّل

مباحث في العقيدة

وفيها بيان فساد مقاييس التّكفير والتّضليل اليوم



التحذير من المجازفة بالتكفير

يخطئ كثير من الناس ـ أصلحهم الله ـ في فهم حقيقة الأسباب التي تخرج صاحبها عن دائرة الإسلام ، وتوجب عليه الحكم بالكفر ، فتراهم يسارعون إلى الحكم على المسلم بالكفر لمجرد المخالفة ، حتىٰ لم يبق من المسلمين علىٰ وجه الأرض إلا القليل ، ونحن نتلمَّس لهٰؤلاء العذر تحسيناً للظن ، ونقول : لعل نيتهم حسنة من دافع واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولٰكن فاتهم أن واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا بد في أدائه من الحكمة والموعظة الحسنة ، وإذا اقتضى الأمر المجادلة . . يجب أن تكون بالتي هي أحسن كما قال تعالىٰ : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ (١) ، وذٰلك أدعىٰ إلى القبول ، وأقرب للحصول على المأمول ، ومخالفته خطأ وحماقة .

فإذا دعوت مسلماً يصلي ، ويؤدي فرائض الله ، ويجتنب محارمه وينشر دعوته ، ويشيد مساجده ، ويقيم معاهده ، إلىٰ أمر تراه حقاً ويراه هو علىٰ خلافك ، والرأي فيه بين العلماء مختلف قديماً إقراراً وإنكاراً ، فلم يطاوعك في رأيك فرميته بالكفر لمجرد مخالفته لرأيك . . فقد قارفت عظيمة نكراء ، وأتيت أمراً إدّاً نهاك عنه الله ، ودعاك إلى الأخذ فيه بالحكمة والحسنىٰ .

---

(١) سورة النحل ، الآية (١٢٥) .

قال العلامة الإمام السيد أحمد مشهور الحداد : (وقد انعقد الإجماع علىٰ منع تكفير أحد من أهل القبلة إلا بما فيه نفي الصانع القادر جل وعلا ، أو شرك جليٌّ لا يحتمل التأويل ، أو إنكار النبوة ، أو إنكار ما علم من الدين بالضرورة ، أو إنكار متواتر ، أو مجمع عليه ضرورة من الدين .

والمعلوم من الدين ضرورة ؛ كالتوحيد والنبوات ، وختم الرسالة بمحمد صلى الله عليه وسلم ، والبعث في اليوم الآخر ، والحساب والجزاء ، والجنة والنار يكفر جاحده ، ولا يعذر أحد من المسلمين بالجهل به إلا من كان حديث عهد بالإسلام ؛ فإنه يعذر إلىٰ أن يتعلمه ثم لا يعذر بعده .

والمتواتر : الخبر الذي يرويه جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب عن جمع مثلهم ؛ إما من حيث الإسناد ؛ كحديث : « مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً . . فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ ٱلنَّارِ »[1] .

وإما من حيث الطبقة ؛ كتواتر القرآن ، فإنه تواتر على البسيطة شرقاً وغرباً ، درساً وتلاوة وحفظاً ، وتلقاه الكافة عن الكافة ، طبقة عن طبقة ، فلا يحتاج إلىٰ إسناد .

وقد يكون تواتر عمل وتوارث ؛ كتواتر العمل علىٰ شيء من عصر النبوة إلى الآن ، أو تواتر علم كتواتر المعجزات ؛ فإن مفرداتها وإن كان بعضها آحاداً ، لـٰكن القدر المشترك منها متواتر قطعاً في علم كل إنسان مسلم .

وإن الحكم على المسلم بالكفر ـ في غير هـٰذه المواطن التي بيَّناها ـ

---

(١) أخرجه البخاري (١١٠) ، ومسلم (٣/٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

أمر خطير ، وفي الحديث : « إِذَا قَالَ ٱلرَّجُلُ لِأَخِيهِ : يَا كَافِرُ . . فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا »[1] .

ولا يصحُّ صدوره إلا ممن عرف بنور الشريعة مداخل الكفر ومخارجه ، والحدود الفاصلة بين الكفر والإيمان في حكم الشريعة الغرَّاء .

فلا يجوز لأي إنسان الركض في هـٰذا الميدان والتكفير بالأوهام والمظان دون تثبت ويقين وعلم راسخ متين ، وإلا . . اختلط سيلها بالأبطح ، ولم يبق مسلم علىٰ وجه الأرض إلا القليل .

كما لا يجوز التكفير بارتكاب المعاصي مع الإيمان والإقرار بالشهادتين ، وفي الحديث عن أنس رضي الله عنه قال : قال صلى الله عليه وسلم : « ثَلَاثٌ مِنْ أَصْلِ ٱلْإِيمَانِ : ٱلْكَفُّ عَمَّنْ قَالَ : لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ ، وَلَا نُكَفِّرُهُ بِذَنْبٍ ، وَلَا نُخْرِجُهُ عَنِ ٱلْإِسْلَامِ بِٱلْعَمَلِ ، وَٱلْجِهَادُ مَاضٍ مُنْذُ بَعَثَنِي ٱللهُ إِلَىٰ أَنْ يُقَاتِلَ آخِرُ أُمَّتِي ٱلدَّجَّالَ ، لَا يُبْطِلُهُ جَوْرُ جَائِرٍ ، وَلَا عَدْلُ عَادِلٍ ؛ وَٱلْإِيمَانُ بِٱلْأَقْدَارِ »[2] .

وكان إمام الحرمين يقول : « لو قيل لنا : فصِّلوا ما يقتضي التكفير من العبارات مما لا يقتضي . . لقلنا : هـٰذا طمع في غير مطمع ؛ فإن هـٰذا بعيد المدرك وعر المسلك ، يستمدُّ من أصول التوحيد ، ومن لم يحط علماً بنهايات الحقائق . . لم يتحصَّل من دلائل التكفير علىٰ وثائق »[3] .

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٠٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، ومسلم (٦٠) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه أبو داوود (٢٥٢٤) .

(٣) الغياثي (ص ٣٣٠) .

لذٰلك نحذر كل التحذير من المجازفة بالتكفير في غير المواطن السابق بيانها ؛ لأنه جد خطير ، والله الهادي إلىٰ سواء السبيل وإليه المصير)[1] .



---

(١) مفتاح الجنة (ص ١٢٣ ـ ١٢٦) .

وقد وقف الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في هـٰذا الميدان موقفاً عظيماً ، قد يستنكره كثير ممن يدعي أنه منسوب إليه ومحسوب عليه ، ثم يكيل الحكم بالتكفير جزافاً لكل من خالف طريقته ونبذ فكرته ، وها هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب ينكر كل ما ينسب إليه من هـٰذه التفاهات والسفاهات والافتراءات ، فيقول ضمن « عقيدته » في رسالته الموجَّهة لأهل القصيم قال : (ثم لا يخفىٰ عليكم : أنه بلغني أن « رسالة سليمان بن سحيم » قد وصلت إليكم ، وأنه قبلها وصدقها بعض المنتمين للعلم في جهتكم ، والله يعلم أن الرجل افترىٰ عليَّ أموراً لم أقلها ولم يأت أكثرها علىٰ بالي .

فمنها : قوله : إني مبطل كتب المذاهب الأربعة ، وإني أقول : إن الناس من ست مئة سنة ليسوا علىٰ شيء ، وإني أدعي الاجتهاد ، وإني خارج عن التقليد ، وإني أقول : إن اختلاف العلماء نقمة ، وإني أكفر من توسل بالصالحين ، وإني أكفر البوصيري لقوله[1] :

يا أكرم الخلق . . . .

وإني أقول : لو أقدر علىٰ هدم قبة رسول الله صلى الله عليه وسلم . . لهدمتها ، ولو أقدر على الكعبة . . لأخذت ميزابها وجعلت لها ميزاباً

---

(١) ديوان البوصيري (ص ٢٤٨) ، وهو من البسيط ، وتتمته :

يا أكرم الخلق ما لي مَنْ ألوذ به سواك عند حلول الحادث العممِ

من خشب ، وإني أحرم زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، وإني أنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهما ، وإني أكفر من حلف بغير الله ، وإني أكفر ابن الفارض وابن عربي ، وإني أحرق « دلائل الخيرات » ، و« روض الرياحين » ، وأسميه : روض الشياطين .

جوابي عن هٰذه المسائل : أن أقول : سبحانك هٰذا بهتان عظيم !!

وقبله من بهت محمداً صلى الله عليه وسلم أنه يسب عيسى ابن مريم ، ويسب الصالحين ، فتشابهت قلوبهم بافتراء الكذب ، وقول الزور ، قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ [(١)] ، بهتوه صلى الله عليه وسلم بأنه يقول : إن الملائكة وعيسىٰ وعزيراً في النار ، فأنزل الله في ذٰلك [(٢)] : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾) [(٣)] .



(١) سورة النحل ، الآية (١٠٥) .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية (١٠١) .

(٣) انظر « الرسالة الأولىٰ » من الرسائل الشخصية (ص ١١ ـ ١٢) من (القسم الخامس) من مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب المنشورة باهتمام جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام (١٤٠٠ هـ) .

رسالة مهمة أخرى للشيخ في الموضوع

هـٰذه رسالة أرسلها الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى السويدي عالم من أهل العراق ، وكان قد أرسل له كتاباً وسأله عما يقول الناس فيه ، فأجابه بهـٰذه الرسالة : قال فيها : (إن إشاعة البهتان مما يستحي العاقل أن يحكيه فضلاً عن أن يفتريه مما قلتم : « إنني أكفر جميع الناس إلا من اتبعني » ، ويا عجبا كيف يدخل هـٰذا في عقل عاقل ، وهل يقول هـٰذا مسلم ؟!

وما قلتم : لو أنني أقدر علىٰ هدم قبة النبي صلى الله عليه وسلم . . لهدمتها ، وفي « دلائل الخيرات » لحرَّمْتُه ، وأنهىٰ عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بأي نظم كان ، فهـٰذا من البهتان ، والمسلم لا يظنُّ في قلبه أجلَّ من كتاب الله)[1] .

وفي صحيفة (١٢) من نفس الكتاب قال رحمه الله : (وما قلتم : إنني أكفر من توسَّل بالصالحين ، وأكفر البوصيري لقوله[2] :

يا أكرم الخلق . . . .

وأنكر زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنكر زيارة قبور الوالدين وغيرهم ، وأكفر من حلف بغير الله .

جوابي علىٰ ذٰلك أقول : سبحانك هـٰذا بهتان عظيم !!) .

---

(١) الرسائل الشخصية (ص ٣٧) .

(٢) تقدم تخريجه (ص ١١١) .

سباب المسلم فسوقٌ، وقتاله كفر

اعلم : أنَّ كراهة المسلمين ومقاطعتهم ومدابرتهم محرَّمة ، وكان سباب المسلم فسوقاً وقتاله كفراً إذا استحل .

وكفىٰ رادعاً في هٰذا الباب حديث خالد بن الوليد رضي الله عنه في سريته إلى بني جذيمة يدعوهم إلى الإسلام ؛ فلما انتهىٰ إليهم . . تلقوه ، فقال لهم : (أسلموا) ، فقالوا : نحن قوم مسلمون ، قال : (فألقوا سلاحكم وانزلوا) ، قالوا : لا ؛ والله ما بعد وضع السلاح إلا القتل ، ما نحن بآمنين لك ولا لمن معك ، قال خالد : (فلا أمان لكم إلا أن تنزلوا) ، فنزلت فرقة منهم وتفرقت بقية القوم .

وفي رواية : انتهىٰ خالد إلى القوم فتلقوه ، فقال لهم : (ما أنتم ـ أي : أمسلمون أم كفار ؟ ـ) قالوا : مسلمون قد صلينا وصدقنا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وبنينا المساجد في ساحاتنا وأذنَّا فيها ، وفي لفظ : لم يحسنوا أن يقولوا : أسلمنا ، فقالوا : صبأنا صبأنا ، قال : (فما بال السلاح عليكم ؟) ، قالوا : إن بيننا وبين قوم من العرب عداوة فخفنا أن تكونوا هم فأخذنا السلاح ، قال : (فضعوا السلاح) فوضعوا ، فقال : (استأسروا) ، فأمر بعضهم فكتَّف بعضاً وفرَّقهم في أصحابه ؛ فلما كان السحر . . نادىٰ منادي خالد : من كان معه أسير . . فليقتله ، فقتل بنو سليم من كان معهم ، وامتنع المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم ، وأرسلوا أسراهم ، فلما بلغ النبي صلى الله عليه

وسلم ما فعل خالد . . قال : « ٱللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ » ، قال ذٰلك مرتين [١] .

وقد يقال : إن خالداً فهم أنهم قالوا ذٰلك علىٰ سبيل الأنفة وعدم الانقياد إلى الإسلام ، وإنما أنكر عليه صلى الله عليه وآله وسلم العجلة وعدم التثبت في أمرهم قبل أن يعلم المراد من قولهم : (صبأنا) ، فخالد معذور ، كيف وقد قال عليه الصلاة والسلام : « نِعْمَ عَبْدُ ٱللهِ وَأَخُو ٱلْعَشِيرَةِ خَالِدُ بْنُ ٱلْوَلِيدِ ، وَسَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ ٱللهِ سَلَّهُ ٱللهُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ وَٱلْمُنَافِقِينَ » ؟! [٢] .

وكذٰلك قصة أسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن حبه فيما رواه عنه البخاري ومسلم ، عن أبي ظبيان قال : سمعت أسامة بن زيد يقول : (بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحُرَقَة ، فصبَّحنا القوم فهزمناهم ، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم ؛ فلما غشيناه . . قال : لا إلـه إلا الله ، فكفَّ الأنصاري عنه فطعنته برمحي حتىٰ قتلته ؛ فلما قدمنا . . بلغ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال : « يَا أُسَامَةُ ! أَقَتَلْتَهُ بَعْدَمَا قَالَ : لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ » ، قلت : كان متعوذاً ، فما زال يكرِّرها حتىٰ تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذٰلك اليوم) [٣] ، وفي رواية أخرىٰ : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : « أَلَا شَقَقْتَ

---

(١) انظر « مغازي الواقدي » (٨٧٥/٣) ، و« سيرة ابن هشام » (٤٢٩/٤) ، و« سبل الهدىٰ والرشاد » (٣٠٥/٦) ، والحديث أخرجه البخاري (٤٣٣٩) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه أحمد في « المسند » (٨/١) ، والحاكم في « المستدرك » (٢٩٨/٣) عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

(٣) صحيح البخاري (٤٢٦٩) ، صحيح مسلم (١٥٩/٩٦) .

عَنْ قَلْبِهِ ، فَتَعْلَمَ أَصَادِقٌ أَمْ كَاذِبٌ ؟! » ، قال أسامة : لا أقاتل أحداً يشهد أن لا إلـه إلا الله)[١] .

وقد سئل علي رضي الله عنه عن المخالفين له من الفرق أكفَّار هم ؟ قال : (لا ؛ إنهم من الكفر فروا) ، فقيل : أمنافقون هم ؟ فقال : (لا ؛ إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً ، وهٰؤلاء يذكرون الله كثيراً) ، فقيل : أي شيء هم ؟ قال : (قوم أصابتهم الفتنة فعموا وصمُّوا)[٢] .



(١) انظر « مغازي الواقدي » (٧٢٥/٢) ، و« الإمتاع » للمقريزي (٣٢٩/١) .

(٢) أخرجه البيهقي في « السنن الكبرىٰ » (١٧٣/٨) برقم (١٦٧٩١) ، وابن أبي شيبة في « مصنفه » (٣٨٩١٨) عن أبي البختري رحمه الله تعالىٰ .

مقام الخالق ومقام المخلوق

إن الفرق بين مقام الخالق والمخلوق هو الحدُّ الفاصل بين الكفر والإيمان ، ونعتقد أن من خلط بين المقامين . . فقد كفر ، والعياذ بالله .

ولكل مقام حقوقه الخاصة ، ولٰكن هناك أموراً ترد في هٰذا الباب وخصوصاً فيما يتعلق بالنبي صلى الله عليه وسلم وخصائصه التي تميزه عن غيره من البشر وترفعه عليهم ، هٰذه الأمور قد تشتبه علىٰ بعض الناس لقصر عقولهم وضعف تفكيرهم ، وضيق نظرهم وسوء فهمهم ، فيبادرون إلى الحكم بالكفر علىٰ أصحابها ، وإخراجهم عن دائرة الإسلام ظناً منهم أن في ذٰلك تخليطاً بين مقام الخالق والمخلوق ، ورفعاً لمقام النبي صلى الله عليه وسلم إلىٰ مقام الألوهية ، وإننا نبرأ إلى الله سبحانه وتعالىٰ من ذٰلك .

وإننا بفضل الله تعالىٰ نعرف ما يجب لله تعالىٰ ، وما يجب لرسوله صلى الله عليه وسلم ، ونعرف ما هو محض حق لله تعالىٰ ، وما هو محض حق لرسوله صلى الله عليه وسلم ، من غير غلو ولا إطراء يصل إلىٰ حد وصفه بخصائص الربوبية والألوهية من المنع والعطاء ، والنفع والضر الاستقلالي دون الله تعالىٰ ، والسلطة الكاملة والهيمنة الشاملة ، والخلق والملك ، والتدبير والتفرد بالكمال ، والجلال والتقديس ، والتفرد بالعبادة بمختلف أنواعها وأحوالها ومراتبها .

أما الغلو الذي يعني التغالي في محبته وطاعته والتعلق به . . فهٰذا

محبوب ومطلوب كما جاء في الحديث : « لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ ٱلنَّصَارَى ٱبْنَ مَرْيَمَ »[1] .

والمعنىٰ : أن إطراءه والتغالي فيه والثناء عليه بما سوىٰ ذٰلك هو محمود ، ولو كان معناه غير ذٰلك . . لكان المراد هو النهي عن إطرائه ومدحه أصلاً ، ومعلوم أن هٰذا لا يقوله أجهل جاهل في المسلمين ؛ فإن الله تعالىٰ عَظَّم النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن بأعلىٰ أنواع التعظيم ، فيجب علينا أن نعظِّم من عظَّمه الله تعالىٰ وأمر بتعظيمه .

نعم ؛ يجب علينا ألا نصفه بشيء من صفات الربوبية ، ورحم الله القائل حيث قال[2] :

دع ما ادَّعته النصارىٰ في نبيهم ... واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكمِ

فليس في تعظيمه صلى الله عليه وسلم بغير صفات الربوبية شيء من الكفر والإشراك ، بل ذٰلك من أعظم الطاعات والقربات ، وهٰكذا كل من عظمهم الله تعالىٰ ؛ كالأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وكالملائكة والصديقين والشهداء والصالحين ، قال الله تعالىٰ : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾[3] ، وقال تعالىٰ : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَـٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾[4] .

ومن ذٰلك : الكعبة المعظمة والحجر الأسود ومقام إبراهيم عليه

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٥) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .
(٢) البيت للبوصيري في « ديوانه » (ص ٢٤١) ، وهو من البسيط .
(٣) سورة الحج ، الآية (٣٢) .
(٤) سورة الحج ، الآية (٣٠) .

السلام ؛ فإنها أحجار وأمرنا الله تعالىٰ بتعظيمها بالطواف بالبيت ، ومسِّ الركن اليماني ، وتقبيل الحجر الأسود ، وبالصلاة خلف المقام ، وبالوقوف للدعاء عند المستجار وباب الكعبة والملتزم ، ونحن في ذٰلك كله لم نعبد إلا الله تعالىٰ ، ولم نعتقد تأثيراً لغيره ولا نفعاً ولا ضراً ، فلا يثبت شيء من ذٰلك لأحد سوى الله تعالىٰ .



مقام المخلوق

أما هو صلى الله عليه وسلم . . فإننا نعتقد أنه صلى الله عليه وسلم بشر يجوز عليه ما يجوز علىٰ غيره من البشر ؛ من حصول الأعراض والأمراض التي لا توجب النقص والتنفير ؛ كما قال صاحب « العقيدة »(١) :

وجائزٌ في حقِّهم من عرض ... بغير نقصٍ كخفيف المرضِ

وأنه صلى الله عليه وسلم عبد لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ، ولا موتاً ولا حياة ، ولا نشوراً إلا ما شاء الله ، قال تعالىٰ : ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾(٢) .

وأنه صلى الله عليه وسلم قد أدَّى الرسالة وبلغ الأمانة ، ونصح الأمة وكشف الغمَّة ، وجاهد في سبيل الله حتىٰ أتاه اليقين ، فانتقل إلىٰ جوار ربه راضياً مرضياً ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾(٣) .

وقال سبحانه : ﴿ وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ ﴾(٤) .

والعبودية هي أشرف صفاته صلى الله عليه وسلم ، ولذٰلك فإنه

---

(١) عقيدة العوام (ص ٥) ، والبيت من الرجز .

(٢) سورة الأعراف ، الآية (١٨٨) .

(٣) سورة الزمر ، الآية (٣٠) .

(٤) سورة الأنبياء ، الآية (٣٤) .

يفتخر بها ويقول : « إِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ »(١) ، ووصفه الله بها في أعلىٰ مقام حيث قال : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾(٢) ، وقال : ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾(٣) .

والبشرية هي عين إعجازه ، فهو بشر من جنس البشر ، لٰكنه متميز عنهم بما لا يلحقه به أحد منهم أو يساويه ؛ كما قال صلى الله عليه وسلم عن نفسه في الحديث الصحيح : « إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ ، إِنِّي يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي »(٤) .

وبهٰذا ظهر أن وصفه صلى الله عليه وسلم بالبشرية يجب أن يقترن بما يميزه عن عامة البشر ؛ من ذكر خصائصه الفريدة ومناقبه الحميدة ، وهٰذا ليس خاصاً به صلى الله عليه وسلم ، بل هو عام في حق جميع رسل الله سبحانه وتعالىٰ ؛ لتكون نظرتنا إليهم لائقة بمقامهم ، وذٰلك لأن ملاحظة البشرية العادية المجردة فيهم دون غيرها هي نظرة جاهلية شركية ، وفي القرآن شواهد كثيرة علىٰ ذٰلك ؛ فمن ذٰلك قول قوم نوح في حقه فيما حكاه الله عنهم إذ قال : ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا ﴾(٥) .

ومن ذٰلك : قول قوم موسىٰ وهارون في حقهما فيما حكاه الله عنهم إذ قال : ﴿ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴾(٦) .

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٥) ، وابن حبان (٦٢٣٩) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه .
(٢) سورة الإسراء ، الآية (١) .
(٣) سورة الجن ، الآية (١٩) .
(٤) أخرجه البخاري (١٩٦٤) ، ومسلم (٦١/١١٠٥) عن عائشة رضي الله عنها .
(٥) سورة هود ، الآية (٢٧) .
(٦) سورة المؤمنون ، الآية (٤٧) .

ومن ذلك : قول ثمود لنبيهم صالح فيما حكاه الله عنهم بقوله : ﴿ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[1] .

ومن ذلك : قول أصحاب الأيكة لنبيهم شعيب فيما حكاه الله عنهم بقوله : ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ۝ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾[2] .

ومن ذلك : قول المشركين في حق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقد رأوه بعين البشرية المجردة فيما حكاه الله عنهم بقوله : ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ﴾[3] ، ولقد تحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نفسه حديث الصدق بما أكرمه الله تعالىٰ به ؛ من عظيم الصفات وخوارق العادات التي تميز بها عن سائر أنواع البشر[4] .

فمن ذلك : ما جاء في الحديث الصحيح أنه قال : « تَنَامُ عَيْنِي وَلَا يَنَامُ قَلْبِي »[5] .

وجاء في الصحيح أنه قال : « إِنِّي لَأَرَاكُمْ مِنْ وَرَائِي كَمَا أَرَاكُمْ مِنْ أَمَامِي »[6] .

---

(١) سورة الشعراء ، الآية (١٥٤) .
(٢) سورة الشعراء ، الآيتان (١٨٥ ـ ١٨٦) .
(٣) سورة الفرقان ، الآية (٧) .
(٤) سيأتي بحث خاص في هـٰذا الموضوع بعنوان : (الأنبياء بشر ولـٰكن) (ص ٣٣٢) .
(٥) أخرجه البخاري (٣٥٦٩) ، ومسلم (١٢٥/٧٣٨) عن عائشة رضي الله عنها .
(٦) أخرجه البخاري (٤١٩) ، ومسلم (١١٢/٤٢٦ ـ ١٢٥/٤٣٤) ، وأحمد في « المسند » (٢٢٨/٣) ، واللفظ له عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

وجاء في الصحيح أنه قال : « أُتِيتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ ٱلْأَرْضِ »(١) .

وهو صلى الله عليه وسلم وإن كان قد مات إلا أنه حي حياة برزخية كاملة يسمع الكلام ويرد السلام ، وتبلغه صلاة من يصلي عليه ، وتعرض عليه أعمال الأمة فيفرح بعمل المحسنين ويستغفر للمسيئين ، وأن الله حرَّم على الأرض أن تأكل جسده ، فهو محفوظ من الآفات والعوارض الأرضية .

وعن أوس بن أوس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ ٱلْجُمُعَةِ : فِيهِ خُلِقَ آدَمُ ، وَفِيهِ قُبِضَ ، وَفِيهِ ٱلنَّفْخَةُ ، وَفِيهِ ٱلصَّعْقَةُ ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ ٱلصَّلَاةِ فِيهِ ؛ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ » قال : قالوا : يا رسول الله ؛ وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أَرِمْتَ ؟ ـ قال : يقولون : بليت ـ فقال : « إِنَّ ٱللهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَى ٱلْأَرْضِ أَجْسَادَ ٱلْأَنْبِيَاءِ »(٢) .

وفي ذٰلك رسالة خاصة للحافظ جلال الدين السيوطي أسماها « إنباء الأذكياء بحياة الأنبياء » عليهم الصلاة والسلام .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ ، تُحْدِثُونَ وَيُحْدَثُ لَكُمْ ، وَوَفَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ ، تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ ؛ فَمَا رَأَيْتُ مِنْ خَيْرٍ . . حَمِدْتُ ٱللهَ عَلَيْهِ ، وَمَا رَأَيْتُ مِنْ شَرٍّ . . ٱسْتَغْفَرْتُ ٱللهَ لَكُمْ »(٣) .

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٧٧) ، ومسلم (٦/٥٢٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه ابن حبان (٩١٠) ، وأبو داوود (١٠٤٠) ، واللفظ له ، وابن ماجه (١٧٢٣) ، وأحمد في « مسنده » (٨/٤) ، والحاكم في « المستدرك » (٢٧٨/١) ، وصححه .

(٣) أخرجه البزار (١٩٢٥) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وابن سعد في ←

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ . . إِلَّا رَدَّ ٱللهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّىٰ أَرُدَّ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامَ » رواه أحمد وأبو داوود[1] ، قال بعض العلماء : (ردَّ عليَّ روحي ؛ أي : نطقي)[2] .

وعن عمار بن ياسر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ ٱللهَ وَكَّلَ بِقَبْرِي مَلَكاً أَعْطَاهُ أَسْمَاعَ ٱلْخَلَائِقِ ، فَلَا يُصَلِّي عَلَيَّ أَحَدٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ . . إِلَّا أَبْلَغَنِي بِٱسْمِهِ وَٱسْمِ أَبِيهِ ، هَـٰذَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ قَدْ صَلَّىٰ عَلَيْكَ » .

رواه البزار وأبو الشيخ ابن حيان ولفظه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ لِلهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مَلَكاً أَعْطَاهُ أَسْمَاءَ ٱلْخَلَائِقِ كُلِّهِمْ ، فَهُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ قَبْرِي إِذَا مِتُّ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ ، فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي صَلَّىٰ عَلَيَّ صَلَاةً . . إِلَّا سَمَّاهُ بِٱسْمِهِ وَٱسْمِ أَبِيهِ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ؛ صَلَّىٰ عَلَيْكَ فُلَانٌ ، فَيُصَلِّي ٱلرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ ذَٰلِكَ ٱلرَّجُلِ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ عَشْراً »[3] .

← « الطبقات الكبير » (١٧٤/٢) عن بكر بن عبد الله المزني رحمه الله تعالىٰ مرسلاً ، وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٤٢٥/١٧) : (رواه البزار ورجاله رجال الصحيح) انتهىٰ . قال العلامة محمد عوامة في تعليقه علىٰ « تحدثون ويحدث لكم » في « القول البديع » (ص ٣٣٧) : (هـٰذا هو المعروف في ضبط هاتين الكلمتين ، والمعنىٰ : تحصل أمور وأمور ؛ منها ما يقع منكم ، ومنها ما يقع من غيركم فتتبعونه ، فتقعون في المخالفات الشرعية ، و« خير » هنا للتفضيل والمديح ، لا للأفضلية) .

(١) سنن أبي داوود (٢٠٣٤) ، مسند أحمد (٥٢٧/٢) .

(٢) انظر « القول البديع » للسخاوي (ص ٣٥٢) .

(٣) مسند البزار (١٤٢٥) ، العظمة (٣٣٩) ، واللفظ له ، وانظر « القول البديع » (ص ٢٥١) ، وفي بعض المصادر : « أسماع الخلائق » ، وكثير من هـٰذه الأحاديث سيأتي ←

وهو صلى الله عليه وسلم وإن كان قد مات إلا أن فضله ومقامه وجاهه عند ربه باقٍ لا شك في ذلك ولا ريب عند أهل الإيمان ، ولذلك فإن التوسل به إلى الله سبحانه وتعالىٰ إنما يرجع في الحقيقة إلى اعتقاد وجود تلك المعاني ، واعتقاد محبته وكرامته عند ربه ، وإلى الإيمان به وبرسالته صلى الله عليه وسلم ، وليس هو عبادة له ، بل إنه مهما عظمت درجته وعلت رتبته . . فهو مخلوق لا يضر ولا ينفع من دون الله إلا بإذنه .

قال تعالىٰ : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾[1] .



مفصلاً في مباحث أخرىٰ من هٰذه الرسالة لمناسبة أخرىٰ ، والحديث الواحد يستدل به العلماء علىٰ أكثر من مسألة في أكثر من موضع واحد .

(١) سورة الكهف ، الآية (١١٠) .

وقد أخطأ كثير من الناس في فهم بعض الأمور المشتركة بين المقامين ـ مقام الخالق ومقام المخلوق ـ فظن أن نسبتها إلىٰ مقام المخلوق شرك بالله تعالىٰ .

ومن ذٰلك بعض الخصائص النبوية مثلاً[1] ، التي يخطئ بعضهم في فهمها فيقيسونها بمقياس البشرية ، ولذٰلك يستكثرونها ويستعظمونها علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويرون أن وصفه بها معناه وصفه ببعض صفات الألوهية ، وهٰذا جهل محض ؛ لأنه سبحانه وتعالىٰ يعطي من يشاء وكما يشاء بلا موجب ملزم ، وإنما هو تفضل علىٰ من أراد إكرامه ورفع مقامه ، وإظهار فضله علىٰ غيره من البشر ، وليس في ذٰلك انتزاع لحقوق الربوبية وصفات الألوهية ؛ فهي محفوظة بما يناسب مقام الحق سبحانه وتعالىٰ .

وإذا اتصف المخلوق بشيء منها . . فيكون بما يناسب البشرية من كونها محدودة مكتسبة بإذن الله وفضله وإرادته لا بقوة المخلوق ولا تدبيره ولا أمره ؛ إذ هو عاجز ضعيف لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، وكم من أمور جاء ما يدل علىٰ أنها حق لله سبحانه وتعالىٰ ، ولٰكنه سبحانه وتعالىٰ منَّ بها علىٰ نبيه صلى الله عليه وسلم وغيره .

---

(١) سيأتي في هٰذه الرسالة بحث خاص عن الخصائص المحمدية وموقف العلماء منها ، وما نذكر هنا . . هو من باب التنظير .

وحينئذٍ فلا يرفعه وصفه بها إلىٰ مقام الألوهية أو يجعله شريكاً لله سبحانه وتعالىٰ .

فمنها : الشفاعة ؛ فهي لله ، قال الله تعالىٰ : ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ ﴾[1] ، وهي ثابتة للرسول صلى الله عليه وسلم ولغيره من الشفعاء بإذن الله كما جاء في الحديث : « أعطيت الشفاعة »[2] ، وحديث : « أنا أول شافع وأول مشفع »[3] .

ومنها : علم الغيب ؛ فهو لله سبحانه وتعالىٰ : ﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[4] ، وقد ثبت أن الله تعالىٰ علَّم نبيه من الغيب ما علَّمه وأعطاه ما أعطاه : ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ ﴾[5] .

ومنها : الهداية ؛ فهي خاصة بالله تعالىٰ ، قال الله تعالىٰ : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ ﴾[6] ، وقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم له شيء من ذٰلك فقال : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾[7] ، والهداية الأولىٰ غير الهداية الثانية ، وهٰذا إنما يفهمه العقلاء من المؤمنين الذين يعرفون الفرق بين الخالق والمخلوق ، ولولا ذٰلك . . لاحتاج أن يقول : وإنك لتهدي هداية إرشاد ، أو أن يقول : وإنك لتهدي هداية

---

(١) سورة الزمر ، الآية (٤٤) .
(٢) أخرجه البخاري (٣٣٥) ، ومسلم (٣/٥٢١) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .
(٣) أخرجه مسلم (٣/٢٢٧٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه .
(٤) سورة النمل ، الآية (٦٥) .
(٥) سورة الجن ، الآيتان (٢٦ ـ ٢٧) .
(٦) سورة القصص ، الآية (٥٦) .
(٧) سورة الشورىٰ ، الآية (٥٢) .

غير هدايتنا ، ولٰكن كل ذٰلك لم يحصل ، بل أثبت له هداية مطلقة بلا قيد ولا شرط ؛ لأن الموحد منا معشر المخاطبين من أهل الإسلام يفهم معاني الألفاظ ويدرك اختلاف مدلولاتها بالنسبة لما أضيف إلى الله ، وبالنسبة لما أضيف إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ونظير هٰذا ما جاء في القرآن من وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرأفة والرحمة ؛ إذ يقول : ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[1] ، ووصف الله سبحانه وتعالىٰ نفسه بذٰلك أيضاً في أكثر من موضع ، فهو سبحانه وتعالىٰ : ﴿ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ ، ومعلوم أن الرأفة والرحمة الثانية غير الأولىٰ ، ولما وصف نبيه صلى الله عليه وسلم بذٰلك الوصف . . وصفه به بالإطلاق بلا قيد ولا شرط ؛ لأن المخاطب وهو موحد مؤمن بالله يعلم الفرق بين الخالق والمخلوق ، ولولا ذٰلك . . لاحتاج أن يقول في وصفه صلى الله عليه وسلم : رؤوف برأفة غير رأفتنا ، ورحيم برحمة غير رحمتنا ، أو أن يقول : رؤوف برأفة خاصة ، أو رحيم برحمة خاصة ، أو أن يقول : رؤوف برأفة بشرية ، ورحيم برحمة بشرية ، ولٰكن كل ذٰلك لم يحصل ، بل أثبت له رأفة مطلقة ورحمة مطلقة بلا قيد ولا شرط ، فقال : ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[2] .



(١) سورة التوبة ، الآية (١٢٨) .

(٢) سورة التوبة ، الآية (١٢٨) .

المجاز العقليّ واستعماله

ولا شك أن المجاز العقلي مستعمل في الكتاب والسنة ؛ فمن ذلك قوله تعالىٰ : ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ (١) ، فإسناد الزيادة إلى الآيات مجاز عقلي ؛ لأنها سبب في الزيادة ، والذي يزيد حقيقة هو الله تعالىٰ وحده .

وقوله تعالىٰ : ﴿ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴾ (٢) ، فإسناد الجعل إلى اليوم مجاز عقلي ؛ لأن اليوم محل جعلهم شيباً فالجعل المذكور واقع في اليوم ، والجاعل حقيقة هو الله تعالىٰ ، وقوله تعالىٰ : ﴿ وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ۞ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ﴾ (٣) ، فإن إسناد الإضلال إلى الأصنام مجاز عقلي ؛ لأنها سبب في حصول الإضلال ، والهادي والمضل هو الله تعالىٰ وحده .

وقوله تعالىٰ حكاية عن فرعون : ﴿ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا ﴾ (٤) ، فإسناد البناء إلىٰ هامان مجاز عقلي ؛ لأنه سبب فهو آمر يأمر ولا يبني بنفسه ، والباني إنما هم (الفعلة) من العمال .

وأما الأحاديث . . ففيها شيء كثير يعرفه من وقف عليها ، وكان

---

(١) سورة الأنفال ، الآية (٢) .

(٢) سورة المزمل ، الآية (١٧) .

(٣) سورة نوح ، الآيتان (٢٣ ـ ٢٤) .

(٤) سورة غافر ، الآية (٣٦) .

ممن يعرف الفرق بين الإسناد الحقيقي والمجازي فلا حاجة إلى الإطالة بنقلها ، وقال العلماء : إن صدور ذٰلك الإسناد من موحد كافٍ في جعله إسناداً مجازياً ؛ لأن الاعتقاد الصحيح هو اعتقاد أن الخالق للعباد وأفعالهم هو الله وحده ، فهو الخالق للعباد وأفعالهم لا تأثير لأحد سواه لا لحيٍّ ولا لميت ، فهٰذا الاعتقاد هو التوحيد المحض ، بخلاف ما لو اعتقد غير هٰذا فإنه يقع في الإشراك .



وقد تمسكت طوائف من أهل الضلالات بذيل شبهة ظواهر الألفاظ بدون نظر إلى القرائن والمقاصد ، وبدون نظر إلى الجمع بما لا يؤدي إلى التعارض بين الواردين ؛ كالقائلين بخلق القرآن تمسكوا بنحو قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾[1] .

والقائلين بالقدر تمسكوا بنحو قوله تعالىٰ : ﴿ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾[2] ، و﴿ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[3] . . . إلىٰ غير ذٰلك .

والقائلين بالجبر تمسكوا بنحو قوله تعالىٰ : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[4] ، ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾[5] .

وكشف الغطاء عن ذٰلك : أن جميع الأمة ـ غير القدرية ـ علىٰ أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالىٰ لقوله : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ، وقوله تعالىٰ : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ ، وإن كان يجوز أن يوصف بها العبد علىٰ وجه آخر من التعلق يعبر عنه بالاكتساب ؛ كما في قوله تعالىٰ : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾[6] ، وقوله تعالىٰ : ﴿ فَبِمَا

(١) سورة الزخرف ، الآية (٣) .
(٢) سورة الشورىٰ ، الآية (٣٠) .
(٣) سورة المائدة ، الآية (١٠٥) .
(٤) سورة الصافات ، الآية (٩٦) .
(٥) سورة الأنفال ، الآية (١٧) .
(٦) سورة البقرة ، الآية (٢٨٦) .

كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ ﴾[1] . . . إلىٰ غير ذٰلك من الآيات المصرحة بإضافة الكسب إلى العبد ، وليس من ضرورة تعلق القدرة بالمقدور أن يكون بالاختراع فقط ؛ لأن قدرة الله تعالىٰ في الأزل كانت متعلقة بالعالم قبل اختراعه تعالىٰ لوجوده ، وهي عند اختراعه متعلقة به بنوع آخر من التعلق .



(١) سورة الشورىٰ ، الآية (٣) .

حقيقة نسبة الأفعال للعباد

ومن هـٰذا يظهر : أن تعلق القدرة ليس مخصوصاً بحصول المقدور بها ، وأفعال العباد نسبتها إليهم علىٰ طريق الكسب لا الاختراع ؛ لأن الله تعالىٰ هو المخترع لها ، والمقدر لها ، والمريد لها ، ولا يرد أنه كيف يريد ما نهىٰ عنه ؛ لأن الأمر يغاير الإرادة ؛ بدليل أمره جميع الناس بالإيمان ، ولم يرده من أكثرهم لقوله تعالىٰ : ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴾[1] ، فنسبة الأفعال إلى العباد من نسبة المسبب إلى السبب أو الواسطة ، وهـٰذا لا منافاة فيه ؛ لأن مسبب الأسباب هو الذي خلق الواسطة وخلق فيها معنى الوساطة ، ولولا ذٰلك الذي أودع الله تعالىٰ فيها . . لم تصلح أن تكون واسطة ، سواء كانت مما لم يودع العقل ؛ كالجماد والأفلاك والمطر والنار ، أو كانت عاقلة من ملك أو إنسي أو جني .



(١) سورة يوسف ، الآية (١٠٣) .

اختلاف المعنىٰ باختلاف النّسبة اللفظية

ولعلك تقول : لا تعقل نسبة الفعل الواحد إلىٰ فاعلين ؛ لاستحالة اجتماع مؤثرين علىٰ أثر واحد ، فنقول : نعم ، هو كما قلتم ؛ لٰكن محله إذا لم يكن للفعل إلا معنىً واحداً في الاستعمال .

أما إذا كان له معنيان . . فيكون مجملاً متردداً بينهما في الاستعمال ، وحينئذٍ لا يمتنع إطلاقه علىٰ كل منهما كما هو المعلوم من الاستعمال في الأسماء المشتركة ، أو في الحقيقة والمجاز كما يقال : قتل الأمير فلاناً ، ويقال : قتله السياف ، فإطلاق القتل على الأمير بمعنىً غير المعنى الذي أطلق به على السياف .

فقولنا : إن الله تعالىٰ فاعل معناه : أنه المخترع الموجد ، وقولنا : إن المخلوق فاعل فمعناه : أنه المحل الذي خلق الله تعالىٰ فيه القدرة بعد أن خلق فيه الإرادة وبعد أن خلق فيه العلم ، فارتباط القدرة بالإرادة والحركة بالقدرة ارتباط المعلول بالعلة ، وارتباط المخْتَرَع بالمختَرِع ، هٰذا إذا كان المحل عاقلاً ، وإلا . . فهو من ترتيب المسببات علىٰ أسبابها ، فصح أن يسمىٰ كل ما له ارتباط بقدرة فاعلاً كيفما كان الارتباط ؛ كما يسمى السياف قاتلاً باعتبار ، والأمير قاتلاً باعتبار ؛ لأن القتل ارتبط بكليهما ، وإن كان ارتباطه علىٰ وجهين مختلفين ، فمثل ذٰلك اعتبار المقدورات بالقدرتين .

والدليل علىٰ جواز هٰذه النسبة وتطابقها نسبة الله تعالى الأفعال إلى

الملائكة تارة ، وتارة إلىٰ غيرهم من العباد ، ومرة أخرىٰ نسبها بعينها إلىٰ نفسه ، فقال تعالىٰ : ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ (١) ، وقال تعالىٰ : ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ (٢) ، وقال تعالىٰ : ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴾ (٣) بالإضافة إلينا ، ثم قال تعالىٰ : ﴿ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ۝ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ۝ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴾ (٤) ، وقال تعالىٰ : ﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ (٥) ، ثم قال تعالىٰ : ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾ (٦) ، والنافخ جبريل عليه السلام ، وقال تعالىٰ : ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ (٧) ، والقارئ الذي يسمع النبي قراءته جبريل ، وقال تعالىٰ : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ (٨) .

فنفىٰ عنهم القتل وأثبته لنفسه ، ونفىٰ عنه الرمي وأثبته لنفسه ، وليس المراد نفي الحسِّ من قتلهم الكفار ورميه لهم عليه الصلاة والسلام بالحصباء ، ولكن المعنىٰ أنهم ما قتلوهم ولا رموهم بالمعنى الذي يكون الرب به قتلهم ورماهم ؛ وهو الاختراع والتقدير ؛ إذ هما معنيان مختلفان ، وتارة ينسب الفعل إليهما معاً كقوله تعالىٰ : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ ﴾ (٩) .

---

(١) سورة السجدة ، الآية (١١) .

(٢) سورة الزمر ، الآية (٤٢) .

(٣) سورة الواقعة ، الآية (٦٣) .

(٤) سورة عبس ، الآية (٢٥ ـ ٢٧) .

(٥) سورة مريم ، الآية (١٧) .

(٦) سورة مريم ، الآية (٩١) .

(٧) سورة القيامة ، الآية (١٨) .

(٨) سورة الأنفال ، الآية (١٧) .

(٩) سورة التوبة ، الآية (٥٩) .

وروت السيدة عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ ٱللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ ٱلْجَنِينَ . . يَبْعَثُ مَلَكاً فَيَدْخُلُ ٱلرَّحِمَ ، فَيَأْخُذُ ٱلنُّطْفَةَ بِيَدِهِ ثُمَّ يُصَوِّرُهَا جَسَداً فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ؛ أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَىٰ ؟ أَسَوِيٌّ أَمْ مُعْوَجٌّ ؟ فَيَقُولُ تَعَالَىٰ مَا شَاءَ وَيُصَوِّرُ ٱلْمَلَكُ » ، وفي لفظ آخر : « يَخْلُقُ ٱلْمَلَكُ ، ثُمَّ يَنْفُخُ فِيهِ ٱلرُّوحَ بِٱلشَّقَاوَةِ أَوْ بِٱلسَّعَادَةِ »[1] .

فإذا فهمت هٰذا . . اتضح لك أن الفعل يستعمل علىٰ وجوه مختلفة ولا تناقض بينها ، وذٰلك الفعل ينسب تارة للجماد ؛ كما في قوله تعالىٰ : ﴿ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾[2] ، فالشجرة لا يتأتىٰ منها الإتيان بثمرها ، وكما في قوله صلى الله عليه وسلم للذي ناوله تمرة : « خُذْهَا ؛ لَوْ لَمْ تَأْتِهَا . . لَأَتَتْكَ . . . » الحديث كما في الطبراني وابن حبان[3] .

فإضافة الإتيان تختلف إلى الرجل وإلى التمرة ، فمعنىٰ إتيان التمرة غير معنىٰ إتيان الرجل ؛ فالإتيان منهما مجازان مختلفان في الاعتبار ، فمجاز إطلاق الإتيان على الرجل بمعنىٰ أن الله خلق فيه القدرة والإرادة للإتيان بها ، وإتيان التمرة بمعنىٰ أن الله يسبب من يأتي بها ، والحقيقة إنما هي إضافة الإتيان إلى الله تعالىٰ في كل منهما .

---

(١) كذا في « قوت القلوب » (١٣/٢) ، وقد أخرجه الطحاوي في « شرح مشكل الآثار » (٣٨٧٤) ، وابن عدي في « الكامل » (٢٢٧/٣) ، والآجري في « الشريعة » (٣٦٥) ، وأخرجه البزار في « مسنده » (١٤٤٧) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وأصله في « الصحيحين » .

(٢) سورة إبراهيم ، الآية (٢٥) .

(٣) صحيح ابن حبان (٣٢٤٠) ، المعجم الكبير (٩٦/١٣) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

ولأجل اختلاف الاعتبار في الوسائط تارة تكون ملاحظة الوسائط في الأفعال كفراً ؛ كما في جواب قارون لموسىٰ عليه الصلاة والسلام بقوله : ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِىٓ ﴾ (١) ، وكما في الحديث : « أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ ؛ فَأَمَّا مَنْ قَالَ : مُطِرْنَا بِفَضْلِ ٱللهِ وَرَحْمَتِهِ . . فَذَٰلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِٱلْكَوْكَبِ ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ : مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا . . فَذَٰلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِٱلْكَوْكَبِ » (٢) ، وهٰذا الكفر باعتبار أن الواسطة مؤثرة ومخترعة .

قال النووي : (اختلف العلماء في كفر من قال : « مطرنا بنوء كذا » علىٰ قولين :

أحدهما : هو كفر بالله تعالىٰ سالب لأصل الإيمان مخرج من ملَّة الإسلام ، قالوا : وهٰذا فيمن قال ذٰلك معتقداً أن الكوكب فاعل مدبر منشئ للمطر ؛ كما كان بعض أهل الجاهلية يزعم ، ومن اعتقد هٰذا . . فلا شك في كفره ، وهٰذا القول هو الذي ذهب إليه جماهير العلماء ، والشافعي منهم ؛ وهو ظاهر الحديث ، قالوا : وعلىٰ هٰذا لو قال : مطرنا بنوء كذا معتقداً أنه من الله تعالىٰ وبرحمته ، وأن النوء ميقات له وعلامة اعتباراً بالعادة . . فكأنه قال : مطرنا في وقت كذا ، فهٰذا لا يكفر .

واختلفوا في كراهته : والأظهر كراهته ، لٰكنها كراهة تنزيه لا إثم فيها ، وسبب الكراهة : أنها كلمة مترددة بين الكفر وغيره ، فيساء الظن بصاحبها ، ولأنها شعار الجاهلية ومن سلك مسلكهم .

---

(١) سورة القصص ، الآية (٧٨) .

(٢) أخرجه البخاري (٨٤٦) ، ومسلم (١٢٥/٧١) عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه .

والقول الثاني : في أصل تأويل الحديث : أن المراد كفر نعمة الله تعالىٰ ؛ لاقتصاره علىٰ إضافة الغيث إلى الكوكب ، وهـٰذا فيمن لا يعتقد تدبير الكوكب ، ويؤيد هـٰذا التأويل الرواية الأخيرة في الباب : « أَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّاسِ شَاكِرٌ وَكَافِرٌ »[1] ، وفي الرواية الأخرىٰ : « مَا أَنْعَمْتُ عَلَىٰ عِبَادِي مِنْ نِعْمَةٍ . . إِلَّا أَصْبَحَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِهَا كَافِرِينَ »[2] ، وفي الرواية الأخرىٰ : « مَا أَنْزَلَ ٱللهُ تَعَالَىٰ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مِنْ بَرَكَةٍ . . إِلَّا أَصْبَحَ فَرِيقٌ مِنَ ٱلنَّاسِ بِهَا كَافِرِينَ »[3] ، فقوله : « بها » . . يدل علىٰ أنه كفر بالنعمة ، والله أعلم) انتهىٰ[4] .

فأنت تراه قال : بـ (اتفاق العلماء) علىٰ أن من نسب الفعل إلى الواسطة . . لا يكفر إلا إذا اعتقد أنها هي الفاعلة المدبرة المخترعة ، وإذا لم تكن ملاحظة الواسطة بهـٰذا الاعتبار بحيث إن الواسطة علامة ، أو ظرف الخلق المقدور فيها . . فلا كفر ، بل تارة يندب الشرع إلىٰ ملاحظتها ؛ كقول النبي صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَسْدَىٰ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفاً . . فَكَافِئُوهُ ؛ فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوا . . فَٱدْعُوا لَهُ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ »[5] ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ لَمْ يَشْكُرِ ٱلنَّاسَ . . لَمْ يَشْكُرِ ٱللهَ »[6] .

---

(١) أخرجها مسلم (١٢٧/٧٣) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .
(٢) أخرجها مسلم (١٢٦/٧٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه .
(٣) أخرجها مسلم (٧٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه .
(٤) شرح صحيح مسلم (٦٠/٢ ـ ٦١) .
(٥) كذا في « إحياء علوم الدين » (٦٧/٢) ، وأخرجه ابن حبان (٣٤٠٨) ، وأبو داوود (١٦٦٩) ، والنسائي في « المجتبىٰ » (٨٢/٥) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .
(٦) أخرجه أبو داوود (٤٧٧٨) ، والترمذي (١٩٥٥) ، واللفظ له عن أبي هريرة رضي الله عنه .

وذٰلك ؛ لأن ملاحظة الواسطة بهٰذا الاعتبار لا تنافي رؤية المنة لله سبحانه وتعالىٰ ، وقد أثنى الله عزَّ وجلَّ علىٰ عباده في مواضع علىٰ أعمالهم ، بل وأثابهم عليها وهو الباعث لإرادتهم لها ، والخالق لقدرتهم عليها ؛ كقوله تعالىٰ : ﴿ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ (١) ، وقوله تعالىٰ : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ (٢) ، وقوله تعالىٰ : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ (٣) .

وإذا ظهر لك أن الفعل يستعمل علىٰ وجوه مختلفة . . فلا تتناقض هٰذه المعاني إذا فهمت الفهم الصحيح السليم .

فالمعاني أوسع من العبارات ، والصدور أوسع من الكتب المؤلفات ، ولو وقفنا مع حقيقة اللفظ دون المجاز . . لم نجد إلى الجمع بين النصوص أو التفرقة من جواز ، ألا ترىٰ إلىٰ ما أخبر الله تعالىٰ به عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام من قوله : ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ (٤) ، أترىٰ أن إبراهيم يشرك مع الله تعالى الجماد وهو القائل : ﴿ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ۝ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٥) ، والأمر الجامع في ذٰلك : أن من أشرك مع الله جل جلاله غيره في الاختراع والتأثير . . فهو مشرك ، سواء كان الملحوظ معه جماداً أو آدمياً نبياً أو غيره ، ومن اعتقد السببية في شيء من ذٰلك اطردت أو لم تطرد ، فجعل الله تعالىٰ

---

(١) سورة صٓ ، الآية (٣٠) .

(٢) سورة يونس ، الآية (٢٦) .

(٣) سورة الشمس ، الآية (٩) .

(٤) سورة إبراهيم ، الآية (٣٦) .

(٥) سورة الصافات ، الآيتان (٩٥ ـ ٩٦) .

لها سبباً لحصول مسبباتها ، وأن الفاعل هو الله وحده لا شريك له . . فهو مؤمن ولو أخطأ في ظنه ما ليس بسبب سبباً ؛ لأن خطأه في السبب لا في المُسَبِّب الخالق المدبر جل جلاله وعَظُم شأنه .



التّعظيم بين العبادة والأدب

يخطئ كثير من الناس في فهم حقيقة التعظيم وحقيقة العبادة ، فيخلطون بينهما خلطاً بيناً ، ويعتبرون أن أي نوع من أنواع التعظيم هو عبادة للمعظم ، فالقيام وتقبيل اليد وتعظيم النبي صلى الله عليه وسلم بسيدنا ومولانا ، والوقوف أمامه في الزيارة بأدب ووقار وخضوع ، كل ذٰلك غلو عندهم يؤدي إلى العبادة لغير الله تعالىٰ ، وهٰذا في الحقيقة جهل وتعنت لا يرضاه الله ولا رسوله صلى الله عليه وسلم ، وتكلف تأباه روح الشريعة الإسلامية .

فهٰذا آدم أول الجنس الإنساني ، وأول عباد الله الصالحين من هٰذا الجنس ، أمر الله تعالى الملائكة بالسجود له ؛ إكراماً وتعظيماً لما آتاه من علمه ، وإعلاماً لهم باصطفائه من بين سائر مخلوقاته ، قال تعالىٰ : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ۝ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ . . . ﴾ إلىٰ آخر الآيتين[1] ، وفي آية أخرىٰ قال : ﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾[2] ، وفي آية أخرىٰ : ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾[3] .

فالملائكة عليهم السلام عظَّموا من عظَّمه الله ، وإبليس تكبر أن

---

(١) سورة الإسراء ، الآيتان (٦١ ـ ٦٢) .
(٢) سورة الأعراف ، الآية (١٢) .
(٣) سورة الحجر ، الآيتان (٣٠ ـ ٣١) .

يسجد لمن خلق من طين ، فهو أول من قاس الدين برأيه وقال : أنا خير منه ، وعلل ذلك بعلة خلقه من نار وخلق آدم من طين ، وأنف من تكرمته عليه ، واستنكف من السجود له ، فهو أول المتكبرين ولم يعظم من عظمه الله ، فطرد من رحمة الله ؛ لتكبره علىٰ هٰذا العبد الصالح وهو عين التكبر على الله ؛ لأن السجود إنما هو لله إذ هو بأمره ، وإنما جعل السجود له تشريفاً وتكريماً له عليهم وكان من الموحدين فلم ينفعه توحيده .

ومما جاء في تعظيم الصالحين : قول الله تعالىٰ في حق يوسف عليه الصلاة والسلام : ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ﴾ (١) ؛ تحية وتكريماً وتشريفاً وتعظيماً له عليهم ، والسجود من إخوته له إلى الأرض يدل عليه قوله تعالىٰ : ﴿ وَخَرُّواْ ﴾ ، ولعله كان جائزاً في شرعهم ، أو كسجود الملائكة لآدم عليه السلام ؛ تشريفاً وتعظيماً وامتثالاً لأمر الله ؛ تأويلاً لرؤيا يوسف ؛ إذ رؤيا الأنبياء وحي .

أما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . . فقد قال الله تعالىٰ في حقه : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ (٢) ، وقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ (٣) ، وقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ . . . ﴾ الآيات الثلاث (٤) ، وقال تعالىٰ : ﴿ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم

(١) سورة يوسف ، الآية (١٠٠) .
(٢) سورة الفتح ، الآيتان (٨ ـ ٩) .
(٣) سورة الحجرات ، الآية (١) .
(٤) سورة الحجرات ، الآيات (٢ ـ ٤) .

بَعۡضًا ﴾[1] ، ونهىٰ عن التقدم بين يديه بالقول وسوء الأدب بسبقه بالكلام .

قال سهل بن عبد الله : (لا تقولوا قبل أن يقول ؛ أي : لا تتكلموا قبله ، وإذا قال . . فاستمعوا له وأنصتوا ، ونهوا عن التقدم والتعجل بقضاء أمرٍ قبل قضائه فيه ، وأن يفتوا بشيء في ذٰلك من قتال أو غيره من أمر دينهم إلا بأمره ، ولا يسبقوه به ، ثم وعظهم وحذَّرهم من مخالفة ذٰلك فقال : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾)[2] .

قال السلمي : (اتقوا الله في إهمال حقه وتضييع حرمته ؛ إنه سميع لقولكم ، عليم بفعلكم ، ثم نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته ، والجهر له بالقول كما يجهر بعضهم لبعض ويرفع صوته ، وقيل : كما ينادي بعضهم بعضاً باسمه)[3] .

قال أبو محمد مكي : (أي : لا تسابقوه بالكلام وتغلظوا له بالخطاب ، ولا تنادوه باسمه نداء بعضكم لبعض ، ولٰكن عظموه ووقروه ونادوه بأشرف ما يحب أن ينادىٰ به : يا رسول الله ، يا نبي الله ، وهٰذا كقوله في الآية الأخرىٰ : ﴿ لَا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضًا ﴾)[4] .

وقال غيره : (لا تخاطبوه إلا مستفهمين ، ثم خوفهم الله تعالىٰ

---

(١) سورة النور ، الآية (٦٣) .

(٢) أورده القاضي عياض في « الشفا » (ص ٥١٣) ، وانظر « تفسير التستري » (ص ١٤٩) ، والآية من سورة الحجرات (١) .

(٣) أورده القاضي عياض في « الشفا » (ص ٥١٣) .

(٤) أورده القاضي عياض في « الشفا » (ص ٥١٣) ، والآية من سورة النور (٦٣) .

بحبوط أعمالهم إن هم فعلوا ذلك وحذرهم منه)[1] .

والآية نزلت في جماعة أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فنادوه : يا محمد ؛ اخرج إلينا ، فذمَّهم الله تعالىٰ بالجهل ووصفهم بأن أكثرهم لا يعقلون[2] .

يقول عمرو بن العاص رضي الله عنه : (وما كان أحد أحب إليَّ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أجلَّ في عيني منه ، وما كنت أطيق أن أملأ عينيَّ منه إجلالاً له ؛ ولو سئلت أن أصفه . . ما أطقت ؛ لأني لم أكن أملأ عينيَّ منه)[3] .

وروى الترمذي عن أنس رضي الله عنه : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج علىٰ أصحابه من المهاجرين والأنصار وهم جلوس ، فيهم أبو بكر وعمر ، فلا يرفع أحد منهم إليه بصره إلا أبو بكر وعمر ، فإنهما كانا ينظران إليه وينظر إليهما ، ويتبسمان إليه ويتبسم لهما)[4] .

وروىٰ أسامة بن شريك قال : (أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه حوله كأنما علىٰ رؤوسهم الطير)[5] ، وفي صفته صلى الله عليه وسلم أنه : (إذا تكلم . . أطرق جلساؤه كأنما علىٰ رؤوسهم الطير)[6] ، وقال عروة بن مسعود حين وجَّهته قريش عام القضية إلىٰ

---

(١) أورده القاضي عياض في « الشفا » (ص ٥١٣) .

(٢) انظر « تفسير القرطبي » (٣١٠/١٦) ، وانظر « الشفا » (ص ٥١٤) .

(٣) أخرجه مسلم (١٢١) .

(٤) سنن الترمذي (٣٦٦٨) .

(٥) أخرجه أبو داوود (٣٨٥١) .

(٦) أخرجه البيهقي في « الشعب » (١٣٦٢) ، والترمذي في « الشمائل المحمدية » (٣٦٢) ، وانظر « الشفا » (ص ٥١٧) عن الحسين بن علي رضي الله عنهما .

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورأىٰ من تعظيم أصحابه له ما رأىٰ ، وأنه لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه وكادوا يقتتلون عليه ، ولا يبصق بصاقاً ولا يتنخَّم نخامة إلا تلقوها بأكفِّهم فدلكوا بها وجوههم وأجسادهم ، ولا تسقط منه شعرة إلا ابتدروها ، وإذا أمرهم بأمر . . ابتدروا أمره ، وإذا تكلم . . خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدُّون إليه النظر تعظيماً له ، فلما رجع إلىٰ قريش . . قال : (يا معشر قريش ؛ إني جئت كسرىٰ في ملكه ، وقيصر في ملكه ، والنجاشي في ملكه ، وإني والله ما رأيت ملكاً في قوم قط مثل محمد في أصحابه)[1] ، وفي رواية : (إن رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم محمداً أصحابه ، وقد رأيت قوماً لا يسلمونه أبداً)[2] .

وأخرج الطبراني وابن حبان في « صحيحه » عن أسامة بن شريك رضي الله عنه قال : كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وسلم كأنما علىٰ رؤوسنا الطير ، ما يتكلم منا متكلم ، إذ جاءه أناس فقالوا : من أحب عباد الله إلى الله تعالىٰ ؟ قال : « أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً »[3] .

وأخرج أبو يعلىٰ وصححه عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : (لقد كنت أريد أن أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأمر ، فأؤخره سنتين من هيبته)[4] .

وأخرج البيهقي عن الزهري قال : حدثني من لا أتهم من الأنصار :

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣٢) وانظر « الشفا » (ص ٥١٨) .

(٢) انظر « الشفا » (ص ٥١٨) .

(٣) صحيح ابن حبان (٤٨٦) ، المعجم الكبير (١٨١/١) ، وقال المنذري في « الترغيب والترهيب » (٣٩٣/٣) : (رواه الطبراني ورواته محتج بهم في الصحيح) انتهىٰ .

(٤) انظر « الشفا » (ص ٥١٩) .

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا توضأ أو تنخم . . ابتدروا نخامته ، فمسحوا بها وجوههم وجلودهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لِمَ تَفْعَلُونَ هَٰذَا ؟ » قالوا : نلتمس به البركة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُحِبَّهُ ٱللهُ وَرَسُولُهُ . . فَلْيَصْدُقِ ٱلْحَدِيثَ وَلْيُؤَدِّ ٱلْأَمَانَةَ وَلَا يُؤْذِ جَارَهُ »[1] .

والحاصل أن هنا أمرين عظيمين لا بد من ملاحظتهما : أحدهما : وجوب تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم ورفع رتبته عن سائر الخلق ، **والثاني** : إفراد الربوبية ، واعتقاد أن الله تبارك وتعالىٰ منفرد بذاته وصفاته وأفعاله عن جميع خلقه ؛ فمن اعتقد في مخلوق مشاركة الباري سبحانه وتعالىٰ في شيء من ذٰلك . . فقد أشرك ؛ كالمشركين الذين كانوا يعتقدون الألوهية للأصنام واستحقاقها العبادة ، ومن قصر بالرسول صلى الله عليه وسلم عن شيء من مرتبته . . فقد عصىٰ أو كفر .

وأما من بالغ في تعظيمه صلى الله عليه وسلم بأنواع التعظيم ، ولم يصفه بشيء من صفات الباري عزَّ وجلَّ . . فقد أصاب الحق ، وحافظ علىٰ جانب الربوبية والرسالة جميعاً ؛ وذٰلك هو القول الذي لا إفراط فيه ولا تفريط .

وإذا وجد في كلام المؤمنين إسناد شيء لغير الله تعالىٰ . . يجب حمله على المجاز العقلي ، ولا سبيل إلىٰ تكفيرهم ؛ إذ المجاز العقلي مستعمل في الكتاب والسنة .



(١) شعب الإيمان (٩١٠٤) .

الواسطة الشركية

يخطئ كثير من الناس في فهم حقيقة الواسطة ، فيطلقون الحكم هٰكذا جزافاً بأن الواسطة شرك ، وأن من اتخذ واسطة بأي كيفية كانت . . فقد أشرك بالله ، وأن شأنه في هٰذا شأن المشركين القائلين : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ (١) ، وهٰذا كلام مردود ، والاستدلال بالآية في غير محله ؛ وذٰلك لأن هٰذه الآية الكريمة صريحة في الإنكار على المشركين عبادتهم للأصنام واتخاذها آلهة من دونه تعالىٰ ، وإشراكهم إياها في الربوبية وأن عبادتهم لها تقربهم إلى الله زلفىٰ ، فكفرهم وإشراكهم من حيث عبادتهم لها ، ومن حيث اعتقادهم أنها أرباب من دون الله .

وهنا مهمة لا بد من بيانها : وهي أن هٰذه الآية تشهد بأن أولئك المشركين ما كانوا جادين فيما يحكي ربنا عنهم من قولهم مسوغين عبادة الأصنام : ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفىٰ ، فإنهم لو كانوا صادقين في ذٰلك . . لكان الله أجل عندهم من تلك الأصنام ، فلم يعبدوا غيره ، وقد نهى الله المسلمين عن سب أصنامهم بقوله تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (٢) .

---

(١) سورة الزمر ، الآية (٣) .

(٢) سورة الأنعام ، الآية (١٠٨) .

رویٰ عبد الرزاق ، وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن قتادة رضي الله عنه أنه قال : (كان المسلمون يسبون أصنام الكفار ، فيسب الكفار الله عزَّ وجلَّ ، فأنزل الله : ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾)[1] ، وهٰذا سبب نزول هٰذه الآية .

فهي إذاً : تنهى المؤمنين نهي تحريم شديد أن يقولوا كلمة نقص في الحجارة التي كان يعبدها الوثنيون بمكة المشرفة ؛ لأن قول تلك الكلمة يتسبب عنه غضب أولٰئك الوثنيين ؛ غيرة علىٰ تلك الأحجار التي كانوا يعتقدون من صميم قلوبهم أنها آلهة تنفع وتضر ، وإذا غضبوا . . قابلوا المسلمين بالمثل فيسبون ربهم الذي يعبدونه ؛ وهو رب العالمين ، ويرمونه بالنقائص ؛ وهو المنزَّه عن كل نقص ، ولو كانوا صادقين بأن عبادتهم لأصنامهم تقربهم إلى الله زلفىٰ . . ما اجترؤوا أن يسبوه انتقاماً ممن يسبون آلهتهم ؛ فإن ذٰلك واضح جداً في أن الله تعالىٰ في نفوسهم أقل من تلك الحجارة .

وقل ذٰلك أيضاً في قوله تعالىٰ : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[2] ؛ فإنهم لو كانوا يعتقدون حقاً أن الله تعالى الخالق وحده ، وأن أصنامهم لا تخلق . . لكانت عبادتهم لله وحده دونها ، أو لكان على الأقل احترامهم له تعالىٰ فوق احترامهم لتلك الحجارة ، وهل هٰذا يتفق مع شتمهم له عزَّ وجلَّ غيرة علىٰ حجارتهم ، وانتقاماً لها منه سبحانه وتعالىٰ ؟!

---

(١) أورده السيوطي في « الدر المنثور » (٣/٣٣٩) ، والآية من سورة الأنعام (١٠٨) .
(٢) سورة العنكبوت ، الآية (٦١) .

إن البداهة تحكم أنه لا يتفق أبداً ، وليست الآية التي معنا وحدها تدل على أن الله تعالىٰ أقل عند أولـئك المشركين من حجارتهم بل لها أمثال ؛ منها قوله تعالىٰ : ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[1] ، فلولا أن الله تعالىٰ أقل في نفوسهم من تلك الحجارة . . ما رجحوها عليه هـٰذا الترجيح الذي تحكيه هـٰذه الآية ، واستحقوا عليه حكم الله عليهم بقوله : ﴿ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ .

ومن هـٰذا القبيل : قول أبي سفيان رضي الله عنه قبل إسلامه : « أُعْلُ هُبَلُ » كما رواه البخاري[2] ، ينادي صنمهم المسمىٰ بـ (هُبل) أن يعلو في تلك الشدة رب السماوات والأرض ويقهره ؛ ليغلب هو وجيشه جيش المؤمنين الذي يريد أن يغلب آلهتهم ، هـٰذا مقدار ما كان عليه أولـئك المشركون مع تلك الأوثان ومع الله رب العالمين .

فليعرف هـٰذا حق المعرفة ؛ فإن كثيراً من الناس لا يفهمونه ويبنون عليه ما يبنون .

ألا ترىٰ أن الله لما أمر المسلمين باستقبال الكعبة في صلاتهم . . توجهوا بعبادتهم إليها واتخذوها قبلة ؟ وليست العبادة لها ، وتقبيل الحجر الأسود إنما هو عبودية لله تعالىٰ واقتداءٌ بالنبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، ولو أن أحداً من المسلمين نوى العبادة لهما . . لكان مشركاً كعبدة الأوثان .

---

(١) سورة الأنعام ، الآية (١٣٦) .

(٢) صحيح البخاري (٣٠٣٩) عن البراء بن عازب رضي الله عنهما .

فالواسطة لا بد منها وهي ليست شركاً ، وليس كل من اتخذ بينه وبين الله واسطة يعتبر مشركاً ، وإلا . . لكان البشر كلهم مشركين بالله ؛ لأن أمورهم جميعاً تنبني على الواسطة ، فالنبي صلى الله عليه وسلم تلقى القرآن بواسطة جبريل ، فجبريل واسطة للنبي صلى الله عليه وسلم ، وهو صلى الله عليه وسلم الواسطة العظمىٰ للصحابة رضي الله تعالىٰ عنهم ، فقد كانوا يفزعون إليه في الشدائد فيشكون إليه حالهم ، ويتوسلون به إلى الله ، ويطلبون منه الدعاء ، فما كان يقول لهم : أشركتم وكفرتم ؛ فإنه لا يجوز الشكوىٰ إليَّ ولا الطلب مني ، بل عليكم أن تذهبوا وتدعوا وتسألوا بأنفسكم ؛ فإن الله أقرب إليكم مني ، لا ، بل يقف ويسأل مع أنهم يعلمون كل العلم أن المعطي حقيقة هو الله ، وأن المانع والباسط والرازق هو الله ، وأنه صلى الله عليه وسلم يعطي بإذن الله وفضله ، وهو الذي يقول : « إِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَٱللهُ يُعْطِي »[١] .

وبذٰلك يظهر أنه يجوز وصف أي بشر عادي : بأنه فرج الكربة وقضى الحاجة ـ أي : كان واسطة فيهما ـ فكيف بالسيد الكريم والنبي العظيم ، أشرف الكونين وسيد الثقلين ، وأفضل خلق الله على الإطلاق ؟ ألم يقل النبي صلى الله عليه وسلم كما جاء في الصحيح : « مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ ٱلدُّنْيَا . . . » إلخ ؟[٢] .

---

(١) أخرجه البخاري (٧١) ، ومسلم (١٠٣٧/١٠٠) عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما .

(٢) صحيح البخاري (٢٤٤٢) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، صحيح مسلم (٢٦٩٩/٣٨) ، واللفظ له عن أبي هريرة رضي الله عنه .

فالمؤمن مفرج الكربات .

ألم يقل صلى الله عليه وسلم : « مَنْ قَضَىٰ لِأَخِيهِ حَاجَةً . . كُنْتُ وَاقِفاً عِنْدَ مِيزَانِهِ ؛ فَإِنْ رَجَحَ وَإِلَّا . . شَفَعْتُ لَهُ » ؟[1] .

فالمؤمن قاض للحاجات .

ألم يقل في الصحيح : « مَنْ سَتَرَ مُسْلِماً . . . » الحديث ؟[2] .

ألم يقل النبي صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ خَلْقاً خَلَقَهُمْ لِحَوَائِجِ ٱلنَّاسِ يَفْزَعُ ٱلنَّاسُ إِلَيْهِمْ فِي حَوَائِجِهِمْ » ؟[3] .

ألم يقل في الصحيح : « وَٱللَّهُ فِي عَوْنِ ٱلْعَبْدِ مَا كَانَ ٱلْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ » ؟[4] .

ألم يقل في الحديث : « مَنْ أَغَاثَ مَلْهُوفاً . . كَتَبَ ٱللَّهُ لَهُ ثَلَاثاً وَسَبْعِينَ حَسَنَةً » ؟[5] .

فالمؤمن هنا فرج وأعان ، وأغاث وقضىٰ ، وستر وفزع إليه مع أن المفرج والقاضي والستار والمعين حقيقة هو الله عزَّ وجلَّ ، ولـٰكنه لما كان واسطة في ذٰلك . . صح نسبة الفعل إليه .

وقد جاء في الأحاديث النبوية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحاديث كثيرة ، تفيد أن الله سبحانه وتعالىٰ يدفع العذاب

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٣٥٣/٦) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٤٢) ، ومسلم (٢٥٨٠) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٣) سيأتي تخريجه (ص ٢٨٦) .

(٤) أخرجه مسلم (٣٨/٢٦٩٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٥) أخرجه أبو يعلىٰ في « مسنده » (٤٢٦٦) ، والبزار في « مسنده » (٧٤٧٠) ، والبيهقي في « الشعب » (٧٢٦٤) عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

عن أهل الأرض بالمستغفرين وعمار المساجد ، وأن الله سبحانه وتعالىٰ يرزق بهم أهل الأرض وينصرهم ، ويصرف عنهم البلاء والغرق .

روى الطبراني في « الكبير » ، والبيهقي في « السنن » عن مسافع الديلي رضي الله تعالىٰ عنه أنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لَوْلَا عِبَادٌ لِلهِ رُكَّعٌ ، وَصِبْيَةٌ رُضَّعٌ ، وَبَهَائِمُ رُتَّعٌ . . لَصُبَّ عَلَيْكُمُ ٱلْعَذَابُ صَبّاً ، ثُمَّ لَتُرَضُّنَّ رَضّاً »(١) .

وروى البخاري عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « هَلْ تُنْصَرُونَ وتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ »(٢) .

وروى الترمذي والحاكم وصححاه ، عن أنس رضي الله تعالىٰ عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لَعَلَّكَ تُرْزَقُ بِهِ »(٣) .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ لِلهِ عَزَّ وَجَلَّ خَلْقاً خَلَقَهُمْ لِحَوَائِجِ ٱلنَّاسِ ، يَفْزَعُ ٱلنَّاسُ إِلَيْهِمْ فِي حَوَائِجِهِمْ ، أُولَـٰئِكَ ٱلْآمِنُونَ مِنْ عَذَابِ ٱللهِ تَعَالَىٰ »(٤) .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ ٱللهَ لَيُصْلِحُ بِصَلَاحِ ٱلرَّجُلِ ٱلْمُسْلِمِ وَلَدَهُ وَوَلَدَ وَلَدِهِ ،

---

(١) المعجم الكبير (٣٠٩/٢٢) ، السنن الكبرىٰ (٣٤٥/٣) برقم (٦٤٦٢) .
(٢) صحيح البخاري (٢٨٩٦) .
(٣) سنن الترمذي (٢٣٤٥) ، المستدرك (٩٤/١) .
(٤) أخرجه الطبراني في « الكبير » (٣٥٨/١٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢٢٥/٣) .

وَأَهْلِ دُوَيْرَتِهِ وَدُوَيْرَاتٍ حَوْلَهُ ، وَلَا يَزَالُونَ فِي حِفْظِ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا دَامَ فِيهِمْ »[١] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ ٱللهَ لَيَدْفَعُ بِٱلْمُسْلِمِ ٱلصَّالِحِ عَنْ مِئَةِ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ جِيرَانِهِ ٱلْبَلَاءَ » ، ثم قرأ ابن عمر : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ رواه الطبراني[٢] .

وعن ثوبان رفع الحديث قال : « لَا يَزَالُ فِيكُمْ سَبْعَةٌ ، بِهِمْ تُنْصَرُونَ وَبِهِمْ تُمْطَرُونَ ، وَبِهِمْ تُرْزَقُونَ حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ ٱللهِ »[٣] .

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال صلى الله عليه وسلم : « ٱلْأَبْدَالُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ ، بِهِمْ تُرْزَقُونَ وَبِهِمْ تُمْطَرُونَ وَبِهِمْ تُنْصَرُونَ » ، قال قتادة : (إني لأرجو أن يكون الحسن منهم)[٤] .

ذكر هـٰذه الأحاديث الأربعة الحافظ ابن كثير في « التفسير » عند قوله تعالىٰ : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ ﴾ في (سورة البقرة) ، وهي صالحة للاحتجاج ، ومن مجموعها يصير الخبر صحيحاً[٥] .

---

(١) أخرجه النسائي في « الكبرىٰ » (١١٨٦٦) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١٤٨/٣) ، وابن أبي شيبة في « مصنفه » (٣٦٥٦٤) عن محمد بن المنكدر رحمه الله تعالىٰ ، ورواية جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أخرجها ابن جرير الطبري في « تفسيره » (٨٣٨/٢/٢) .

(٢) المعجم الأوسط (٤٠٩٢) ، وأخرجه ابن جرير الطبري في « تفسيره » (٨٣٨/٢/٢) ، والآية من سورة البقرة (٢٥١) .

(٣) أخرجه ابن المقرئ في « معجمه » (٤٩٧) .

(٤) أورده الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٧٤٦/١٩) وعزاه للطبراني .

(٥) تفسير ابن كثير (٣٠٣/١) .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَنْ تَخْلُوَ ٱلْأَرْضُ مِنْ أَرْبَعِينَ رَجُلاً مِثْلَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ، فَبِهِمْ تُسْقَوْنَ وَبِهِمْ تُنْصَرُونَ ، مَا مَاتَ مِنْهُمْ أَحَدٌ . . إِلَّا أَبْدَلَ ٱللهُ مَكَانَهُ آخَرَ »(١) .

الواسطة العظمىٰ : وفي يوم المحشر الأعظم الذي هو يوم التوحيد ويوم الإيمان يوم يبرز العرش . . يظهر فضل الواسطة العظمىٰ صاحب اللواء المعقود ، والمقام المحمود ، والحوض المورود ، الشافع المشفع ، الذي لا ترد شفاعته ، ولا تضيع ضمانته ، عند من وعده بألا يخيب ظنه ، ولا يخزيه أبداً ولا يحزنه ، ولا يسوءه في أمته ، حيث يتوجه الخلق إليه ويستشفعون به ، فيقوم فلا يرجع إلا بخلعة الإحسان وتاج الكرامة ، المتمثل في قول الله له : « يَا مُحَمَّدُ ؛ ٱرْفَعْ رَأْسَكَ ، وَٱشْفَعْ تُشَفَّعْ ، وَسَلْ تُعْطَهْ »(٢) .



(١) أخرجه الطبراني في « الأوسط » (٤١١٣) عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، وقال الهيثمي في « المجمع » (٧٤٧/١٩) : (وإسناده حسن) .

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٤٠) ، ومسلم (٣٢٢/١٩٣) عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

ثوب الزور

الأدعياء والمتطفِّلون علىٰ بساط الحقيقة كثيرون ، والحقيقة بريئة منهم ، ولا تعترف لهم بصحة نسبتهم إليها[1] :

وكـلٌّ يـدَّعـي وصـلاً بـليلىٰ   وليلىٰ لا تـقـرُّ لـهـم بـذاكـا

هـٰذا بالإضافة إلىٰ أنهم يشوهون الصورة ويسيئون السمعة ، وهـٰؤلاء الأدعياء يصدق عليهم الوصف النبوي الدقيق الذي يقول : « ٱلْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ . . كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ »[2] .

ولقد بلينا معشر المسلمين بكثير من هـٰؤلاء ، يعكرون صفو الأمة ويفرقون بين الجماعات ، ويورثون العداوة بين الأخ وأخيه والولد وأبيه .

ويدخلون إلىٰ تصحيح مفاهيم الإسلام من باب العقوق ، ويسلكون في التمسك بآثار السلف سبيل الجحود ، ويستبدلون الحكمة والموعظة الحسنة ، والرأفة والرحمة بالغلظة والجفوة ، وسوء الأدب وقلة الذوق .

إن من الأدعياء أولـٰئك الذين ينسبون أنفسهم إلى التصوف وهم أبعد الناس عن حقيقته وجوهره ، فشوهوا صورته ودنسوا كرامته ، وأفسدوا سيرته وجروا إليه وإلىٰ أئمته من السادة العارفين والأساتذة المربين الانتقاد اللاذع .

---

(١) أورده ابن أبي حجلة في « ديوان الصبابة » (ص ١٤) من غير عزو ، وهو من الوافر .

(٢) أخرجه البخاري (٥٢١٩) ، ومسلم (٢١٣٠/١٢٧) عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما .

إننا لا نعرف التصوف خرافات وأباطيل ، ودجلاً وشعوذة .

إننا لا نعرف التصوف نظريات فلسفية ، أو أفكاراً أجنبية ، أو عقائد شركية حلولية أو اتحادية .

إننا نبرأ إلى الله من هٰذا كله ، ونعتبر أن كل ما يخالف الكتاب والسنة ولا يقبل التأويل . . هو مكذوب دخيل ، وملصق بأيد آثمة ونفوس ضعيفة .

إننا نعرف التصوف مدارس علمية ومعارف فكرية ، وهي كلها بمناهجها وبرامجها وطرقها تمثل الأفق الأعلىٰ للفكرة الإسلامية ، والوجه الأكمل لآدابنا ومثالياتنا ، تمثل الكمال في الإيمان والكمال في كل شأن من شؤون الحياة ، تمثل الخلاصة الزكية لكل دعوة ربانية ، إنه الصدق والأمانة ، والوفاء والإيثار ، والنجدة والكرم ، ونصرة الضعيف وإغاثة الملهوف ، والتعاون على البر والتقوىٰ ، والتواصي بالحق والصبر ، والتسابق إلىٰ فعل الخير التي تمثل الخلق القويم الصحيح .

وبهٰذه السيرة العاطرة والخلق الزكي ظهرت بطولات الصدر الأول ورجاله ، وأئمته وأبطاله ، فبرزت لنا الشخصية الإسلامية في أبهىٰ حلة ، وأكمل صفة وأعلىٰ وأطهر نموذج ، ورویٰ لنا عنها التاريخ حديث المجد والفخر ، والسيادة والعزة ، والجهاد والنضال ، ودروس الحضارة الإسلامية .

ومن هنا ندرك بيقين أن النهضات الكبرىٰ لا تنبني إلا علىٰ رسالات الروح وإلهامات الإيمان ، ولا تقوم إلا على الأخلاق الصاعدة القوية التي تستمد مثلها من العقائد المقدسة .

إن الصفات الخلقية والنفسية والروحية هي رأس مال الشعوب ، وهي المدخرات العظمى التي تصنع الأمم ، وتدفع بالركب البشري إلىٰ غاياته العليا ، والناظر في سير السلف الصالحين والسادات العارفين من القوم يرىٰ كيف أن هـٰذه المثل والمبادئ كانت سبباً مباشراً لانتفاضات صريحة مشهودة مشهورة في التاريخ الإسلامي ، إنه إيمانٌ هو أعلىٰ صور الإيمان ، إيمان حار متَّقد حيٌّ يرتكز على الشوق والمحبة .

إنه إيمان يطلق في قلوب أصحابه الشعلة المتوهجة المتطلعة دائماً إلى الله ، ويرىٰ كيف أن الرجل منهم يعيش دائماً في مقام الإحسان يرى الله في كل شيء ، ويراقبه في كل حركة من حركاته ، بل يراقبه مع كل نفس من أنفاسه من غير حلول ولا اتحاد ولا إلحاد ، إنه إيمان يبعث اليقظة الشاملة في الحياة ، ويضفي عليها الإحساس العميق بالربانية السارية في الكون ، والتي تعيش في أعماقها ، وتعلم خواطر القلب وهمسات النجوىٰ ، وخائنة العين وما تخفي الصدور .



وإن من الأدعياء أولـئك الذين ينسبون أنفسهم إلى السلف الصالح ، فقاموا يدعون إلى السلفية في همجية جهلاء وعصبية عمياء ، وبعقول عقيمة وأفهام سقيمة ، وصدور ضيقة تحارب كل جديد ، وتنكر كل مخترع مفيد ، بدعوىٰ أنه بدعة ، وأن كل بدعة ضلالة ، دون التفريق بين أنواع البدعة ، مع أن روح الشريعة الإسلامية توجب علينا أن نميز بين أنواع البدعة وأن نقول : إن منها البدعة الحسنة ومنها البدعة السيئة ، وهـٰذا ما يقتضيه العقل النير والنظر الثاقب .

وهـٰذا ما حققه علماء الأصول من سلف هـٰذه الأمة رضي الله عنهم ؛ كالإمام العزِّ بن عبد السلام والنووي والسيوطي والمحلي وابن حجر .

والأحاديث النبوية يفسر بعضها بعضاً ، ويكمل بعضها بعضاً ، ولا بد من النظر إليها نظرة واحدة متكاملة ، ولا بد من تفسيرها بروح الشريعة ، ومفهومها المتفق عليه بين أهل النظر .

ولذا ؛ نجد كثيراً من الأحاديث الشريفة تحتاج في تفسيرها إلىٰ عقل عاقل وفكر ثاقب ، وفهم لائق وقلب ذائق ، يستمد من بحر الشريعة الغرَّاء ، ويراعي أحوال الأمة وحاجتها ، ويسايرها في حدود القواعد الشرعية والنصوص القرآنية والنبوية التي لا يجوز الخروج عنها .

ومن أمثلة ذٰلك هـٰذا الحديث : « كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ »[1] فلا بد من

(١) أخرجه مسلم (٨٦٧/٤٣) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

القول : إن المراد بذلك : البدعة السيئة التي لا تدخل تحت أصل شرعي .

وهذا التقييد وارد في غير هذا الحديث ؛ كحديث : « لَا صَلَاةَ لِجَارِ ٱلْمَسْجِدِ إِلَّا فِي ٱلْمَسْجِدِ »(١) .

فهذا الحديث مع أنه يفيد الحصر في نفي صلاة جار المسجد إلا أن عمومات الأحاديث تفيد تقييده : بأن لا صلاة كاملة ، مع ورود الخلاف في المسألة بين العلماء .

وكحديث : « لَا صَلَاةَ بِحَضْرَةِ ٱلطَّعَامِ »(٢) ، قالوا : أي : صلاة كاملة .

وكحديث : « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ »(٣) ، قالوا : أي : إيماناً كاملاً .

وكحديث : « وَٱللهِ لَا يُؤْمِنُ وَٱللهِ لَا يُؤْمِنُ وَٱللهِ لَا يُؤْمِنُ » قيل : ومن يا رسول الله ؟ قال : « ٱلَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ »(٤) .

وكحديث : « لَا يَدْخُلُ ٱلْجَنَّةَ قَتَّاتٌ »(٥) ، وحديث : « لَا يَدْخُلُ ٱلْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ »(٦) ، « وَلَا عَاقٌّ لِوَالِدَيْهِ »(٧) .

---

(١) أخرجه الحاكم في « المستدرك » (٢٤٦/١) عن أبي هريرة رضي الله عنه .
(٢) أخرجه مسلم (٦٧/٥٦٠) عن عائشة رضي الله عنها .
(٣) أخرجه البخاري (١٣) ، ومسلم (٧١/٤٥) عن أنس بن مالك رضي الله عنه .
(٤) أخرجه البخاري (٦٠١٦) عن أبي شريح العدوي رضي الله عنه .
(٥) أخرجه البخاري (٦٠٥٦) ، ومسلم (١٦٩/١٠٥) عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما .
(٦) أخرجه البخاري (٥٩٨٤) ، ومسلم (١٩/٢٥٥٦) واللفظ له ، عن جبير بن مطعم رضي الله عنه .
(٧) أخرجه ابن حبان (٧٣٤٠) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، والبيهقي في « الشعب » (٧٤٨٩) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

فالعلماء قالوا : إنه لا يدخل دخولاً أولياً ، أو لا يدخل إذا كان مستحلاًّ لذٰلك الفعل .

الحاصل : أنهم لم يجروه علىٰ ظاهره ، وإنما أولوه بأنواع التأويل .

وحديث البدعة هٰذا من هٰذا الباب ، فعمومات الأحاديث وأحوال الصحابة تفيد أن المقصود به البدعة السيئة التي لا تندرج تحت أصل كلي .

وفي الحديث : « مَنْ سَنَّ فِي ٱلْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً . . فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ »(١) .

وفي الحديث : « فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ ٱلْخُلَفَاءِ ٱلْمَهْدِيِّينَ ٱلرَّاشِدِينَ »(٢) .

ويقول عمر رضي الله عنه في صلاة التراويح : (نعمت البدعة هٰذه)(٣) .

هٰذا ؛ وبالله التوفيق .



(١) أخرجه مسلم (١٠١٧/٦٩) ، وابن خزيمة (٢٤٧٧) عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه .
(٢) أخرجه أبو داوود (٤٥٩٩) ، والترمذي (٢٦٧٦) عن العرباض بن سارية رضي الله عنه .
(٣) أخرجه البخاري تعليقاً (٢٠١٠) ، ومالك في « الموطأ » (١/١١٤) عن عبد الرحمٰن بن عبد القاري رحمه الله تعالىٰ .

ينتقد بعضهم تقسيم البدعة إلىٰ حسنة وسيئة ، وينكر علىٰ من يقول ذٰلك أشد الإنكار ، بل ومنهم من يرميه بالفسق والضلال ، وذٰلك لمخالفة صريح قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ »(١) ، وهٰذا اللفظ صريح في العموم وصريح في وصف البدعة بالضلالة ، ومن هنا تراه يقول : فهل يصح بعد قول المشرِّع صاحب الرسالة : (كل بدعة ضلالة) أن يأتي مجتهد أو فقيه مهما كانت رتبته فيقول : لا ـ لا ـ ليست كل بدعة ضلالة ، بل بعضها ضلالة وبعضها حسنة وبعضها سيئة ، وبهٰذا المدخل يغترُّ كثير من الناس ، فيصيح مع الصَّائحين وينكر مع المنكرين ، ويكثِّر سواد هٰؤلاء الذين لم يفهموا مقاصد الشريعة ، ولم يذوقوا روح الدِّين الإسلامي .

ثم لا يلبث إلا يسيراً حتىٰ يضطر إلىٰ إيجاد مخرج يحل له المشاكل التي تصادمه ، ويفسِّر له الواقع الذي يعيشه ، إنه يضطر إلى اللُّجوء إلى اختراع وسيلة أخرىٰ ، لولاها لما يستطيع أن يأكل ولا يشرب ولا يسكن ، بل ولا يلبس ولا يتنفس ولا يتزوج ، ولا يتعامل مع نفسه ولا أهله ، ولا إخوانه ولا مجتمعه .

وهٰذه الوسيلة هي أن يقول باللفظ الصريح : إن البدعة تنقسم إلىٰ بدعة دينية ودنيوية ، يا سبحان الله !! لقد أجاز هٰذا المتلاعب

---

(١) تقدم تخريجه (ص ١٥٨) .

لنفسه أن يخترع هٰذا التقسيم أو على الأقل أن يخترع هٰذه التسمية ، ولو سلَّمنا أن هٰذا المعنىٰ كان موجوداً منذ عهد النبوة لٰكن هٰذه التسمية : دينية ودنيوية . . لم تكن موجودة قطعاً في عهد التشريع النبوي فمن أين جاء هٰذا التقسيم ؟ ومن أين جاءت هٰذه التسمية المبتدعة ؟

فمن قال : إن تقسيم البدعة إلىٰ حسنة وسيئة . . لم يأت من الشارع نقول له : وكذا تقسيم البدعة إلىٰ دينية غير مقبولة ، ودنيوية مقبولة هو عين الابتداع والاختراع .

فالشارع صلى الله عليه وسلم يقول : (كل بدعة ضلالة) هٰكذا بالإطلاق ، وهٰذا يقول : لا ـ لا ـ ليست كل بدعة ضلالة بالإطلاق ، بل إن البدعة تنقسم إلىٰ قسمين : دينية وهي الضلالة ، ودنيوية وهي التي لا شيء فيها .

ولذا لا بد أن نوضح هنا مسألة مهمة ، وبها ينجلي كثير من الإشكال ، ويزول اللبس إن شاء الله .

وهي أن المتكلم هنا هو الشارع الحكيم ، فلسانه هو لسان الشرع ، فلا بد من فهم كلامه على الميزان الشرعي الذي جاء به ، وإذا علمت أن البدعة في الأصل هي : كل ما أحدث واخترع علىٰ غير مثال . . فلا يَغِبْ عن ذهنك : أن الزيادة أو الاختراع المذموم هنا هو الزيادة في أمر الدين لتصير في أمر الدين ، والزيادة في الشريعة لتأخذ صبغة الشريعة ، فتصير شريعة متبعة منسوبة لصاحب الشريعة ، وهٰذا هو الذي حذر منه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَـٰذَا

مَا لَيْسَ مِنْهُ . . فَهُوَ رَدٌّ »[1] ، فالحد الفاصل في الموضوع هو قوله : « في أمرنا هـٰذا » .

ولذٰلك ؛ فإن تقسيم البدعة إلىٰ حسنة وسيئة في مفهومنا ليس إلا للبدعة اللغوية التي هي مجرد الاختراع والإحداث ، ولا نشك جميعاً في أن البدعة بالمعنى الشرعي ليست إلا ضلالة وفتنة مذمومة مردودة مبغوضة ، ولو فهم أولـٰئك المنكرون هـٰذا المعنىٰ . . لظهر لهم أن محل الاجتماع قريب وموطن النزاع بعيد .

وزيادة في التقريب بين الأفهام : أرىٰ أن منكري التقسيم إنما ينكرون تقسيم البدعة الشرعية ؛ بدليل تقسيمهم البدعة إلىٰ دينية ودنيوية ، واعتبارهم ذٰلك ضرورة .

وأن القائلين بالتقسيم إلىٰ حسنة وسيئة يرون أن هـٰذا إنما هو بالنسبة للبدعة اللغوية ؛ لأنهم يقولون : إن الزيادة في الدين والشريعة ضلالة وسيئة كبيرة .

ولا شك في ذٰلك عندهم فالخلاف شكلي ، غير أني أرىٰ أن إخواننا المنكرين لتقسيم البدعة إلىٰ حسنة وسيئة ، والقائلين بتقسيمها إلىٰ دينية ودنيوية لم يحالفهم الحظ في دقة التعبير ؛ وذٰلك لأنهم لما حكموا بأن البدعة الدينية ضلالة ـ وهـٰذا حق ـ وحكموا بأن البدعة الدنيوية لا شيء فيها . . قد أساؤوا الحكم ؛ لأنهم بهـٰذا قد حكموا علىٰ كل بدعة دنيوية بالإباحة ، وفي هـٰذا خطر عظيم ، وتقع به فتنة ومصيبة ، ولا بد حينئذٍ من تفصيل واجب وضروري للقضية ، وهو أن يقولوا :

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٧) ، ومسلم (١٧/١٧١٨) عن عائشة رضي الله عنها .

إن هـٰذه البدعة الدنيوية منها ما هو خير ، ومنها ما هو شر كما هو الواقع المشاهد الذي لا ينكره إلا أعمىٰ جاهل ، وهـٰذه الزيادة لا بد منها ، ويكفي في تحقيق هـٰذا المعنىٰ بدقة قول من قال : بأن البدعة تنقسم إلىٰ حسنة وسيئة ، ومعلوم أن المراد بها اللغوية كما تقدم ، وهي التي عبر عنها المنكرون بالدنيوية ، وهـٰذا القول في غاية الدقة والاحتياط ، وهو ينادي علىٰ كل جديد بالانضباط والانصياع لحكم الشرع وقواعد الدين ، ويُلزم المسلمين أن يعرضوا كل ما جدَّ لهم وأحدث من أمورهم الدنيوية العامة والخاصة على الشريعة الإسلامية ؛ ليرىٰ حكم الإسلام فيها مهما كانت تلك البدعة ، وهـٰذا لا يتحقق إلا بالتقسيم الرائع المعتبر عند أئمة الأصول ، فرضي الله عن أئمة الأصول وعن تحريرهم للألفاظ الصحيحة المجزئة المؤدية إلى المعاني السليمة دون نقص أو تحريف أو تأويل .



التصوف ذٰلك المظلوم المتهم ، قليل من ينصفه ، بل بلغت الجراءة والوقاحة ببعضهم أنه جعله من صفات الذم والقدح التي تسقط بها الشهادة وتزول بها العدالة فيقول : فلان ليس بثقة ولا يقبل خبره لماذا ؟ لأنه صوفي .

والعجيب الغريب أننا نرىٰ بعض هٰؤلاء الذين يذمون التصوف ويحاربون أهله ويناصبونهم العداء ، نرىٰ بعض هٰؤلاء المنكرين يفعل ما يفعل ، ويقول ما يقول عن التصوف ، ثم لا يستحي علىٰ وجهه حينما ينقل كلام هٰؤلاء الأئمة من الصوفية في خطبه وكلامه علىٰ منابر الجمعة وكراسي الدروس ، فيقول بكل بجاحة ووقاحة : قال الفضيل بن عياض ، وقال الجنيد ، وقال الحسن البصري ، وقال سهل التستري ، وقال المحاسبي ، وقال بشر الحافي .

وهٰؤلاء هم أئمة التصوف وأقطابه ، وأركانه وقواعده وبنيانه ، وكتب التصوف مشحونة بأقوالهم وأخبارهم ، ومناقبهم وشمائلهم ، فلا أدري : أهو جهل أو تجاهل ؟! وعمىً أو تعامٍ ؟!

وقد أحببت أن أنقل كلام أئمة الدين الذين هم أركان التصوف ورجاله ، أردت أن أنقل كلامهم عن الشريعة الإسلامية لنعرف موقفهم الحقيقي ؛ لأن الواجب أن نعرف الشخص عن الشخص نفسه ، فالإنسان هو خير من يتحدث عن رأيه ، وأوثق من يظهر ما يضمر .

قال الإمام الجنيد رضي الله عنه : (الطرق كلها مسدودة عن الخلق إلا علىٰ من اقتفىٰ أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبع سنته ولزم طريقته ؛ لأن طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه ، وعلى المقتفين أثره والمتابعين)[1] .

وجاء أن أبا يزيد البسطامي قدس سره قال ذات يوم لأصحابه : (قوموا بنا حتىٰ ننظر إلىٰ ذٰلك الذي قد شهر نفسه بالولاية) ، قال : فمضينا ؛ فإذا بالرجل قد قصد المسجد فرمىٰ بزاقه نحو القبلة فانصرف أبو يزيد ولم يسلم عليه ، وقال : (هٰذا ليس بمأمون علىٰ أدب من آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكيف يكون مأموناً علىٰ ما يدعيه من مقامات الأولياء والصديقين ؟!)[2] .

قال ذو النون المصري : (مدار الكلام علىٰ أربع : حب الجليل ، وبغض القليل ، واتباع التنزيل ، وخوف التحويل) .

وقال أيضاً : (من علامات المحب لله عزَّ وجلَّ : متابعة حبيب الله صلى الله عليه وسلم في أخلاقه وأفعاله وأوامره وسننه)[3] .

قال السري السقطي : (التصوف اسم لثلاثة معان : وهو الذي لا يطفئ نور معرفته نور ورعه ، ولا يتكلم بباطن في علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب والسنة ، ولا تحمله الكرامات علىٰ هتك أستار محارم الله)[4] .

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/٢٥٧) ، والقشيري في « رسالته » (ص ١٥٥) ، وأورده السيوطي في « الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع » (ص ٥٣) .

(٢) أخرجه القشيري في « رسالته » (ص ١٢٨) .

(٣) أخرجهما القشيري في « رسالته » (ص ١٠٤ ـ ١٠٥) .

(٤) أخرجه القشيري في « رسالته » (ص ١١٢) .

قال أبو نصر بشر بن الحارث الحافي : (رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ، فقال لي : يا بشر ؛ أتدري لم رفعك الله من بين أقرانك ؟ قلت : لا يا رسول الله ، قال : باتباعك لسنتي وخدمتك للصالحين ، ونصيحتك لإخوانك ومحبتك لأصحابي وأهل بيتي ؛ هٰذا هو الذي بلغك منازل الأبرار)[١] .

قال أبو يزيد بن طيفور بن عيسى البسطامي : (لقد هممت أن أسأل الله تعالىٰ أن يكفيني مؤنة الأكل ، ومؤنة النساء ، ثم قلت : كيف يجوز لي أن أسأل الله هٰذا ، ولم يسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم إياه ، فلم أسأله ، ثم إن الله سبحانه وتعالىٰ كفاني مؤنة النساء حتىٰ لا أبالي استقبلتني امرأة أو حائط)[٢] .

وقال أيضاً : (لو نظرتم إلىٰ رجل أعطي من الكرامات حتىٰ يرتقي في الهواء ، فلا تغتروا به ؛ حتىٰ تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي ، وحفظ الحدود ، وأداء الشريعة)[٣] .

قال أبو سليمان عبد الرحمٰن بن عطية الداراني : (ربما وقع في قلبي النكتة من نكت القوم أياماً ، فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين : الكتاب والسنة)[٤] ، وقوله : (منه) أي : من قلبي .

قال أبو الحسين أحمد بن أبي الحواري : (من عمل عملاً بلا اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . . فباطل عمله)[٥] .

---

(١) أخرجه القشيري في « رسالته » (ص ١١٥ ـ ١١٦) .
(٢) أخرجه القشيري في « رسالته » (ص ١٢٧ ـ ١٢٨) .
(٣) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/٤٠) ، والقشيري في « رسالته » (ص ١٢٩) .
(٤) أخرجه القشيري في « رسالته » (ص ١٣٣) .
(٥) أخرجه القشيري في « رسالته » (ص ١٤٢) .

قال أبو حفص عمر بن مسلمة الحداد : (من لم يزن أفعاله وأحواله في كل وقت بالكتاب والسنة ، ولم يتهم خواطره . . فلا نعدُّه في ديوان الرجال)[1] .

قال أبو القاسم الجنيد بن محمد : (من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث . . لا يقتدىٰ به في هـٰذا الأمر ؛ لأن علمنا مقيد بالكتاب والسنة) .

وقال أيضاً : (**مذهبنا هـٰذا** : مقيد بأصول الكتاب والسنة ، **وعلمنا هـٰذا** : مشيد بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم)[2] .

ولما تغير علىٰ أبي عثمان ـ سعيد بن إسماعيل الحيري ـ الحال . . مزق ابنه أبو بكر قميصاً كان علىٰ نفسه ، ففتح أبو عثمان عينيه ـ حين إفاقته من غشيته فرأىٰ ثوبه مقطعاً ـ وقال : خلاف السنة يا بني في الظاهر . . علامة رياء في الباطن)[3] .

وقال أيضاً : (**الصحبة مع الله** : بحسن الأدب ، ودوام الهيبة ، والمراقبة .

والصحبة مع الرسول صلى الله عليه وسلم : باتباع سنته ولزوم ظاهر العلم .

والصحبة مع أولياء الله تعالىٰ : بالاحترام والخدمة .

والصحبة مع الأهل : بحسن الخلق .

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/٢٣٠) ، والقشيري في « رسالته » (ص ١٤٤) .
(٢) أخرجهما القشيري في « رسالته » (ص ١٥٥) ، وانظر « حلية الأولياء » (١٠/٢٥٥) .
(٣) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/٢٤٥) ، والقشيري في « رسالته » (ص ١٥٨) .

والصحبة مع الإخوان : بدوام البشر ما لم يكن إثماً .

والصحبة مع الجهال : بالدعاء لهم والرحمة عليهم)[(١)] .

وقال أيضاً : (من أمَّر السنة علىٰ نفسه قولاً وفعلاً . . نطق بالحكمة ، ومن أمَّر الهوىٰ علىٰ نفسه قولاً وفعلاً . . نطق بالبدعة ، قال تعالىٰ : ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ﴾)[(٢)] .

قال أبو الحسين أحمد بن محمد النوري : (من رأيته يدَّعي مع الله حالة تخرجه عن حدِّ العلم الشرعي . . فلا تقربنَّ منه)[(٣)] .

قال أبو الفوارس شاه بن شجاع الكرماني : (من غضَّ بصره عن المحارم ، وأمسك نفسه عن الشهوات ، وعَمَرَ باطنه بدوام المراقبة ، وظاهره باتباع السنة ، وعوَّد نفسه أكل الحلال . . لم تخطئ له فراسة)[(٤)] .

قال أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدمي : (من ألزم نفسه آداب الشريعة . . نوَّر الله قلبه بنور المعرفة ، ولا مقام أشرف من مقام متابعة الحبيب صلى الله عليه وسلم في أوامره ، وأفعاله ، وأخلاقه)[(٥)] .

وقال أيضاً : (كل ما سئلت عنه فاطلبه في مفازة العلم ؛ فإن لم

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/٢٤٥) ، والقشيري في « رسالته » (ص ١٥٨) ، وزاد أبو نعيم : (ورؤية نعمة الله عليك أن عافاك مما ابتلاهم به) .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/٢٤٤) ، والقشيري في « رسالته » (ص ١٥٨) ، والآية من سورة النور (٥٤) .

(٣) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/٢٥٢) ، والقشيري في « رسالته » (ص ١٥٩) .

(٤) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/٢٣٧) ، والقشيري في « رسالته » (ص ١٧٢) .

(٥) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/٣٠٢) ، والقشيري في « رسالته » (ص ١٨٢) .

تجده . . ففي ميدان الحكمة ؛ فإن لم تجده . . فزنه بالتوحيد ؛ فإن لم تجده في هاذه المواضع الثلاثة . . فاضرب به وجه الشيطان)[١] .

قال أبو حمزة البغدادي البزاز : (من علم طريق الحق تعالىٰ . . سهل عليه سلوكه ، ولا دليل على الطريق إلى الله تعالىٰ إلا متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، في أحواله ، وأفعاله ، وأقواله)[٢] .

وقال أبو إسحاق إبراهيم بن داوود الرقي : (علامة محبة الله : إيثار طاعته ، ومتابعة نبيه صلى الله عليه وسلم)[٣] .

قال ممشاد الدينوري : (أدب المريد في التزام حرمات المشايخ ، وخدمة الإخوان ، والخروج عن الأسباب ، وحفظ آداب الشرع علىٰ نفسه)[٤] .

قال أبو محمد عبد الله بن منازل : (لم يضيِّع أحد فريضة من الفرائض . . إلا ابتلاه الله تعالىٰ بتضييع السنن ، ولم يبتل أحد بتضييع السنن . . إلا أوشك أن يبتلىٰ بالبدع)[٥] .



(١) أخرجه القشيري في « رسالته » (ص ١٨٢) .
(٢) أخرجه القشيري في « رسالته » (ص ١٨٦) .
(٣) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/٢٥٤) ، والقشيري في « رسالته » (ص ١٩٠) .
(٤) أخرجه القشيري في « رسالته » (ص ١٩١) .
(٥) أخرجه القشيري في « رسالته » (ص ١٩٩) ، هاذا ؛ وقد ألَّف العلامة الفاضل الشيخ عبد الحفيظ المكي رسالة قيمة وهي : « موقف أئمة الحركة السلفية من التصوف والصوفية » ، جمع فيها أقوال وآراء الإمام أحمد ابن حنبل ، والشيخ ابن تيمية ، وابن القيم ، والذهبي وابن كثير ، وابن رجب ، ومحمد بن عبد الوهاب ، وموقفهم المؤيِّد للتصوف ، ومدحهم وثناءهم علىٰ مشايخ السادة الصوفية .

حقيقة الأشاعرة

يجهل كثير من أبناء المسلمين مذهب الأشاعرة ، ولا يعرفون من هم الأشاعرة ولا طريقتهم في أمر العقيدة ، ولا يتورَّع البعض أن ينسبهم إلى الضلال ، أو يرميهم بالمروق من الدين والإلحاد في صفات الله .

وهٰذا الجهل بمذهب الأشاعرة سبب تمزُّق وحدة أهل السنة وتشتيت شملهم ؛ حتىٰ غدا بعض الجهلة يجعل الأشاعرة ضمن طوائف أهل الضلال ، ولست أدري كيف يقرن بين أهل الإيمان وأهل الضلال ؟! وكيف يساوي بين أهل السنة وبين غلاة المعتزلة أو الجهمية ؟!

﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ۞ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾[1] .

الأشاعرة : هم أئمة أعلام الهدىٰ من علماء المسلمين ، الذين ملأ علمهم مشارق الأرض ومغاربها ، وأطبق الناس علىٰ فضلهم وعلمهم ودينهم ، هم جهابذة علماء أهل السنة وأعلام علمائها الأفاضل الذين وقفوا في وجه طغيان المعتزلة .

هم الذين قال عنهم الشيخ أبو محمد كما نقله شيخ الإسلام ابن تيمية في « الفتاوىٰ » : (**والعلماء** : أنصار فروع الدين ، **والأشعرية** : أنصار أصول الدين)[2] .

إنهم طوائف المحدثين والفقهاء والمفسرين من الأئمة الأعلام ؛

---

(١) سورة القلم ، الآيتان (٣٥ ـ ٣٦) .

(٢) مجموعة الفتاوىٰ (٤/١٥) .

كشيخ الإسلام أحمد ابن حجر العسقلاني : شيخ المحدثين بلا مراء ، صاحب كتاب « فتح الباري بشرح صحيح البخاري » أشعري المذهب ، وكتابه لا يستغني عنه أحد من العلماء .

وشيخ علماء أهل السنة الإمام النووي صاحب « شرح صحيح مسلم » ، وصاحب المصنفات الشهيرة أشعري المذهب .

وشيخ المفسرين الإمام القرطبي : صاحب تفسير « الجامع لأحكام القرآن » أشعري المذهب .

وشيخ الإسلام ابن حجر الهيتمي : صاحب كتاب « الزواجر عن اقتراف الكبائر » أشعري المذهب .

وشيخ الفقه والحديث الإمام الحجة الثبت زكريا الأنصاري ، أشعري المذهب .

والإمام أبو بكر الباقلاني ، والإمام القسطلاني ، والإمام النسفي ، والإمام الشربيني ، وأبو حيان النحوي صاحب تفسير « البحر المحيط » ، والإمام ابن جزي صاحب « التسهيل في علوم التنزيل » . . . إلخ ، كل هٰؤلاء من أئمة الأشاعرة .

ولو أردنا أن نعدِّد هٰؤلاء الأعلام من المحدثين والمفسرين والفقهاء من أئمة الأشاعرة . . لضاق بنا الحال ، واحتجنا إلىٰ مجلدات في سرد أولٰئك العلماء الأفاضل ، الذين ملأ علمهم مشارق الأرض ومغاربها .

إن من الواجب أن نرد الجميل لأصحابه ، وأن نعرف الفضل لأهل العلم والفضل ، الذين خدموا شريعة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم من العلماء الأعلام .

وأي خير يُرجىٰ فينا إن رمينا علماءنا الأعلام وأسلافنا الصالحين بالزيغ والضلال ؟!

وكيف يفتح الله علينا لنستفيد من علومهم إذا كنا نعتقد فيهم الانحراف والزيغ عن طريق الإسلام ؟!

إنني أقول : هل يوجد بين علماء العصر من الدكاترة والعباقرة من يقوم بما قام به شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني والإمام النووي ؛ من خدمة السنة النبوية المطهرة ، ويفعل كما فعل هٰذان الإمامان الجليلان تغمَّدهما الله بالرحمة والرضوان ؟ فكيف نرميهما ـ وسائر الأشاعرة ـ بالضلالة ونحن بحاجة إلىٰ علوم هٰؤلاء ؟!

وكيف نأخذ العلوم عنهم إذا كانوا علىٰ ضلال ؟! وقد قال الإمام ابن سيرين رحمه الله : (إن هٰذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم)[1] .

أفما كان يكفي أن يقول المعارض : إنهم رحمهم الله اجتهدوا فأخطؤوا في تأويل الصفات ، وكان الأولىٰ ألا يسلكوا هٰذا المسلك بدل أن يرميهم بالزيغ والضلال ، ويغضب علىٰ من عدَّهم من أهل السنة والجماعة ؟!

وإذا لم يكن الإمام النووي والعسقلاني ، والقرطبي والباقلاني ، والفخر الرازي والهيتمي وزكريا الأنصاري وغيرهم من جهابذة العلماء ، وفطاحل النبغاء إذا لم يكونوا من أهل السنة والجماعة . . فمن هم أهل السنة إذاً ؟!

---

(١) أخرجه مسلم في مقدمة « صحيحه » (١/١٢) .

إنني أدعو مخلصاً كل الدعاة وكل العاملين في حقل الدعوة الإسلامية أن يتقوا الله في أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وبخاصة في أجلَّة علمائها وأخيار فقهائها ، فأمة محمد صلى الله عليه وسلم بخير إلىٰ قيام الساعة ، ولا خير فينا إذا لم نعرف لعلمائنا قدرهم وفضلهم [1] .



(١) انظر ما كتبه شيخنا العلامة الشيخ محمد علي الصابوني في مسألة الأشاعرة من بحوث طويلة ومهمة .

حقائق تموت بالبحث

يجري البحث بين العلماء في حقائق كثيرة من مسائل العقيدة مما لم يكلفنا به الله تعالىٰ ، وأنا أرىٰ أن ذٰلك البحث يذهب بَهاءَ تلك الحقائق وجلالها ، ومن ذٰلك مثلاً اختلاف العلماء في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لله سبحانه وتعالىٰ وكيف كانت ، والخلاف الطويل العريض الدائر بينهم في ذٰلك الباب ؛ **فمن قائل** : رآه بقلبه ، **ومن قائل** : رآه بعينه ، وكل يورد دليله ويستنصر له بما لا طائل تحته .

والذي أراه : أن كل ذٰلك عبث لا فائدة فيه ، بل ضرره أكبر من نفعه ؛ خصوصاً إذا سمع العوام هٰذا فإنه يُدخل التشكيك في قلوبهم لا محالة ، ولو أننا ألغينا البحث عن هٰذا ، واكتفينا بإيراد هٰذه الحقيقة كما جاءت . . لبقيت مكرمة معظمة في النفوس بأن نقول : إنه صلى الله عليه وسلم رأىٰ ربه ، ونقتصر علىٰ هٰذه الحقيقة ونترك الباقي له هو .

وكلم الله موسىٰ تكليماً :

ومن ذٰلك أيضاً ما يجري بين العلماء من البحث في حقيقة كلام الله تعالىٰ والخلاف الكبير الدائر في هٰذا الباب ؛ **فمن قائل** : إن كلامه سبحانه وتعالىٰ كلام نفسي ، **ومن قائل** : إن كلامه سبحانه وتعالىٰ بحرف وصوت .

وأنا أعتقد : أن كِلا الطرفين يطلب حقيقة التنزيه لله سبحانه وتعالىٰ ، ويبعد عن الشرك بكل أنواعه .

ومسألة الكلام حقيقة ثابتة لا مجال لإنكارها ؛ إذ هو ينافي الكمال الإلـٰهي هـٰذا من جهة ، ومن جهة أخرىٰ أن صفاته سبحانه وتعالى الواردة في القرآن يجب الإيمان بها وإثباتها ؛ لأنه لا يعرف الله إلا الله .

والذي أراه وأدعو إليه : هو إثبات هـٰذه الحقيقة دون الغوص في كيفيتها وشكلها ، فنثبت لله سبحانه وتعالى الكلام ونقول : هـٰذا كلام الله ، ونقول : إنه سبحانه وتعالىٰ متكلم ، ونصرف النظر عما بعد ذٰلك من كونه كلاماً نفسياً أو غير نفسي ، بحرف وصوت أو بلا حرف ولا صوت ، وكل هـٰذا تنطُّع لم يتكلم فيه الذي جاء بالتوحيد ؛ وهو المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم ، فلِمَ الزيادة علىٰ ما جاء به ؟! أليست هـٰذه من البدع ؟! سبحانك هـٰذا بهتان عظيم !!

هو صلى الله عليه وسلم يحدثنا عنه يوم نجتمع به عند الله سبحانه وتعالىٰ ، نحن ندعو إلىٰ أن يكون حديثنا دائماً عن هـٰذه الحقيقة وأمثالها ، مجرداً عن الغوص في كيفياتها وصورها وأشكالها .

إني أراكم من خلفي :

ومن ذٰلك أيضاً ما يجري بين العلماء من البحث في حقيقة قوله صلى الله عليه وسلم : « إِنِّي أَرَاكُمْ مِنْ خَلْفِي كَمَا أَرَاكُمْ مِنْ أَمَامِي »[1] ، **فمن قائل** : إن الله تعالىٰ يجعل لنبيه صلى الله عليه وسلم عينين من الخلف ، **ومن قائل** : إن الله سبحانه وتعالىٰ يجعل لعينيه الأماميتين قوة نفَّاذة تريان بها ما خلفهما ، **ومن قائل** : إن الله سبحانه وتعالىٰ

---

(١) أخرجه أحمد في « المسند » (٣٧٩/٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وانظر (ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥) .

يعكس له صلى الله عليه وآله وسلم ما خلفه حتىٰ تكون صورته أمامه بين عينيه ، وكل هـٰذا تنطُّع يخرج هـٰذه الحقيقة عن جمالها ورونقها ، ويضعف هيبتها وجلالها في القلوب .

أما كونه صلى الله عليه وسلم يرىٰ من خلفه كما يرىٰ من أمامه . . فهي حقيقة ثابتة أخبر بها بنفسه فيما صح عنه فلا مجال لإنكارها ، **ولـٰكن الذي ندعو إليه ونراه** : هو أن نثبت هـٰذه الحقيقة هـٰكذا مجردة كما وردت دون الدخول في كيفيتها وشكلها ، ويجب علينا أن نعتقد إمكان ذٰلك ، وثمرته : أن نشهد بخارق من الخوارق التي تضمحل عندها الأسباب وتتلاشىٰ ؛ لتظهر قدرة الواحد القهار ، ومنقبة النبي المختار صلى الله عليه وسلم .

جبريل يتمثل رجلاً :

ومن ذٰلك أيضاً اختلاف العلماء في كيفية تشكُّل جبريل عليه السلام إذا جاء بالوحي علىٰ صورة رجل مع هول خلقه .

فمن قائل : إن الله يفني الزائد من خلقه ، **ومن قائل** : إنه ينضم بعضه إلىٰ بعض حتىٰ يصير صغيراً ، **والذي أراه** : أن كل ذٰلك عبث ، وأن البحث فيه تعب لا فائدة منه ، فنحن نعتقد أن الله سبحانه وتعالىٰ قادر علىٰ ذٰلك ، وأن هـٰذا واقع ومشاهد ؛ فقد رآه كثير من الصحابة علىٰ تلك الصورة ، ونحن لا يهمنا معرفة الطريقة التي يتم بها تمثل الملك بصورة رجل ، وندعو إخواننا من طلاب العلم إلىٰ إيراد هـٰذه الحقيقة دون التعرض لما وراءها من خلافات ؛ لتبقىٰ جليلة عظيمة في النفوس .



مفهوم التوسّل

يخطئ كثير من الناس في فهم حقيقة التوسل ؛ ولذا فإننا سنبين مفهوم التوسل الصحيح في نظرنا ، وقبل ذٰلك لا بد أن نبين هٰذه الحقائق :

أولاً : أن التوسل هو أحد طرق الدعاء ، وباب من أبواب التوجه إلى الله سبحانه وتعالىٰ ، فالمقصود الأصلي الحقيقي هو الله سبحانه وتعالىٰ ، والمتوسَّل به إنما هو واسطة ووسيلة للتقرب إلى الله سبحانه وتعالىٰ ، ومن اعتقد غير ذٰلك . . فقد أشرك .

ثانياً : أن المتوسل ما توسل بهٰذه الواسطة إلا لمحبته لها واعتقاده أن الله سبحانه وتعالىٰ يحبها ، ولو ظهر خلاف ذٰلك . . لكان أبعد الناس عنها وأشد الناس كراهة لها .

ثالثاً : أن المتوسل لو اعتقد أن من توسل به إلى الله ينفع ويضر بنفسه مثل الله أو دونه . . فقد أشرك .

رابعاً : أن التوسل ليس أمراً لازماً أو ضرورياً ، وليست الإجابة متوقفة عليه ، بل الأصل دعاء الله تعالىٰ مطلقاً ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾ (١) ، وكما قال تعالىٰ : ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ (٢) .

---

(١) سورة البقرة ، الآية (١٨٦) .

(٢) سورة الإسراء ، الآية (١١٠) .

المتفق عليه من التوسل

لم يختلف أحد من المسلمين في مشروعية التوسل إلى الله سبحانه وتعالىٰ بالأعمال الصالحة ؛ فمن صام أو صلّىٰ أو قرأ القرآن أو تصدق . . فإنه يتوسل بصيامه وصلاته وقراءته وصدقته ، بل هو أرجىٰ في القَبول وأعظم في نيل المطلوب لا يختلف في ذٰلك اثنان .

والدليل علىٰ هٰذا : حديث الثلاثة الذين انطبق عليهم الغار ، فتوسل أحدهم إلى الله ببره لوالديه ، وتوسل الثاني بابتعاده عن الفاحشة بعد تمكنه من أسبابها ، وتوسل الثالث بأمانته وحفظه لمال غيره وأدائه له كاملاً ، ففرج الله عنهم ما هم فيه(١) ، وهٰذا النوع من التوسل قد فصَّله وبين أدلته وحقق مسائله الشيخ ابن تيمية رحمه الله في كتبه وخصوصاً في رسالته « قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة » .

محل الخلاف :

ومحل الخلاف في مسألة التوسل : هو التوسل بغير عمل المتوسل ؛ كالتوسل بالذوات والأشخاص ؛ بأن يقول : اللهم ؛ إني أتوسل إليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم ، أو أتوسل إليك بأبي بكر الصديق ، أو بعمر بن الخطاب ، أو بعثمان ، أو بعلي رضي الله عنهم ، فهٰذا هو الممنوع عند بعضهم .

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢١٥) ، ومسلم (٢٧٤٣/١٠٠) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

ونحن نرىٰ أن الخلاف شكلي وليس بجوهري ؛ لأن التوسل بالذات يرجع في الحقيقة إلىٰ توسل الإنسان بعمله ؛ وهو المتفق علىٰ جوازه ، ولو نظر المانع المتعنِّت في المسألة بعين البصيرة . . لانجلىٰ له الأمر وانحل الإشكال ، وزالت الفتنة التي وقع بسببها من وقع فحكم على المسلمين بالشرك والضلال .

وسأبين كيف أن المتوسِّل بغيره هو في الحقيقة متوسل بعمله المنسوب إليه والذي هو من كسبه **فأقول** :

اعلم : أن من توسل بشخص ما . . فهو لأنه يحبه ؛ إذ يعتقد صلاحه وولايته وفضله تحسيناً للظن به ، أو لأنه يعتقد أن هـٰذا الشخص محب لله سبحانه وتعالىٰ يجاهد في سبيله ، أو لأنه يعتقد أن الله تعالىٰ يحبه كما قال تعالىٰ : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾[1] ، أو لاعتقاد هـٰذه الأمور كلها في الشخص المتوسَّل به .

وإذا تدبرت الأمر . . وجدت أن هـٰذه المحبة وذٰلك الاعتقاد من عمل المتوسل ؛ لأنه اعتقاده الذي انعقد عليه قلبه فهو منسوب إليه ، ومسؤول عنه ومثاب عليه ، وكأنه يقول : يا رب ؛ إني أحب فلاناً وأعتقد أنه يحبك ، وهو مخلص لك ويجاهد في سبيلك ، وأعتقد أنك تحبه وأنت راض عنه ، فأتوسل إليك بمحبتي له وباعتقادي فيه أن تفعل كذا وكذا ، ولـٰكن أكثر المتوسلين يتسامحون في التصريح بهـٰذا الأمر ، مكتفين بعلم من لا تخفىٰ عليه خافية في الأرض ولا في السماء ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .

---

(١) سورة المائدة ، الآية (٥٤) .

فمن قال : اللهم ؛ إني أتوسل إليك بنبيك ، هو ومن قال : اللهم ؛ إني أتوسل إليك بمحبتي لنبيك . . سواء ؛ لأن الأول ما أقدم علىٰ هـٰذا إلا لمحبته وإيمانه بنبيه ، ولولا المحبة له والإيمان به . . ما توسل به ، وهـٰكذا يقال في حق غيره من أولياء الأمة .

وبهـٰذا ظهر أن الخلاف في الحقيقة شكلي ، ولا يقتضي هـٰذا التفرق والعداء بالحكم بالكفر على المتوسلين وإخراجهم عن دائرة الإسلام ، سبحانك هـٰذا بهتان عظيم .



أدلّة ما عليه المسلمون من التوسّل

قال الله تعالىٰ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾[1] ، **والوسيلة** : كل ما جعله الله سبباً في الزلفىٰ عنده ، ووصلة إلىٰ قضاء الحوائج منه ، والمدار فيها علىٰ أن يكون للوسيلة قدر وحرمة عند المتوسَّل إليه .

ولفظ الوسيلة عام في الآية كما ترىٰ ؛ فهو شامل للتوسل بالذوات الفاضلة من الأنبياء والصالحين في الحياة وبعد الممات ، وبالإتيان بالأعمال الصالحة على الوجه المأمور به ، وللتوسل بها بعد وقوعها .

وفيما ستسمع من الأحاديث والآثار ما يجلي لك هـٰذا العموم واضحاً ، فألق السمع وأنت شهيد ؛ لترىٰ أنه قد ثبت التوسل به صلى الله عليه وسلم قبل وجوده ، وبعده في الدنيا ، وبعد موته في مدة البرزخ ، وبعد البعث في عرصات القيامة .



(١) سورة المائدة ، الآية (٣٥) .

توسُّل آدم به ﷺ

وقد جاء في الحديث : أن آدم توسل بالنبي صلى الله عليه وسلم ، قال الحاكم في « المستدرك » : حدَّثنا أبو سعيد عمرو بن محمد بن منصور العدل ، حدَّثنا أبو الحسن محمد بن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي ، حدَّثنا أبو الحارث عبد الله بن مسلم الفِهْري ، حدَّثنا إسماعيل بن مَسْلَمَة ، أنبأنا عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم عن أبيه ، عن جده ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَمَّا ٱقْتَرَفَ آدَمُ ٱلْخَطِيئَةَ . . قَالَ : يَا رَبِّ ؛ أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ لَمَا غَفَرْتَ لِي ، فَقَالَ ٱللهُ : يَا آدَمُ ؛ وَكَيْفَ عَرَفْتَ مُحَمَّداً وَلَمْ أَخْلُقْهُ ؟ قَالَ : يَا رَبِّ ؛ لِأَنَّكَ لَمَّا خَلَقْتَنِي بِيَدِكَ وَنَفَخْتَ فِيَّ مِنْ رُوحِكَ . . رَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ عَلَىٰ قَوَائِمِ ٱلْعَرْشِ مَكْتُوباً : (لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ ٱللهِ) ، فَعَلِمْتُ أَنَّكَ لَمْ تُضِفْ إِلَى ٱسْمِكَ إِلَّا أَحَبَّ ٱلْخَلْقِ إِلَيْكَ ، فَقَالَ ٱللهُ : صَدَقْتَ يَا آدَمُ ؛ إِنَّهُ لَأَحَبُّ ٱلْخَلْقِ إِلَيَّ ، وَإِذْ سَأَلْتَنِي بِحَقِّهِ . . فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ ، وَلَوْلَا مُحَمَّدٌ . . مَا خَلَقْتُكَ » .

أخرجه الحاكم في « المستدرك » وصححه [1] ، ورواه الحافظ

---

(١) قوله : (أخرجه الحاكم وصححه) :
إذ قال الحاكم (٢/٦١٥) : (هـٰذا حديث صحيح الإسناد) ، وقوله : (صحيح الإسناد) . . يفيد تصحيحه له ؛ وذلك من وجوه :

السيوطي في « الخصائص النبوية » وصححه[1] ، ورواه البيهقي في « دلائل النبوة » وهو لا يروي الموضوعات ؛ كما صرح بذلك في مقدمة « كتابه »[2] ، وصححه أيضاً القسطلاني والزرقاني في « شرح المواهب

← **الأول** : أنه ذكره في كتابه « المستدرك » الذي شرط فيه أن يخرج الصحيح ، فكل ما فيه صحيح على شرطه ، وحينئذ يجوز للناقل أن يقول عنه : (صححه الحاكم) .

الثاني : أن المقرر في علم أصول الحديث : هو أن الحافظ المعتمد إذا حكم على السند بالصحة . . فإنه يجوز إطلاق ذلك على المتن وإن كان لا تلازم بين الأمرين .

قال العراقي في « الألفية » (ص ٧٤) ، وهما من الرجز :

والحكم للإسناد بالصّحة أَوْ ... بالحسن دون الحكم للمتن رأَوْا
واقبله إن أطلقه من يعتمدْ ... ولم يعقِّبه بضعفٍ يُنتقدْ

وقال الحافظ السيوطي في « ألفيته » (ص ١٩) ، وهما من الرجز :

والحكم بالصّحة للإسنادِ ... والحُسْن دون المتن للنُّقادِ
لعلَّةٍ أو لشذوذٍ واحكمِ ... للمتن إن أطلق ذو حفظٍ نُمي

وقال في « طلعة الأنوار » (ص ٤) ، والبيت من الرجز :

واقبل لإطلاق لصحَّة السندْ ... أو حسنه إن كان ممَّن يعتمدْ

الثالث : أن العلماء الذين نقلوا الحديث عن الحاكم قالوا : صححه الحاكم ؛ كالقسطلاني والزرقاني والسبكي ، فهي طريقة مستعملة في منهج كثير من المحدثين .

(١) **قوله : (رواه السيوطي في « الخصائص »)** :

ذكر السيوطي الحديث في تفسيره « الدر المنثور » (١٤٢/١) وفي « الخصائص » (٦/١) ، وفي كتابه « الرياض الأنيقة في شرح أسماء خير الخليقة صلى الله عليه وسلم » (ص ٤٩) ، وقال : (أخرجه الحاكم في « المستدرك » (٦١٥/٢) وصححه ، والبيهقي في « دلائل النبوة » (٤٨٩/٥) ، وقال : تفرد به عبد الرحمن ، وهو ضعيف) ، ونقل شاهداً له في « الخصائص » (٧/١) عن ابن عباس ، وقال : (أخرجه الحاكم (٦١٥/٢) وصححه) .

أما قوله في « مناهل الصفا » : (ضعيف) . . أي : من طريق ابن عمر كما صرَّح بذلك بقوله : (رواه عن ابن عمر بسند ضعيف) .

والحاصل : أن الحديث صحيح عنده بشواهده وطرقه .

(٢) **قوله : (رواه البيهقي)** :

وقال بعد روايته له (٤٨٩/٥) : (تفرد به عبد الرحمن بن زيد وهو ضعيف) ، لم ينقل ←

اللدنية »[1] ، والسبكي في « شفاء السقام » ، قال الحافظ الهيثمي : (رواه الطبراني في « الأوسط » و« الصغير » وفيه من لم أعرفهم) .

وجاء من طريق آخر عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ : « فَلَوْلَا مُحَمَّدٌ . . مَا خَلَقْتُ آدَمَ ، وَلَوْلَا مُحَمَّدٌ . . مَا خَلَقْتُ ٱلْجَنَّةَ وَلَا ٱلنَّارَ »[2] .

صاحب « المفاهيم » نص كلامه هٰذا في الأصل من قبل ؛ اكتفاء بالخلاصة التي ذكرها فيما بعد ، وذكر فيها اختلاف الأقوال في درجة الحديث ، فأغنت عن كل قول ، ودفعت ما قد يقع من سوء الظن في النقل .

(١) **قوله : (صححه القسطلاني والزرقاني) :**
صححه القسطلاني في عدة مواطن من كتابه « المواهب » (٥٩٤/٤) ، آخرها في (مبحث زيارة قبره الشريف) ، وبهٰذا ظهر خطأ من زعم أن القسطلاني لم يصححه .
أما الزرقاني . . فقد صححه في كتابه « شرح المواهب » من عدة وجوه ؛ منها : عند قول مالك لأبي جعفر لما سأله عن استقبال القبر حال الدعاء : ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم ؟! قال الزرقاني (٢١٤/١٢) : (رواها القاضي عياض في « الشفا » بإسناد لا بأس به ، بل قيل : إنه صحيح) ، ومقصوده بهٰذا حديث توسل آدم المذكور هنا .
وانظر قول الزرقاني أيضاً معلقاً علىٰ حديث ابن عباس (٨٦/١) ، وهو شاهد قوي صححه الحاكم وأقره السبكي في « شفاء السقام » (ص ٣٥٩) ، والبلقيني في « الفتاوىٰ » (ص ٩٤٥) ، ومثله لا يقال رأياً ، فحكمه الرفع .
وهناك مواطن أخرىٰ شاهدة علىٰ ذٰلك ، وهو رأي الزرقاني أولاً وأخيراً الذي أيَّده في كتبه ودعا إليه .

(٢) أخرجه الحاكم في « مستدركه » (٦١٥/٢) وقال : (صحيح الإسناد) ، وصححه شيخ الإسلام البلقيني في « فتاويه » (ص ٩٤٥) ، وأورده أيضاً ابن الجوزي في « الوفا » (٦٨/١) في أول كتابه ، ونقله ابن كثير في « البداية والنهاية » (١٢٧/١) .
قال المعتني : وانظر في « دلائل النبوة » (٤٨٩/٥) ، و« شفاء السقام » للسبكي (ص ٣٥٧) ، و« المواهب اللدنية » (٨٢/١) و« شرحها » (١١٩/١) ، و« الخصائص الكبرىٰ » (٦/١) ، و« مجمع الزوائد » (١٦٤/١٧) ، و« المعجم الأوسط » (٦٤٩٨) ، و« المعجم الصغير » (٨٣/٢) انتهىٰ .

وقد خالف في ذٰلك بعض العلماء ، فتكلم في درجة الحديث وردَّه وحكم بوضعه ؛ كالذهبي وغيره ، وبعضهم حكم بضعفه ، وبعضهم حكم بنكارته ، وبهٰذا يظهر أنه لم تتفق كلمتهم علىٰ حكم واحد ، وعليه فالمسألة يدور البحث فيها بين الإثبات والنفي ، والرد والقبول والتوقف ؛ بناء على اختلافهم في درجة الحديث[1] ، وهٰذا من ناحية السند وثبوت الحديث ، أما من ناحية المعنىٰ . . فلنترك المجال لشيخ الإسلام ابن تيمية ليحدثنا عنه :

شواهد لحديث توسل آدم عليه السلام

ذكر ابن تيمية حديثين في هٰذا الموضوع ، وأوردهما مستشهداً بهما ، فقال : (روىٰ أبو الفرج ابن الجوزي بسنده إلىٰ ميسرة قال : قلت : يا رسول الله ؛ متىٰ كنتَ نبياً ؟ قال : « لَمَّا خَلَقَ ٱللهُ ٱلْأَرْضَ وَٱسْتَوَىٰ إِلَى ٱلسَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ، وَخَلَقَ ٱلْعَرْشَ . . كَتَبَ عَلَىٰ سَاقِ ٱلْعَرْشِ : مُحَمَّدٌ رَسُولُ ٱللهِ خَاتَمُ ٱلْأَنْبِيَاءِ ، وَخَلَقَ ٱللهُ ٱلْجَنَّةَ ٱلَّتِي أَسْكَنَهَا آدَمُ وَحَوَّاءُ ، فَكَتَبَ ٱسْمِي عَلَى ٱلْأَبْوَابِ وَٱلْأَوْرَاقِ وَٱلْقِبَابِ

---

(١) **قوله : (على اختلافهم في درجة الحديث) :**
هٰذه الخلاصة المفيدة جمعت وشملت البحث من أطرافه ، وأعطت الحكم الصحيح البعيد عن كل هوىً وعصبية ، وقد جانب الحق بعض من كتب في هٰذا الموضوع ، فلم يلتفت لهٰذه الخلاصة التي دلَّت علىٰ إنصاف صاحب « المفاهيم » وأمانته العلمية وبعده عن كل تلبيس وتدليس ؛ إذ بيَّن : أن الحديث مختلف فيه ، وأثبت هٰذا الاختلاف بكل صراحة وإتقان ، وهو بهٰذا يدفع قول الذين راحوا يتكلمون في رجال الحديث وأسانيده ؛ ليوهموا القراء بأن مؤلف « المفاهيم » أهمل كل ذٰلك ليلبِّس ويدلِّس على الناس ، ويصل إلى القول بصحة الحديث باتفاق ، وللمؤلف بحث واسع ودراسة عميقة عن هٰذا الحديث ، فجزاه الله خير الجزاء عن الإسلام وأهله .

وَٱلْخِيَامِ ، وَآدَمُ بَيْنَ ٱلرُّوحِ وَٱلْجَسَدِ ؛ فَلَمَّا أَحْيَاهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ . . نَظَرَ إِلَى ٱلْعَرْشِ فَرَأَى ٱسْمِي ، فَأَخْبَرَهُ ٱللهُ أَنَّهُ سَيِّدُ وَلَدِكَ ؛ فَلَمَّا غَرَّهُمَا ٱلشَّيْطَانُ . . تَابَا وَٱسْتَشْفَعَا بِٱسْمِي إِلَيْهِ »[1] .

وروىٰ أبو نعيم الحافظ في كتاب « دلائل النبوة » ، ومن طريق الشيخ أبي الفرج حدَّثنا سليمان بن أحمد ، حدَّثنا أحمد بن رشدين ، حدَّثنا أحمد بن سعيد الفهري ، حدَّثنا عبد الله بن إسماعيل المدني ، عن عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم عن أبيه ، عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَمَّا أَصَابَ آدَمُ ٱلْخَطِيئَةَ . . رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ : يَا رَبِّ ؛ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ إِلَّا غَفَرْتَ لِي ، فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِ : وَمَا مُحَمَّدٌ وَمَنْ مُحَمَّدٌ ؟ فَقَالَ : يَا رَبِّ ؛ إِنَّكَ لَمَّا أَتْمَمْتَ خَلْقِي . . رَفَعْتُ رَأْسِي إِلَىٰ عَرْشِكَ فَإِذَا عَلَيْهِ مَكْتُوبٌ : (لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ ٱللهِ) ، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ أَكْرَمُ خَلْقِكَ عَلَيْكَ ؛ إِذْ قَرَنْتَ ٱسْمَهُ مَعَ ٱسْمِكَ ، فَقَالَ : نَعَمْ ، قَدْ غَفَرْتُ لَكَ ، وَهُوَ آخِرُ ٱلْأَنْبِيَاءِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ ، وَلَوْلَاهُ . . مَا خَلَقْتُكَ »[2] ، فهٰذا الحديث يؤيد الذي قبله ، وهما كالتفسير للأحاديث الصحيحة)[3] .

قلت : فهٰذا يدل علىٰ أن الحديث عند ابن تيمية صالح للاستشهاد والاعتبار ؛ لأن الموضوع أو الباطل لا يستشهد به عند المحدثين ، وأنت ترىٰ أن الشيخ استشهد به هنا على التفسير[4] .

---

(١) الوفا بأحوال المصطفىٰ (١/٦٧) .

(٢) أخرجه البيهقي في « دلائل النبوة » (٥/٤٨٩) ، وأورده ابن الجوزي في « الوفا » (١/٦٨) ، وعزاه المتقي الهندي في « كنز العمال » (٣٢١٣٨) لأبي نعيم .

(٣) مجموعة الفتاوىٰ (٢/٩٥ ـ ٩٦) .

(٤) قوله : (فالحديث عند ابن تيمية صالح للاستشهاد) : ←

تصحيح ابن تيمية لمعنىٰ هـٰذه الخصوصية

تكلم الشيخ ابن تيمية عن هـٰذه المسألة كلاماً جيداً نفيساً يدل علىٰ عقل وبصيرة واتزان كبير ، فهو وإن كان قد نفىٰ وجود حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في هـٰذا المعنىٰ ـ وهـٰذا حسب علمه في ذٰلك الوقت ـ إلا أنه رجع فأيد المعنىٰ ، وفسره تفسيراً معقولاً ، وأثبت فيه صحة القول ، وهو بهـٰذا يرد رداً واضحاً علىٰ من زعم أن ذٰلك شرك أو كفر ، وعلىٰ من زعم أن المعنىٰ فاسد وباطل ، وعلىٰ من زعم أن فيه قدحاً في مقام التوحيد والتنزيه ، وما هو إلا الهوىٰ والعمىٰ ، وسوء الفهم وضيق العقل ، فالله ينور بصائرنا ويرشدنا إلى الحق والصواب ، وهو الهادي إلىٰ سواء السبيل .

قال الشيخ الإمام ابن تيمية في « الفتاوىٰ » : (ومحمد سيد ولد آدم ،

← يكابر البعض في هـٰذه المسألة وينكر صحة هـٰذا الاستظهار عن ابن تيمية ، ويقول : إن ابن تيمية يقول : بأن الحديث موضوع ـ وهـٰذا قد يكون صحيحاً ـ لـٰكن ابن تيمية هنا في هـٰذا الموطن أورد الحديثين واستشهد بهما ، وفسر بهما الأحاديث الصحيحة ، وأيَّد بهما كلامه وصرح بذٰلك ، فهل يجهل شيخ الإسلام ؛ وهو المحدث المتقن العارف بأصول الحديث : أن الحديث الباطل أو الموضوع لا يجوز الاستشهاد به ، ولا يصلح أن يكون مفسِّراً ولا متابعاً ، ولا شاهداً حتىٰ ولو ساقه بسنده ؟! سبحانك هـٰذا بهتان عظيم !!
وراح بعضهم يلتمس التأويلات الباطلة لهـٰذا الصنيع ، وهي كلها باردة لا يقولها طالب علم منصف .
والحق : أن من استشهد بحديث في أي موطن أو أي مناسبة . . فهو دليل علىٰ أنه صالح لذٰلك ، ويترتب عليه أنه ليس بمنكر ولا واه بمرة ، فإذا قال بوضعه في موطن آخر . . فهو إما تناقض أو تغير في الاجتهاد ؛ فإن كان التناقض . . فيسقط القولان ، وإن كان هو التغير في الاجتهاد . . فليس أحد القولين بأولىٰ من الآخر ؛ إذ لا يعلم المتقدم من المتأخر ، والذي يهمنا هنا : أن ما استظهره المؤلف من كلام ابن تيمية . . صحيح لا غبار عليه ، وما بقي بعد ذٰلك من التناقض . . فليبحث عن جوابه .

وأفضل الخلق وأكرمهم عليه ، ومن هنا قال من قال : إن الله خلق من أجله العالم ، أو أنه لولاه لما خلق عرشاً ولا كرسياً ، ولا سماء ولا أرضاً ، ولا شمساً ولا قمراً ، لٰكن ليس هٰذا حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم لا صحيحاً ولا ضعيفاً ، ولم ينقله أحد من أهل العلم بالحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بل ولا يعرف عن الصحابة ، بل هو كلام لا يدرىٰ قائله ، ويمكن أن يفسر بوجه صحيح ؛ كقوله تعالىٰ : ﴿ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ (١) ، وقوله تعالىٰ : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ۝ وَسَخَّر لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ۝ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴾ (٢) ، وأمثال ذٰلك من الآيات التي يبين فيها أنه خلق المخلوقات لبني آدم ، ومعلوم أن لله فيها حكماً عظيمة غير ذٰلك وأعظم من ذٰلك ، ولٰكن يبين لبني آدم ما فيها من المنفعة ، وما أسبغ عليهم من النعمة .

فإذا قيل : فعل كذا لكذا . . لم يقتض ألا يكون فيه حكمة أخرىٰ ، وكذٰلك قول القائل : لولا كذا ما خلق كذا . . لا يقتضي ألا يكون فيه حكم أخرىٰ عظيمة ، بل يقتضي إذا كان أفضل صالحي بني آدم محمد ، وكانت خلقته غاية مطلوبة ، وحكمة بالغة مقصودة أعظمَ من غيره . . صار تمام الخلق ونهاية الكمال حصل بمحمد صلى الله عليه وسلم) انتهىٰ (٣) .

---

(١) سورة لقمان ، الآية (٢٠) .
(٢) سورة إبراهيم ، الآيات (٣٢ ـ ٣٤) .
(٣) مجموعة الفتاوىٰ (١١/٥٧) .

تحليل مهم لرأي ابن تيمية غاب عن عقول أتباعه

فانظر هداك الله إلىٰ كلام الشيخ ابن تيمية وبعد نظره ، وسعة فهمه في تفسير هٰذه الخصوصية التي انتشرت واشتهرت ، وجاء فيها حديث توسل آدم الذي رواه الحاكم ، والذي صحَّحه من صحَّحه ، وحسَّنه من حسَّنه ، وقبله من قبله ممن تقدم ذكرهم من أئمة الحديث[1] .

وها هو الشيخ ابن تيمية هنا يقول : (إن هٰذا الكلام له وجه صحيح)[2] ، فأين هٰذا القول من قول من أقعد الدنيا وأقامها ، وأخرج القائلين بذٰلك عن دائرة الإسلام ، ووصفهم بالضلال والشرك ، أو بالبدعة والتخريف ، ثم يدَّعي زوراً وبهتاناً أنه سلفي تيمي ، وهو بعيد كل البعد عن ابن تيمية ، وعن السلفية ؟!

وليس هٰذا الصنيع منه في هٰذه المسألة فقط ، بل الملاحظ أنه مع ابن تيمية في كل مسألة إلا فيما فيه تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو تأييد كرامته وعظمته ومكانته ، فإنه يتوقف فيها ويفكر وينظر ، وهنا فقط تظهر عنده حماية مقام التوحيد أو حمية التوحيد ، سبحانك هٰذا بهتان عظيم !!

الشاهد الثالث لحديث توسل آدم

الشاهد الثالث لحديث توسل آدم : هو ما أخرجه ابن المنذر في « تفسيره » عن محمد بن علي بن حسين بن علي عليهم السلام قال : لَمَّا أَصَابَ آدَمُ ٱلْخَطِيئَةَ .. عَظُمَ كَرْبُهُ وَٱشْتَدَّ نَدَمُهُ ، فَجَاءَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ

---

(١) تقدم تخريجه (ص ١٨٣) .

(٢) مجموعة الفتاوىٰ (١١/٥٧) .

ٱلسَّلَامُ فَقَالَ : « يَا آدَمُ ؛ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ بَابِ تَوْبَتِكَ ٱلَّذِي يَتُوبُ ٱللهُ عَلَيْكَ مِنْهُ ؟ قَالَ : بَلَىٰ يَا جِبْرِيلُ ، قَالَ : قُمْ فِي مَقَامِكَ ٱلَّذِي تُنَاجِي فِيهِ رَبَّكَ فَمَجِّدْهُ وَٱمْدَحْ ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَى ٱللهِ مِنَ ٱلْمَدْحِ ، قَالَ : فَأَقُولُ مَاذَا يَا جِبْرِيلُ ؟ قَالَ : فَقُلْ : لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ، يُحْيِي وَيُمِيتُ ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ ، بِيَدِهِ ٱلْخَيْرُ كُلُّهُ ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، ثُمَّ تَبَوَّءْ بِخَطِيئَتِكَ فَتَقُولُ : سُبْحَانَكَ ٱللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، لَا إِلَـٰهَ إِلَّا أَنْتَ ، رَبِّ ؛ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَعَمِلْتُ ٱلسُّوءَ فَٱغْفِرْ لِي ؛ إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ ، ٱللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِجَاهِ مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَكَرَامَتِهِ عَلَيْكَ : أَنْ تَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي ، قَالَ : فَفَعَلَ آدَمُ ، فَقَالَ ٱللهُ : يَا آدَمُ ؛ مَنْ عَلَّمَكَ هَـٰذَا ؟ فَقَالَ : يَا رَبِّ ؛ إِنَّكَ لَمَّا نَفَخْتَ فِيَّ ٱلرُّوحَ ، فَقُمْتُ بَشَراً سَوِيّاً أَسْمَعُ وَأُبْصِرُ وَأَعْقِلُ وَأَنْظُرُ . . رَأَيْتُ عَلَىٰ سَاقِ عَرْشِكَ مَكْتُوباً : بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ، لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ ٱللهِ ، فَلَمَّا لَمْ أَرَ عَلَىٰ أَثَرِ ٱسْمِكَ ٱسْمَ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ ، وَلَا نَبِيٍّ مُرْسَلٍ غَيْرَ ٱسْمِهِ . . عَلِمْتُ أَنَّهُ أَكْرَمُ خَلْقِكَ عَلَيْكَ ، قَالَ : صَدَقْتَ ، وَقَدْ تُبْتُ عَلَيْكَ وَغَفَرْتُ لَكَ خَطِيئَتَكَ »[1] .

الشاهد الرابع لحديث توسل آدم

الشاهد الرابع : ما رواه أبو بكر الآجري في « كتاب الشريعة » قال : أخبرنا هارون بن يوسف بن زياد التاجر ، قال : حدَّثنا أبو مروان العثماني ، قال : حدَّثني أبي عثمان بن خالد ، عن عبد الرحمـٰن بن

(١) أورده السيوطي في « الدر المنثور » (١٤٦/١) وعزاه لابن المنذر ، ومحمد بن علي بن الحسين : هو أبو جعفر الباقر من ثقات التابعين وساداتهم ، خرَّج له الستة ، روىٰ عن جابر وأبي سعيد وابن عمر وغيرهم .

أبي الزناد ، عن أبيه قال : من الكلمات التي تاب الله بها على آدم قال : « ٱللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ عَلَيْكَ ، قَالَ ٱللهُ تَعَالَىٰ : يا آدَمُ ، وَمَا يُدْرِيكَ بِمُحَمَّدٍ ؟ قَالَ : يَا رَبِّ ؛ رَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ مَكْتُوباً عَلَىٰ عرْشِكَ : (لَا إِلَـٰهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ ٱللهِ) ، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ أَكْرَمُ خَلْقِكَ عَلَيْكَ »[1] .

فانضمام هـٰذا الأثر إلىٰ حديث عبد الرحمـٰن بن زيد يفيده قوة كما لا يخفىٰ .

الجنة حرام على الأنبياء حتىٰ يدخلها محمد ﷺ

ومن أمثال هـٰذا التفضل الإلـٰهي علىٰ حضرة النبي صلى الله عليه وسلم ما جاء في الحديث من كون الجنة حراماً على الأنبياء حتىٰ يدخلها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ٱلْجَنَّةُ حُرِّمَتْ عَلَى ٱلْأَنْبِيَاءِ حَتَّىٰ أَدْخُلَهَا ، وَحُرِّمَتْ عَلَى ٱلْأُمَمِ حَتَّىٰ تدْخُلَهَا أُمَّتِي »[2] .

ارتباط الكون باسمه ﷺ

ومن أمثال هـٰذا التفضل الإلـٰهي : ما جاء في الآثار من انتشار اسم محمد في الملأ الأعلىٰ ، قال كعب الأحبار : (إن الله أنزل علىٰ آدم عصياً بعدد الأنبياء والمرسلين ، ثم أقبل على ابنه شيث فقال : أي بُنيَّ ، أنت خليفتي من بعدي ، فخذها بعمارة التقوىٰ والعروة الوثقىٰ ، وكلما

---

(١) الشريعة (٩٥٠) .

(٢) أخرجه الطبراني في « الأوسط » (٩٤٦) ، وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٧٧٥/١٩) : (إسناده حسن) انتهى .

ذكرت الله . . فاذكر إلىٰ جنبه اسم محمد ؛ فإني رأيت اسمه مكتوباً علىٰ ساق العرش وأنا بين الروح والطين ، ثم إني طفت السماوات فلم أر في السماوات موضعاً إلا رأيت اسم محمد مكتوباً عليه ، وإن ربي أسكنني الجنة فلم أر في الجنة قصراً ولا غرفة إلا اسم محمد مكتوباً عليه ، ولقد رأيت اسم محمد مكتوباً علىٰ نحور الحور العين ، وعلىٰ ورق قصب آجام الجنة ، وعلىٰ ورق شجرة طوبىٰ ، وعلىٰ ورق سدرة المنتهىٰ ، وعلىٰ أطراف الحجب ، وبين أعين الملائكة ، فأكثر ذكره ؛ فإن الملائكة تذكره في كل ساعاتها) انتهىٰ[1] .

قلت : وقد ذكر نحو هـٰذا الخبر الشيخ ابن تيمية ، فقال : (وقد روي أن الله كتب اسمه على العرش ، وعلىٰ ما في الجنة من الأبواب والقباب والأوراق ، وروي في ذٰلك عدة آثار توافق هـٰذه الأحاديث الثابتة ، التي تبين التنويه باسمه وإعلاء ذكره حينئذ .

وفي رواية لابن الجوزي عن ميسرة قال : قلت : يا رسول الله ؛ متىٰ كنتَ نبياً ؟ قال : « لَمَّا خَلَقَ ٱللهُ ٱلْأَرْضَ وَٱسْتَوَىٰ إِلَى ٱلسَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ، وَخَلَقَ ٱلْعَرْشَ . . كَتَبَ عَلَىٰ سَاقِ ٱلْعَرْشِ : مُحَمَّدٌ رَسُولُ ٱللهِ خَاتَمُ ٱلْأَنْبِيَاءِ ، وَخَلَقَ ٱللهُ ٱلْجَنَّةَ ٱلَّتِي أَسْكَنَهَا آدَمَ وَحَوَّاءَ ، فَكَتَبَ ٱسْمِي عَلَى ٱلْأَبْوَابِ وَٱلْأَوْرَاقِ وَٱلْقِبَابِ وَٱلْخِيَامِ ، وَآدَمُ بَيْنَ ٱلرُّوحِ وَٱلْجَسَدِ ؛ فَلَمَّا أَحْيَاهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ . . نَظَرَ إِلَى ٱلْعَرْشِ فَرَأَى ٱسْمِي ، فَأَخْبَرَهُ ٱللهُ أَنَّهُ سَيِّدُ وَلَدِكَ ؛ فَلَمَّا غَرَّهُمَا ٱلشَّيْطَانُ . . تَابَا وَٱسْتَشْفَعَا بِٱسْمِي إِلَيْهِ ») انتهىٰ[2] .

---

(١) المواهب اللدنية (٢/٢٦) .

(٢) مجموعة الفتاوىٰ (٢/٩٥) ، الوفا (١/٦٧) .

فوائد مهمة من حديث توسُّل آدم

وفي الحديث : التوسُّل برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يتشرف العالم بوجوده فيه ، وأن المدار في صحة التوسُّل علىٰ أن يكون للمتوسل به القدر الرفيع عند ربه عز وجل ، وأنه لا يشترط كونه حياً في دار الدنيا .

ومنه يعلم أن القول بأن التوسُّل لا يصح بأحد إلا وقت حياته في دار الدنيا . . قول من اتبع هواه بغير هدىً من الله .

حاصل البحث في درجة الحديث

والحاصل : أن هـٰذا الحديث صححه بشواهده ، ونقله جماعة من فحول العلماء وأئمة الحديث وحفَّاظه ، الذين لهم مقامهم المعروف ومكانتهم العالية ، وهم الأمناء على السنة النبوية ؛ فمنهم الحاكم والسيوطي والسبكي والبلقيني[١] .

ونقله البيهقي[٢] في كتابه « دلائل النبوة » الذي شرط فيه ألا يخرج الموضوعات[٣] ، والذي قال فيه الذهبي : (عليك به ؛ فإنه كله هدىً ونور)[٤] .

---

(١) تقدم ذكر الحديث وتخريجه (ص ١٨٣) .

(٢) **قوله : (ونقله البيهقي ، وذكره ابن كثير) :**
انظر كيف قال المؤلف : (ونقله البيهقي في كتابه) ، ولم يقل : صححه ، وهـٰذا غاية الإنصاف ، وكذٰلك قوله : (ذكره ابن كثير في « البداية ») ، أضف إلىٰ ذٰلك قوله فيما بعد عن ابن كثير : (ولم يحكم بوضعها) .
فإن كل من له إلمام بالحديث واشتغال به يعرف معنىٰ هـٰذه الكلمة .

(٣) دلائل النبوة (١/٦٩) .

(٤) أورده الزرقاني في « شرح المواهب اللدنية » (١/١٢٠) .

وذكره ابن كثير في « البداية »[1] ، واستشهد به ابن تيمية في « الفتاوىٰ »[2] ، وكون العلماء اختلفوا فيه فردَّه بعضهم وقبله البعض ليس بغريب ؛ لأن كثيراً من الأحاديث النبوية جرىٰ فيها الخلاف بأكثر من هٰذا ، وانتقدها النقاد بأعظم من هٰذا .

وبسبب ذٰلك ظهرت هٰذه المؤلفات العظيمة ، وفيها الاستدلالات والتعقبات والمراجعات والمؤاخذات ، ولم يصل ذٰلك إلى الرمي بالشرك والكفر والضلال ، والخروج عن دائرة الإيمان لأجل الاختلافات في درجة حديث من الأحاديث ، وهٰذا الحديث من جملة تلك الأحاديث[3] .



---

(١) تقدم تخريجه (ص ١٨٥) .

(٢) تقدم تخريجه (ص ١٨٦) .

(٣) وهنا يتجلىٰ تمام الإنصاف والأمانة حيث بيَّن المؤلف : أن الحديث مختلف فيه ، وهٰذا ما قرَّره مرات في هٰذه الصفحات ؛ فلينتبه .

توسل اليهود به صلى الله عليه وسلم

قال تعالىٰ : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (١) .

قال القرطبي : (قوله تعالىٰ : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ ﴾ يعني : اليهود ﴿ كِتَٰبٌ ﴾ ـ يعني : القرآن ـ ﴿ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ ﴾ ـ نعت لكتاب ، ويجوز في غير القرآن نصبه على الحال ، وكذٰلك هو في مصحف أُبي بالنصب فيما روي ـ ﴿ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ ـ يعني : التوراة والإنجيل يخبرهم بما فيهما ـ ﴿ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ ﴾ ـ أي : يستنصرون ـ والاستفتاح : الاستنصار ، استفتحت : استنصرت ، وفي الحديث : « كان النبي صلى الله عليه وسلم يستفتح بصعاليك المهاجرين » (٢) ؛ أي : يستنصر بدعائهم وصلاتهم ، ومنه : ﴿ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ ﴾ (٣) ، والنصر : فتح شيء مغلق ، فهو يرجع إلىٰ قولهم : فتحت الباب .

وروى النسائي عن أبي سعيد الخدري : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّمَا نَصَرَ ٱللهُ هَـٰذِهِ ٱلْأُمَّةَ بِضُعَفَائِهَا ؛ بِدَعْوَتِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ » (٤) .

---

(١) سورة البقرة ، الآية (٨٩) .

(٢) أخرجه الطبراني في « الكبير » (١/٢٩٢) عن أمية بن خالد رحمه الله تعالىٰ .

(٣) سورة المائدة ، الآية (٥٢) .

(٤) المجتبىٰ (٦/٤٥) .

وروى النسائي أيضاً عن أبي الدرداء قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ٱبْغُونِي ٱلضَّعِيفَ ؛ فَإِنَّكُمْ إِنَّمَا تُرْزَقُونَ وتُنْصَرُونَ بِضُعَفَائِكُمْ »[(١)] .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : « كانت يهود خيبر تقاتل غطفان ؛ فلما التقوا . . هزمت يهود ، فدعت يهود بهـٰذا الدعاء ، وقالوا : إنا نسألك بحق النبي الأمي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزمان إلا أن تنصرنا عليهم ، قال : فكانوا إذا التقوا . . دعوا بهـٰذا الدعاء فهزموا غطفان ؛ فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم . . كفروا ، فأنزل الله تعالىٰ : ﴿ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ . . . ﴾ ـ أي : بك يا محمد . . . ـ إلىٰ قوله[(٢)] : ﴿ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ »)[(٣)] .



(١) المجتبىٰ (٤٦/٦) .
(٢) أخرجه الحاكم في « المستدرك » (٢٦٣/٢) ، والآية من سورة البقرة (٨٩) .
(٣) تفسير القرطبي (٢٦/٢ ـ ٢٧) .

قوله : (قال ابن عباس : كان اليهود يقولون : اللهم ؛ إنا نسألك بحق محمد) :
قول ابن عباس رضي الله عنهما هـٰذا : هو المشهور في كتب التفاسير المعتمدة ، ونقله أئمة التفسير من المحدثين المعتبرين ؛ كابن أبي حاتم (٩٠٥) ، والطبري (٥٣٩/١/١ ـ ٥٤١) ، والبغوي (٩٣/١) ، والآلوسي (٣٢٠/١) ، والشوكاني (٢٣١/١) ، ونقله ابن كثير في « البداية » (١١٢/٣) دون اعتراض .
وهـٰذه الرواية مقبولة في باب التفسير ، وأسباب النزول ، خصوصاً وأنه رواها البيهقي في « الدلائل » (٧٦/٢) ، وهو لا يروي الموضوعات ؛ كما نصَّ علىٰ ذٰلك في المقدمة .

عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه قال : أن رجلاً ضريراً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أُدعُ الله تعالىٰ أن يعافيني ، قال : « إِنْ شِئْتَ أَخَّرْتَ ذَٰلِكَ ، وَإِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ » ، قال : فادعُهُ ، قال : فأمره أن يتوضأ فيحسن الوضوء ويصلي ركعتين ويدعو بهٰذا الدعاء : « ٱللَّهُمَّ ؛ أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيِّ ٱلرَّحْمَةِ ، يَا مُحَمَّدُ ؛ إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فِي حَاجَتِي هَـٰذِهِ فَتَقْضِيَها لِي ، ٱللَّهُمَّ ؛ شَفِّعْهُ فِيَّ وَشَفِّعْنِي فِيهِ »(١) .

قال الحاكم : (هٰذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) ، وقال الذهبي عن الحديث : (إنه صحيح)(٢) .

وقال الترمذي في (أبواب الدعوات) آخر « السنن » : (هٰذا حديث حسن صحيح غريب ، لا نعرفه إلا من هٰذا الوجه من حديث أبي جعفر وهو غير الخُطمي)(٣) .

قلت : والصواب : أن أبا جعفر هو الخطمي المدني ؛ كما جاء مصرحاً به في روايات الطبراني والحاكم والبيهقي(٤) ، وزاد الطبراني

---

(١) أخرجه الحاكم في « المستدرك » (١/٥١٩ ، ٥٢٦) .
(٢) المستدرك وتلخيصه (١/٥١٩) .
(٣) سنن الترمذي (٣٥٧٨) .
(٤) المستدرك (١/٥٢٦) ، المعجم الكبير (٩/٣٠) ، دلائل النبوة (٦/١٦٧) .

في « المعجم الصغير » : (أن اسمه عمير بن يزيد وأنه ثقة)[1] ، قال العلامة المحدث عبد الله بن الصديق الغماري في رسالته « إتحاف الأذكياء » : (وليس من المعقول أن يجمع الحفاظ علىٰ تصحيح حديث في سنده مجهول ؛ خصوصاً الذهبي والمنذري والحافظ)[2] .

قال المنذري : (ورواه أيضاً النسائي وابن ماجه وابن خزيمة في « صحيحه »)[3] .

وليس هـٰذا خاصاً بحياته صلى الله عليه وسلم ، بل قد استعمل بعض الصحابة هـٰذه الصيغة من التوسُّل بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ؛ فقد روى الطبراني هـٰذا الحديث وذكر في أوله قصة وهي : (أن رجلاً كان يختلف إلىٰ عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجة له ، وكان عثمان رضي الله عنه لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته ، فلقي عثمان بن حنيف فشكا ذٰلك إليه ، فقال له عثمان بن حنيف : ائت الميضأة فتوضأ ، ثم ائت المسجد فصل فيه ركعتين ثم قل : اللهم ؛ إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة ، يا محمد ؛ إني أتوجه بك إلىٰ ربي فيقضي لي حاجتي ، وتذكر حاجتك . . .

فانطلق الرجل فصنع ما قال له ، ثم أتىٰ باب عثمان ، فجاء البواب حتىٰ أخذ بيده فأدخله علىٰ عثمان بن عفان ، فأجلسه معه على الطنفسة[4]

---

(١) المعجم الصغير (١/١٨٣ ـ ١٨٤) .

(٢) إتحاف الأذكياء (ص ٢٢) .

(٣) الترغيب والترهيب (١/٥٣٥) ، صحيح ابن خزيمة (١٢١٩) ، السنن الكبرىٰ (١٠٤٢١) ، سنن ابن ماجه (١٤٦٦) .

(٤) **الطنفسة** : مثلثة الطاء والفاء أيضاً ، وقد تفتح الطاء ، وتكسر الفاء ، اسم للبساط ، وتطلق علىٰ حصير من سَعفٍ يكون عرضه ذراعاً .

وقال : حاجتك ؟ فذكر حاجته فقضاها له ، وقال : ما ذكرت حاجتك حتىٰ كانت هٰذه الساعة ، وقال : ما كانت لك من حاجة فأتنا ، ثم إن الرجل خرج من عنده . . فلقي عثمان بن حنيف فقال له : جزاك الله خيراً ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إليَّ حتىٰ كلمته فيَّ ، فقال عثمان بن حنيف : والله ؛ ما كلمته ، ولٰكن شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتاه رجل ضرير فشكا إليه ذهاب بصره ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « أَوَتَصْبِرُ ؟ » فقال : يا رسول الله ؛ ليس لي قائد ، وقد شقَّ عليَّ ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « ٱئْتِ ٱلْمِيضَأَةَ فَتَوَضَّأْ ثُمَّ صَلِّ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ ٱدْعُ بِهَٰذِهِ ٱلدَّعَوَاتِ » فقال عثمان بن حنيف : فوالله ؛ ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتىٰ دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضر قط) .

قال المنذري : (رواه الطبراني ، وقال بعد ذكر طرقه : والحديث صحيح)[1] .

وقال الشيخ ابن تيمية : (قال الطبراني : « روىٰ هٰذا الحديث شعبة عن أبي جعفر ، واسمه عمير بن يزيد وهو ثقة ، تفرد به عثمان بن عمر عن شعبة » ، قال أبو عبد الله المقدسي : « والحديث صحيح » .

قلت : ـ قال الشيخ ابن تيمية ـ : والطبراني ذكر تفرده بمبلغ علمه ولم تبلغه رواية روح بن عبادة عن شعبة ، وذٰلك إسناد صحيح ، يبين أنه لم ينفرد به عثمان بن عمر) انتهىٰ[2] .

وبهٰذا ظهر : أن هٰذه القصة صححها الحافظ الطبراني ، والحافظ

---

(١) الترغيب والترهيب (١/٥٣٥ ـ ٥٣٦) ، المعجم الكبير (٩/٣٠) .

(٢) مجموعة الفتاوىٰ (١/١٩٥) .

أبو عبد الله المقدسي ، ونقل ذٰلك التصحيح : الحافظ المنذري ، والحافظ نور الدين الهيثمي ، والشيخ ابن تيمية [(١)] .

وحاصل القصة : أن عثمان بن حنيف الراوي للحديث المشاهد للقصة علم من شكا إليه إبطاء الخليفة عن قضاء حاجته هٰذا الدعاء ، الذي فيه التوسُّل بالنبي صلى الله عليه وسلم والنداء له مستغيثاً به بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ، ولما ظن الرجل أن حاجته قضيت بسبب كلام عثمان مع الخليفة . . بادر ابن حنيف بنفي ذٰلك الظن وحدثه بالحديث الذي سمعه وشهده ؛ ليثبت له أن حاجته إنما قضيت بتوسله به صلى الله عليه وسلم وندائه له واستغاثته به ، وأكد ذٰلك له بالحلف أنه ما كلم الخليفة في شأنه .

استعمال آخر وتأييد ابن تيمية له

روى ابن أبي الدنيا في كتاب « مجابي الدعاء » قال : (حدَّثنا أبو هاشم ، سمعت كثير بن محمد بن كثير بن رفاعة يقول : جاء رجل

---

(١) قوله : (صححها الطبراني) :

قال الحافظ المنذري في « الترغيب والترهيب » (١٠٠٨) : (قال الطبراني [في « المعجم الصغير » (١/١٨٤)] بعد ذكر طرقه : والحديث صحيح) .

وقول الطبراني هٰذا يدل دلالة واضحة علىٰ تصحيحه للحديث من جميع طرقه التي وردت ، ومنها طريق القصة فهو صحيح عنده غير متكلم فيه ، والراوي للحديث وللقصة واحد ، وهو عثمان بن حنيف ، وصحح الحاكم القصة أيضاً ، فقال (١/٥٢٥) : (تابعه شبيب بن سعيد ، عن روح بن القاسم بزيادات في المتن والإسناد ، والقول فيه قول شبيب ، فإنه ثقة مأمون) .

قلت : ولم يعترض علىٰ هٰذا الذهبي بشيء فهو إقرار منه بذٰلك .

هٰذا ؛ وقد صنف بعض أهل العلم رسالة خاصة في هٰذا الحديث وجمع طرقه سماها : « المنار المنيف في حديث عثمان بن حنيف » .

إلىٰ عبد الملك بن سعيد بن حيان بن أبجر فجسَّ بطنه فقال : بك داء لا يبرأ ، قال : ما هو ؟ قال : الدُّبَيْلَة ـ وهي خرَّاج ودمل كبير يظهر في الجوف فيقتل صاحبها غالباً ـ قال : فتحول الرجل فقال : الله الله ، الله ربي لا أشرك به شيئاً ، اللهم ؛ إني أتوجه إليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم نبيِّ الرحمة يا محمد ؛ إني أتوجه بك إلىٰ ربك وربِّي يرحمني ممَّا بي ، قال : فجسَّ بطنه فقال : قد برئت ، ما بك علَّة)[1] .

قال الشيخ ابن تيمية : (قلت : فهٰذا الدعاء ونحوه قد روي أنه دعا به السَّلف) انتهىٰ[2] .

ومعلوم أن ابن تيمية أورد هٰذا الخبر ؛ ليبين به مقصوده ويوجهه كما يريد ، ولٰكن الذي يهمنا هنا : هو أنه أثبت استعمال السلف لذٰلك وحصول الشفاء به ، وهٰذا القدر من المسألة هو الذي يهمنا ، أما تعليقه عليه . . فهٰذا رأيه هو ، ونحن لا يهمنا إلا ثبوت النصِّ فقط لنستدلَّ به علىٰ ما نريد ، وهو له أن يستدلَّ به كما يريد .

محاولات يائسة

وقد طنطن ودندن بعضهم حول حديث توسل آدم وحديث عثمان بن حنيف وغيرهما ، وبذل جهده في ردِّها بكل ما أوتي من قوة ، وحاول وحاور وجادل ، وقام وقعد ، وأرغىٰ وأزبد في هٰذا الموضوع ، وكل ذٰلك لا فائدة منه ؛ لأنه مهما حاول ردَّ الأحاديث الواردة في هٰذا الباب . . فقد قال ساداته من العلماء الكبار كلمتهم وهم أوفر منه عقلاً وأوسع علماً

(١) مجابو الدعوة (١٢٧) .
(٢) مجموعة الفتاوىٰ (١/١٨٨) .

وأطول باعاً وأعمق فهماً وأكثر نوراً وتقوىً وإخلاصاً ؛ مثل الإمام أحمد ابن حنبل ، وهو يقول بالتوسُّل كما نقله عنه ابن تيمية[1] ، والعز بن عبد السلام ، وابن تيمية نفسه في قول له بالتوسُّل بالنبي صلى الله عليه وسلم خاصة[2] ، ثم نهاية المطاف عند الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي أنكر علىٰ من نسب القول إليه بتكفير المتوسلين ، بل وصرح في « فتاويه » بأن التوسُّل من الفروع ، لا من الأصول[3] ، وكل ذلك سيأتي مفصلاً إن شاء الله في هٰذا الكتاب .

هٰذا ؛ وقد صنَّف الشيخ العلامة المحدث عبد الله الغماري رسالة خاصة في الكلام عن هٰذا الحديث سماها : « مصباح الزجاجة في فوائد صلاة الحاجة » ، أجاد فيها وأفاد ، وأتىٰ بما يشفي ويكفي ويغني ، جزاه الله خير الجزاء .



(١) مجموعة الفتاوىٰ (١٨٨/١) .

(٢) مجموعة الفتاوىٰ (١٨٨/١) .

(٣) فتاوىٰ محمد بن عبد الوهاب (ص ٦٨) .

التوسل به صلى الله عليه وسلم في عرصات يوم القيامة

أما التوسُّل به في عرصات يوم القيامة . . فلا حاجة للإطالة فيه ؛ فإن أحاديث الشفاعة بلغت مبلغ التواتر ، وكل ذٰلك فيه النصوص الصريحة التي تفيد أن أهل الموقف إذا طال عليهم الوقوف واشتد الكرب . . استغاثوا في تفريج كربتهم بالأنبياء ، فيستغيثون بآدم ثم بنوح ، ثم بإبراهيم ثم بموسىٰ ثم بعيسىٰ ، فيحيلهم علىٰ سيد المرسلين ؛ حتىٰ إذا استغاثوا به صلى الله عليه وسلم . . سارع إلىٰ إغاثتهم وأسعف طلبتهم ، وقال : « أَنَا لَهَا ، أَنَا لَهَا » ، ثم يخرُّ ساجداً ، ولا يزال كذٰلك حتىٰ ينادى : (ٱرْفَعْ رَأْسَكَ ، وَٱشْفَعْ تُشَفَّعْ)[1] .

فهٰذا إجماع من الأنبياء والمرسلين وسائر المؤمنين ، وتقرير من رب العالمين : بأن الاستغاثة عند الشدائد بأكابر المقربين من أعظم مفاتيح الفرج ، ومن موجبات رضا رب العالمين .



(١) أخرجه البخاري (٧٥١٠) ، ومسلم (١٩٣/٣٢٦) عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، وبلفظه في « مسند أبي داوود الطيالسي » (٢٧١١) عن ابن عباس رضي الله عنهما .

يقول الشيخ ابن تيمية في كتابه « قاعدة جليلة في التوسُّل والوسيلة » عند الكلام على قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾(١) : (فابتغاء الوسيلة إلى الله سبحانه وتعالى إنما يكون لمن توسل إلى الله بالإيمان بمحمد واتباعه ، وهٰذا التوسُّل بالإيمان به وبطاعته فرض على كل أحد في كل حال ، باطناً وظاهراً ، في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد موته ، في مشهده ومغيبه ، لا يسقط التوسُّل بالإيمان به وبطاعته عن أحد من الخلق في حال من الأحوال بعد قيام الحجة عليه ، ولا بعذر من الأعذار ، ولا طريق إلى كرامة الله ورحمته والنجاة من هوانه وعذابه إلا التوسُّل بالإيمان به وبطاعته .

وهو صلى الله عليه وسلم شفيع الخلائق ، صاحب المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون ، فهو أعظم الشفعاء قدراً وأعلاهم جاهاً عند الله ، وقد قال تعالى عن موسى : ﴿ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ﴾(٢) ، وقال عن المسيح : ﴿ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ ﴾(٣) ، ومحمد صلى الله عليه وسلم أعظم جاهاً من جميع الأنبياء والمرسلين ، ولٰكن شفاعته ودعاءه إنما ينتفع بهما من شفع له الرسول ودعا له ؛ فمن دعا له الرسول وشفع له . . توسل إلى الله بشفاعته ودعائه ؛ كما كان أصحابه يتوسلون

---

(١) سورة المائدة ، الآية (٣٥) .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية (٦٩) .

(٣) سورة آل عمران ، الآية (٤٥) .

إلى الله بدعائه وشفاعته ، وكما يتوسل الناس يوم القيامة إلى الله تعالىٰ بدعائه وشفاعته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم تسليماً)[1] .

وفي « الفتاوى الكبرىٰ » : سئل شيخ الإسلام رحمه الله : هل يجوز التوسُّل بالنبي صلى الله عليه وسلم أم لا ؟ فأجاب : (الحمد لله ؛ أما التوسُّل بالإيمان به ومحبته وطاعته ، والصلاة والسلام عليه ، وبدعائه وشفاعته ، ونحو ذٰلك مما هو من أفعاله وأفعال العباد المأمور بها في حقه . . فهو مشروع باتفاق المسلمين)[2] .

قلت : فيستفاد من كلام الشيخ ابن تيمية أمران :

الأول : أن المسلم المطيع المحب لرسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم المتبع له المصدق بشفاعته يشرع له أن يتوسل بطاعته ومحبته وتصديقه ذٰلك .

وإننا إذا توسلنا بالنبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم . . فالله يشهد أننا إنما نتوسل بالإيمان به وبمحبته وبفضله وشرفه ، فهٰذا هو المقصود الأصلي من التوسل ، ولا يتصور أن يتوسل أحد بالنبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لغير هٰذا المعنىٰ ، ولا يمكن أن يكون سوىٰ ذٰلك من جميع المسلمين المتوسلين ؛ غير أن المتوسل قد يصرح به وقد لا يصرح ؛ اعتماداً على المقصود الأصلي من التوسُّل : الذي هو الإيمان بالنبي ومحبته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لا غير .

الثاني : مما يستفاد من كلام الشيخ ابن تيمية : أن من دعا له الرسول

---

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص ١ ـ ٢) .

(٢) مجموعة الفتاوىٰ (١/١٠٧) .

صلى الله عليه وسلم . . صح له أن يتوسل إلى الله بدعائه صلى الله عليه وسلم له ، وقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم قد دعا لأمته ؛ كما ثبت ذلك في أحاديث كثيرة :

منها : عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : لما رأيت من النبي صلى الله عليه وسلم طيب نفس . . قلت : يا رسول الله ؛ ادع الله لي ، فقال : « ٱللَّهُمَّ ؛ ٱغْفِرْ لِعَائِشَةَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهَا وَمَا تَأَخَّرَ ، وَمَا أَسَرَّتْ وَمَا أَعْلَنَتْ » فضحكت عائشة حتىٰ سقط رأسها في حِجْرها من الضحك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَيَسُرُّكُ دُعَائِي ؟ » فقالت : وما لي لا يسرُّني دعاؤك ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « وَٱللهِ ؛ إِنَّهَا لَدَعْوَتِي لِأُمَّتِي فِي كُلِّ صَلَاةٍ »(١) .

لذا ؛ فإنه يصح لكل مسلم أن يتوسل إلى الله سبحانه وتعالىٰ بذلك فيقول : اللهم ؛ إن نبيك محمداً صلى الله عليه وسلم قد دعا لأمته وأنا من أفراد هـٰذه الأمة ، فأتوسل إليك بهـٰذا الدعاء أن تغفر لي وأن ترحمني . . . إلىٰ آخر ما يريد .

فإذا قال ذلك . . لم يخرج عن الأمر المتفق عليه بين علماء المسلمين كافة ، فإن قال : اللهم ؛ إني أتوسل إليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم . . فقد فاته التصريح بما ينويه ، وبيان ما ينعقد عليه قلبه ؛ وهو مقصود كل مسلم ، ومراده لا يخرج عن هـٰذا الحد ؛ لأن المتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم لا يقصد بذلك إلا تلك المعاني المتعلقة بذاته صلى الله عليه وسلم ؛ من محبة وقربة ، وجاه ورتبة ، وفضل ودعاء

---

(١) أخرجه البزار ورجاله رجال الصحيح ؛ غير أحمد بن منصور الرمادي وهو ثقة ؛ كذا في « مجمع الزوائد » (٦٩٨/١٨) .

وشفاعة ؛ خصوصاً وأنه صلى الله عليه وسلم في برزخه يسمع الصلاة والسلام ويردُّ علىٰ ذٰلك بما يليق ويناسب من سلام واستغفار ؛ لما قد جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم : « حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُحْدِثُونَ وَيُحْدَثُ لَكُمْ ، وَوَفَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ ؛ فَمَا رَأَيْتُ مِنْ خَيْرٍ . . حَمِدْتُ ٱللهَ عَلَيْهِ ، وَمَا رَأَيْتُ مِنْ شَرٍّ . . ٱسْتَغْفَرْتُ ٱللهَ لَكُمْ »[1] .

وهٰذا صريح بأنه صلى الله عليه وسلم يستغفر للأمة في برزخه ، والاستغفار دعاء والأمة تنتفع بذٰلك .

وجاء في الحديث : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّم عَلَيَّ . . إِلَّا رَدَّ ٱللهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّىٰ أَرُدَّ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامَ »[2] .

فهٰذا صريح بأن النبي صلى الله عليه وسلم يردُّ السلام على المسلِّم ، والسلام هو الأمان ، فهو دعاء بالأمان للمسلِّم وهو ينتفع بذٰلك .



(١) أخرجه الحافظ إسماعيل القاضي في « جزء الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم » (٢٤) ، وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٤٢٥/١٧) وصححه بقوله : (رواه البزار ورجاله رجال الصحيح) كما سيأتي .

(٢) أخرجه أبو داوود في « السنن » (٢٠٣٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وقال النووي في « الأذكار » (٣٤٦) : (إسناده صحيح) انتهىٰ .

مشروعية التوسل بالنبي ﷺ خاصة عند الإمام أحمد ابن حنبل وابن تيمية

على أن الشيخ ابن تيمية في بعض المواضع من كتبه : أثبت جواز التوسُّل بالنبي صلى الله عليه وسلم دون تفريق أو تفصيل بين حياته وموته ، وحضوره وغيابه ، ونقل عن الإمام أحمد والعز بن عبد السلام جواز ذلك في « الفتاوى الكبرى »(١) .

قال الشيخ : (وكذلك مما يشرع التوسُّل به صلى الله عليه وسلم في الدعاء ؛ كما في الحديث الذي رواه الترمذي وصححه : أن النبي صلى الله عليه وسلم علَّم شخصاً أن يقول : « ٱللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيِّ ٱلرَّحْمَةِ ، يَا مُحَمَّدُ ؛ يَا رَسُولَ ٱللهِ ؛ إِنِّي أَتَوَسَّلُ بِكَ إِلَىٰ رَبِّي فِي حَاجَتِي لِيَقْضِيَهَا ، ٱللَّهُمَّ ؛ فَشَفِّعْهُ فِيَّ » ، فهٰذا التوسُّل به حسن) انتهىٰ(٢) .

وقال أيضاً : (والتوسُّل إلى الله بغير نبينا صلى الله عليه وسلم ـ سواء سُمي استغاثة أو لم يسم ـ لا نعلم أحداً من السلف فعله ، ولا روىٰ فيه آثاراً ، ولا نعلم فيه إلا ما أفتىٰ به الشيخ ـ يعني : الشيخ عز الدين بن عبد السلام ـ من المنع ، وأما التوسُّل بالنبي صلى الله عليه وسلم . . ففيه حديث في « السنن » ، رواه النسائي والترمذي وغيرهما :

---

(١) مجموعة الفتاوىٰ (١/٧٩ ، ١٨٨) .

(٢) مجموعة الفتاوىٰ (٣/١٧٢) ، سنن الترمذي (٣٥٧٨) .

أن أعرابياً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ؛ إني أُصبت في بصري فادع الله لي ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « تَوَضَّأْ وَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ قُلِ : ٱللَّهُمَّ ؛ أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ ، يَا مُحَمَّدُ ؛ إِنِّي أَتَشَفَّعُ بِكَ فِي رَدِّ بَصَرِي ، ٱللَّهُمَّ ؛ شَفِّعْ نَبِيَّكَ فِيَّ ، وَقَالَ : فَإِنْ كَانَتْ لَكَ حَاجَةٌ . . فَمِثْلُ ذَٰلِكَ » فردَّ الله بصره ، فلأجل هـٰذا الحديث استثنى الشيخ التوسُّل به) انتهىٰ[١] .

وقال الشيخ ابن تيمية أيضاً في موضع آخر : (ولـذٰلك قال أحمد في « منسكه » الذي كتبه للمروزي صاحبه : إنه يتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم في دعائه ، ولـٰكن غير أحمد قال : إن هـٰذا إقسام على الله به ، ولا يقسم على الله بمخلوق ، وأحمد في إحدى الروايتين قد جوَّز القسم به ، فلذٰلك جوَّز التوسُّل به)[٢] .



(١) مجموعة الفتاوىٰ (١/٨٠) ، سنن الترمذي (٣٥٧٨) ، السنن الكبرىٰ (١٠٤٢١) .
(٢) مجموعة الفتاوىٰ (١/١٠٧) .

جواز التوسّل عند الإمام الشّوكانيّ

قال الإمام المحدِّث السلفي الشيخ محمد بن علي الشوكاني في رسالته « الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد » : (أما التوسُّل إلى الله سبحانه وتعالىٰ بأحد من خلقه في مطلب يطلبه العبد من ربه . . فقد قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : « إنه لا يجوز التوسُّل إلى الله تعالىٰ إلا بالنبي صلى الله عليه وسلم إن صح الحديث فيه »[(١)] .

ولعله يشير إلى الحديث الذي أخرجه النسائي في « سننه » ، والترمذي في « صحيحه » ، وابن ماجه وغيرهم : أن أعمىٰ أتىٰ إلى النبي صلى الله عليه وسلم . . . فذكر الحديث[(٢)] ، قال : وللناس في معنىٰ هٰذا قولان : **أحدهما** : أن التوسُّل هو الذي ذكره عمر بن الخطاب لما قال : « كنا إذا أجدبنا . . نتوسل بنبينا إليك فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا » وهو في « صحيح البخاري » وغيره[(٣)] ؛ فقد ذكر عمر رضي الله عنه أنهم كانوا يتوسلون بالنبي صلى الله عليه وسلم في حياته في الاستسقاء ، ثم توسل بعمه العباس بعد موته ، وتوسلهم هو استسقاؤهم بحيث يدعو ويدعون معه ، فيكون هو وسيلتهم إلى الله تعالىٰ ، والنبي صلى الله عليه وسلم كان في مثل هٰذا شافعاً وداعياً لهم .

---

(١) الفتاوى المصرية (ص ٢٢) .

(٢) سنن الترمذي (٣٥٧٨) ، السنن الكبرىٰ (١٠٤٢١) ، سنن ابن ماجه (١٤٦٦) .

(٣) صحيح البخاري (١٠١٠) .

والقول الثاني : أن التوسُّل به صلى الله عليه وسلم يكون في حياته وبعد موته وفي حضرته ومغيبه ، ولا يخفىٰ عليك أنه قد ثبت التوسُّل به صلى الله عليه وسلم في حياته ، وثبت التوسُّل بغيره بعد موته بإجماع الصحابة إجماعاً سكوتياً ؛ لعدم إنكار أحد منهم علىٰ عمر رضي الله عنه في توسله بالعباس رضي الله عنه ، وعندي أنه لا وجه لتخصيص جواز التوسُّل بالنبي صلى الله عليه وسلم ؛ كما زعمه الشيخ عز الدين بن عبد السلام لأمرين :

الأول : ما عرَّفناك به من إجماع الصحابة رضي الله تعالىٰ عنهم .

والثاني : أن التوسُّل إلى الله بأهل الفضل والعلم هو في التحقيق توسل بأعمالهم الصالحة ، ومزاياهم الفاضلة ؛ إذ لا يكون الفاضل فاضلاً إلا بأعماله .

فإذا قال القائل : اللهم ؛ إني أتوسل إليك بالعالم الفلاني . . فهو باعتبار ما قام به من العلم ، وقد ثبت في « الصحيحين » وغيرهما : أن النبي صلى الله عليه وسلم حكىٰ عن الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة : أن كل واحد منهم توسل إلى الله بأعظم عمل عمله فارتفعت الصخرة [1] ، فلو كان التوسُّل بالأعمال الفاضلة غير جائز ، أو كان شركاً كما زعمه المتشددون في هٰذا الباب ؛ كابن عبد السلام ، ومن قال بقوله من أتباعه . . لم تحصل الإجابة من الله لهم ، ولا سكت النبي صلى الله عليه وسلم عن إنكار ما فعلوه بعد حكايته عنهم .

---

(١) صحيح البخاري (٣٤٦٥) ، صحيح مسلم (٢٧٤٣/١٠٠) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

وبهٰذا تعلم : أن ما يورده المانعون من التوسُّل بالأنبياء والصلحاء من نحو قوله تعالىٰ : ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ (١) ، ونحو قوله تعالىٰ : ﴿ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ﴾ (٢) ، ونحو قوله تعالىٰ : ﴿ لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۚ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ ﴾ (٣) . . ليس بوارد ، بل هو من الاستدلال علىٰ محل النزاع بما هو أجنبي عنه .

فإن قولهم : ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ . . مصرح بأنهم عبدوهم لذٰلك ، والمتوسل بالعالم مثلاً لم يعبده ، بل علم أن له مزية عند الله بحمله العلم فتوسل به لذٰلك .

وكذٰلك قوله تعالىٰ : ﴿ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ﴾ فإنه نهىٰ عن أن يُدعىٰ مع الله غيره ، كأن يقول : يا ألله ويا فلان ، والمتوسل بالعالم مثلاً لم يدع إلا الله ، وإنما وقع منه التوسُّل إليه بعمل صالح عمله بعض عباده ؛ كما توسل الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة بصالح أعمالهم .

وكذٰلك قوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ . . . ﴾ الآية ، فإن هٰؤلاء دعوا من لا يستجيب لهم ، ولم يدعوا ربهم الذي يستجيب لهم ، والمتوسِّل بالعالم مثلاً لم يدع إلا الله ، ولم يدع غيره دونه ، ولا دعا غيره معه .

فإذا عرفت هٰذا . . لم يخف عليك دفع ما يورده المانعون للتوسل من الأدلة الخارجة عن محل النزاع خروجاً زائداً علىٰ ما ذكرناه ؛ كاستدلالهم بقوله تعالىٰ : ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۞ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ

---

(١) سورة الزمر ، الآية (٣) .

(٢) سورة الجن ، الآية (١٨) .

(٣) سورة الرعد ، الآية (١٤) .

ٱلدِّينِ ۝ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ﴾[1] ، فإن هـٰذه الآيات الشريفة ليس فيها دلالة إلا أنه تعالىٰ هو المنفرد بالأمر في يوم الدين ، وأنه ليس لغيره من الأمر شيء .

والمتوسل بنبي من الأنبياء أو عالم من العلماء هو لا يعتقد أن لمن توسل به مشاركة لله جل جلاله في أمر يوم الدين ، ومن اعتقد هـٰذا لعبد من العباد ، سواء كان نبياً أو غير نبي . . فهو في ضلال مبين .

وهـٰكذا الاستدلال علىٰ منع التوسُّل بقوله : ﴿ لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ ﴾[2] ، ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا ﴾[3] ؛ فإن هاتين الآيتين مصرحتان بأنه ليس لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أمر الله شيء ، وأنه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ، فكيف يملك لغيره ؟!

وليس فيهما منع التوسُّل به ، أو بغيره من الأنبياء أو الأولياء أو العلماء ، وقد جعل الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم المقام المحمود مقام الشفاعة العظمىٰ ، وأرشد الخلق إلىٰ أن يسألوه ذٰلك ويطلبوه منه ، وقال له : « سَلْ تُعْطَهْ ، وَٱشْفَعْ تُشَفَّعْ »[4] ، وقيد ذٰلك في كتابه العزيز بأن الشفاعة لا تكون إلا بإذنه ، ولا تكون إلا لمن ارتضىٰ .

وهـٰكذا الاستدلال علىٰ منع التوسُّل بقوله صلى الله عليه وسلم لما نزل قوله تعالىٰ : ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾[5] : « يَا فُلَانُ بْنَ فُلَانٍ ؛

---

(١) سورة الانفطار ، الآيات (١٧ ـ ١٩) .

(٢) سورة آل عمران ، الآية (١٢٨) .

(٣) سورة الأعراف ، الآية (١٨٨) .

(٤) تقدم تخريجه (ص ١٥٤) .

(٥) سورة الشعراء ، الآية (٢١٤) .

لَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللهِ شَيْئاً ، يَا فُلَانَةُ بِنْتَ فُلَانٍ ؛ لَا أَمْلِكُ لَكِ مِنَ ٱللهِ شَيْئاً »[1] ، فإن هـٰذا ليس فيه إلا التصريح بأنه صلى الله عليه وسلم لا يستطيع نفع من أراد الله ضرَّه ولا ضرَّ من أراد الله تعالىٰ نفعه ، وأنه لا يملك لأحد من قرابته فضلاً عن غيرهم شيئاً من الله ، وهـٰذا معلوم لكل مسلم ، وليس فيه أنه لا يتوسل به إلى الله فإن ذٰلك هو طلب الأمر ممن له الأمر والنهي ، وإنما أراد الطالب أن يقدم بين يدي طلبه ما يكون سبباً للإجابة ممن هو المنفرد بالعطاء والمنع ؛ وهو مالك يوم الدين) انتهىٰ كلام الشوكاني[2] .



---

(١) بنحوه أخرجه البخاري (٢٧٥٣ ، ٤٧٧١) ، ومسلم (٣٥١/٢٠٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (ص ١٨ ـ ٢٤) .

الشيخ محمد بن عبد الوهاب يقول بجواز التوسل

سئل الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن قولهم في الاستسقاء : لا بأس بالتوسُّل بالصالحين ، وقول أحمد : (يتوسَّل بالنبي صلى الله عليه وسلم خاصة) مع قولهم : إنه لا يستغاث بمخلوق ؟

فقال : (فالفرق ظاهر جداً ، وليس الكلام مما نحن فيه ، فكون بعض يرخص بالتوسُّل بالصالحين ، وبعضهم يخصه بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وأكثر العلماء ينهىٰ عن ذٰلك ويكرهه ، فهٰذه المسألة من مسائل الفقه ، وإن كان الصواب عندنا قول الجمهور من أنه مكروه فلا ننكر علىٰ من فعله ، ولا إنكار في مسائل الاجتهاد ، ولٰكن إنكارنا علىٰ من دعا لمخلوق أعظم مما يدعو الله تعالىٰ ويقصد القبر يتضرع عند ضريح الشيخ عبد القادر أو غيره يطلب فيه تفريج الكربات ، وإغاثة اللهفات ، وإعطاء الرغبات ، فأين هٰذا ممن يدعو الله مخلصاً له الدين لا يدعو مع الله أحداً ، ولٰكن يقول في دعائه : أسألك بنبيك أو بالمرسلين أو بعبادك الصالحين ، أو يقصد قبر معروف أو غيره يدعو عنده ، لٰكن لا يدعو إلا الله مخلصاً له الدين ، فأين هٰذا مما نحن فيه ؟!)[١] .

وهٰذا يدل علىٰ جواز التوسُّل عنده غاية ما يرىٰ أنه مكروه في رأيه عند الجمهور ، والمكروه ليس بحرام فضلاً عن أن يكون بدعة أو شركاً .

(١) فتاوى الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب (ص ٦٨) في مجموعة المؤلفات (القسم الثالث) التي نشرتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب سنة (١٤٠٠ هـ) .

وقد جاء عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب في رسالته الموجهة لأهل القصيم الاستنكار الشديد علىٰ من نسب إليه تكفير المتوسِّل بالصالحين ، وقال : (إن سليمان بن سحيم افترىٰ عليَّ أموراً لم أقلها ، ولم يأت أكثرها علىٰ بالي ؛ فمنها : أني أكفر من توسَّل بالصالحين ، وأني أكفر البوصيري لقوله[1] :

يا أكـرم الـخـلـق . . . .

وأني أحرق « دلائل الخيرات » .

وجوابي عن هٰذه المسائل : أن أقول : سبحانك هٰذا بهتان عظيم !!)[2] .

وجاء أيضاً تأييد قوله هٰذا في رسالة أخرىٰ له بعثها إلىٰ أهل المجمعة يقول فيها : (إذا تبين هٰذا . . فالمسائل التي شنع بها ؛ منها : ما هو من البهتان الظاهر ، وهو قوله : أني أكفر من توسَّل بالصالحين ، وأني أكفر البوصيري . . . إلىٰ آخر ما قال ، ثم قال : وجوابي فيها أن أقول : سبحانك هٰذا بهتان عظيم !!)[3] .



(١) تقدم تخريجه (ص ١١١) .

(٢) الرسائل الشخصية (ص ١٢) .

(٣) الرسائل الشخصية (ص ٦٤) .

التوسل بآثاره صلى الله عليه وسلم

ثبت أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتبركون بآثاره صلى الله عليه وسلم ، وهٰذا التبرك ليس له إلا معنىً واحد : ألا وهو التوسُّل بآثاره إلى الله تعالىٰ ؛ لأن التوسُّل يقع علىٰ وجوه كثيرة لا علىٰ وجه واحد .

أفتراهم يتوسلون بآثاره ولا يتوسلون به صلى الله عليه وسلم ؟!

هل يصح أن يتوسل بالفرع ولا يصح بالأصل ؟!

هل يصح أن يتوسل بالأثر الذي ما شرف ولا عظم ولا كرم إلا بسبب صاحبه محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم يقول قائل : إنه لا يصح أن يتوسل به ؟! سبحانك هٰذا بهتان عظيم !!

والنصوص الواردة في هٰذا الباب كثيرة جداً نقتصر علىٰ أشهرها ، فهٰذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحرص كل الحرص علىٰ أن يدفن بقرب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حضرته الوفاة ، فيبعث ولده عبد الله ليستأذن السيدة عائشة رضي الله عنها في ذٰلك ، وإذا بالسيدة عائشة تعلن أنها كانت تريد هٰذا المكان لنفسها ، فتقول : (كنت أريده لنفسي ، ولأوثرنه علىٰ نفسي) ، فيذهب عبد الله ويبشر أباه بهٰذه البشارة العظيمة وإذا بعمر يقول : (الحمد لله ، ما كان شيء أهم إليَّ من ذٰلك) ، وانظر تفصيل القصة في « البخاري »[1] ، فما معنىٰ هٰذا الحرص من عمر ومن عائشة رضي الله عنهما ؟!

---

(١) صحيح البخاري (١٣٩٢) عن عمرو بن ميمون رضي الله عنه .

ولماذا كان الدفن بقرب رسول الله صلى الله عليه وسلم أهم شيء وأحب شيء إلىٰ عمر ؟ ليس لذٰلك تفسير إلا التوسُّل بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته بالتبرك بالقرب منه .

وهٰذه أم سليم رضي الله عنها تقطع فم القِرْبة التي شرب منها رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أنس : (فهو عندنا)[1] .

وهٰؤلاء الصحابة يتسابقون لأخذ شعرة واحدة من شعر رأسه صلى الله عليه وسلم لما حلقه[2] .

وهٰذه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما تحتفظ بجبَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول : (فنحن نغسلها للمرضىٰ نستشفي بها)[3] .

وهٰذه خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتفظ به بعده أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ثم يسقط منه في البئر[4] .

وكل هٰذه الأحاديث ثابتة وصحيحة كما سنذكره في (مبحث التبرك) ، والذي نريد أن نقوله : هو أننا نتساءل لماذا هٰذه المحافظة منهم رضي الله تعالىٰ عنهم علىٰ آثار النبي صلى الله عليه وسلم ؟!

(فم القربة ، الشعر ، العرق ، الجبَّة ، الخاتم ، المصلىٰ) فما مقصودهم من ذٰلك ؟ أهي الذكرىٰ مجرد الذكرىٰ أم هي المحافظة على الآثار التاريخية لوضعها في المتحف ؟!

---

(١) أخرجه أحمد في « المسند » (٣/١١٩) .
(٢) أخرجه مسلم (٢٣٢٥) عن أنس بن مالك رضي الله عنه .
(٣) أخرجه مسلم (٢٠٦٩/١٠) .
(٤) أخرجه البخاري (٥٨٧٩) عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

فإن كانت الأولىٰ . . فلماذا يعتنون بها عند الدعاء والتوجه إلى الله إذا أصابهم البلاء أو المرض ، وإذا كانت الثانية . . فأين هٰذا المتحف ، ومن أين جاءتهم هٰذه الفكرة المبتدعة ؟! سبحانك هٰذا بهتان عظيم !!

لم يبق إلا التبرك بآثاره صلى الله عليه وسلم للتوسل بها إلى الله في الدعاء ؛ لأن الله هو المعطي وهو المسؤول ، والكل عبيده وتحت أمره ، لا يملكون شيئاً لأنفسهم فضلاً عن غيرهم إلا بإذن الله سبحانه وتعالىٰ .



التوسل بآثار الأنبياء عليهم السلام

قال تعالىٰ : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(١) .

قال الحافظ ابن كثير في « البداية والنهاية » : (قال ابن جرير عن هٰذا التابوت : وكانوا إذا قاتلوا أحداً من الأعداء . . يكون معهم تابوت الميثاق الذي كان في قبة الزمان ـ كما تقدم ذكره ـ فكانوا ينصرون ببركته وبما جعل الله فيه من السكينة ، والبقية مما ترك آل موسىٰ وآل هارون ، فلما كان في بعض حروبهم مع أهل غزة وعسقلان . . غلبوهم وقهروهم علىٰ أخذه ، فانتزعوه من أيديهم) انتهىٰ(٢) .

قال ابن كثير : (وقد كانوا ينصرون علىٰ أعدائهم بسببه ، وكان فيه طست من ذهب كان يغسل فيه صدور الأنبياء) انتهىٰ(٣) .

وقال ابن كثير في « التفسير » : (كان فيه عصا موسىٰ وعصا هارون ، ولوحان من التوراة وثياب هارون ، ومنهم من قال : العصا والنعلان) انتهىٰ(٤) .

---

(١) سورة البقرة ، الآية (٢٤٨) .
(٢) البداية والنهاية (٢/١٥٦) ، تاريخ الطبري (١/٤٦٤) .
(٣) البداية والنهاية (٢/١٥٩) .
(٤) تفسير ابن كثير (١/٣٠١) .

وقال القرطبي : (والتابوت كان من شأنه فيما ذكر أنه أنزله الله علىٰ آدم عليه السلام ، فكان عنده إلىٰ أن وصل إلىٰ يعقوب عليه السلام ، فكان في بني إسرائيل يغلبون به من قاتلهم حتىٰ عصوا ، فغلبوا على التابوت غلبهم عليه العمالقة وسلبوا التابوت منهم) انتهىٰ[1] .

وهٰذا في الحقيقة ليس إلا توسلاً بآثار أولـٰئك الأنبياء ؛ إذ لا معنىٰ لتقديمهم التابوت بين أيديهم في حروبهم إلا ذٰلك ، والله سبحانه وتعالىٰ راض عن ذٰلك ؛ بدليل أنه رده إليهم وجعله علامة وآية علىٰ صحة ملك طالوت ، ولم ينكر عليهم ذٰلك الفعل .



(١) تفسير القرطبي (٢٤٧/٣) .

جاء في مناقب فاطمة بنت أسد أم علي بن أبي طالب رضي الله عنهما : أنها لما ماتت . . حفر رسول الله صلى الله عليه وسلم لحدها بيده ، وأخرج ترابه بيده ؛ فلما فرغ . . دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضطجع فيه فقال : « ٱللهُ ٱلَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ ؛ ٱغْفِرْ لِأُمِّي فَاطِمَةَ بِنْتَ أَسَدٍ وَلَقِّنْهَا حُجَّتَهَا ، وَوَسِّعْ عَلَيْهَا مُدْخَلَهَا بِحَقِّ نَبِيِّكَ وَٱلْأَنْبِيَاءِ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِي ؛ فَإِنَّكَ أَرْحَمُ ٱلرَّاحِمِينَ » وكبَّر عليها أربعاً ، وأدخلوها اللحد هو والعباس وأبو بكر الصديق رضي الله عنهم .

واختُلف في روح بن صلاح : أحد رواته ، ولكن ابن حبان ذكره في « الثقات » وقال الحاكم : (ثقة مأمون) ، وكلا الحافظين صحَّح الحديث ، وهكذا الهيثمي في « مجمع الزوائد » حيث قال : (وفيه روح بن صلاح ، وثقه ابن حبان والحاكم ، وفيه ضعف ، وبقية رجاله رجال الصحيح)[(١)] .

---

(١) مجمع الزوائد (١٨/٧٣٥) ، الثقات (٥/١٦٨) ، وانظر « لسان الميزان » (٣/٤٨٠) .

قول المؤلف هنا : (ورجاله رجال الصحيح) :

فيه بيان وجه استنباط تصحيح الهيثمي للحديث ، وفي هٰذا غاية الإنصاف وردُّ ما توهمه البعض من الإيهام في نسبة التصحيح إلى الهيثمي ؛ خصوصاً وأن روح بن صلاح قد وثقه أبو حاتم ، وابن حبان ، وهو ؛ أي : أبا حاتم من الطبقة التي قال فيها الذهبي : (إذا وثق أحدهم شخصاً . . فعض علىٰ قوله بناجذيك) ، كما جاء في رسالته : « ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل » (ص ١٧٢) المطبوعة بتحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة .

فلا تناقض في النقل عن الهيثمي ، وإنما التناقض في فهم المنتقد .

ورواه كذٰلك ابن عبد البر عن ابن عباس ، وابن أبي شيبة عن جابر ، وأخرجه الديلمي وأبو نعيم ، فطرقه يشد بعضها بعضاً بقوة وتحقيق[1] .

قال الشيخ الحافظ عبد الله بن الصديق الغماري : (وروح هٰذا : ضعفه خفيف عند من ضعفه كما يستفاد من عباراتهم ، ولذا عبر الحافظ الهيثمي بما يفيد خفة الضعف كما لا يخفىٰ علىٰ من مارس كتب الفن ، فالحديث لا يقل عن رتبة الحسن ، بل هو علىٰ شرط ابن حبان صحيح)[2] .

ونلاحظ هنا أيضاً : أن الأنبياء الذين توسَّل النبي صلى الله عليه وسلم بحقهم على الله في هٰذا الحديث وغيره قد ماتوا ، فثبت جواز التوسُّل إلى الله بالحق ، وبأهل الحق أحياء وموتىٰ .



(١) حلية الأولياء (٣/١٢١) ، الاستيعاب (٣٤١٣) .
قول المؤلف : (رواه ابن عبد البر وابن أبي شيبة والديلمي) :
مقصوده أنهم رووا أصل القصة ، وهٰذا ليس بتدليس ؛ وذٰلك وارد من صنيع المحدثين في النقل والرواية كما يفعله أهل المستخرجات ، والبحث طويل ومفصل في كتب المصطلح خصوصاً ، وقد بين المؤلف كلام الهيثمي في الحديث وفيه روح بن صلاح ، وبه يكون قد أبرأ ذمته منه .
أما قول بعضهم : (إن الحديث وارد في الطرق الأخرىٰ بغير زيادة الدعاء ، وهي لا توجد إلا في هٰذه الرواية) . . فهٰذا ليس بعلة ؛ لأن الزيادة غير منكرة ولا غريبة ؛ فإن الدعاء بهٰذه الصيغة قد ورد في معناه أحاديث كثيرة ؛ كحديث عثمان بن حنيف الذي أجمع الحفاظ علىٰ صحته ، وحديث أبي سعيد الخدري ، وفيه « بحق السائلين عليك . . . » إلخ ، الذي ذكره الشيخ ابن تيمية في « الكلم الطيب » ، وحديث « أسألك بحق ممشاي » الذي ذكره الشيخ محمد بن عبد الوهاب في « آداب المشي إلى الصلاة » (ص ١٢) وغير ذٰلك من الأحاديث التي فيها الدعاء بهٰذه الصيغة .
(٢) إتحاف الأذكياء (ص ٢٠) .

تَوَسُّلُ النَّبِيِّ ﷺ بِحَقِّ السَّائِلِينَ[1]

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ إِلَى ٱلصَّلَاةِ فَقَالَ: «ٱللَّهُمَّ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ ٱلسَّائِلِينَ، وَبِحَقِّ مَمْشَايَ هَـٰذَا؛ فَإِنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشَراً وَلَا بَطَراً وَلَا رِيَاءً وَلَا سُمْعَةً، خَرَجْتُ ٱتِّقَاءَ سَخَطِكَ وَٱبْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ؛ فَأَسْأَلُكَ أَنْ تُعِيذَنِي مِنَ ٱلنَّارِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ.. أَقْبَلَ ٱللهُ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ».

قال المنذري في «الترغيب والترهيب»: (رواه ابن ماجه بإسناد فيه مقال، وحسنه شيخنا الحافظ أبو الحسن)[2].

وقال الحافظ ابن حجر في «نتائج الأفكار»: (هـٰذا حديث حسن، أخرجه أحمد وابن خزيمة في كتاب «التوحيد»، وأبو نعيم وابن السني)[3].

---

(١) **حديث أبي سعيد الخدري: «اللهم؛ إني أسألك بحق السائلين»:**
ونقله الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب «آداب المشي إلى الصلاة» وحثَّ على العمل به.
فما بقي للمعترضين من كلام بعد تصحيح وتحسين ابن خزيمة ومن معه إلىٰ إمام الدعوة رحمهم الله تعالىٰ وعافانا من سوء الفهم.

(٢) الترغيب والترهيب (٢٣٩١)، سنن ابن ماجه (٨٤٢).

(٣) نتائج الأفكار (١/٢٦٨)، مسند أحمد (٣/٢١)، التوحيد (ص ٤١)، عمل اليوم والليلة (٨٥).

وقال العراقي في « تخريج أحاديث الإحياء » عن الحديث : (إنه حسن)[1] .

وقال الحافظ البوصيري في « زوائد ابن ماجه » المسمىٰ بـ « مصباح الزجاجة » : (رواه ابن خزيمة في « صحيحه »)[2] .

وقال الحافظ شرف الدين الدمياطي في « المتجر الرابح » : (إسناده حسن إن شاء الله)[3] .

وذكر العلامة المحقق المحدث السيد علي بن يحيى العلوي في رسالته اللطيفة « هداية المتخبِّطين » : (أن الحافظ عبد الغني المقدسي حسَّن الحديث ، وقبله ابن أبي حاتم ، وبهـٰذا يتبين لك أن هـٰذا الحديث صححه وحسنه جملة من كبار حفاظ الحديث وأئمته ، وهم : ابن خزيمة والمنذري وشيخه أبو الحسن والعراقي والبوصيري ـ غير البوصيري صاحب « البردة » ـ وابن حجر وشرف الدين الدمياطي وعبد الغني المقدسي وابن أبي حاتم)[4] .

فهل يبقىٰ بعد قول هـٰؤلاء كلام لمتكلم ؟! وهل يصح من عاقل أن يترك حكم هـٰؤلاء الفحول من الرجال الحفاظ المتقنين إلىٰ قول المتطفلين علىٰ موائد الحديث ؟! ﴿ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ﴾[5] ، ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾[6] .

---

(١) المغني عن حمل الأسفار (٢٨٩/١) .

(٢) مصباح الزجاجة (٩٨/١) .

(٣) المتجر الرابح (١٣٢١) .

(٤) هداية المتخبطين (ص ٦٨) .

(٥) سورة البقرة ، الآية (٦١) .

(٦) سورة الحج ، الآية (٣٣٧) .

قال الإمام الحافظ الدارمي في كتابه « السنن » (باب ما أكرم الله تعالىٰ نبيه صلى الله عليه وسلم بعد موته) : (حدَّثنا أبو النعمان ، حدَّثنا سعيد بن زيد ، حدَّثنا عمرو بن مالك النكري ، حدَّثنا أبو الجوزاء أوس بن عبد الله قال : قحط أهل المدينة قحطاً شديداً ، فشكوا إلىٰ عائشة فقالت : انظروا قبر النبي صلى الله عليه وسلم فاجعلوا منه كوىً إلى السماء حتىٰ لا يكون بينه وبين السماء سقف ، قال : ففعلوا ، فمطرنا مطراً حتىٰ نبت العشب وسمنت الإبل حتىٰ تفتقت من الشحم ، فسمي عام الفتق)[1] ، وكوىً جمع كوة ؛ وهي : النافذة . انتهىٰ .

فهٰذا توسُّل بقبره صلى الله عليه وسلم لا من حيث كونه قبراً ، بل من حيث كونه ضم جسد أشرف المخلوقين وحبيب رب العالمين ، فتشرف بهٰذه المجاورة العظيمة ، واستحق بذٰلك المنقبة الكريمة .

تخريج الحديث :

أما أبو النعمان . . فهو محمد بن الفضل الملقب بـ (عارم) شيخ البخاري ، قال الحافظ في « التقريب » عنه : (ثقة ثبت تغير في آخر عمره)[2] .

---

(١) سنن الدارمي (٩٣) .

(٢) تقريب التهذيب (ص ٥٣٢) .

قلت : وهٰذا لا يضرُّه ولا يقدح في روايته ؛ لأن البخاري روىٰ له في « صحيحه » أكثر من مئة حديث ، وبعد اختلاطه لم تحمل عنه رواية ، قاله الدارقطني ، ولا ينبِّئك مثل خبير .

وقد ردَّ الذهبي على ابن حبان قوله : (بأنه وقع له أحاديث منكرة) فقال : (ولم يقدر ابن حبان أن يسوق له حديثاً منكراً ، فأين ما زعم ؟!)[1] .

وأما سعيد بن زيد . . فهو صدوق له أوهام[2] ، وكذٰلك حال عمرو بن مالك النكري ؛ كما قال الحافظ ابن حجر عنهما في « التقريب »[3] .

وقد قرَّر العلماء بأن هٰذه الصيغة وهي ـ صدوق يهم ـ من صيغ التوثيق لا من صيغ التضعيف ، كذا في « تدريب الراوي »[4] .

وأما أبو الجوزاء . . فهو أوس بن عبد الله الربعي ؛ وهو ثقة من رجال « الصحيحين » ، فهٰذا سند لا بأس به ، بل هو جيِّد عندي ؛ فقد قبل العلماء واستشهدوا بكثير من أمثاله وبمن هم أقلُّ حالاً من رجاله .



(١) ميزان الاعتدال (٨/١) .

(٢) تقريب التهذيب (ص ٢٧٠) .

(٣) تقريب التهذيب (ص ٤٥٦) .

(٤) تدريب الراوي (١٩٠/٤) .

أما قول بعضهم : بأن هٰذا الأثر موقوف علىٰ عائشة وهي صحابية ، وعمل الصحابة ليس بحجَّة . . فالجواب هو : أنه وإن كان رأياً لعائشة إلا أنها رضي الله عنها معروفة بغزارة العلم ، وفعلت ذٰلك في المدينة بين علماء الصحابة ، ويكفينا من هٰذه القصة أنها دليل علىٰ أن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا زال بعد وفاته رحيماً وشافعاً لأمته ، وأن من زاره واستشفع به . . شفع له ؛ كما فعلت أم المؤمنين ، وليس هو من قبيل الشرك أو من وسائل الشرك ؛ كما يلغط به هٰؤلاء المكفرون المضللون ، فإن عائشة رضي الله عنها ومن شهدها لم يكونوا ممن يجهلون الشرك ولا ما يمتُّ إليه .

فالقصة تدمغ هٰؤلاء وتثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم يهتم بأمته في قبره حتىٰ بعد وفاته ، وقد ثبت أن أم المؤمنين عائشة قالت : (كنت أدخل بيتي الذي دفن فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي فأضع ثوبي ، فأقول : إنما هو زوجي وأبي ؛ فلما دفن عمر معهما . . فوالله ؛ ما دخلته إلا وأنا مشدودة عليَّ ثيابي حياء من عمر)[1] .

---

(١) أخرجه أحمد في « المسند » (٢٠٢/٦) ، قال الحافظ الهيثمي (٥٤/١٦ ـ ٥٥) : (رجاله رجال الصحيح) ، ورواه الحاكم في « المستدرك » (٦١/٣) وقال : (صحيح علىٰ شرط الشيخين) ، ولم يعترضه الذهبي بشيء .

ولم تعمل عائشة هٰذا باطلاً ، بل هي تعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه يعلمان من هو عند قبورهم .

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ لما أرسله لليمن : « لَعَلَّكَ أَنْ تَمُرَّ بِقَبْرِي وَمَسْجِدِي »[1] .

فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء معاذ إلىٰ قبر النبي صلى الله عليه وسلم باكياً ، وشاهده عمر بن الخطاب علىٰ هٰذا الحال ، وجرت بينهما هٰذه المحادثة كما رواها زيد بن أسلم عن أبيه قال : خرج عمر إلى المسجد فوجد معاذ بن جبل عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يبكي ، قال : ما يبكيك ؟ قال : حديث سمعته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ٱلْيَسِيرُ مِنَ ٱلرِّيَاءِ شِرْكٌ » قال الحاكم : (صحيح ولا يحفظ له علة) ، ووافقه الذهبي فقال : (صحيح ولا علة له)[2] .

وقال المنذري في « الترغيب والترهيب » : (رواه ابن ماجه والبيهقي والحاكم وقال : « صحيح لا علة له »)[3] ، وأقره ؛ أعني : المنذري .



(١) أخرجه أحمد في « المسند » (٢٣٥/٥) .

(٢) المستدرك (٤/١) .

(٣) الترغيب والترهيب (٨٢/١) ، سنن ابن ماجه (٤١٤٦) ، المستدرك (٤/١) ، شعب الإيمان (٦٣٩٣) .

التوسل بقبر النبي صلى الله عليه وسلم في خلافة عمر رضي الله عنه

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي : أخبرنا أبو نصر بن قتادة وأبو بكر الفارسي قالا : حدَّثنا أبو عمرو بن مطر ، حدَّثنا إبراهيم بن علي الذهلي ، حدَّثنا يحيى بن يحيىٰ ، حدَّثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن مالك قال : أصاب الناسَ قحطٌ في زمن عمر بن الخطاب ؛ فجاء رجل إلىٰ قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ؛ استسق الله لأمتك فإنهم قد هلكوا ، فأتاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال : « ٱئْتِ عُمَرَ فَأَقْرِئْهُ مِنِّي ٱلسَّلَامَ ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ مُسْقَوْنَ ، وَقُلْ لَهُ : عَلَيْكَ بِٱلْكَيْسِ ٱلْكَيْسِ » .

فأتى الرجل فأخبر عمر ، فقال : (يا رب ؛ ما آلو إلا ما عجزت عنه) ، وهٰذا إسناد صحيح [١] .

وروى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح قال : حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح السمان ، عن مالك الدار ـ وكان خازن عمر على الطعام ـ قال : أصاب الناس قحط في زمن عمر رضي الله عنه ؛ فجاء رجل إلىٰ قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ؛ استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا ، فأتي الرجل في المنام فقيل له : « ٱئْتِ عُمَرَ . . . » الحديث [٢] .

---

(١) دلائل النبوة (٧/٤٧) ، وانظر « البداية والنهاية » (٧/٢٠٥) .

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٣٢٦٦٥) .

وقد رویٰ سيف في « الفتوح » : (أن الذي رأى المنام المذكور هو بلال بن الحارث المزني أحد الصحابة) ، قال ابن حجر : (إسناده صحيح) انتهىٰ [1] .

---

(١) انظر « فتح الباري » (٢/٤٩٥ ـ ٤٩٦) .

قوله : (**قال ابن حجر : إسناده صحيح**) :

زعم بعضهم أن هٰذا كذب ، وأن ابن حجر لم يصحح السند ، وهٰذا من المعارض تطاول بجانب الحق ولا يتصف بالأدب ، ويظهر ذٰلك لمن راجع كلام ابن حجر في « الفتح » (٢/٤٩٥) ، ولٰكن الناقد استعجل وفاته أول الكلام ؛ وذٰلك لأن ابن حجر صحح الخبر من قبل بقوله : (روى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح . . .) وساق القصة .

ثم قال (٢/٤٩٦) : (وروىٰ سيف في « الفتوح » : أن الذي رأى المنام المذكور هو بلال بن الحارث أحد الصحابة) ، فالقصة واحدة والسند واحد ، والتصحيح يشملهما ، فلينتبه المنصف .

وقول ابن حجر هنا : (بإسناد صحيح) يصرخ في وجه من زعم بأن ابن حجر لم يصحح الخبر ، وهو هنا يريد أن يستدل بابن حجر علىٰ تضعيف الخبر ، ويا ليته يمشي مع ابن حجر في بقية المسألة ؛ فابن حجر يقول بالتوسل وشد الرحل لزيارة الحبيب المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم ، أما قول ابن حجر : (بإسناد صحيح) . . فهو يتناول المتن كما تقدم بيانه وإن أنكره بعض من لا معرفة له بالفن .

خطأ واضح

من بعض أصحاب المفاهيم الخاصة

وهٰذا الذي أنكر تصحيح ابن حجر وزعم أنه لم يصححه ؛ وكأنه بذٰلك يشعرنا قبوله لقول ابن حجر واعتماده عليه ، لو صحت نسبة ذٰلك التصحيح إليه . . يرجع وللأسف فينتقد صحة الخبر من أصله ، ويقول : هو ضعيف ؛ لأن فيه الأعمش ؛ وهو مدلس .

قلت : ومن أين عرف أن الأعمش مدلس إلا من ابن حجر وكتبه ؛ كـ « التقريب » (ص ٢٨٩) ، و« التهذيب » (٢/١٠٩) ؟! فما أوضح هٰذا التناقض في حق الحافظ ابن حجر يدافع عنه أولاً ثم يدفع في صدره ثانياً !!

ثم هو قد وقع في خطأ كبير لا يليق بالمبتدئين من طلاب هٰذا الفن فكيف بمن يتصدر للتصحيح والتضعيف ؛ وذٰلك حين قال : إن الحديث فيه الأعمش عن أبي صالح السمان المذكور ؟! والأعمش متفق علىٰ أنه مدلس ، والمدلس الثقة لا يقبل خبره إلا إذا صرح ←

ولم يقل أحد من الأئمة الذين رووا الحديث ولا من بعدهم ممن مر بتصانيفهم من الأئمة إنه كفر وضلال ، ولا طعن أحد في متن الحديث به ، وقد أورد هـٰذا الحديث ابن حجر العسقلاني وصحح سنده كما تقدم ، وهو من هو في علمه وفضله ووزنه بين حفاظ الحديث مما لا يحتاج إلىٰ بيان وتفصيل .



← بالسماع ، وفاته مع الأسف أن هـٰذه القاعدة عامة إلا فيمن استثناه العلماء خاصة فيمن يرسل أو يدلس ؛ كابن المسيب وكالأعمش هنا ، وبيان ذٰلك وضحه الحافظ الذهبي في « ميزان الاعتدال » (٢/٢٢٤) فقال : (قلت : وهو يدلس ، وربما دلس عن ضعيف ، ولا يدري به ، فمتىٰ قال : حدَّثنا . . فلا كلام ، ومتىٰ قال : عن . . تطرق إليه احتمال التدليس إلا في شيوخ له أكثر عنهم ؛ كإبراهيم وابن أبي وائل ، وأبي صالح السمان ؛ فإن روايته عن هـٰذا الصنف محمولة على الاتصال) انتهىٰ .

توسّل المسلمين به ﷺ يوم اليمامة

ذكر الحافظ ابن كثير أن شعار المسلمين في موقعة اليمامة كان : يا محمداه .

قال ما نصُّه : (وحمل خالد بن الوليد حتىٰ جاوزهم ، وسار لحيال مسيلمة وجعل يترقب أن يصل إليه فيقتله ، ثم رجع ثم وقف بين الصفين ودعا البراز وقال : أنا ابن الوليد العَوْد ، أنا ابن عامر وزيد ، ثم نادىٰ بشعار المسلمين ، وكان شعارهم يومئذٍ : يا محمداه)[1] .

التوسل به ﷺ في المرض والشدائد

عن الهيثم بن حنش قال : (كنا عند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فخدرت رجله ، فقال له رجل : اذكر أحب الناس إليك ، فقال : يا محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فقام فكأنما نشط من عقال)[2] .

وعن مجاهد ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (خدرت رِجْل رَجُل عند ابن عباس رضي الله عنهما ، فقال له ابن عباس :

---

(١) البداية والنهاية (٣٤/٧) .

قوله : (قال ابن كثير : كان شعار المسلمين يا محمداه) :

أنكر بعضهم هـٰذه المسألة : زاعماً أن مسائل العقيدة والتوحيد لا تؤخذ من التواريخ ، وهـٰذا فيه مغالطة ؛ فقد قرر شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في « فتاويه » (ص ٦٨) : (أن التوسل ليس من العقائد ، بل هو من مسائل الفقه) .

(٢) أخرجه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » (١٧٠) .

اذكر أحب الناس إليك ، فقال : محمد صلى الله عليه وسلم ، فذهب خدره)[1] .

فهٰذا توسل في صورة النداء .



(١) أخرجه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » (١٦٩) ، وذكره الشيخ ابن تيمية في « الكلم الطيب » في (الفصل السابع والأربعين) (ص ١٦٥) .

عن عتبة بن غزوان ، عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِذَا أَضَلَّ أَحَدُكُمْ شَيْئاً ، أَوْ أَرَادَ عَوْناً وَهُوَ بِأَرْضٍ لَيْسَ بِهَا أَنِيسٌ . . فَلْيَقُلْ : يَا عِبَادَ ٱللهِ أَغِيثُونِي ، يَا عِبَادَ ٱللهِ أَغِيثُونِي ؛ فَإِنَّ لِلهِ عَبَاداً لَا نَرَاهُمْ » وقد جُرِّب ذٰلك [١] .

وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ لِلهِ مَلَائِكَةً فِي ٱلْأَرْضِ سِوَى ٱلْحَفَظَةِ يَكْتُبُونَ مَا يَسْقُطُ مِنْ وَرَقِ ٱلشَّجَرِ ، فَإِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ عَرْجَةٌ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ . . فَلْيُنَادِ : أَعِينُوا عِبَادَ ٱللهِ » [٢] .

وعن عبد الله بن مسعود أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِذَا ٱنْفَلَتَتْ دَابَّةُ أَحَدِكُمْ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ . . فَلْيُنَادِ : يَا عِبَادَ ٱللهِ ؛ ٱحْبِسُوا ، يَا عِبَادَ ٱللهِ ؛ ٱحْبِسُوا ؛ فَإِنَّ لِلهِ حَاضِراً فِي ٱلْأَرْضِ سَيَحْبِسُهُ » [٣] .

فهٰذا توسُّل في صورة النداء أيضاً .

وجاء في الحديث : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول بعد

---

(١) أخرجه الطبراني في « الكبير » (١١٧/١٧) ، ورجاله وثقوا علىٰ ضعف في بعضهم ، إلا أن زيد بن علي لم يدرك عتبة ، وانظر « مجمع الزوائد » (٢٧٢/٢٠ ـ ٢٧٣) .

(٢) أخرجه البزار في « مسنده » (٤٩٢٢) ، وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٢٧٣/٢٠) : (رواه البزار ورجاله ثقات) .

(٣) أخرجه أبو يعلىٰ في « مسنده » (٥٢٦٩) ، والطبراني في « الكبير » (٢١٧/١٠) ، وزاد : « سيحبسه عليكم » ، قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٢٧٤/٢٠) : (وفيه معروف بن حسان وهو ضعيف) انتهىٰ .

ركعتي الفجر : « ٱللَّهُمَّ ، رَبَّ جِبْرِيلَ وَإِسْرَافِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَمُحَمَّدٍ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ أَعُوذُ بِكَ مِنَ ٱلنَّارِ » .

قال النووي في « الأذكار » : (رواه ابن السني) ، وقال الحافظ بعد تخريجه : (هو حديث حسن)[١] .

وتخصيص هٰؤلاء بالذكر في معنى التوسُّل بهم ، فكأنه يقول : اللهم ؛ إني أسألك وأتوسل إليك بجبريل . . . إلخ

وقد أشار ابن علان إلىٰ هٰذا في « الشرح » ، فقال : (فالتوسُّل إلى الله بربوبية هٰذه الأرواح العظيمة الموكلة بالحياة له تأثير عظيم في حصول الحاجات ووصول المهمات)[٢] ، وكذا صرح ابن علان في « شرح الأذكار » بمشروعية التوسُّل ، فقال معلقاً علىٰ حديث : « اللهم ؛ إني أسألك بحق السائلين » : (فيه التوسُّل بحق أرباب الخير علىٰ سبيل العموم من السائلين ، ومثلهم بالأولى الأنبياء والمرسلون)[٣] .



(١) الأذكار (١١٤) ، عمل اليوم والليلة (١٠٣) ، الفتوحات الربانية (١٣٩/٢) ، نتائج الأفكار (٣٧٣/١) عن أسامة بن عمير رضي الله عنه .
(٢) الفتوحات الربانية (١٤١/٢) .
(٣) الفتوحات الربانية (٣٩/٢) ، والحديث تقدم تخريجه (ص ٢٢٥) .

معنىٰ توسل عمر بالعبّاس رضي الله عنهما

أخرج البخاري في « صحيحه » عن أنس : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، كان إذا قَحَطوا . . استسقىٰ بالعباس بن عبد المطلب فقال : (اللهم ، إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا ؛ فاسقنا) قال : (فيسقون)[١] .

وأخرج الزبير بن بكار في « الأنساب » من طُرُقٍ ، وغيره هٰذه القصة بأبسط من هٰذا وتلخيصها : عن عبد الله بن عمر قال : استسقىٰ عمر بن الخطاب عام الرمادة ـ بفتح الراء وتخفيف الميم ، سميت بذٰلك لكثرة تطاير الرماد ؛ لاحتباس المطر ـ بالعباس بن عبد المطلب ، فخطب الناس فقال : (يا أيها الناس ؛ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرىٰ للعباس ما يرى الولد للوالد ، فاقتدوا أيها الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم في عمه العباس ، واتخذوه وسيلة إلى الله : ادع يا عباس) فكان من دعائه رضي الله عنه : (اللهم ، إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب ، ولم يكشف إلا بتوبة ، وقد توجه القوم بي إليك لمكاني من نبيك ، وهٰذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا إليك بالتوبة ؛ فاسقنا الغيث ، واحفظ اللهم نبيك في عمه) ، فأرخت السماء مثل الجبال حتىٰ أخصبت الأرض وعاش الناس ، وأقبل الناس على العباس يتمسحون به ، ويقولون له : هنيئاً لك يا ساقي

---

(١) صحيح البخاري (١٠١٠ ، ٣٧١٠) .

الحرمين ، وقال عمر رضي الله عنه عند ذٰلك : (هٰذا ؛ والله الوسيلة إلى الله والمكان منه) ، وفي ذٰلك أنشد عباس بن عتبة ابن أخيه أبياتاً منها[1] :

بعمِّي سقى الله الحجاز وأهلَه ... عشيَّةَ يستسقي بشيبته عُمرْ

وقال ابن عبد البر : (وفي بعض الروايات : فأرخت السماء عزاليها ، فجاءت بأمثال الجبال حتى استوت الحفر بالآكام ، وأخصبت الأرض وعاش الناس ، فقال عمر رضي الله عنه : « هٰذا ؛ والله الوسيلة إلى الله عزَّ وجلَّ ، والمكان منه »)[2] ، وقال حسان بن ثابت[3] :

سأل الإمامُ وقد تتابع جدبنا ... فسقي الغمامَ بغرَّة العباسِ

عمِّ النبي وصنوِ والده الذي ... ورث النبيَّ بذاك دون الناسِ

أحيا الإلٰه به البلادَ فأصبحت ... مخضرَّة الأجنابِ بعد الياسِ

وقال الفضل بن عباس بن عتبة[4] :

بعمِّي سقى الله الحجاز وأهلَه ... عشيَّةَ يستسقي بشيبته عُمرْ

توجَّه بالعباس في الجدب راغباً ... فما كرَّ حتىٰ جاء بالدِّيمة المطرْ

---

(١) أخرجه الحاكم في « المستدرك » (٣/٣٣٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٦/٣٢٩) ، وأورده ابن حجر في « فتح الباري » (٢/٤٩٧) ، والذهبي في « سير أعلام النبلاء » (٢/٩١ ، ٩٤) ، والبيت من الطويل ، وتتمة الأبيات :

توجه بالعباس في الجدب راغباً ... إليه فما إن رام حتىٰ أتى المطرْ

ومنا رسول الله فينا تراثه ... فهل فوق هٰذا للمفاخر مفتخرْ

(٢) الاستيعاب (ص ٥٥٨) .

(٣) ديوان حسان بن ثابت رضي الله عنه (١/٤٩١) ، والأبيات من الكامل .

(٤) أوردهما ابن عبد البر في « الاستيعاب » (ص ٥٥٨) ، وهما من الطويل .

وفي رواية : (وطفق الناس بالعباس يمسحون أركانه ويقولون : هنيئاً لك ساقي الحرمين) كذا في « الاستيعاب » لابن عبد البر في ترجمة العباس[1] .

وكان الحق لعمر في أن يؤم الناس مستسقياً لهم ، لٰكنه تأخر عن حقه وقدم العباس للاستسقاء ؛ تعظيماً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتفخيماً لأهله ، وتقديماً لعمه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم علىٰ نفسه ؛ مبالغة في التوسُّل برسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ما استطاع .

وحثَّ الناس على اتخاذ العباس وسيلة إلى الله جلَّ شأنه ، وكذٰلك اتخذه هو وسيلة بتقديمه ليدعو ؛ ليقيمه بذٰلك مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كان حياً ، فاستسقىٰ لهم بالمصلىٰ ؛ ليكون أبلغ في تعظيمه والإشادة بفضل أهل بيته .

وبين عمر ذٰلك في دعائه حيث قال : (اللهم ، إنا كنا نتوسل إليك بنبينا صلى الله عليه وسلم فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبيك ؛ فاسقنا)[2] ؛ يعني : كنا نتوسل إليك بخروجه بالناس إلى المصلىٰ ودعائه لهم وصلاته بهم ، وإذ قد تعذر ذٰلك علينا بوفاته عليه الصلاة والسلام ، فإني أقدم من هو من أهل بيته ؛ ليكون الدعاء أرجىٰ للقبول وأرجىٰ للإجابة .

ولما دعا العباس رضي الله عنه . . توسَّل برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : (وقد تقرب القوم بي لمكاني من نبيك ـ أي : لقرابتي

---

(١) الاستيعاب (ص ٥٥٨) .

(٢) تقدم تخريجه (ص ٢٣٨) .

منه ـ فاحفظ اللهم نبيك في عمه)[1] ؛ يعني : اقبل دعائي لأجل نبيك صلى الله عليه وسلم .

فالقضية في الاستسقاء ولا صلة لها بالتوسُّل الذي نحن بصدد الكلام عنه ، والذي وقع فيه الخلاف ، وهٰذا أمر يعرفه كل ذي عينين ؛ لأن القصة تدل علىٰ هٰذا بوضوح ؛ فقد أصابهم القحط واحتاجوا إلىٰ إقامة الاستغاثة بصلاة الاستسقاء ، وهٰذا يحتاج إلىٰ إمام يصلي بهم ويدعو لهم ، ويقيم هٰذه الشعيرة الإسلامية التي كان يقيمها النبي صلى الله عليه وسلم لما كان في دار التكليف ، كغيرها من شعائر الدين من إمامة وجمعة وخطبة ، فهي وظائف تكليفية لا يقوم بها أهل البرزخ ؛ لانقطاع التكليف عنهم واشتغالهم بما هو أعظم من ذٰلك .

ومن فهم من كلام أمير المؤمنين أنه إنما توسَّل بالعباس ولم يتوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لأن العباس حي والنبي ميت . . فقد مات فهمه وغلب عليه وهمه ، ونادىٰ علىٰ نفسه بجهالة ظاهرة ، أو عصبية لرأيه قاهرة ؛ فإن عمر لم يتوسل بالعباس رضي الله عنهما إلا لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما تلمح ذٰلك من قوله : (وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا) ، وهو بذٰلك قد توسَّل برسول الله صلى الله عليه وسلم علىٰ أبلغ الوجوه .

وقد بعد عن الصواب كل البعد من رمى المسلمين بالشرك بسبب ذٰلك مع قوله بجواز التوسُّل بالحي ؛ فإن التوسُّل لو كان شركاً . . ما جاز بالحي ولا الميت ، ألا ترىٰ أن اعتقاد الربوبية واستحقاق العبادة لغير الله

---

(١) تقدم تخريجه (ص ٢٣٨) .

من نبي أو ملك أو ولي هو شرك وكفر ، لا يجوز هنا في حياته الدنيا ولا الآخرة .

فهل سمعت من يقول : إن اعتقاد الربوبية لغير الله جائز إذا كان حياً ، أما بعد وفاته . . فشرك .

وقد عرفت أن اتخاذ المعظم وسيلة إلى الله تعالىٰ لا يكون عبادة للوسيلة إلا إذا اعتقد أنه رب ؛ كما كان ذٰلك شأن عباد الأوثان مع أوثانهم ؛ فإذا لم يعتقد ذٰلك فيه ، وكان مأموراً منه عزَّ وجلَّ باتخاذه وسيلة . . كان ذٰلك الاتخاذ عبادة للآمر سبحانه .



قصّة العتبيّ في التوسّل

قال الإمام الحافظ الشيخ عماد الدين ابن كثير : (ذكر جماعة ؛ منهم الشيخ أبو منصور الصباغ في كتابه « الشامل » الحكاية المشهورة عن العتبي قال : كنت جالساً عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فجاء أعرابي فقال : السلام عليك يا رسول الله ؛ سمعت الله يقول : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾[1] ، وقد جئتك مستغفراً لذنبي مستشفعاً بك إلىٰ ربي ، ثم أنشد يقول[2] :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمُه فطاب من طيبهنَّ القاع والأكمُ

نفسي الفداء لقبرٍ أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرمُ

ثم انصرف الأعرابي ، فغلبتني عيني فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال : « ٱلْحَقِ ٱلْأَعْرَابِيَّ ؛ فَبَشِّرْهُ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَهُ ») .

فهٰذه القصة رواها الإمام النووي في كتابه المعروف بـ « الإيضاح » ، ورواها أيضاً الحافظ عماد الدين ابن كثير في « تفسيره » الشهير عند قوله تعالىٰ : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ . . . ﴾[3] .

ورواها أيضاً الشيخ أبو محمد ابن قدامة في كتابه « المغني » ، ونقلها

---

(١) سورة النساء ، الآية (٦٤) .

(٢) البيتان من البسيط .

(٣) سورة النساء ، الآية (٦٤) .

أيضاً الشيخ أبو الفرج ابن قدامة في كتابه « الشرح الكبير » ، ونقلها أيضاً الشيخ منصور بن يونس البهوتي في كتابه المعروف بـ « كشاف القناع » من أشهر كتب المذهب الحنبلي[1] .

وذكر الإمام القرطبي عمدة المفسرين قصة تشبهها في « تفسيره » المعروف بـ « الجامع لأحكام القرآن » قال : (روىٰ أبو صادق عن علي قال : قدم علينا أعرابي بعدما دفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاثة أيام ، فرمى بنفسه علىٰ قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحثا علىٰ رأسه من ترابه فقال : قلتَ يا رسول الله ؛ فسمعنا قولك ، ووعيت عن الله فوعينا عنك ، وكان فيما أنزل الله عليك : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ . . . ﴾[2] ، وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي ، فنودي من القبر : « إِنَّهُ قَدْ غُفِرَ لَكَ »)[3] .

---

(١) تفسير ابن كثير (١/٥٢٠) ، الإيضاح (ص ٤٥٤) ، المغني (٥/٤٦٦) ، الشرح الكبير (٩/٢٧٤) ، كشاف القناع (٢/٣١٩) .

قول المؤلف هنا عن قصة العتبي : (رواها فلان وفلان) :

قول صحيح لا غبار عليه ، وكلمة (روىٰ) تستعمل في كل ما ينقله العلماء من الأحاديث والأخبار والآثار المرفوعة والموقوفة والمقطوعة ، وهو ظاهر من صنيع العلماء ، ولـٰكن لا يعرفه إلا أهله .

وقد زعم بعض المخالفين : أن كلمة (رواه) لا تقال إلا لمن ساق حديثاً وأسنده عن مشايخه إلىٰ منتهاه ، ولا ندري من أين جاء بهـٰذه القاعدة التي لا أصل لها ولا قائل بها ؟!

ومن المعروف عند أهل العلم أن الأصول ليست بالاجتهاد ، ولا بالاختراع .

ثم إن العلماء يروون أخباراً وآثاراً كثيرة ويذكرونها في مؤلفاتهم بلا سند ؛ كمعلقات « البخاري » ، ومنقطعات وبلاغات « الموطأ » ، فمنها ما حذف أول سنده ، ومنها ما لا سند له ، ويقولون فيها : (رواه البخاري ، رواه مالك) ، ومثل هـٰذا يصنعه النووي في كتاب « الأذكار » .

(٢) سورة النساء ، الآية (٦٤) .

(٣) تفسير القرطبي (٥/٢٦٥) .

هٰذه قصة العتبي وهٰؤلاء هم الذين نقلوها ، وسواء أكانت صحيحة أم ضعيفة من ناحية السند الذي يعتمد عليه المحدثون في الحكم علىٰ أي خبر ، فإننا نتساءل ونقول : هل نقل هٰؤلاء الكفر والضلال ؟! أو نقلوا ما يدعو إلى الوثنية وعبادة القبور ؟!

إذا كان الأمر كذٰلك . . فأي ثقة فيهم أو في كتبهم ؟! سبحانك هٰذا بهتان عظيم !!



أبيات العتبيّ على شبّاك النبيّ صلى الله عليه وسلم

تقدم ذكر البيتين اللذين أنشدهما الأعرابي عند زيارته للنبي صلى الله عليه وسلم ، ورواهما العتبي وهما :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمُه ... فطاب من طيبهنَّ القاع والأكمُ

نفسي الفداء لقبرٍ أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرمُ

وهما مكتوبان بفضل الله على المواجهة النبوية الشريفة في العمود الذي بين شباك الحجرة النبوية ، يراهما القاصي والداني منذ مئات السنين ؛ حتىٰ في عهد المرحوم الملك عبد العزيز ، فالملك سعود فالملك فيصل فالملك خالد رحمهم الله تعالىٰ ، فالملك فهد خادم الحرمين الشريفين حفظه الله [1] ، وسيبقيان بإذن الله ؛ بناء علىٰ توجيهات خادم الحرمين بالمحافظة علىٰ كل ما في المسجد النبوي الشريف ، وعدم إزالة أي أثر قديم .



(١) هٰذا في زمن السيد محمد علوي رحمه الله تعالىٰ ، وقد توفي جلالة الملك رحمه الله تعالىٰ سنة (١٤٢٦ هـ) .

الخلاصة

والخلاصة أنه مما لا شك فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم له عند الله قدر عليٌّ ومرتبة رفيعة، وجاه عظيم؛ فأي مانع شرعي أو عقلي يمنع التوسل به، خصوصاً وقد جاءت الأدلة التي تثبته في الدنيا والآخرة؟! ولسنا في ذلك سائلين غير الله تعالىٰ ولا داعين إلا إياه، فنحن ندعوه بما أحب أياً كان.

تارة نسأله بأعمالنا الصالحة؛ لأنه يحبها، وتارة نسأله بمن يحبه من خلقه؛ كما في حديث آدم عليه السلام السابق(١)، وكما في حديث فاطمة بنت أسد رضي الله عنها الذي ذكرناه(٢)، وكما في حديث عثمان بن حنيف رضي الله عنه المتقدم(٣).

وتارة نسأله بأسمائه الحسنىٰ؛ كما في قوله صلى الله عليه وسلم: «أسْأَلُكَ بِأَنَّكَ أَنْتَ ٱللهُ»(٤)، أو بصفته أو فعله؛ كما في قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الآخر: «أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ»(٥)، وليس مقصوراً علىٰ تلك الدائرة الضيقة التي يظنها المتعنتون.

---

(١) تقدم تخريجه (ص ١٨٣).

(٢) تقدم تخريجه (ص ٢٢٣).

(٣) تقدم تخريجه (ص ١٩٨).

(٤) أخرجه ابن ماجه (٤٠١٢)، وأحمد في «المسند» (٥/٣٦٠) عن بريدة الأسلمي رضي الله عنه.

(٥) أخرجه مسلم (٢٢٢/٤٨٦) عن عائشة رضي الله عنها.

وسر ذٰلك : أن كل ما أحبه الله . . صح التوسل به ، وكذا كل من أحبه من نبي أو وليّ ، وهو واضح لدىٰ كل ذي فطرة سليمة ، ولا يمنع منه عقل ولا نقل ، بل تضافر العقل والنقل علىٰ جوازه ، والمسؤول في ذٰلك كله الله وحده لا شريك له ، لا النبي ولا الولي ولا الحي ولا الميت ، ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾[١] .

وإذا جاز السؤال بالأعمال . . فبالنبي صلى الله عليه وسلم أولىٰ ؛ لأنه أفضل المخلوقات ، والأعمال منها ، والله أعظم حبّاً له صلى الله عليه وسلم من الأعمال وغيرها ، وليت شعري ! ما المانع من ذٰلك ، واللفظ لا يفيد شيئاً أكثر من أن للنبي صلى الله عليه وسلم قدراً عند الله ، والمتوسل لا يريد غير هٰذا المعنىٰ ، ومن ينكر قدره صلى الله عليه وسلم عند الله . . فهو كافر كما قلنا .

وبعد :

فمسألة التوسل تدل علىٰ عظمة المسؤول به ومحبته ، فالسؤال بالنبي إنما هو لعظمته عند الله أو لمحبته إياه ؛ وذٰلك مما لا شك فيه علىٰ أن التوسل بالأعمال متفق عليه ، فلماذا لا نقول : إن من يتوسل بالأنبياء أو الصالحين هو متوسل بأعمالهم التي يحبها الله ، وقد ورد حديث أصحاب الغار[٢] فيكون من محل الاتفاق .

ولا شك أن المتوسل بالصالحين إنما يتوسل بهم من حيث إنهم صالحون ، فيرجع الأمر إلى الأعمال الصالحة المتفق علىٰ جواز التوسل بها كما قلنا في صدر هٰذا البحث .

---

(١) سورة النساء ، الآية (٧٨) .

(٢) تقدم تخريجه (ص ٢١٢) .

شبهة مردودة

فهٰذه الأحاديث والآثار كلها تثبت التوسل وتؤيده ، فإن قيل : إن ذٰلك خاص بحياته صلى الله عليه وسلم :

فالجواب : أن هٰذا التخصيص لا دليل عليه ، خصوصاً وأن الروح باقية ؛ وهي التي يكون بها الإحساس والإدراك والشعور .

ومذهب أهل السنة والجماعة : أن الميت يسمع ويحسُّ ويشعر ، وأنه ينتفع بالخير ويفرح ، ويتأذىٰ بالشر ويحزن ، وهٰذا بالنسبة لكل إنسان ، ولذا نادىٰ صلى الله عليه وسلم أهل القليب من كفار قريش يوم بدر فقال : « يَا عُتْبَةُ يَا شَيْبَةُ يَا رَبِيعَةُ » فقيل له : كيف يسمعوا وأنىٰ يجيبوا وقد جيَّفوا ؟ فقال : « وَٱلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ؛ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ ، وَلَـٰكِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يُجِيبُوا »(١) .

فإذا كان هٰذا عاماً لكل إنسان فكيف بأفضل البشر وأكرمهم وأجلِّهم ؟!

لا شك أنه أكمل إحساساً وأتم إدراكاً وأقوىٰ شعوراً علىٰ أنه قد جاء التصريح في الأحاديث الكثيرة بأنه يسمع الكلام ويرد السلام(٢) ، وتعرض عليه أعمال الأمة ، وأنه يستغفر لسيئاتهم ، ويحمد الله علىٰ حسناتهم(٣) .

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٧٦) ، ومسلم (٢٨٧٤) ، واللفظ له عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٢) تقدم تخريجه (ص ١٢٤) .

(٣) تقدم تخريجه (ص ١٢٣) .

وقيمة الإنسان في الحقيقة إنما هي بمقدار شعوره وإحساسه وإدراكه لا بحياته ، ولذٰلك نرىٰ كثيراً من الأحياء قد حرمهم الله تعالى الإحساس والشعور الإنساني مع بلادة الطبع وقلَّة الذوق فهٰؤلاء لا ينتفع بهم ، بل هم في صفوف الأموات والعياذ بالله .



زعم بعض الجهلة أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يسمعنا ولا يرانا ولا يعرفنا

ومن هٰؤلاء الموتىٰ من زعم أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يسمع ولا يرىٰ ولا يعرف عنا ، ولا يدعو الله تعالىٰ لنا ؛ فأي جراءة أعظم من هٰذا ؟! وأي جهل أقبح من هٰذا ؟! إضافة إلىٰ سوء الأدب والانتقاص لقدر النبي صلى الله عليه وسلم ، ولقد تضافرت الأحاديث والآثار التي تثبت أن الميت يسمع ويحسُّ ويعرف ، سواء أكان مؤمناً أم كافراً .

قال ابن القيم في كتاب « الروح » : (والسلف مجمعون علىٰ هٰذا ، وقد تواترت الآثار عنهم)[1] .

وقد سئل الشيخ ابن تيمية عن هٰذه المسألة فأفتىٰ بما يؤيد ذٰلك[2] .

فإذا كان هٰذا في حق عامة البشر . . فما بالك بعامة المؤمنين ، بل بخاصة عباد الله الصالحين ، بل بسيد الأولين والآخرين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد فصَّلنا هٰذه المسألة في مبحث خاص بها في كتابنا هٰذا بعنوان : (الحياة البرزخية حياة حقيقية) وبعنوان (حياة خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم) .



(١) الروح (ص ٥٤) .

(٢) مجموعة الفتاوىٰ (١٧٢/٢٧) .

بيان أسماء المتوسلين من أئمة المسلمين[1]

ونذكر هنا أسماء أشهر من يقول بالتوسل ، أو ممن نقل أدلَّته من كبار الأئمة وحفاظ السنة :

---

(١) ذكر المؤلف في هٰذا الفصل :
أسماء جملة من العلماء الذين يقولون بالتوسل ، ثم بيَّن مع كل اسم وجه مأخذ ذٰلك منه ؛ إما بطريق التصريح أو الاستظهار ، فهو استنباط من مؤلف « المفاهيم » واجتهاد في محله ، ولو سرد الأسماء تحت العنوان المذكور بدون بيان وجه الاستنباط . . لكان ذٰلك تدليساً ، فرضي الله عن الإنصاف ، وأعاذنا الله من الجهل والعصبية .
ثم إن هٰذا الاستنباط صحيح ولا غبار عليه في نظر المؤلف ومن يوافقه ؛ وذٰلك لأن التوسل من مسائل العقيدة في نظر المنتقد المعترض ، فكيف ينقل هٰؤلاء الأئمة (حديث آدم وغيره ، وقصة العتبي) ، وهي تدل على التوسل وتدعو إليه صراحة وتحثُّ علىٰ فعله ؟!
أقول : كيف ينقل هٰؤلاء مثل ذٰلك ثم لا ينهون عنه في محله ، ولا يحذرون منه في موضعه المناسب ؟! فهو إما تقصير منهم ـ وحاشا ذٰلك ـ أو رضاً به ، وهٰذا الذي يراه المؤلف ، وهٰذه النقول صحيحة ثابتة في محلها عن أهلها ، وللمؤلف رسالة خاصة عن التوسل تعرَّض فيها بالتفصيل لأقوال العلماء ونصوصهم .
وكثير من هٰؤلاء العلماء الذين أنكر المنتقد قولهم بالتوسل مستدلاً علىٰ ذٰلك بكلامهم في الحديث .
أقول : كثير من هٰؤلاء هم من القائلين بالتوسل ، وحملة لوائه ودعاته المدافعين عنه ؛ كالقاضي عياض والسيوطي وابن حجر والقسطلاني والزرقاني ، والخفاجي ، وقد أخطأ المنتقد خطأ واضحاً لا عذر فيه بنفيه ذٰلك عن النووي ، والخفاجي والقسطلاني .
فأما النووي . . فقد صرح به في كتابه « الإيضاح » (ص ٤٥٤) ، بل أَمَرَ الزائر أن يتوسَّل ويستشفع بصاحب المقام المحمود صلى الله عليه وسلم ، فأي كذب أقبح من هٰذا ؟!
وأما الخفاجي . . فقد صرح بذٰلك وصحح الحديث ، فقال : (هو صحيح) ، [نسيم الرياض (٤/٨٤)] . ←

١ ـ **فمنهم** : الإمام الحافظ أبو عبد الله الحاكم في كتابه « المستدرك على الصحيحين » ؛ فقد ذكر حديث توسل آدم بالنبي صلى الله عليه وسلم وصححه [(١)] .

٢ ـ **ومنهم** : الإمام الحافظ أبو بكر البيهقي في كتابه « دلائل النبوة » ؛ فقد ذكر حديث توسل آدم وغيره ، وقد التزم ألا يخرج الموضوعات [(٢)] .

٣ ـ **ومنهم** : الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي في كتابه « الخصائص الكبرىٰ » ؛ فقد ذكر حديث توسل آدم [(٣)] .

٤ ـ **ومنهم** : الإمام الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي في كتابه « الوفا » ؛ فقد ذكر الحديث وغيره [(٤)] .

٥ ـ **ومنهم** : الإمام الحافظ القاضي عياض في كتابه « الشفا في التعريف بحقوق المصطفىٰ » ؛ فقد ذكر في (باب الزيارة) ، و(باب فضل النبي صلى الله عليه وسلم) كثيراً من ذٰلك [(٥)] .

٦ ـ **ومنهم** : الإمام الشيخ نور الدين القاري المعروف بـ (ملا علي القاري) في « شرحه على الشفا » في المواطن السابقة [(٦)] .

← وأما القسطلاني . . فقد صرح بذٰلك في فصل خاص ، وحثَّ على التوسل بكل ما أوتي من قوة [المواهب اللدنية (٤/٥٩٣ ـ ٥٩٤)] .

ولا يمكن استقصاء البحث في هٰذه العجالة ، وإنما أردنا إيراد بعض الأمثلة التي تؤكد الحق الذي ندعو إليه ونؤمن به ، والباطل الذي يروج له المخالفون .

(١) تقدم تخريجه (ص ١٨٣) .

(٢) تقدم تخريجه (ص ١٨٤) .

(٣) تقدم تخريجه (ص ١٨٤) .

(٤) تقدم تخريجه (ص ١٨٦) .

(٥) الشفا (ص ٢١٣ ، ٥٨٢) .

(٦) شرح الشفا (١/٣٦٥ ـ ٢/١٤٩) .

٧ ـ **ومنهم** : العلامة أحمد شهاب الدين الخفاجي في « شرحه على الشفا » المسمىٰ بـ « نسيم الرياض » في المواطن السابقة[١] .

٨ ـ **ومنهم** : الإمام الحافظ القسطلاني في كتابه « المواهب اللدنية » في المقصد الأول من الكتاب[٢] .

٩ ـ **ومنهم** : العلامة الشيخ محمد عبد الباقي الزرقاني في « شرحه على المواهب »[٣] .

١٠ ـ **ومنهم** : الإمام شيخ الإسلام أبو زكريا يحيى النووي في كتابه « الإيضاح »[٤] .

١١ ـ **ومنهم** : العلامة ابن حجر الهيتمي في « حاشيته على الإيضاح »[٥] .

١٢ ـ **ومنهم** : الحافظ شمس الدين محمد بن محمد ابن الجزري الدمشقي في كتابه « عدة الحصن الحصين » في فضل آداب الدعاء[٦] .

١٣ ـ **ومنهم** : العلامة الإمام محمد بن علي الشوكاني في كتابه « تحفة الذاكرين »[٧] .

---

(١) نسيم الرياض (٥/١ ـ ٩٦/٥) .
(٢) تقدم تخريجه (ص ١٨٤) .
(٣) تقدم تخريجه (ص ١٨٤) .
(٤) تقدم تخريجه (ص ٢٤٣) .
(٥) حاشية العلامة ابن حجر الهيتمي (ص ٤٨٩) ، وله رسالة خاصة في هـٰذا الباب تسمىٰ بـ « الجوهر المنظم » .
(٦) عدة الحصن الحصين (ص ١٨) .
(٧) تحفة الذاكرين (ص ٥٠) .

١٤ ـ ومنهم : العلامة الإمام المحدث علي بن عبد الكافي السبكي في كتابه « شفاء السقام في زيارة خير الأنام »[١].

١٥ ـ ومنهم : الحافظ عماد الدين ابن كثير في تفسير قوله تعالىٰ : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ . . . ﴾[٢] .. فقد ذكر قصة العتبي مع الأعرابي الذي جاء زائراً قاصداً مستشفعاً بالنبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يعترض عليها بشيء[٣] ، وذكر قصة توسل آدم بالنبي صلى الله عليه وسلم في « البداية والنهاية » ولم يحكم بوضعها[٤].

وذكر قصة الرجل الذي جاء إلىٰ قبر النبي صلى الله عليه وسلم وتوسل به وقال : (إن إسنادها صحيح)[٥].

وذكر أن شعار المسلمين يوم اليمامة : (يا محمداه)[٦].

١٦ ـ ومنهم : الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني الذي ذكر قصة الرجل الذي جاء إلىٰ قبر النبي صلى الله عليه وسلم وتوسل به ، وصحح سندها في « فتح الباري »[٧].

١٧ ـ ومنهم : الإمام المفسر أبو عبد الله القرطبي في تفسير قوله تعالىٰ : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ . . . ﴾[٨].

---

(١) تقدم تخريجه (ص ١٨٥) .

(٢) سورة النساء ، الآية (٦٤) .

(٣) تقدم تخريجه (ص ٢٤٣) .

(٤) تقدم تخريجه (ص ١٨٥) .

(٥) تقدم تخريجه (ص ٢٣٢) .

(٦) تقدم تخريجه (ص ٢٣٤) .

(٧) تقدم تخريجه (ص ٢٣١) .

(٨) تقدم تخريجه (ص ٢٤٤) ، والآية من سورة النساء (٦٤) .

الصّحابة يطلبون من النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم الشّفاعة

زعم بعضهم أنه لا يجوز أن تطلب الشفاعة من النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا ، بل ذهب البعض الآخر من المتعنّتين إلىٰ أن ذٰلك شرك وضلال ، ويستدلون علىٰ ذٰلك بقوله تعالىٰ : ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ﴾[١] ، وهٰذا الاستدلال باطل ، يدل علىٰ فهمهم الفاسد ؛ وذٰلك من وجهين :

أولاً : أنه لم يرد نصٌّ لا في الكتاب ولا في السنة ينهىٰ عن طلب الشفاعة من النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا .

ثانياً : أن هٰذه الآية لا تدل علىٰ ذٰلك ، بل شأنها شأن غيرها من الآيات التي جاءت لبيان اختصاص الله سبحانه وتعالىٰ بما هو ملك له دون غيره بمعنىٰ أنه هو المتصرف فيه ، وهٰذا لا ينفي أنه يعطيه من يشاء إذا أراد ، فهو مالك الملك يعطي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء .

ونظير هٰذا قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ﴾[٢] ، ووصف نفسه أنه مالك الملك مع قوله سبحانه وتعالىٰ : ﴿ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ ﴾[٣] ، وقوله تعالىٰ : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾[٤]

(١) سورة الزمر ، الآية (٤٤) .
(٢) سورة التغابن ، الآية (١) .
(٣) سورة آل عمران ، الآية (٢٦) .
(٤) سورة فاطر ، الآية (١٠) .

مع قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١) .

وكذلك في الشفاعة قال : ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ﴾ (٢) ، مع قوله تعالىٰ : ﴿ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴾ (٣) ، وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٤) ، فكما أنه سبحانه وتعالىٰ أعطىٰ من الملك من شاء ما شاء ، وجعل من العزة التي هي له ما شاء لرسوله والمؤمنين . . كذلك الشفاعة كلها له ، وقد أعطاها للأنبياء وعباده الصالحين ، بل وكثير من عامة المؤمنين ؛ كما نطقت به صحاح الأحاديث المتواترة تواتراً معنوياً .

وأي حرج في أن يطلب الإنسان من المالك بعض ما يملكه ، لا سيما إذا كان المسؤول كريماً والسائل في أشد الحاجة إلىٰ ما سأله ، وهل الشفاعة إلا الدعاء والدعاء مأذون فيه مقدور عليه مقبول من المؤمنين ؟! لا سيما الأنبياء والصالحين في الحياة وبعد الوفاة في القبر ويوم القيامة ، فالشفاعة معطاة لمن اتخذ عند الله عهداً ، ومقبولة لديه عزَّ وجلَّ في كل من مات على التوحيد .

وقد ثبت أن بعض الصحابة سأل النبي صلى الله عليه وسلم الشفاعة ، ولم يقل صلى الله عليه وسلم إن طلبك الشفاعة مني شرك فاطلبها من الله ولا تشرك بربك أحداً .

فهٰذا أنس بن مالك رضي الله عنه يقول : يا نبي الله ؛ اشفع لي يوم

---

(١) سورة المنافقون ، الآية (٨) .

(٢) سورة الزمر ، الآية (٤٤) .

(٣) سورة مريم ، الآية (٨٧) .

(٤) سورة الزخرف ، الآية (٨٦) .

القيامة ، فيقول له صلى الله عليه وسلم : « أَنَا فَاعِلٌ »[1] وكذلك سأل الشفاعة غير أنس .

وهـٰذا سواد بن قارب يقول بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم :

فأشهد أن الله لا ربَّ غيره ... وأنك مأمونٌ علىٰ كلِّ غائبِ
وأنك أدنى المرسلين وسيلةً ... إلى الله يا بنَ الأكرمين الأطايبِ

. . . إلىٰ أن قال :

وكن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعةٍ ... سواك بمُغْنٍ عن سَواد بن قاربِ

وأقرَّه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكر طلب الشفاعة منه[2] .

وطلب الشفاعة منه أيضاً مازن بن الغضوبة لما جاء مسلماً وأنشد يقول[3] :

إليك رسول الله خبَّت مطيَّتي ... تجوبُ الفيافي من عُمَان إلى العَرْجِ[4]
لتشفعَ لي يا خير من وطئ الحصا ... فيغفرَ لي ربي فأرجعَ بالفَلْجِ[5]

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٣٣) ، وحسَّنَهُ ، وأحمد في « المسند » (١٧٨/٣) .

(٢) أخرجه البيهقي في « دلائل النبوة » (٢٥١/٢) ، والحاكم في « المستدرك » (٦٠٩/٣) ، والطبراني في « الكبير » (٩٢/٧) ، وذكره ابن عبد البر في « الاستيعاب » (ص ٣٢٢) ، وابن حجر في « فتح الباري » (١٨٠/٧) ، وهي من الطويل .

(٣) أخرجه الطبراني في « الكبير » (٣٣٧/٢٠) ، وأبو نعيم في « دلائل النبوة » (٦٣) ، والبيهقي في « دلائل النبوة » (٢٥٧/٢) ، وهما من الطويل .

(٤) **خبت** : من الخبب ـ محرَّكة ـ وهو ضَرْبٌ من العَدْو ، **وتجوب** : تقطع ، **وفيافي** : جمع فيفاء ؛ وهي : الصحراء الواسعة المستوية ، **والعَرْج** : اسم موضع بين الحرمين علىٰ ثمانية وسبعين ميلاً من المدينة المنورة .

(٥) **الفَلْج** : بسكون اللام : الظفر والفوز .

وطلب الشفاعة منه عكاشة بن محصن حين ذكر صلى الله عليه وسلم السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب ، فقال عكاشة : ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال مباشرة وبلا مراجعة : « أَنْتَ مِنْهُمْ »(١) .

ومعلوم أنه لا ينال أحد كائناً من كان هٰذه الأسبقية إلا بعد شفاعته الكبرىٰ صلى الله عليه وسلم في أهل الموقف ؛ كما هو ثابت في الأحاديث المتواترة ، فهٰذا في معنىٰ طلب الشفاعة .

ونظائر هٰذا كثيرة في كتب السنة المشرفة ، وهي كلها تدل علىٰ جواز طلب الشفاعة منه صلى الله عليه وسلم في الدنيا ؛ منهم من طلبها بالتعيين بقوله : (اشفع لي)(٢) أو طلب دخول الجنة ، أو طلب أن يكون من السابقين ، أو طلب أن يكون من أهل الحوض ، أو طلب مرافقته في الجنة ؛ كما حصل من ربيعة الأسلمي إذ قال : أسألك مرافقتك في الجنة ، فأرشده النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى الطريق بقوله : « أَعِنِّي عَلَىٰ نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ ٱلسُّجُودِ »(٣) ، ولم يقل له ولا لغيره ممن طلب الجنة ، أو طلب المعية ، أو تمنىٰ أن يكون من أهل الجنة ، أو أن يكون من أهل الحوض ، أو أن يكون من المغفور لهم : إن هٰذا حرام ، ولا يجوز أن يطلب الآن ، وإن وقته لم يأت ، وانتظر حتىٰ يأذن الله في الشفاعة ، أو في دخول الجنة ، أو في الشرب من الحوض مع أن هٰذه الأمور المطلوبة كلها لا تكون إلا بعد الشفاعة العظمىٰ فهي في معنىٰ

---

(١) أخرجه مسلم (٣٧١/٢١٨) عن عمران بن حصين رضي الله عنهما .
(٢) تقدم تخريجه (ص ٢٥٧) .
(٣) أخرجه مسلم (٤٨٩) .

طلب الشفاعة ، والنبي صلى الله عليه وسلم بشَّرهم بذٰلك ووعدهم بما جبر خواطرهم وأقرَّ أعينهم ، وحاشا أن يكون ذٰلك ممنوعاً ثم لا يبين لهم حكمه مجاملة أو مداراة ؛ وهو الذي لا تأخذه في الحق لومة لائم ، وإنما يجبر الخواطر ويرضي النفوس بما هو دائر في فلك الحق ونابع من أصل الدين ، وبعيد عن كل باطل أو نفاق .

وإذا صحَّ طلب الشفاعة منه في الدنيا قبل الآخرة . . فإن معنىٰ ذٰلك أنه سينالها حقيقة في محلها يوم القيامة ، وبعد أن يأذن الله تعالىٰ للشفعاء بالشفاعة ، لا أنه ينالها هنا قبل وقتها .

وهٰذا في الحقيقة نظير بشارته بالجنة لكثير من المؤمنين ، فإن معناه : أنهم سيدخلون الجنة يوم القيامة ، وبعد أن يأذن الله تعالىٰ بالدخول في الوقت المعلوم ، لا أنه سيدخلها هنا في الدنيا أو البرزخ ، ولا أظن أن عاقلاً من عوام المسلمين يعتقد خلاف ذٰلك !!

وإذا صحَّ طلب الشفاعة منه في الدنيا في حياته . . فإننا نقول : لا بأس بطلبها منه أيضاً بعد موته صلى الله عليه وسلم ؛ بناء علىٰ ما هو مقرر عند أهل السنة والجماعة من حياة الأنبياء الحياة البرزخية ، ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم أكملهم وأعظمهم في ذٰلك ؛ إذ يسمع الكلام وتعرض عليه أعمال الأمة ويستغفر الله لهم ويحمد الله ، وتبلغه صلاة من يصلي عليه ولو كان في أقصى المعمورة ؛ كما جاء في الحديث الذي صححه جمع من الحفاظ وهو : « حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُحْدِثُونَ وَيُحْدَثُ لَكُمْ ، وَوَفَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ ، تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ ؛ فَمَا رَأَيْتُ مِنْ خَيْرٍ . . حَمِدْتُ ٱللهَ عَلَيْهِ ، وَمَا رَأَيْتُ مِنْ شَرٍّ . . ٱسْتَغْفَرْتُ ٱللهَ لَكُمْ » .

هـٰذا الحديث صححه من الحفاظ : أبو زرعة العراقي والهيثمي والقسطلاني والسيوطي وإسماعيل القاضي ، وقد فصَّلنا تخريجه في غير هـٰذا الموضع[1] .

فلو طلبت منه الشفاعة . . فإنه قادر علىٰ أن يدعو الله ويسأله ؛ كما كان يفعل في حياته ، ثم ينالها العبد في محلها بعد أن يأذن الله تعالىٰ ؛ كما تحصل الجنة لمن بُشِّر بها في الدنيا ؛ فإنه ينالها في وقتها بعد أن يأذن الله بدخول الجنة ، فهـٰذه وتلك سواء .

هـٰذا ما نعتقده ونعقد عليه قلوبنا .



(١) سيأتي (ص ٣٩٩ ـ ٤٠٠) .

ويستفاد منه جواز طلب الشفاعة من النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا :

ذكر الشيخ ابن تيمية في « الفتاوىٰ » تحليلاً نفيساً للآيات الواردة في منع الشفاعة وعدم الانتفاع بها ، والنهي عن طلبها ، مع أن هٰذه الآيات هي التي يستدل بها بعضهم علىٰ منع طلب الشفاعة من النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا .

ويظهر من كلام الشيخ ابن تيمية في معنىٰ تلك الآيات أن الاستدلال بها علىٰ ما يزعمون في غير محله ، وتحريف لها عن مواضعها ، قال الشيخ : (واحتجَّ هٰؤلاء المنكرون للشفاعة بقوله تعالىٰ : ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾ [1] ، وبقوله : ﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ ﴾ [2] ، وبقوله : ﴿ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ﴾ [3] ، وبقوله : ﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [4] ، وبقوله : ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾ [5] .

وجواب أهل السنة أن هٰذا يراد به شيئان :

---

(١) سورة البقرة ، الآية (٤٨) .

(٢) سورة البقرة ، الآية (١٢٣) .

(٣) سورة البقرة ، الآية (٢٥٤) .

(٤) سورة غافر ، الآية (١٨) .

(٥) سورة المدثر ، الآية (٤٨) .

أحدهما : أنها لا تنفع المشركين ؛ كما قال تعالىٰ في نعتهم : ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۝ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ۝ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ۝ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ۝ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ۝ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ (١) ، فهٰؤلاء نفىٰ عنهم نفع شفاعة الشافعين ؛ لأنهم كانوا كفاراً .

والثاني : أنه يراد بذٰلك نفي الشفاعة التي يثبتها أهل الشرك ومن شابههم من أهل البدعة ؛ من أهل الكتاب والمسلمين الذين يظنون أن للخلق عند الله من القدر أن يشفعوا عنده بغير إذنه ؛ كما يشفع الناس بعضهم عند بعض ، فيقبل المشفوع إليه شفاعة شافع لحاجته إليه رغبة ورهبة ، وكما يعامل المخلوقُ المخلوقَ بالمعاوضة .

فالمشركون كانوا يتخذون من دون الله شفعاء من الملائكة والأنبياء والصالحين ، ويصورون تماثيلهم فيتشفَّعون بها ويقولون : هٰؤلاء خواصُّ الله)(٢) .

قلت : هٰذا كلام الشيخ ابن تيمية بلفظه ، ومنه يظهر جلياً حقيقة هٰذه الآيات التي يستدل بها المنكرون لطلب الشفاعة من النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا ، أو القائلون بأنها شرك وضلال .

وخلاصة كلامه : هو أن المراد بذٰلك هو أن الشفاعة لا تنفع المشركين ، فالآيات واردة في هٰذه القضية ، أو أن المراد بذٰلك هو نفي الشفاعة التي يثبتها أهل الشرك ؛ وهي أن يعتقد أن الشافع يملك ذٰلك بغير إذن الله سبحانه وتعالىٰ .

---

(١) سورة المدثر ، الآيات (٤٢ ـ ٤٨) .

(٢) مجموعة الفتاوىٰ (١/١١٢ ـ ١١٣) .

وهـٰذا الذي ذكره الشيخ هو ما نعتقده بفضل الله ، ونقول : إن طالب الشفاعة منه صلى الله عليه وسلم إن اعتقد أو ظن أنه صلى الله عليه وسلم يشفع بغير إذن الله . . فهـٰذا شرك أو ضلال لا نشك في ذٰلك ولا نرتاب ، ولـٰكنه حاشا وكلا ثم حاشا وكلا ، ثم حاشا وكلا أن نعتقد ذٰلك أو نظنه ، ونبرأ إلى الله من ذٰلك .

وإننا حين نطلب الشفاعة فإننا نعتقد تمام الاعتقاد أنه لا يشفع أحد إلا بإذنه سبحانه وتعالىٰ ، ولا يقع شيء إلا برضاه وتأييده .

وإنما هـٰذا كطلب دخول الجنة ، وطلب الشرب من الحوض المورود ، وطلب النجاة على الصراط ، فكلها لا تحصل إلا بإذن الله ، وفي وقتها الذي قدَّره الله تعالىٰ لها ، وهل يشكُّ في ذٰلك عاقل ، أو يخفىٰ علىٰ من له أدنىٰ معرفة ، أو قراءة في كتب السلف من أصغر طلاب العلم الشريف ؟!

اللهم ؛ افتح مسامع قلوبنا ونوِّر أبصارنا .



إيّاك نعبد وإيّاك نستعين

إننا نعتقد اعتقاداً جازماً لازماً لا شك فيه ولا ريب : أن الأصل في الاستعانة والاستغاثة ، والطلب والنداء والسؤال هو أن تكون لله سبحانه وتعالىٰ ، فهو المعين والمغيث والمجيب .

قال الله تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴾ (١) ، وقال : ﴿ فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ ﴾ (٢) ، وقال : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ (٣) ، وقال : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ (٤) ، فالعبادة بجميع أنواعها لا بد أن تصرف لله وحده ، ولا يجوز صرف شيء منها لغير الله كائناً من كان : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (٥) .

فلا نذر إلا لله ، ولا دعاء إلا له ، ولا ذبح إلا له ، ولا استغاثة ولا استعاذة ولا استعانة ولا حلف إلا بالله ، ولا توكُّل إلا عليه سبحانه ، وتعالىٰ عما يشرك به المشركون علواً كبيراً .

---

(١) سورة يونس ، الآيتان (١٠٦ ـ ١٠٧) .
(٢) سورة العنكبوت ، الآية (١٧) .
(٣) سورة الأحقاف ، الآية (٥) .
(٤) سورة النمل ، الآية (٦٢) .
(٥) سورة الأنعام ، الآيتان (١٦٢ ـ ١٦٣) .

ونحن نعتقد أن الله هو الخالق للعباد وأفعالهم ، لا تأثير لأحد سواه لا لحيٍّ ولا ميت ، وليس لأحد مع الله فعل أو ترك ، أو رزق أو إحياء أو إماتة ، وليس أحد من الخلق قادراً على الفعل أو الترك بنفسه استقلالاً دون الله ، أو بالمشاركة مع الله ، أو أدنىٰ من ذٰلك .

فالمتصرف في الكون هو الله سبحانه وتعالىٰ ، ولا يملك أحد شيئاً إلا إذا ملَّكه الله ذٰلك وأذن له في التصرف فيه ، ولا يملك أحد لنفسه فضلاً عن غيره نفعاً ولا ضراً ، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً إلا ما شاء الله بإذن الله ، فالنفع والضر حينئذٍ محدودان بهٰذا الحدِّ ومقيدان بهٰذا القيد ، ونسبتهما إلى الخلق علىٰ سبيل التسبب والتكسب لا علىٰ سبيل الخلق أو الإيجاد ، أو التأثير أو العلة أو القوة ، والنسبة في الحقيقة مجازية ليست حقيقية ، ولٰكن الناس يختلفون في التعبير عن هٰذه الحقائق(١) ؛ فمنهم من يسرف في استعمال المجاز إسرافاً شديداً ؛ حتىٰ يقع في شبه لفظية هو منها بريء ، وقلبه سليم منعقد علىٰ كمال التوحيد والتنزيه لله سبحانه وتعالىٰ .

ومنهم من يتمسك بالحقيقة تمسكاً زائداً عن حدِّ الاعتدال فيصل به إلى التعنُّت والتشدد ، والإساءة إلى الناس بمعاملتهم علىٰ خلاف معتقدهم ، وحملهم علىٰ ما لا يقصدون وإلزامهم بما لا يريدون ، والحكم عليهم بما هم منه بريئون ، والواجب الاعتدال والبعد عن كل ذٰلك ، فهو أسلم للدين وأحوط في حماية مقام التوحيد ، والله أعلم .

وقد ذكر الشيخ ابن تيمية خلاصة موجزة مفيدة في بيان ما يختص

---

(١) هٰذه النقطة مفصلة في مبحث خاص بها بعنوان : (المجاز العقلي واستعماله) .

بالحق سبحانه وتعالىٰ ؛ وهو عين ما نعتقده وندين الله تعالىٰ به ؛ لأن عقيدتنا سلفية بفضل الله وطريقتنا محمدية ، ونقول بهٰذا الذي يقول به ابن تيمية .

قال الشيخ ابن تيمية : (والله قد جعل له حقاً لا يشركه فيه مخلوق فلا تصلح العبادة إلا له ، ولا الدعاء إلا له ، ولا التوكُّل إلا عليه ، ولا الرغبة إلا إليه ، ولا الرهبة إلا منه ، ولا ملجأ ولا منجىٰ منه إلا إليه ، ولا يأتي بالحسنات إلا هو ، ولا يذهب السيئات إلا هو ، ولا حول ولا قوة إلا به ، ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ [١] ، ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [٢] ، ﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ۞ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۞ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴾ [٣] ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ [٤] ، فجعل الطاعة لله وللرسول ، وجعل الخشية والتقوىٰ لله وحده ، وكذٰلك في قوله تعالىٰ : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾ [٥] ، فالإيتاء لله والرسول ، وأما التوكل . . فعلى الله وحده ، والرغبة إلى الله وحده) [٦] .



(١) سورة سبأ ، الآية (٢٣) .
(٢) سورة البقرة ، الآية (٢٥٥) .
(٣) سورة مريم ، الآيات (٩٣ ـ ٩٥) .
(٤) سورة النور ، الآية (٥٢) .
(٥) سورة التوبة ، الآية (٥٩) .
(٦) مجموعة الفتاوىٰ (١١/٥٨) .

الاستعانة والتوجه بالطلب للنبي صلى الله عليه وسلم

ذكرنا فيما تقدم أننا نعتقد اعتقاداً جازماً لا شك فيه ولا ريب : أن الأصل في الاستعانة والاستغاثة ، والطلب والنداء والسؤال هو أن تكون لله سبحانه وتعالىٰ ، فهو المعين والمغيث والمجيب ، يقول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (١) ؛ فمن استعان بمخلوق أو استغاث به أو ناداه ، أو سأله أو طلبه ، سواء كان حياً أو ميتاً معتقداً أنه ينفع أو يضر بنفسه استقلالاً دون الله . . فقد أشرك .

لٰكن الله أجاز للخلق أن يستعين بعضهم ببعض ، وأن يستغيث بعضهم ببعض ، وأمر من استعين أن يعين ، ومن استغيث أن يغيث ، ومن نودي أن يجيب ، والأحاديث في هٰذا كثيرة جداً كلها تدل علىٰ إغاثة الملهوف وإعانة المحتاج وتفريج الكربات ، والنبي صلى الله عليه وسلم أعظم من يستغاث به إلى الله سبحانه وتعالىٰ في كشف الكربات وقضاء الحاجات .

فأي شدة أكبر من شدة يوم القيامة حين تطول الوقفة وتشتدُّ الزحمة ، ويتضاعف الحرُّ ويلجم العرق من شاء الله ، ومع عظم هٰذه الشدة وبلوغها الغاية فإن الناس يستغيثون إلى الله بخيرة خلقه ؛ كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « وَبَيْنَمَا هُمْ كَذَٰلِكَ . . ٱسْتَغَاثُوا بِآدَمَ . . . »

(١) سورة غافر ، الآية (٦٠) .

الحديث ، وقد عبر فيه صلى الله عليه وسلم بلفظ الاستغاثة ، وهو بهٰذا اللفظ في « صحيح البخاري »[1] .

وقد كان الصحابة رضي الله تعالىٰ عنهم يستعينون به صلى الله عليه وسلم ويستغيثون به ، ويطلبون منه الشفاعة ، ويشكون حالهم إليه من الفقر والمرض ، والبلاء والدين والعجز ، ويفزعون إليه عند الشدائد ، ويطلبون منه ويسألونه معتقدين أنه ليس إلا واسطة وسبباً في النفع والضرِ ، والفاعل حقيقة هو (الله) .

أبو هريرة رضي الله عنه يشكو النسيان

أخرج البخاري وغيره عن أبي هريرة رضي الله تعالىٰ عنه : أنه شكا إلى النبي صلى الله عليه وسلم النسيان لما يسمعه من حديثه الشريف ، وهو يريد أن يزول عنه ذٰلك ، فقال رضي الله عنه : يا رسول الله ؛ إني أسمع منك حديثاً كثيراً فأنساه ، فأحب ألا أنسىٰ ، فقال صلى الله عليه وسلم : « ٱبْسُطْ رِدَاءَكَ » فبسطه ، فقذف بيده الشريفة من الهواء في الرداء ثم قال : « ضُمَّهُ » فضممته ، قال أبو هريرة : (فما نسيت شيئاً بعد)[2] .

فها هو أبو هريرة يطلب منه عليه الصلاة والسلام عدم نسيان شيء ؛ وهو مما لا يقدر عليه إلا الله عزَّ وجلَّ ، فلم ينكره ولم يرمه بشرك ؛ لما يعلم كل أحد أن الموحد إذا طلب شيئاً من ذوي الجاه عند الله . . فلا يريد منهم أن يخلقوا شيئاً ، ولا هو معتقد فيهم شيئاً من ذٰلك ،

---

(١) صحيح البخاري (١٤٧٥) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .
(٢) صحيح البخاري (١١٩) .

وإنما يريد أن يتسببوا له بما أقدرهم الله عليه من دعاء وما شاء الله من تصرف .

وهٰأنت ذا ترىٰ أنه عليه الصلاة والسلام أجابه إلىٰ مطلبه ، ولم يرد أنه دعا له في هٰذه القصة ، وإنما غرف له من الهواء وألقاه في الرداء ، وأمره فضمَّه إلىٰ صدره ، فجعل الله ذٰلك تفضلاً وسبباً لقضاء حاجته .

وكذٰلك لم يقل له عليه الصلاة والسلام : ما لك تسألني والله أقرب إليك مني ؟! لما هو معلوم عند كل أحد أن المعوَّل عليه في قضاء الحوائج ممن بيده مقاليد الأمور إنما هو أقربية الطالب منه عزَّ وجلَّ وكمال مكانته عنده .

قتادة رضي الله عنه يستغيث به لإصلاح عينه

وقد ثبت أن قتادة بن النعمان أصيبت عينه ، فسالت حدقته علىٰ وجنته فأرادوا أن يقطعوها ، فقال : لا حتىٰ أستأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستأمره ، فقال : « لَا » ، ثم وضع راحته علىٰ حدقته ثم غمزها فعادت كما كانت ، فكانت أصحَّ عينيه (1) .

وآخر يستعين به ﷺ في زوال سلعته

عن مخلد بن عقبة بن عبد الرحمٰن بن شرحبيل ، عن جده عبد الرحمٰن عن أبيه قال : (أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) أخرجه أبو يعلىٰ في « مسنده » (١٥٤٩) ، والبيهقي في « دلائل النبوة » (٣/١٠٠) ، والبغوي في « معجم الصحابة » (٥/٤٧) ، ونقلها الحافظ ابن حجر في « الإصابة » (٣/٢١٧) ، والحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٧/٢٩٩ ـ ٣٠٠) ، والحافظ السيوطي في « الخصائص الكبرىٰ » (١/٢٠٤) .

وبكفي سلعة فقلت : يا نبي الله ؛ هٰذه السلعة قد أورمتني ، تحول بيني وبين قائم السيف أن أقبض عليه ، وعن عنان الدابة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ٱدْنُ مِنِّي » .

فدنوت منه ثم قال : « ٱفْتَحْ يَدَكَ » ففتحتها ثم قال : « ٱقْبِضْهَا » فقبضتها ، قال : « ٱدْنُ مِنِّي » فدنوت منه ، قال : « ٱفْتَحْهَا » ففتحتها فنفث في كفي ، ثم وضع يده على السلعة ، فما زال يطحنها بكفِّه حتىٰ رفع عنها وما أرىٰ أثرها)[1] .

والسلعة : غدة تظهر بين الجلد واللحم .

معاذ رضي الله عنه يطلب منه ﷺ إصلاح يده

وفي يوم بدر ضرب عكرمة بن أبي جهل معاذ بن عمرو بن الجموح علىٰ عاتقه أثناء القتال ، يقول معاذ : (فضرب يدي فتعلقت بجلدة من جنبي وأجهضني القتال عنه فلقد قاتلت عامة يومي وإني لأسحبها خلفي ؛ فلما آذتني . . وضعت عليها قدمي ثم تمطَّيت عليها حتىٰ طرحتها)[2] .

قال في « المواهب » : (وجاء معاذ بن عمرو يحمل يده ، ضربه عليها عكرمة ، إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما ذكر القاضي عياض عن ابن وهب ، فبصق عليه الصلاة والسلام عليها فلصقت)[3] .

---

(١) أخرجه الطبراني في « الكبير » (٣٠٦/٧) .

(٢) أخرجه البيهقي في « دلائل النبوة » (٨٥/٣) .

(٣) المواهب اللدنية (٣٦٥/١) ، الشفا (ص ٣٩٦) ، وانظر « شرح المواهب » (٣٠٢/٢) ، وأسندها من طريق الحاكم .

وقد استفاضت النصوص الصحيحة التي تنطق بأنهم كانوا إذا أصابهم القحط وانقطع عنهم المطر . . فزعوا إليه مستشفعين متوسلين طالبين مستغيثين به إلى الله ، فيعرضون عليه حالهم ، ويشكون ما نزل بهم من البلاء والشر .

فهٰذا أعرابي يناديه وهو صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة ويقول : (يا رسول الله ؛ هلكت الأموال وانقطعت السبل ؛ فادع الله أن يغيثنا ، فدعا الله ، وجاء المطر إلى الجمعة الثانية ، فجاء وقال : يا رسول الله ؛ تهدَّمت البيوت وتقطَّعت السبل وهلكت المواشي ـ يعني : من كثرة المطر ـ فدعا صلى الله عليه وسلم فانجاب السحاب ، وصار المطر حول المدينة)[١] .

وروىٰ أبو داوود بسند جيد عن عائشة رضي الله عنها قالت : (شكا الناس إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم قحوط المطر)[٢] .

وأخرج البيهقي في « دلائل النبوة » عن أنس ، بسند ليس فيه متَّهم بالوضع ، وانظر « فتح الباري » :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه : أن أعرابياً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ؛ أتيناك وما لنا بعير يئطُّ[٣] ، ولا صبي يغطُّ[٤] ، ثم أنشد :

---

(١) صحيح البخاري (١٠١٧) عن أنس بن مالك رضي الله عنه .
(٢) سنن أبي داوود (١١٦٦) .
(٣) **يئط** : بفتح فكسر فطاء مشددة ؛ أي : يصوت .
(٤) **يغط** : كيئط وزناً ومعنىً ، والكلام كناية عن شدة الفقر والجوع والقحط .

أتيناك والعذراء يَدْمىٰ[1] لبانها[2] وقد شُغلت أم الصبي عن الطفلِ

وألقىٰ بكفيه الفتيُّ[3] استكانة من الجوع ضعفاً ما يمرُّ ولا يُحلي[4]

ولا شيءَ مما يأكل الناس عندنا سوى الحنظل العامي[5] والعلهز[6] الفسْلِ[7]

وليس لنا إلا إليك فرارُنا وأين فرار الناس إلا إلى الرُّسْلِ

فقام يجرُّ رداءه حتىٰ صعد المنبر فرفع يديه فقال : « ٱللَّهُمَّ ؛ ٱسْقِنَا غَيْثاً مُغِيثاً[8] مَرِيئاً مَرِيعاً[9] ، غَدَقاً طَبَقاً[10] نَافِعاً غَيْرَ ضَارٍّ ، عَاجِلًا غَيْرَ رَائِثٍ[11] تَمْلَأُ بِهِ ٱلضَّرْعَ ، وَتُنْبِتُ بِهِ ٱلزَّرْعَ ، وَتُحْيِي بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا » قال : فما ردَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه حتىٰ ألقت السماء بأرواقها[12] ، وجاء الناس يضجُّون الغرق الغرق ، فقال صلى الله عليه وسلم : « حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا » فانجاب السحاب عن المدينة[13] .

---

(١) **يدمىٰ** : كيسعىٰ .

(٢) **اللبان** : بفتح اللام آخره نون : الصدر ؛ وهو كناية عن أنها تمتهن نفسها ولا تجد من يخدمها ؛ لضيق ذات يدها من الجدب .

(٣) **الفتي** : كغني : الشاب .

(٤) **ما يمر ولا يحلي** : أي : ما ينطق بشرٍ ولا بخير من جوعه وضعفه من أمر وأحلىٰ .

(٥) **العامي** : نسبة إلى العام ؛ أي : السنة ؛ لأن الحنظل يتخذ في عام الجدب .

(٦) **العلهز** : بكسر فسكون فكسر : طعام الدم والوبر ، كان يتخذ في المجاعة .

(٧) **الفسل** : بفتح الفاء وسكون السين المهملة : الرديء .

(٨) **المغيث** : بضم الميم .

(٩) **المريع** : بفتح الميم : المخصب .

(١٠) **غدقاً طبقاً** : بتحريك فيهما ، معناه : الكثير العام .

(١١) **غير رائث** : غير مبطئ ، من رأث ـ بالثاء ـ إذا أبطأ .

(١٢) **أرواقها** : مياهها الصافية ، جمع روق ، كدلو .

(١٣) دلائل النبوة (١٤١/٦) ، فتح الباري (٤٩٥/٢) ، والأبيات من الطويل .

فانظر كيف أسند صلى الله عليه وسلم الإغاثة والنفع ونحوهما إلى الغيث على سبيل المجاز في الإسناد ، وكيف أقرَّ الشاعر على قوله : (وليس لنا إلا إليك فرارنا . . .) البيت ، ولم يعده مشركاً ؛ لأن القصر فيه إضافي ، وهل كان يخفى عليه صلى الله عليه وسلم قوله تعالى : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ (١) ، وقد أنزلت عليه ؟!

والمعنى : أن الفرار المرجو نفعه المؤكد خبره إليك لا إلى من دونك ، وإلى الرسل لا إلى من دونهم ؛ فإن المرسلين أعلى من يتوسل بهم إلى الله عزَّ وجلَّ ، وأعظم من يقضي الله الحوائج على أيديهم للملتجئين إليهم والمستغيثين ، وتأمل جيداً تأثره صلى الله عليه وسلم الشديد بما أنشده هٰذا الشاعر ، وشدة سرعته إلى نجدتهم وإغاثتهم حيث قام إلى المنبر يجرُّ رداءه ، ولم يتمهل حتى يصلحه استعجالاً لإجابة داعيه ، وإسراعاً إلى إغاثة مناديه ، عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام .

النبي ﷺ هو ركننا وعصمتنا وملاذنا

لقد ناداه حسان بن ثابت ووصفه بأنه الركن الذي يعتمد عليه ، والعصمة الذي يلجأ إليه ، فقال (٢) :

يا ركن معتمد وعصمة لائذٍ ومـلاذ منتجعٍ (٣) وجار مجاورِ
يا من تخيَّره الإلٰه لخلقه فحباه بالخلق الزكيِّ الطاهرِ

---

(١) سورة الذاريات ، الآية (٥٠) .

(٢) أوردها ابن عبد البر في « الاستيعاب » (ص ١٣٣) ، والبيت الأخير في « ديوانه » (١/٤٨٣) ، وهي من الكامل .

(٣) منتجع : طالب للمعروف .

أنـت الـنبـيُّ وخـيـر عـصبة آدمٍ يـا من يـجـود كـفيض بـحر زاخـرِ

ميـكـال معـك وجبرئـيـل كـلاهـما مــددٌ لـنـصـرك مـن عـزيـز قـاهـرِ

حمزة فاعل الخيرات وكاشف الكربات

عند ابن شاذان من حديث ابن مسعود : ما رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم باكياً قطُّ أشدَّ من بكائه علىٰ حمزة بن عبد المطلب ، وضعه في القبلة ثم وقف علىٰ جنازته وانتحب حتىٰ نشغ من البكاء يقول : « يَا حَمْزَةُ يَا عَمَّ رَسُولِ ٱللهِ ؛ وَأَسَدَ ٱللهِ وَأَسَدَ رَسُولِهِ ، يَا حَمْزَةُ يَا فَاعِلَ ٱلْخَيْرَاتِ ؛ يَا حَمْزَةُ يَا كَاشِفَ ٱلْكُرُبَاتِ ؛ يَا حَمْزَةُ يَا ذَابّاً عَنْ وَجْهِ رَسُولِ ٱللهِ » انتهىٰ من « المواهب اللدنية »[1] .



(١) المواهب اللدنية (٢/١٠٤) .

فإن قال قائل : إن الاستغاثة به صلى الله عليه وسلم وشكوى الحال إليه ، وطلب الشفاعة والعون منه ، وكل ما يكون في هٰذا الباب . . إنما يصحُّ في حياته ، أما بعد موته . . فهو كفر ، وربما تسامح فقال : (غير مشروع) ، أو قال : (لا يجوز) .

فنقول : إن الاستغاثة والتوسل إن كان المصحح لطلبهما هو الحياة ؛ كما يقولون . . فالأنبياء أحياء في قبورهم وغيرهم من عباد الله المرضيين كذٰلك .

ولو لم يكن للفقيه من الدليل علىٰ صحة التوسل والاستغاثة به صلى الله عليه وسلم بعد وفاته إلا قياسه على التوسل والاستغاثة به في حياته الدنيا . . لكفىٰ ؛ فإنه حي في الدارين دائم العناية بأمته ، متصرف بإذن الله في شؤونها خبير بأحوالها ، تعرض عليه صلوات المصلين عليه من أمته ، ويبلغه سلامهم علىٰ كثرتهم .

ومن اتسع علمه بشؤون الأرواح وما جعلها الله عليه من الخصائص لا سيما العالية منها . . اتَّسع قلبه للإيمان بذٰلك ، فكيف بروح الأرواح ونور الأنوار نبينا عليه الصلاة والسلام ؟!

ولو كان طلب الشفاعة أو الاستغاثة أو التوسل به عليه الصلاة والسلام شركاً وكفراً ـ كما توهموا ـ . . لما جاز في حال من الأحوال لا في الحياة الدنيا ولا في الحياة الأخرىٰ ، لا يوم القيامة

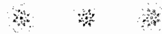
ولا قبلها ؛ فإن الشرك ممقوت عند الله في كل حال .

دعوىٰ باطلة

أما دعوىٰ أن الميت لا يقدر علىٰ شيء . . فهي باطلة ؛ لأنه إن كان ذٰلك لكونهم يعتقدون أن الميت صار تراباً . . فهـٰذا عين الجهل بما ورد عن نبينا صلى الله عليه وسلم ، بل عن ربنا جل جلاله من ثبوت حياة الأرواح وبقائها بعد مفارقة الأجسام ومناداة النبي صلى الله عليه وسلم لها يوم بدر : « يَا عَمْرَو بْنَ هِشَامٍ ، وَيَا عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ ، وَيَا فُلَانَ بْنَ فُلَانٍ ؛ إِنَّا وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً » ، فقيل له : ما ذٰلك ؟ فقال : « مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ »(١) .

ومن ذٰلك تسليمه علىٰ أهل القبور ومناداته لهم بقوله صلى الله عليه وسلم : « ٱلسَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ ٱلدِّيَارِ »(٢) .

ومن ذٰلك عذاب القبر ونعيمه ، وإثبات المجيء والذهاب إلى الأرواح . . إلىٰ غير ذٰلك من الأدلة الكثيرة التي جاء بها الإسلام ، وأثبتتها الفلسفة قديماً وحديثاً .



ولنقتصر هنا علىٰ هـٰذا السؤال :

أيعتقدون أن الشهداء أحياء عند ربهم كما نطق القرآن بذٰلك أم لا ؟ فإن لم يعتقدوا . . فلا كلام لنا معهم ؛ لأنهم كذبوا القرآن حيث يقول :

---

(١) تقدم تخريجه (ص ٢٤٩) .

(٢) أخرجه مسلم (٩٧٥) عن بريدة رضي الله عنه .

﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ ﴾ (١) ، ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴾ (٢) .

وإن اعتقدوا ذٰلك . . فنقول لهم : إن الأنبياء وكثيراً من صالحي المسلمين الذين ليسوا بشهداء ؛ كأكابر الصحابة أفضل من الشهداء بلا شك ولا مرية ؛ فإذا ثبتت الحياة للشهداء . . فثبوتها لمن هو أفضل منهم أولىٰ علىٰ أن حياة الأنبياء مصرح بها في الأحاديث الصحيحة .

فإذاً نقول : حيث ثبتت حياة الأرواح بالأدلة القطعية فلا يسعنا بعد ثبوت الحياة إلا إثبات خصائصها ؛ فإن ثبوت الملزوم يوجب ثبوت اللازم ، كما أن نفي اللازم يوجب نفي الملزوم كما هو معروف .

وأي مانع عقلاً من الاستغاثة إلى الله بها والاستمداد منها ؛ كما يستعين الرجل بالملائكة في قضاء حوائجه ، أو كما يستعين الرجل بالرجل .

. . . . وأنت بالروح لا بالجسم إنسان (٣)

وتصرفات الأرواح علىٰ نحو تصرفات الملائكة لا تحتاج إلىٰ مماسة ولا آلة ، فليست علىٰ نحو ما تعرف من قوانين التصرفات عندنا فإنها من عالم آخر ، ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي ﴾ (٤) ، وماذا يفهمون من تصرف الملائكة أو الجن في هٰذا العالم ؟!

---

(١) سورة البقرة ، الآية (١٥٤) .

(٢) سورة آل عمران ، الآية (١٦٩) .

(٣) عجز بيت لأبي الفتح البستي في « ديوانه » (ص ٣٥٤) وفيه : (فأنت بالنفس) ، وصدره : (أقبل على النفس فاستكمل فضائلها) ، وهو من البسيط .

(٤) سورة الإسراء ، الآية (٨٥) .

ولا شك أن الأرواح لها من الإطلاق والحرية ما يمكنها من أن تجيب من يناديها وتغيث من يستغيث بها ؛ كالأحياء سواء بسواء بل أشد وأعظم .

فإن كانوا لا يعرفون إلا المحسوسات ، ولا يعترفون إلا بالمشاهدات . . فهٰذا هو شأن الطبيعيين لا المؤمنين ، علىٰ أننا نتنزل معهم ونسلم لهم أن الأرواح بعد مفارقة الأجساد لا تستطيع أن تعمل شيئاً ، ولٰكن نقول لهم : إذا فرضنا ذٰلك وسلمنا جدلاً . . فلنا أن نقرر أنه ليست مساعدة الأنبياء والأولياء للمستغيثين بهم من باب تصرف الأرواح في هٰذا العالم ، بل مساعدتهم لمن يزورهم أو يستغيث بهم بالدعاء لهم ؛ كما يدعو الرجل الصالح لغيره فيكون من دعاء الفاضل للمفضول ، أو على الأقل من دعاء الأخ لأخيه ، وقد علمت أنهم أحياء يشعرون ويحسُّون ويعلمون ، بل الشعور أتم والعلم أعم بعد مفارقة الجسد ؛ لزوال الحجب الترابية وعدم منازعات الشهوات البشرية .

وقد جاء في الحديث : أن أعمالنا تعرض عليه صلى الله عليه وسلم ؛ فإن وجد خيراً . . حمد الله ، وإن وجد غير ذٰلك . . استغفر لنا[1] ، ولنا أن نقول : إن المستغاث به والمطلوب منه الإغاثة هو الله تعالىٰ ، ولٰكن السائل يسأل متوسلاً إلى الله بالنبي صلى الله عليه وسلم أن يقضي حاجته ، فالفاعل هو الله ، ولٰكن أراد السائل أن يسأله تعالىٰ ببعض المقربين لديه الأكرمين عليه ، فكأنه يقول : أنا من محبيه أو محسوبيه

---

(١) تقدم تخريجه (ص ١٢٣) .

فارحمني لأجله ، وسيرحم الله كثيراً من الناس لأجل النبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء والأولياء والعلماء .

وبالجملة : فإكرام الله لبعض أحباب النبي صلى الله عليه وسلم لأجل نبيه ، بل بعض العباد لبعض أمر معروف غير مجهول ؛ ومن ذٰلك الذين يصلون على الميت ، ويطلبون من الله أن يكرمه ويعفو عنه لأجلهم بقولهم : وقد جئناك شفعاء فشفعنا .



هل طلب ما لا يقدر عليه إلا الله .. شرك ؟

ومن جملة الدعاوى الباطلة التي يتمسك بها هٰؤلاء المكفِّرون لمن يتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم ، أو يطلب منه هو قولهم : إن الناس يطلبون من الأنبياء والصالحين الميتين ما لا يقدر عليه إلا الله وذٰلك الطلب شرك .

وجوابه : أن هٰذا سوء فهم لما عليه المسلمون في قديم الدهر وحديثه ؛ فإن الناس إنما يطلبون منهم أن يتسببوا عند ربهم في قضاء ما طلبوه من الله عزَّ وجلَّ : بأن يخلقه سبحانه بسبب تشفُّعهم ودعائهم وتوجُّههم ؛ كما صح ذٰلك في الضرير وغيره ممن جاء طالباً مستغيثاً متوسلاً به إلى الله ، وقد أجابهم إلىٰ طلبهم وجبر خواطرهم ، وحقق مرادهم بإذن الله ولم يقل صلى الله عليه وسلم لواحد منهم : أشركت .

وهٰكذا كل ما طلب منه من خوارق العادات ؛ كشفاء الداء العضال بلا دواء ، وإنزال المطر من السماء حين الحاجة إليه ولا سحاب ، وقلب الأعيان ، ونبع الماء من الأصابع ، وتكثير الطعام ، وغير ذٰلك فهو مما لا يدخل تحت قدرة البشر عادة ، وكان يجيب إليه ولا يقول عليه الصلاة والسلام لهم : إنكم أشركتم فجددوا إسلامكم ؛ فإنكم طلبتم مني ما لا يقدر عليه إلا الله .

أفيكون هٰؤلاء أعلم بالتوحيد وبما يخرج عن التوحيد من رسول الله

صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، هٰذا ما لا يتصوره جاهل فضلاً عن عالم ؟!

وحكى القرآن المجيد قول نبي الله سليمان لأهل مجلسه من الجن والإنس : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴾ (١) ، فهو يطلب منهم الإتيان بالعرش العظيم من اليمن إلىٰ موضعه بالشام علىٰ طريقة خارقة للعادة ؛ ليكون ذٰلك آية لصاحبته داعية إلىٰ إيمانها .

ولما قال عفريت من الجن : ﴿ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ﴾ (٢) ـ يعني : في ساعات قليلة ـ . . قال نبي الله عليه الصلاة والسلام : أريد أعجل من ذٰلك ، فقال الذي عنده علم من الكتاب وهو أحد الصديقين من أهل مجلسه من الإنس : ﴿ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَ ﴾ (٣) ؛ يعني : قبل أن يرجع إليك طرفك إذا أرسلته ، فقال عليه الصلاة والسلام : « ذٰلك أريد » فدعا الرجل فإذا بالعرش بين يديه .

فالإتيان بالعرش علىٰ هٰذه الطريقة هو مما لا يقدر عليه إلا الله ، وليس داخلاً تحت مقدور الإنس ولا الجن عادة ، وقد طلبه سليمان من أهل مجلسه ، وقال ذٰلك الصديق له : أنا أفعل ذٰلك ، أفكفر نبي الله سليمان بذٰلك الطلب وأشرك وليُّ الله بهٰذا الجواب حاشاهما من ذٰلك ؟ وإنما إسناد الفعل في الكلامين علىٰ طريقة المجاز العقلي ، وهو سائغ بل شائع .

---

(١) سورة النمل ، الآية (٣٨) .

(٢) سورة النمل ، الآية (٣٩) .

(٣) سورة النمل ، الآية (٤٠) .

وكشف الخفاء عن هٰذا اللبس إن كان ثم خفاء هو أن الناس إنما يطلبون منهم التشفُّع إلى الله في ذٰلك ؛ وهو مما أقدرهم الله عليه ، وملَّكهم إياه ، فالقائل : يا نبي الله ؛ اشفني أو اقض ديني ، فإنما يريد اشفع لي في الشفاء وادع لي بقضاء ديني ، وتوجه إلى الله في شأني ، فهم ما طلبوا منهم إلا ما أقدرهم الله عليه ، وملَّكهم إياه من الدعاء والتشفُّع .

وهٰذا هو الذي نعتقده فيمن قال ذٰلك وندين الله علىٰ هٰذا ، فالإسناد في كلام الناس من المجاز العقلي الذي لا خطر فيه علىٰ من نطق به ؛ كقوله سبحانه وتعالىٰ : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ ﴾ (١) ، وقوله عليه الصلاة والسلام : « إِنَّ مِمَّا يُنْبِتُ ٱلرَّبِيعَ مَا يَقْتُلَ حَبَطاً أَوْ يُلِمُّ » (٢) .

وهو في كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والخاصة والعامة كثير جداً وليس فيه محذور ؛ فإن صدوره من الموحدين قرينة علىٰ مرادهم وليس فيه شيء من سوء الأدب ، وقد فصَّلنا هٰذه الحقيقة في مبحث خاص بها من هٰذا الكتاب .



---

(١) سورة يسٓ ، الآية (٣٦) .

(٢) أخرجه البخاري (١٤٦٥ ، ٢٨٤٢) ، ومسلم (١٠٥٢/١٢١ ، ١٢٣) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

إذا سألت.. فاسأل الله
وإذا استعنت.. فاستعن بالله

وهـٰذا الحديث يخطئ كثير من الناس في فهمه ؛ إذ يستدل به علىٰ أنه لا سؤال ولا استعانة مطلقاً من كل وجه وبأي طريق إلا بالله ، ويجعل السؤال والاستعانة بغير الله من الشرك المخرج عن الملَّة ، وهو بهـٰذا ينفي الأخذ بالأسباب والاستعانة بها ، ويهدم كثيراً من النصوص الواردة في هـٰذا الباب .

والحق أن هـٰذا الحديث الشريف ليس المقصود به النهي عن السؤال والاستعانة بما سوى الله كما يفيده ظاهر لفظه ، وإنما المقصود به النهي عن الغفلة عن أن ما كان من الخير علىٰ يد الأسباب . . فهو من الله ، والأمر بالانتباه إلىٰ أن ما كان من نعمة علىٰ يد المخلوقات . . فهو من الله وبالله .

فالمعنىٰ : وإذا أردت الاستعانة بأحد من المخلوقين ، ولا بد لك منها . . فاجعل كل اعتمادك على الله وحده ولا تحجبنَّك الأسباب عن رؤية المسبب جل جلاله ، ولا تكن ممن يعلمون ظاهراً من هـٰذه الارتباطات والعلاقات بين الأشياء المترتب بعضها علىٰ بعض ، وهم عن الذي ربط بينها غافلون .

وقد أومأ هـٰذا الحديث نفسه إلىٰ هـٰذا المعنىٰ ؛ وذٰلك في قوله عليه الصلاة والسلام عقب هـٰذه الجملة الشريفة : « **وَٱعْلَمْ** : أَنَّ ٱلْأُمَّةَ لَوِ

ٱجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ . . لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ ٱللهُ لَكَ ، وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ . . لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ ٱللهُ عَلَيْكَ »[1] ، فأثبت لهم كما نرىٰ نفعاً وضراً بما كتبه الله للعبد أو عليه .

فهٰذا منه صلى الله عليه وسلم يوضح مراده .

وكيف ننكر الاستعانة بغيره وقد جاء الأمر بها في مواضع كثيرة من الكتاب والسنة ، قال تعالىٰ : ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾[2] ، وقال : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾[3] .

وحكىٰ عن العبد الصالح ذي القرنين قوله : ﴿ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ ﴾[4] ، وفي مشروعية صلاة الخوف الثابتة بالكتاب والسنة مشروعية استعانة بعض الخلق ببعض ، وكذا في أمره تعالى المؤمنين بأن يأخذوا حذرهم من عدوهم .

وكذا في ترغيبه عليه الصلاة والسلام للمؤمنين في قضاء حوائج المحتاجين ، والتيسير على المعسر والتفريج عن المكروب ، وفي ترهيبه من إهمال ذٰلك ، وهو في السنة كثير ، روى الشيخان عنه صلى الله عليه وسلم : « مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ . . كَانَ ٱللهُ فِي حَاجَتِهِ »[5] .

---

(١) هٰذا طرف من الحديث المشهور الذي رواه الترمذي (٢٥١٦) وصحَّحه عن ابن عباس مرفوعاً .

(٢) سورة البقرة ، الآية (٤٥) .

(٣) سورة الأنفال ، الآية (٦٠) .

(٤) سورة الكهف ، الآية (٩٥) .

(٥) صحيح البخاري (٢٤٤٢) ، صحيح مسلم (٢٥٨٠) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

وروىٰ مسلم وأبو داوود وغيرهما عنه عليه الصلاة والسلام قال : « وَٱللَّهُ فِي عَوْنِ ٱلْعَبْدِ مَا كَانَ ٱلْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ »[1] .

وروى الطبراني عنه صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ خَلْقاً خَلَقَهُمْ لِحَوَائِجِ ٱلنَّاسِ ، يَفْزَعُ ٱلنَّاسُ إِلَيْهِمْ فِي حَوَائِجِهِمْ ، أُولَـٰئِكَ ٱلْآمِنُونَ مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ »[2] .

فانظر إلىٰ قوله صلى الله عليه وسلم : « يفزع الناس إليهم في حوائجهم » ولم يجعلهم مشركين بل ولا عاصين .

وروى الطبراني أيضاً مرفوعاً : « إِنَّ لِلَّهِ عِنْدَ أَقْوَامٍ نِعَماً يُقِرُّهَا عِنْدَهُمْ مَا كَانُوا فِي حَوَائِجِ ٱلنَّاسِ مَا لَمْ يَمَلُّوهُمْ ، فَإِذَا مَلُّوهُمْ . . نَقَلَهَا إِلَىٰ غَيْرِهِمْ »[3] .

وروىٰ هو وابن أبي الدنيا عنه صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ لِلَّهِ أَقْوَاماً ٱخْتَصَّهُمْ بِٱلنِّعَمِ لِمَنَافِعِ ٱلْعِبَادِ ، يُقِرُّهُمْ فِيهَا مَا بَذَلُوهَا ؛ فَإِذَا مَنَعُوهَا . . نَزَعَهَا مِنْهُمْ فَحَوَّلَهَا إِلَىٰ غَيْرِهِمْ »[4] .

قال الحافظ المنذري : (ولو قيل بتحسين سنده . . لكان ممكناً)[5] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لَأَنْ يَمْشِيَ أَحَدُكُمْ مَعَ أَخِيهِ فِي قَضَاءِ

---

(١) صحيح مسلم (٣٨/٢٦٩٩) ، سنن أبي داوود (٤٩٠٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) المعجم الكبير (٣٥٨/١٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما .

(٣) المعجم الأوسط (٨٣٤٦) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

(٤) المعجم الأوسط (٥١٦٢) ، قضاء الحوائج (٥) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٥) الترغيب والترهيب (٣٨٦٤) .

حَاجَتِهِ ـ وأشار بإصبعه ـ أَفْضَلُ مِنْ أَنْ يَعْتَكِفَ فِي مَسْجِدِي هَـٰذَا شَهْرَيْنِ »[1] .



(١) أخرجه الحاكم في « المستدرك » (٤/٢٧٠) ، وقال : (صحيح الإسناد) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

أما قوله صلى الله عليه وسلم : « وَإِذَا سَأَلْتَ فَٱسْأَلِ ٱللهَ » . . فإنه لا مستمسك فيه ولا دليل لمنع السؤال أو التوسل ، ومن فهم من ظاهره منع السؤال من الغير مطلقاً ، أو منع التوسل بالغير على الإطلاق . . فقد أخطأ الطريق وغالط نفسه كل المغالطة ؛ وذٰلك لأن من اتخذ الأنبياء والصالحين وسيلة إلى الله ؛ لجلب خير منه عزَّ وجلَّ أو دفع شر كذٰلك . . فهو ليس إلا سائلاً الله وحده أن ييسِّر له ما طلب أو يصرف عنه ما ساء متوسلاً إليه بمن توسل به ، وهو في ذٰلك آخذ بالسبب الذي وضعه الله ؛ لينجح العبيد في قضاء حوائجهم منه عزَّ وجلَّ .

ومن أخذ بالسبب الذي أمر الله بسلوكه لنيل جوده . . فما سأل السبب بل سأل واضعه ، فقول القائل : يا رسول الله ؛ أريد أن تردَّ عيني ، أو أن يزول عنا البلاء ، أو أن يذهب مرضي ، فمعنىٰ ذٰلك : طلب هٰذه الأشياء من الله بواسطة شفاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وهو كقوله : ادع لي بكذا ، واشفع لي في كذا ، لا فرق بينهما إلا أن هٰذه أصرح في المراد من ذٰلك ، ومثلهما في ذٰلك أو أوضح قول المتوسل : اللهم ؛ إني أسألك بنبيك تيسير كذا مما ينفع ، أو دفع كذا من الشر ؛ فالمتوسل في ذٰلك كله ما سأل في حاجته إلا الله عزَّ وجلَّ .

وبهٰذا تعلم : أن الاحتجاج علىٰ منع التوسل بقوله عليه الصلاة

والسلام : « إذا سألت فاسأل الله » . . هو مغالطة في حمل الحديث علىٰ ما هو ظاهر الفساد ، من أنه لا يصح لأحد أن يسأل غير الله شيئاً ؛ فإن من فهم هٰذا من الحديث . . فقد أخطأ الخطأ كله ، ويكفي في بيان هٰذا الخطأ : أن الحديث نفسه إنما هو جواب منه عليه الصلاة والسلام لسؤال ابن عباس راوي الحديث بعد تشويق رسول الله صلى الله عليه وسلم له أن يسأله فإنه قال له : « يَا غُلَامُ ؛ أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ ٱللهُ بِهِنَّ ؟ » فأي تحريض على السؤال أجمل من هٰذا ؟! قال ابن عباس رضي الله عنهما : (بلىٰ) ، فأجابه عليه الصلاة والسلام بهٰذا الحديث الذي منه هٰذه الجملة .

ولو جرينا علىٰ هٰذا الوهم . . ما صحَّ علىٰ مقتضاه أن يسأل جاهل عالماً ، ولا واقع في مهلكة غوثاً ، ممن تتوقف نجاته علىٰ إغاثته ، ولا دائن مديناً قضاء ما عليه ، ولا مستقرض قرضاً ، ولما صحَّ للناس يوم القيامة أن يسألوا النبيين الشفاعة ، ولا صحَّ لنبي الله عيسىٰ أن يأمرهم بسؤالها سيد المرسلين عليه وعليهم الصلاة والسلام ؛ فإن الدليل علىٰ مقتضىٰ هٰذا الوهم الذي توهَّموه عام ، يشمل عدم صحة ما ذكرناه وما لم نذكره .

فإن قالوا : إن الممنوع إنما هو سؤال الأنبياء والصالحين من أهل القبور في برازخهم لأنهم غير قادرين . . فقد سبق رد هٰذا الوهم مبسوطاً ، وإجماله : أنهم أحياء سامعون قادرون على الشفاعة والدعاء ، وحياتهم حياة برزخية لائقة بمقامهم يصح بها نفعهم بالدعاء والاستغفار ، والمنكر لذٰلك أخف أحواله أنه جاهل بما كاد يلحق بالمتواتر من سنته عليه الصلاة والسلام ، الدال علىٰ أن موتى المؤمنين لهم في حياتهم البرزخية

العلم والسماع والقدرة على الدعاء ، وما شاء الله من التصرفات ، فما الظن بأكابر أهل البرزخ من النبيين وسائر الصالحين ؟!

وفي حديث الإسراء والمعراج الصحيح بل المشهور : ما فعل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع خيرهم محمد صلى الله عليه وسلم من الصلاة خلفه والخطبة بين يديه ، والدعاء له في السماوات ؛ حتىٰ إن الأمة ما ظفرت بتخفيف خمسين صلاة إلىٰ خمس في كل يوم وليلة بشفاعته صلى الله عليه وسلم المتعددة . . إلا بعد إشارة كليم الله موسى بن عمران بها عليه ، صلّى الله عليهما وسلّم [١] .

وبهٰذا يتبين أن المقصود من الحديث ليس ما توهموه ؛ فإنه فاسد واضح الفساد كما تبين ، وإنما المقصود منه الترهيب من سؤال الناس أموالهم بلا حاجة طمعاً فيها ، والترغيب في القناعة بما يسَّر الله من الخير ولو كان قليلاً ، والتعفُّف عما لا تدعو إليه الحاجة مما بأيدي الناس ، وأن يستغني بسؤال الله من فضله فإنه يحب الملحِّين في الدعاء ، والناس على العكس من ذٰلك كما قال القائل [٢] :

الله يغضب إن تركتَ سؤاله ... وبُنَيَّ آدمَ حين يسأل يغضبُ

فالمعنىٰ : أنك إذا رأيت في يد أحد من المال ما أعجبك وطمحت إليه نفسك . . فلا تسأله ما في يده ، واستعن بسؤال الله من فضله عن سؤال عبده ، فالحديث إرشاد إلى القناعة ، والتنزُّه عن الطمع ، وأين هٰذا من سؤال الله بأنبيائه وأوليائه ، أو سؤال أنبيائه الشفاعة للسائلين

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٩) ، ومسلم (١٦٢/٢٥٩) عن أنس بن مالك رضي الله عنه .
(٢) أورده البيهقي في « الشعب » عند الحديث (١٠٦٥) ، وهو من الكامل .

فيما جعل الله شفاعتهم فيه الذي هو من أقوى الأسباب في النجاح ؟!
ولٰكن الإنسان إذا ركب الهوىٰ . . شطَّ به في مجال الأوهام ، وخرج به عن جادة الأفهام .



إنه لا يُستغاث بي

جاء في الحديث : أنه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم منافق يؤذي المؤمنين ، فقال أبو بكر الصديق : قوموا بنا لنستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هٰذا المنافق ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إِنَّهُ لَا يُسْتَغَاثُ بِي ، إِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ »(١) .

وهٰذا الحديث قد يستدل به من يقول بمنع الاستغاثة به صلى الله عليه وسلم ، وهٰذا استدلال باطل من أصله ؛ وذٰلك لأنه لو أجراه علىٰ ظاهره . . لكان المقصود به منع الاستغاثة به صلى الله عليه وسلم مطلقاً ؛ كما هو ظاهر اللفظ ، وهٰذا منقوض بفعل الصحابة معه صلى الله عليه وسلم ؛ إذ كانوا يستغيثون ويستسقون به ويطلبون منه الدعاء وهو يستجيب لذٰلك بفرح وسرور ، وحينئذٍ فلا بد من تأويله بما يناسب عمومات الأحاديث ؛ لينتظم شمل النصوص فنقول : إن المراد بقوله ذٰلك : هو إثبات حقيقة التوحيد في أصل الاعتقاد ؛ وهو أن المغيث حقيقة هو الله تعالىٰ ، والعبد ما هو إلا واسطة في ذٰلك ، أو أنه أراد أن يعلمهم أنه لا يطلب من العبد ما لا يقدر عليه ؛ كالفوز بالجنة والنجاة من النار ، والهداية التي هي العصمة من الغواية ، وضمان الختم على السعادة .

(١) أورده الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٢٠/٣٩٩) وعزاه للطبراني عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه وقال : (رجاله رجال الصحيح ، وفيه عبد الله بن لهيعة) .

والحديث لا يدل علىٰ تخصيص الاستعانة والاستغاثة بالحي دون الميت ، ولا يمتُّ بصلة إلىٰ هـٰذا التفريق ، بل إن ظاهره يمنع الاستغاثة أبداً بما سوى الله دون تفريق بين حي وميت ، وهـٰذا غير مقصود لما قدمناه .

وقد أشار الشيخ ابن تيمية في « الفتاوىٰ » إلىٰ نحو هـٰذا المعنىٰ حيث قال : قد يكون في كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم عبارة لها معنىً صحيح ، لـٰكن بعض الناس يفهم من تلك غير مراد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، فهـٰذا يردُّ عليه فهمه ؛ كما روى الطبراني في « معجمه الكبير » : أنه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم منافق يؤذي المؤمنين ، فقال أبو بكر الصديق : قوموا بنا لنستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هـٰذا المنافق ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إِنَّهُ لَا يُسْتَغَاثُ بِي وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِٱللَّهِ » ، فهـٰذا إنما أراد به النبي صلى الله عليه وسلم المعنى الثاني ، وهو أن يطلب منه ما لا يقدر عليه إلا الله ، وإلا . . فالصحابة كانوا يطلبون منه الدعاء ويستسقون به ؛ كما في « صحيح البخاري » عن ابن عمر قال : ربما تذكَّرت الشاعر وأنا أنظر إلىٰ وجه النبي صلى الله عليه وسلم يستسقي ، فما ينزل حتىٰ يجيش كل ميزاب[(١)] :

وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه ثـمالُ اليتامىٰ عصمةٌ للأراملِ



(١) مجموعة الفتاوىٰ (١/٨٤) ، صحيح البخاري (١٠٠٩) ، والبيت من قول أبي طالب ، وهو من الطويل .

ألفاظ مستعملةٌ وردت في هٰذا الباب

وقد وردت ألفاظ في مدح النبي صلى الله عليه وسلم حصل بسببها اللبس عند بعضهم فحكم بالكفر علىٰ قائليها ؛ وذٰلك كقولهم :

- ليس لنا ملاذ سوى النبي صلى الله عليه وسلم .
- ولا رجاء إلا هو .
- وأنا مستجير به .
- وإليه يفزع في المصائب .
- وإن توقفت . . فمن أسأل .

ومقصودهم **ليس لنا ملاذ** ؛ أي : من الخلق ، **ولا رجاء** ؛ أي : من البشر ، **وإليه يفزع في المصائب** ؛ أي : من سائر الخلق ؛ لكرامته عند مولاه ، وليقوم هو بالتوجه إلى الله والطلب منه ، **وإن توقفت . . فمن أسأل** ؛ أي : من عباد الله .

ومع أننا في دعائنا وتوسلنا لا نستعمل مثل هٰذه الألفاظ ولا ندعو إليها ولا نحثُّ عليها ؛ دفعاً للإيهام ، وابتعاداً عن الألفاظ المختلف فيها ، وتمسكاً بالظاهر الذي لا خلاف فيه ، إلا أننا نرىٰ أن الحكم علىٰ قائليها بالكفر تسرع ليس بمحمود ، وتصرف لا حكمة فيه .

وذٰلك ؛ لأنه لا بد من أن نأخذ في الاعتبار أن قائليها هم من الموحدين يشهدون أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ويقيمون

الصلاة ، ويصدقون بجميع أركان الدين ، ويؤمنون بالله رباً وبمحمد نبياً وبالإسلام ديناً ؛ وبذلك صارت لهم ذمة أهل الدين وحرمة الإسلام ، فعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ صَلَّىٰ صَلَاتَنَا وَٱسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا . . فَذَٰلِكَ ٱلْمُسْلِمُ ٱلَّذِي لَهُ ذِمَّةُ ٱللهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ ، فَلَا تُخْفِرُوا ٱللهَ فِي ذِمَّتِهِ » رواه البخاري (١) .

ومن هنا : فإن الواجب علينا أننا إذا وجدنا في كلام المؤمنين إسناد شيء لغير الله سبحانه وتعالىٰ . . فإنه يجب حمله على المجاز العقلي ولا سبيل إلىٰ تكفيرهم ؛ إذ المجاز العقلي مستعمل في الكتاب والسنة ، فصدور ذلك الإسناد من موحد كافٍ في جعله إسناداً مجازياً ؛ لأن الاعتقاد الصحيح هو اعتقاد أن الله هو الخالق للعباد وأفعالهم لا تأثير لأحد سواه ، لا لحي ولا لميت ، فهٰذا الاعتقاد هو التوحيد بخلاف من اعتقد غير هٰذا فإنه يقع في الإشراك .

وليس في المسلمين إطلاقاً من يعتقد لأحد مع الله فعلاً أو تركاً أو رزقاً أو إحياء أو إماتة ، وما جاء من الألفاظ الموهمة . . فإن مقصود أصحابها هو الاستشفاع إلى الله بتلك الوسيلة ؛ فالمقصود هو الله سبحانه وتعالىٰ ، وليس من المسلمين رجل واحد يعتقد فيمن يطلبه أو يسأله أنه قادر على الفعل والترك دون التفات إلى الله تعالىٰ من قريب أو بعيد ، أو مع التفات هو أدنىٰ إلى الشرك بالله ، ونعوذ بالله أن نرمي مسلماً بشرك أو كفر من أجل خطأ أو جهل أو نسيان أو اجتهاد (٢) .

---

(١) صحيح البخاري (٣٩١) .

(٢) تكرر إيراد هٰذه الحقيقة في كتابنا هٰذا لتعدد المناسبات ، وقد عقدنا لها مبحثاً خاصاً بعنوان : (المجاز العقلي) وبه ينجلي كثير من الإشكال وسوء الفهم .

ونحن نقول : إن كان كثير من هٰؤلاء يخطئون في التعبير بطلب المغفرة والجنة والشفاء والنجاح ، وسؤالهم ذٰلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم مباشرة . . فإنه لا يخطئهم التوحيد ؛ لأن المقصود هو الاستشفاع إلى الله بتلك الوسيلة ، فكأنه يقول : يا رسول الله ؛ اسأل الله أن يغفر لي وأن يرحمني ، وأنا أتوسل بك إليه في قضاء حاجتي ، وتفريج كربتي وتحقيق رغبتي .

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يستعينون به صلى الله عليه وسلم ويستغيثون ، ويطلبون منه الشفاعة ، ويشكون حالهم إليه من الفقر والمرض ، والبلاء والدين والعجز ؛ كما ذكرناه .

ومعلوم ؛ أنه صلى الله عليه وسلم لا يفعل ذٰلك بنفسه استقلالاً بذاته أو بقوته ، وإنما هو بإذن الله وأمره وقدرته ، وهو عبد مأمور له مقامه وجاهه عند ربه ، وله كرامته التي يدخل بها على الله عامة البشر ممن يؤمنون به ويصدقون برسالته ، ويعتقدون فضله وكرامته .

ونحن نعتقد أن من اعتقد خلاف هٰذا . . فقد أشرك بلا خلاف .

ولذٰلك تراه صلى الله عليه وسلم في بعض الأحيان ينبّه علىٰ هٰذا إذا ظهر له بطريق الوحي أو الحال أن السائل أو السامع ناقص الاعتقاد ؛ ففي موقف يخبر أنه « سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ »(١) ، وفي موقف آخر ينبههم علىٰ أن السيد هو الله(٢) ، وفي موقف يستغيثون به ويعلمهم أن يتوسلوا

---

(١) سيأتي تخريجه (ص ٣٣١) .

(٢) أخرجه الدارمي في « مسنده » (١١) ، والطبراني في « الكبير » (٥/٦٥) عن ربيعة الجرشي رحمه الله تعالىٰ .

بـه[1] ، وفي موقف يقول لهم : « إِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِٱللهِ وَلَا يُسْتَغَاثُ بِي »[2] ، وفي موقف يسألونه ويستغيثون به فيجيبهم إلىٰ طلبهم ، بل ويخيرهم بين أمرين : الصبر على البلاء مع ضمانة الجنة ، أو كشف البلاء سريعاً ؛ كما خيَّر الأعمىٰ[3] ، وخيَّر المرأة التي تصرع[4] ، وخيَّر قتادة رضي الله عنه الذي ذهبت عينه[5] ، وفي موقف يقول لهم : « إِذَا سَأَلْتَ . . فَٱسْأَلِ ٱللهَ ، وَإِذَا ٱسْتَعَنْتَ . . فَٱسْتَعِنْ بِٱللهِ »[6] ، وفي موقف يقول : « مَنْ فَرَّجَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً . . . »[7] ، وفي موقف يقول : « لَا يَأْتِي بِٱلْخَيْرَاتِ إِلَّا ٱللهُ »[8] .

وبهـٰذا يظهر لك أن عقيدتنا بحمد الله أصفىٰ وأطهر ، فالعبد لا يفعل شيئاً بنفسه مهما كانت رتبته أو درجته حتىٰ أفضل الخلق صلى الله عليه وسلم ، إنما يعطي ويمنع ويضر وينفع ، ويجيب ويعين بالله سبحانه وتعالىٰ ، فإذا استغيث به أو استعين أو طلب . . فإنما يتوجه إلى المولىٰ جل شأنه سبحانه وتعالىٰ ، فيطلب ويدعو ويسأل ويشفع فيجاب ويشفَّع .

وما كان يقول لهم : لا تطلبوا مني شيئاً ولا تسألوني ، ولا

---

(١) تقدم تخريجه (ص ٢٧٢) .

(٢) تقدم تخريجه (ص ٢٩٢) .

(٣) تقدم تخريجه (ص ١٩٨) .

(٤) أخرجه البخاري (٥٦٥٢) ، ومسلم (٢٥٧٦) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٥) تقدم تخريجه (ص ٢٧٠) .

(٦) تقدم تخريجه (ص ٢٨٥) .

(٧) تقدم تخريجه (ص ١٥٠) .

(٨) أخرجه أبو داوود (٣٩١٤) عن عروة بن عامر رضي الله عنه .

تشكوا حالكم إليَّ ، بل توجهوا إلى الله واسألوه فبابه مفتوح ؛ وهو قريب مجيب لا يحتاج إلىٰ أحد ، وليس بينه وبين خلقه حجاب ولا بوَّاب .



موقف الشيخ محمد بن عبد الوهاب من هٰذه الألفاظ التي زعموا أنها شركٌ أو ضلال

وللشيخ محمد بن عبد الوهاب موقف عظيم ، ورأي حكيم في هٰذا الباب ، وخصوصاً بالنسبة لبعض الألفاظ المشتهرة على الألسنة ، والتي زعم من يدَّعي حماية التوحيد والغيرة عليه أنها شرك ، وأن قائلها مشرك .

وها هو إمام التوحيد ورأس الموحدين يقول كلمته السديدة بحكمته الرشيدة ، التي بسببها انتشرت دعوته بين الأنام ، واشتهرت طريقته عند الخاص والعام ، استمع إلىٰ قوله رحمه الله في « عقيدته » ضمن رسالته رحمه الله إلىٰ عبد الله بن سحيم مطوع أهل المجمعة : (إذا تبين هٰذا . . فالمسائل التي شنع بها ؛ منها : ما هو من البهتان الظاهر ، وهي قوله : إني مبطل كتب المذاهب ، وقوله : إني أقول : إن الناس من ست مئة سنة ليسوا علىٰ شيء ، وقوله : إني أدَّعي الاجتهاد ، وقوله : إني خارج عن التقليد ، وقوله : إني أقول : إن اختلاف العلماء نقمة ، وقوله : إني أكفِّر من توسَّل بالصالحين ، وقوله : إني أكفِّر البوصيري لقوله[1] :

يا أكرم الخلق . . . .

وقوله : إني أقول : لو أقدر علىٰ هدم حجرة الرسول . . لهدمتها ،

(١) تقدم تخريجه (ص ١١١) .

ولو أقدر على الكعبة . . لأخذت ميزابها وجعلت لها ميزاباً من خشب ، وقوله : إني أنكر زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، وقوله : إني أنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهما ، وإني أكفِّر من يحلف بغير الله ، فهٰذه اثنتا عشرة مسألة ، جوابي فيها أن أقول : سبحانك هٰذا بهتان عظيم !! ، ولٰكن قبله من بهت النبي محمداً صلى الله عليه وسلم أنه يسبُّ عيسى ابن مريم ، ويسبُّ الصالحين ، ﴿ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡ ﴾)[1] .



(١) كذا في « الرسالة الحادية عشرة » من رسائل الشيخ ضمن مجموعة مؤلفاته (القسم الخامس) ، وقد نشرتها جامعة محمد بن سعود الإسلامية في أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب سنة (١٤٠٠ هـ) ، والآية من سورة البقرة (١١٨) .

الخلاصة

والحاصل : أنه لا يكفَّر المستغيث إلا إذا اعتقد الخلق والإيجاد لغير الله تعالىٰ ، والتفرقة بين الأحياء والأموات لا معنىٰ لها ؛ فإنه إن اعتقد الإيجاد لغير الله . . كفر علىٰ خلاف للمعتزلة في خلق الأفعال ، وإن اعتقد التسبب والاكتساب . . لم يكفَّر .

وأنت تعلم أن غاية ما يعتقد الناس في الأموات هو أنهم متسببون ومكتسبون ؛ كالأحياء لا أنهم خالقون موجدون كالإلـٰه ؛ إذ لا يعقل أن يعتقد فيهم الناس أكثر من الأحياء ؛ وهم لا يعتقدون في الأحياء إلا الكسب والتسبب ، فإذا كان هناك غلط . . فليكن في اعتقاد التسبب والاكتساب ؛ لأن هـٰذا هو غاية ما يعتقده المؤمن في المخلوق ، وإلا . . لم يكن مؤمناً ، والغلط في ذٰلك ليس كفراً ولا شركاً .

ولا نزال نكرِّر علىٰ مسامعك أنه لا يعقل أن يعتقد في الميت أكثر مما يعتقد في الحي ، فيثبت الأفعال للحي علىٰ سبيل التسبب ، ويثبتها للميت علىٰ سبيل التأثير الذاتي والإيجاد الحقيقي ؛ فإنه لا شك أن هـٰذا مما لا يعقل .

فغاية أمر هـٰذا المستغيث بالميت ـ بعد كل تنزُّل ـ أن يكون كمن يطلب العون من المقعد غير عالم أنه مقعد ، ومن يستطيع أن يقول : إن ذٰلك شرك ؟ علىٰ أن التسبب مقدور للميت ، وفي إمكانه أن يكتسبه كالحي بالدعاء لنا ؛ فإن الأرواح تدعو لأقاربهم .

فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن أعمالكم تعرض علىٰ أقاربكم وعشائركم من الأموات ؛ فإن كان خيراً . . استبشروا به ، وإن كان غير ذٰلك . . قالوا : اللهم ؛ لا تمتهم حتىٰ تهديهم كما هديتنا »[1] .

وروى ابن المبارك بسنده إلىٰ أبي أيوب رضي الله عنه ، قال : (تعرض أعمال الأحياء على الموتىٰ ؛ فإذا رأوا حسناً . . فرحوا واستبشروا ، وإن رأوا سوءاً . . قالوا : اللهم ؛ راجع به)[2] .



(١) أخرجه أحمد في « مسنده » (٣/١٦٥) ، وله طرق يشد بعضها بعضاً ، وانظر « شرح الصدور » (ص ٤٧١) ، و« الفتح الرباني » (٧/٨٩) .
(٢) الزهد (٤٤٣) .

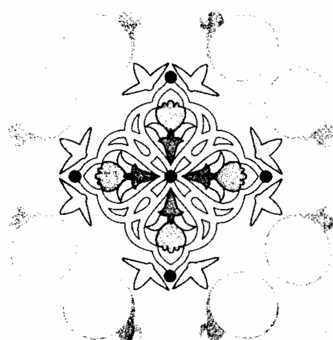
الباب الثّاني

مباحث نبويّة

وفيها بيان خصائص النّبيّ ﷺ

وحقيقة النّبوّة ، وحقيقة البشريّة

ومفهوم التّبرّك بالنّبيّ ﷺ وآثاره



الخصائص المحمّديّة وموقف العلماء منها

اعتنى العلماء بالخصائص النبوية اعتناء عظيماً بالتأليف والشرح والجمع والإفراد بالبحث ، وأشهرها وأجمعها « الخصائص الكبرىٰ » للإمام الحافظ جلال الدين السيوطي .

وهـٰذه الخصائص كثيرة جداً ؛ منها ما صحَّ سنده ، ومنها ما لم يصحَّ ، ومنها ما هو مختلف فيه بين العلماء ؛ إذ يرىٰ بعضهم أنه صحيح ، ويرى الآخرون خلاف ذٰلك ، فهي مسائل خلافية .

والكلام فيها دائر بين العلماء من قديم بين الصواب والخطأ والصحة والبطلان ، لا بين الكفر والإيمان ، والعلماء يختلفون في كثير من الأحاديث ويردُّ بعضهم علىٰ بعض في تصحيحها وتضعيفها ، أو ردِّها لاختلاف أنظارهم في تقييم أسانيدها ونقد رجالها ؛ فمن صحَّح منها الضعيف أو ضعَّف الصحيح ، أو أثبت المردود أو ردَّ الثابت بحجة أو تأويل أو شبهة دليل . . فقد سلك مسلك العلماء في البحث والنظر ، وذٰلك من حقه كإنسان له عقله وفهمه ، والمجال مفتوح والميدان فسيح ، والعلم مشاع بين الجميع .

وقد شجع عليه إمام العقلاء وسيد العلماء النبي الأعظم والرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وسلم ؛ إذ جعل للمجتهد المصيب أجرين ، وللمجتهد المخطئ أجراً(١) .

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٥٢) ، ومسلم (١٥/١٧١٦) عن عمرو بن العاص رضي الله عنه .

ولم يزل العلماء يتسامحون في نقل الخصائص النبوية ، وينظرون إليها علىٰ أنها داخلة في فضائل الأعمال ولا تتعلق بالحلال والحرام ، وعلىٰ هٰذا بنى العلماء قاعدتهم في العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال ما دام أنه ليس موضوعاً ولا باطلاً بشروطه المعتبرة في هٰذا الباب ، ولا يشترطون فيها الصحيح بالمعنى المصطلح عليه .

ولو ذهبنا إلى اشتراط هٰذا الشرط الشاذ . . لما أمكن لنا ذكر شيء من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وبعد البعثة مع أنك تجد كتب الحفَّاظ الذين عليهم العمدة وعلىٰ صنيعهم المعوَّل ، والذين منهم عرفنا ما يجوز وما لا يجوز ذكره من الحديث الضعيف تجد كتبهم مملوءة بالمقطوعات والمراسيل ، وما أخذ عن الكهان وأشباههم في خصائص رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لأن ذٰلك مما يجوز ذكره في هٰذا المقام .

كتب السلف والخصائص :

ولو رجعنا إلىٰ كتب السلف . . لوجدنا كثيراً من علماء الأمة وأئمة الفقه يذكرون في كتبهم جملة من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم ، وينقلون من هٰذه الخصائص عجائب وغرائب ، ولو توقف الباحث في قبولها علىٰ صحة سندها . . لما صفا له من ذٰلك إلا نزر يسير بالنسبة لمقدار ما نقلوه منها ، وهٰذا كله اعتماداً علىٰ ما هو معروف من قواعد العلماء وأصولهم المقررة في هٰذا الباب .



أما الشيخ ابن تيمية وهو معروف بتشدُّده . . فقد نقل في كتبه بعض الأقوال في هٰذا الموضوع التي لم يصحَّ سندها ، واستشهد بها في كثير من المسائل ، واعتبرها معتمدة في بيان أو تأييد ما يفسره من الحديث .

ومن ذٰلك علىٰ سبيل المثال قوله في « الفتاوى الكبرىٰ » : (قد روي أن الله كتب اسمه ـ أي : النبي صلى الله عليه وسلم ـ على العرش ، وعلىٰ ما في الجنة من الأبواب والقباب والأوراق ، وروي في ذٰلك عدة آثار توافق هٰذه الأحاديث الثابتة ، التي تبين التنويه باسمه وإعلاء ذكره صلى الله عليه وسلم حينئذ .

وقد تقدم لفظ الحديث الذي في « المسند » عن ميسرة الفجر لما قيل له : متىٰ كنت نبياً ؟ قال : « وَآدَمُ بَيْنَ ٱلرُّوحِ وَٱلْجَسَدِ » ، وقد رواه أبو الحسين بن بشران من طريق الشيخ أبي الفرج ابن الجوزي في « الوفا بفضائل المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم » : حدثنا أبو جعفر محمد بن عمرو ، حدَّثنا أحمد بن إسحاق بن صالح ، حدَّثنا محمد بن صالح ، حدَّثنا محمد بن سنان العوفي ، حدَّثنا إبراهيم بن طهمان ، عن يزيد بن ميسرة ، عن عبد الله بن سفيان ، عن ميسرة قال : قلت : يا رسول الله ؛ متىٰ كنت نبياً ؟ قال : « لَمَّا خَلَقَ ٱللهُ ٱلْأَرْضَ وَٱسْتَوَىٰ إِلَى ٱلسَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ، وَخَلَقَ ٱلْعَرْشَ . . كَتَبَ عَلَىٰ سَاقِ ٱلْعَرْشِ : مُحَمَّدٌ رَسُولُ ٱللهِ خَاتَمُ ٱلْأَنْبِيَاءِ ، وَخَلَقَ ٱللهُ ٱلْجَنَّةَ ٱلَّتِي أَسْكَنَهَا آدَمُ وَحَوَّاءُ ، فَكَتَبَ ٱسْمِي عَلَى ٱلْأَبْوَابِ وَٱلْأَوْرَاقِ وَٱلْقِبَابِ وَٱلْخِيَامِ ، وَآدَمُ بَيْنَ ٱلرُّوحِ وَٱلْجَسَدِ ؛ فَلَمَّا

أَحْيَاهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ . . نَظَرَ إِلَى ٱلْعَرْشِ فَرَأَى ٱسْمِي ، فَأَخْبَرَهُ ٱللهُ أَنَّهُ سَيِّدُ وَلَدِكَ ؛ فَلَمَّا غَرَّهُمَا ٱلشَّيْطَانُ . . تَابَا وَٱسْتَشْفَعَا بِٱسْمِي إِلَيْهِ ») انتهىٰ[1] .

ابن تيمية والكرامات

والخصائص والكرامات من جنس واحد من ناحية الحكم عليها ونقلها ، وعدم التشدد فيها كما نتشدد في نقل الأحكام من الحلال والحرام ؛ فهي كلها تدور في فلك المناقب والفضائل .

ومن هنا كان موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من كرامات الأولياء نفس موقفه من خصائص الأنبياء .

وقد نقل في كتبه جملة صالحة من الكرامات وخوارق العادات التي وقعت في الصدر الأول .

ولو بحثنا عن درجاتها وأسانيدها وطريق ثبوتها . . لوجدنا أن منها الصحيح ومنها الحسن ، ومنها الضعيف ومنها المقبول ، ومنها المردود ومنها المنكر ، ومنها الشاذ .

وكل ذٰلك في هٰذا الباب مقبول ، وعن العلماء محمول ومنقول ؛ فمن ذٰلك قوله في كرامات لبعض الصحابة رضي الله عنهم :

١ ـ خرجت أم أيمن مهاجرة وليس معها زاد ولا ماء فكادت تموت من العطش ؛ فلما كان وقت الفطر وكانت صائمة . . سمعت حسّاً علىٰ رأسها فرفعته فإذا دلو معلَّق فشربت منه حتىٰ رويت وما عطشت بقية عمرها[2] .

---

(١) مجموعة الفتاوىٰ (٢/٩٥) ، الوفا بأحوال المصطفىٰ (١/٦٧) .

(٢) أخرجه ابن سعد في « الطبقات الكبير » (١٠/٢١٣) .

٢ ـ وهٰذا **سفينة مولىٰ** رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر الأسد بأنه رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمشىٰ معه الأسد حتىٰ أوصله مقصده(١) .

٣ ـ وهٰذا **البراء بن مالك** كان إذا أقسم على الله تعالىٰ . . أبرَّ قسمه ، وكانت الحرب إذا اشتدت على المسلمين في الجهاد . . يقولون : يا براء ؛ أقسم علىٰ ربك ، فيقول : يا رب ؛ أقسمت عليك لما منحتنا أكتافهم ، فيهزم العدو ؛ فلما كان يوم القادسية . . قال : أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم وجعلتني أول شهيد ، فمنحوا أكتافهم ، وقتل البراء شهيداً(٢) .

٤ ـ وهٰذا **خالد بن الوليد** حاصر حصناً منيعاً فقالوا : لا نسلم حتىٰ تشرب السمَّ ، فشربه فلم يضرُّه(٣) .

٥ ـ وهٰذا **عمر بن الخطاب** لما أرسل جيشاً . . أمَّر عليهم رجلاً يسمىٰ سارية ، فبينما عمر يخطب . . فجعل يصيح على المنبر : (يا سارية الجبل يا سارية الجبل) ، فقدم رسول الجيش فسأل فقال : يا أمير المؤمنين ؛ لقينا عدواً فهزمونا ؛ فإذا بصائح : يا سارية الجبل يا سارية الجبل ، فأسندنا ظهورنا بالجبل فهزمهم الله(٤) .

٦ ـ وهٰذا **العلاء بن الحضرمي** كان عامل رسول الله صلى الله

---

(١) أخرجه الحاكم في « المستدرك » (٦٠٦/٣) عن محمد بن المنكدر رحمه الله تعالىٰ .

(٢) أخرجه الحاكم في « المستدرك » (٢٩٢/٣) عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٣) أخرجه بنحوه أبو يعلىٰ في « مسنده » (٧١٨٦) عن أبي السفر رحمه الله تعالىٰ .

(٤) أخرجه أبو نعيم في « دلائل النبوة » (٥٢٦) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

عليه وسلم على البحرين وكان يقول في دعائه : (يا عليم ، يا حليم ، يا علي ، يا عظيم) فيستجاب له ، ودعا الله بأن يسقوا ويتوضؤوا لما عدموا الماء والإسقاء لما بعدهم فأجيب ، ودعا الله لما اعترضهم البحر ولم يقدروا على المرور بخيولهم فمروا كلهم على الماء ما ابتلَّت سروج خيولهم ، ودعا الله ألا يروا جسده إذا مات ، فلم يجدوه في اللحد[1] .

٧ ـ وجرىٰ مثل ذٰلك **لأبي مسلم الخولاني** الذي ألقي في النار ؛ فإنه مشىٰ هو ومن معه من العسكر علىٰ دجلة وهي ترمي بالخشب من مدها ، ثم التفت إلىٰ أصحابه فقال : تفقدون من متاعكم شيئاً حتىٰ أدعو الله عزَّ وجلَّ فيه ؟ فقال بعضهم : فقدت مخلاة ، فقال : اتبعني فتبعه ، فوجدها قد تعلقت بشيء فأخذها[2] ، وطلبه الأسود العنسي لما ادَّعى النبوة فقال له : أتشهد أني رسول الله ؟ قال : ما أسمع ، قال : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ قال : نعم ، فأمر بنار فألقي فيها فوجدوه قائماً يصلي فيها وقد صارت عليه برداً وسلاماً ، وقدم المدينة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم فأجلسه عمر بينه وبين أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ، وقال : (الحمد لله الذي لم يمتني حتىٰ أرىٰ من أمة محمد صلى الله عليه وسلم من فعل به كما فعل بإبراهيم خليل الله)[3] ، ووضعت له جارية السمَّ في طعامه فلم يضرُّه ، وخببت

(١) أخرجه الطبراني في « الكبير » (١٨/٩٥) ، وأبو نعيم في « دلائل النبوة » (٥٢١) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، والبيهقي في « دلائل النبوة » (٦/٥١ ـ ٥٣) عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٥/١٢٠ ـ ١٢١) عن محمد بن زياد رحمه الله تعالىٰ .

(٣) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٢/١٢٩) عن شرحبيل الخولاني رحمه الله تعالىٰ .

امرأة عليه زوجته فدعا عليها فعميت ، وجاءت وتابت ، فدعا لها الله فردَّ عليها بصرها[1] .

٨ ـ وكان **سعيد بن المسيب** في أيام الحرَّة يسمع الأذان من قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أوقات الصلوات ، وكان المسجد قد خلا فلم يبق غيره[2] .

٩ ـ وكان **عمرو بن عقبة بن فرقد** يصلي يوماً في شدة الحرِّ فأظلته غمامة ، وكان السبع يحميه وهو يرعىٰ ركاب أصحابه ؛ لأنه كان يشترط علىٰ أصحابه في الغزو أنه يخدمهم .

١٠ ـ وكان **مطرف بن عبد الله بن الشخير** إذا دخل بيته . . سبَّحت معه آنيته ، وكان هو وصاحب له يسيران في ظلمة فأضاء لهما طرف السوط[3] . انتهىٰ[4] .



---

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١٣٠/٢) عن عثمان بن عطاء عن أبيه رحمه الله تعالىٰ ، **والخب** : الخداع .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « دلائل النبوة » (٥١٠) .

(٣) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٢٠٥/٢) عن قتادة رحمه الله تعالىٰ .

(٤) مجموعة الفتاوىٰ (١٥٣/١١ ـ ١٥٦) .

الشيخ ابن القيم ، وجلوس النبي صلى الله عليه وسلم على العرش

وقد نقل الإمام العلامة شيخ الإسلام ابن القيم خصوصية عجيبة غريبة ، وعزاها إلىٰ كثير من أئمة السلف رضي الله عنهم وهي قوله :

فائدة : قال القاضي : صنف المروزي كتاباً في فضيلة النبي صلى الله عليه وسلم ، وذكر فيه إقعاده على العرش ، قال القاضي : وهو قول أبي داوود ، وأحمد بن أصرم ، ويحيى بن أبي طالب ، وأبي بكر بن حماد ، وأبي جعفر الدمشقي ، وعياش الدوري ، وإسحاق بن راهويه ، وعبد الوهاب الوراق ، وإبراهيم الأصبهاني ، وإبراهيم الحربي ، وهارون بن معروف ، ومحمد بن إسماعيل السلمي ، ومحمد بن مصعب العابد ، وأبي بكر بن صدقة ، ومحمد بن بشر بن شريك ، وأبي قلابة ، وعلي بن سهل ، وأبي عبد الله بن عبد النور ، وأبي عبيد ، والحسن بن فضل ، وهارون بن العباس الهاشمي ، وإسماعيل بن إبراهيم الهاشمي ، ومحمد بن عمران الفارسي الزاهد ، ومحمد بن يونس البصري ، وعبد الله بن الإمام أحمد والمروزي ، وبشر الحافي . انتهىٰ ، قال الشيخ ابن القيم : قلت : وهو قول ابن جرير الطبري ، وإمام هٰؤلاء كلهم مجاهد إمام التفسير ، وهو قول أبي الحسن الدارقطني ، ومن شعره فيه [1] :

(١) قوله : (وأنشد الدارقطني ، ومن شعره فيه قوله) :

ولا تنكروا أنه قاعدٌ ولا تنكروا أنه يقعده

هٰذا الذي نقله صاحب « المفاهيم » هو صحيح عند أهله وعند من يقول به بلا شك ولا ريب ، ولٰكننا نعتقد أن صاحب « المفاهيم » ما نقل هٰذا الخبر إلا للاستشهاد به فقط ←

حديث الشَّفاعة عن أحمدٍ إلىٰ أحمد المصطفىٰ مسنده

وجاء حديث بإقعاده على العرش أيضاً فلا نجحده

أمروا الحديث علىٰ وجهه ولا تدخلوا فيه ما يفسده

ولا تنكروا أنه قاعدٌ ولا تنكروا أنه يُقعده [1]



← علىٰ تساهل بعض أئمة الحديث المعتبرين في نقل الخصائص ، ونعيذ بالله أخانا العلامة المالكي صاحب « المفاهيم » من أن يعتقد أن الرسول صلى الله عليه وسلم يقعد على العرش مع الله سبحانه وتعالىٰ ، وقد صرح بردِّ هـٰذا وبراءته من القول به في الصفحة التي بعد هـٰذه من هـٰذا الكتاب (ص ٣١٦) حيث قال : (بلا برهان ولا دليل من كتاب أو سنة صحيحة مرفوعة) ، ولـٰكن المستعجل هداه الله لم ينتظر حتىٰ يراه .

هـٰذا ؛ وقد كذَّب الشيخ محمد زاهد الكوثري نسبة الخبر للدارقطني في تعليقاته علىٰ كتاب « السيف الصقيل » (ص ١٤٤) ، وكذٰلك محمد ناصر الدين الألباني في كتابه « مختصر العلو » (ص ٢٠) للذهبي حيث قال : (هـٰذا كذب على الدارقطني) .

(١) بدائع الفوائد (٣٩/٤ ـ ٤٠) ، والأبيات من المتقارب .

« كشّاف القناع » وخصائص عجيبة

ذكر الفقيه العلامة الشيخ منصور بن يونس البهوتي في كتابه « كشاف القناع » جملة من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم قد يستغربها كثير ممن يقصر عقله عن فهم هٰذه الأصول واستيعاب تلك القواعد .

فمنها قوله : (والنجس منا طاهر منه صلى الله عليه وسلم ومن سائر الأنبياء صلَّى الله عليهم وسلَّم ، ويجوز أن يستشفىٰ ببوله ودمه ؛ لما رواه الدارقطني أن أم أيمن شربت بوله ، فقال : « إذاً ؛ لَا تَلِجُ ٱلنَّارَ بَطْنُكِ » ، لٰكنه ضعيف[1] ، ولما رواه ابن حبان في « الضعفاء » : إن غلاماً حجم النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فلما فرغ من حجامته . . شرب دمه ، فقال : « وَيْحَكَ مَا صَنَعْتَ بِٱلدَّمِ ؟ » قال : غيَّبته في بطني ، قال : « ٱذْهَبْ ؛ فَقَدْ أَحْرَزْتَ نَفْسَكَ مِنَ ٱلنَّارِ »[2] .

قال الحافظ ابن حجر : « وكان السر في ذٰلك ما صنعه الملكان من غسلهما جوفه » .

ومنها قوله : ولم يكن له صلى الله عليه وسلم فيء : أي : ظل في الشمس والقمر ؛ لأنه نوراني ، والظل نوع ظلمة ، ذكره ابن عقيل وغيره ، ويشهد له أنه سأل الله أن يجعل في جميع أعضائه وجهاته نوراً ، وختم

---

(١) أخرجه بنحوه الحاكم في « المستدرك » (٤/٦٣ ـ ٦٤) ، والطبراني في « الكبير » (٢٥/٨٩) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/٦٧) ، وانظر « التلخيص الحبير » (١/٦٦) ، و« البدر المنير » (١/٤٨١ ـ ٤٨٨) .

(٢) المجروحين (٢/٤٠٣) .

بقوله : « وَٱجْعَلْنِي نُوراً »[1] ، وكانت الأرض تجتذب أثقاله للأخبار .

ومنها قوله : المقام المحمود جلوسه صلى الله عليه وسلم على العرش ، وعن عبد الله بن سلام على الكرسي ، ذكرهما البغوي[2] .

ومنها قوله : إنه صلى الله عليه وسلم كان لا يتثاءب .

ومنها قوله : إنه صلى الله عليه وسلم عرض عليه الخلق كلهم من آدم إلىٰ من بعده كما علم آدم أسماء كل شيء لحديث الديلمي : « مُثِّلَتْ لِيَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْمَاءِ وَٱلطِّينِ ، فَعَلِمْتُ ٱلْأَشْيَاءَ كُلَّهَا كَمَا عَلِمَ آدَمُ ٱلْأَسْمَاءَ كُلَّهَا »[3] ، وعرض عليه أمته بأسرهم حتىٰ رآهم ؛ لحديث الطبراني : « عُرِضَتْ عَلَيَّ أُمَّتِي ٱلْبَارِحَةَ لَدَىٰ هَـٰذِهِ ٱلْحُجْرَةِ أَوَّلُهَا وَآخِرُهَا ، صُوِّرُوا لِي بِٱلْمَاءِ وَٱلطِّينِ حَتَّىٰ إِنِّي لَأَعْرَفُ بِٱلْإِنْسَانِ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدِكُمْ بِصَاحِبِهِ »[4] ، وعرض عليه أيضاً ما هو كائن في أمته حتىٰ تقوم الساعة ؛ لحديث أحمد وغيره : « رَأَيْتُ مَا تَلَقَّىٰ أُمَّتِي بَعْدِي ، وَسَفَكَ بَعْضُهُمْ دِمَاءَ بَعْضٍ »[5] .

ومنها قوله : وزيارة قبره مستحبة للرجال والنساء ؛ لعموم ما روى الدارقطني عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[6] : « مَنْ حَجَّ وَزَارَ قَبْرِي بَعْدَ وَفَاتِي . . فَكَأَنَّمَا زَارَنِي فِي حَيَاتِي ») انتهىٰ[7] .

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٧/٧٦٣) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٢) تفسير البغوي (١٣٢/٣) .

(٣) الفردوس بمأثور الخطاب (٦٥١٩) عن أبي رافع رضي الله عنه .

(٤) المعجم الكبير (١٨١/٣) عن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه .

(٥) مسند أحمد (٤٢٨/٦) عن أم حبيبة رضي الله عنها .

(٦) سنن الدارقطني (٢٧٨/٢) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٧) كشاف القناع (٣٠/٤ ـ ٣٤) .

فهٰذه الخصائص التي ذكروها ونقلوها ؛ منها ما هو صحيح ، ومنها ما هو ضعيف ، ومنها ما لا دليل له أصلاً .

فلا أدري ماذا يقول المعترض في هٰذه الخصائص التي نقلها كبار الأئمة من أهل السنة ولم يعترضوا عليها بشيء ؟! وسلموها وتسامحوا في نقلها ؛ اعتماداً علىٰ قاعدة التسامح في نقل الفضائل مع أن في هٰذه الخصائص من الأقوال ما لو سمعه المعترض أو المنكر . . لحكم علىٰ قائله بما هو أعظم من الكفر .

وأين ما نقلناه بجانب من قال : إن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم يجلسه الله يوم القيامة علىٰ عرشه ؛ كما نقله الإمام الشيخ ابن القيم عن كبار أئمة السلف في كتابه المعروف « بدائع الفوائد » بلا برهان ولا دليل من كتاب أو سنة صحيحة مرفوعة ؟![1] .

وأين ما نقلناه من الخصائص بجانب ما جاء في « كشاف القناع » من أن النبي صلى الله عليه وسلم نور وأنه لا ظل له ، وأن ما يخرج منه من الغائط تبتلعه الأرض فلا يبقىٰ شيء منه علىٰ وجه الأرض ؟!

وأين ما نقلناه من الخصائص بجانب ما نقله الشيخ ابن تيمية من الخصائص ؛ كقوله : (إن اسمه صلى الله عليه وسلم مكتوب علىٰ ساق العرش ، وعلىٰ أوراق الجنة وأشجارها ، وأبوابها وثمارها

---

(١) وقد أثبت هٰذه الخصوصية جملة من كبار العلماء ، كما ذكر ذٰلك ابن القيم في كتابه ، ونبينا صلى الله عليه وسلم يستحق كل علو ورفعة لائقة به ، مع حفظ كمال التنزيه والبعد عن التشبيه والتجسيم لمولانا جل جلاله .

وقبابها ؟!)[1] ، فأين المعلقون والمحققون كيف فاتت عليهم هٰذه المسائل دون نقد وتمحيص ؟!

ولا ينفع سبيل الحذف والإضافة الذي يفعله البعض في كتب التراث ليوافق النص ما في هواه ؛ فهي جريمة وخيانة عظيمة تستحق الحد بالقطع ؛ لأن الواجب هو إثبات النص كما ورد مهما خالف رأي المحقق أو المعلق ، ثم ليكتب عليه ما يشاء مما يوافق رأيه وفكره .



---

(١) تقدم تخريجه (ص ١٩٣) .

الجنّة تحت أقدام الأمّهات
فكيف لا تكون تحت أمر النّبيّ صلى الله عليه وسلم ؟!

ومن الخصائص النبوية التي جرىٰ فيها البحث بين أهل العلم : ما جاء من أن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقطع أرض الجنة ، وقد ذكر هٰذه الخصوصية الحافظ السيوطي والقسطلاني والزرقاني في « شرحه على المواهب اللدنيَّة »[1] ، ومعلوم أن هٰذا الإقطاع لا يكون إلا لمن يستحقه من أهل التوحيد وبإذن الله سبحانه وتعالىٰ ؛ إما من طريق الوحي أو الإلهام أو التفويض من الله سبحانه وتعالىٰ ، وقد أشار إلىٰ ذٰلك صلى الله عليه وسلم بقوله : « إِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَٱللهُ ٱلْمُعْطِي »[2] .

وإذا صحَّ التعبير بأن الجنة تحت أقدام الأمهات . . فكيف لا يصحُّ التعبير بأن الجنة تحت أمره صلى الله عليه وسلم بل تحت قدمه ؟! والمعنىٰ واحد ، ومعروف عند أدنىٰ طلاب العلم معرفة فهو تعبير مجازي .

المقصود منه : أن الوصول إلى الجنة هو من طريق بر الوالدين وخدمتهما وخصوصاً الأم ، وهو بالنسبة للنبي صلى الله عليه وسلم من حيث طاعته ومحبته وموالاته .

---

(١) المواهب اللدنية (٢/٦٢٦) ، شرح المواهب (٧/١٨٥) ، الخصائص الكبرىٰ (٢/٢٤٢) .

(٢) تقدم تخريجه (ص ٣٠) .

ولهٰذه الخصوصية أمثال كثيرة تشهد لصحتها ، سنذكر أهمها :

النبي صلى الله عليه وسلم يضمن الجنة :

ويأتي في معنىٰ إقطاع أرض الجنة ضمانة النبي صلى الله عليه وسلم الجنة لبعضهم ، وهٰذا ما حصل لأهل بيعة العقبة ، فعن عبادة بن الصامت قال : كنت ممن حضر العقبة الأولىٰ وفيه : (فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم علىٰ ألا نشرك بالله شيئاً ، ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتي ببهتان عظيم نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه في معروف قال : فإن وفيتم . . فلكم الجنة ، وإن غشيتم من ذٰلك شيئاً . . فأمركم إلى الله ؛ إن شاء عذب وإن شاء غفر) ذكره ابن كثير في (باب بدء إسلام الأنصار)[1] .

وجاء في « الصحيحين » التصريح : بأن تلك البيعة مشروطة بالجنة ، قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه : (إني من النقباء الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : بايعناه علىٰ ألا نشرك بالله شيئاً ، ولا نسرق ولا نزني ، ولا نقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولا ننتهب ولا نعصي ، بالجنة ، إن فعلنا ذٰلك)[2] .

وفي رواية : أنه صلى الله عليه وسلم قال : « فَمَنْ وَفَّىٰ . . فَلَهُ ٱلْجَنَّةَ »[3] .

---

(١) السيرة النبوية (٢/١٧٩) .

(٢) صحيح البخاري (٣٨٩٣) ، صحيح مسلم (٤٤/١٧٠٩) أي : بايعناه بالجنة علىٰ فعل ذٰلك ؛ يعني : اشترطوا عليه ضمانة الجنة لهم فأعطاهم .

(٣) أخرجها ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٦/١٨٦) .

وعن قتادة رضي الله عنه أنهم قالوا : يا رسول الله ؛ فما لنا بذلك إن وفينا ؟ قال : « ٱلْجَنَّةُ » انتهىٰ(١) .

وعن أبي مسعود رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « فَإِذَا فَعَلْتُمْ ذَٰلِكَ . . فَلَكُمْ عَلَى ٱللهِ ٱلْجَنَّةُ وَعَلَيَّ »(٢) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاه نعليه ، فقال له : « ٱذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ ؛ فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَـٰذَا ٱلْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ مُسْتَيْقِناً بِهَا قَلْبُهُ . . فَبَشِّرْهُ بِٱلْجَنَّةِ »(٣) .



(١) أورده ابن هشام في « سيرته » (١/٤٤٦) .
(٢) أخرجه الطبراني في « الكبير » (١٧/٢٥٦) .
(٣) أخرجه مسلم (٣١/٥٢) .

صكوك لدخول الجنة بيده صلى الله عليه وسلم

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يُوضَعُ لِلْأَنْبِيَاءِ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ يَجْلِسُونَ عَلَيْهَا وَيَبْقَىٰ مِنْبَرِي لَا أَجْلِسُ عَلَيْهِ ـ أو قال ـ : لَا أَقْعُدُ عَلَيْهِ ، قَائِماً بَيْنَ يَدَيْ رَبِّي مَخَافَةَ أَنْ يُبْعَثَ بِي إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَتَبْقَىٰ أُمَّتِي بَعْدِي ، فَأَقُولُ : يَا رَبِّ ؛ أُمَّتِي أُمَّتِي ، فَيَقُولُ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ : يَا مُحَمَّدُ ؛ مَا تُرِيدُ أَنْ أَصْنَعَ بِأُمَّتِكَ ؟ فَأَقُولُ : يَا رَبِّ ؛ عَجِّلْ حِسَابَهُمْ ، فَيُدْعَىٰ بِهِمْ فَيُحَاسَبُونَ ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ يَدْخُلُ ٱلْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَدْخُلُ ٱلْجَنَّةَ بِشَفَاعَتِي ، فَمَا أَزَالُ أَشْفَعُ حَتَّىٰ أُعْطَىٰ صِكَاكاً بِرِجَالٍ قَدْ بُعِثَ بِهِمْ إِلَى ٱلنَّارِ ؛ حَتَّىٰ إِنَّ مَالِكاً خَازِنَ ٱلنَّارِ لَيَقُولُ : يَا مُحَمَّدُ ؛ مَا تَرَكْتَ لِغَضَبِ رَبِّكَ فِي أُمَّتِكَ مِنْ نُقْمَةٍ »(١) .

النبي ﷺ يعطي الجنة

جاء في رواية عن جابر رضي الله عنه أنه قال : . . . فقلنا : فعلام نبايعك ؟ فقال : « عَلَى ٱلسَّمْعِ وَٱلطَّاعَةِ فِي ٱلنَّشَاطِ وَٱلْكَسَلِ ، وَعَلَى ٱلنَّفَقَةِ فِي ٱلْعُسْرِ وَٱلْيُسْرِ ، وَعَلَى ٱلْأَمْرِ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّهْيِ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ ، وَلَكُمُ ٱلْجَنَّةُ . . . » الحديث(٢) .

---

(١) أخرجه الحاكم في « المستدرك » (١/٦٥) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (١٠/٣١٧) ، و« المعجم الأوسط » (٢٩٥٨) ، وأورده المنذري في « الترغيب والترهيب » (٤/٣٤٤) وقال : (ورواه البيهقي في « البعث » ، وليس في إسنادهما من ترك) انتهىٰ .

(٢) أخرجه ابن حبان (٦٢٧٤) ، والحاكم في « المستدرك » (٢/٦٢٥) ، وأحمد في « المسند » (٣/٣٢٢) .

قال الحافظ ابن حجر : (ولأحمد من وجه آخر عن جابر قال : كان العباس آخذاً بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فلما فرغنا . . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أخذت وأعطيت ») انتهىٰ .

رواه أحمد[1] ؛ أي : أخذت البيعة وأعطيت الجنة .

قلت : وقد جاء في رواية أخرى التصريح بما هو أبلغ من ذٰلك ، قال جابر : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم : « تُبَايِعُونِي عَلَى ٱلسَّمْعِ وَٱلطَّاعَةِ . . . » إلىٰ أن قال : « وَلَكُمُ ٱلْجَنَّةُ » ، قال : فقالوا : (والله ؛ لا ندع هٰذه البيعة أبداً ولا نسلبها أبداً ، فبايعناه ، فأخذ علينا وشرط ، ويعطينا علىٰ ذٰلك الجنة)[2] .

النبي ﷺ يبيع الجنة وعثمان يشتريها

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (اشترىٰ عثمان الجنة من النبي صلى الله عليه وسلم مرتين بيع الحق ؛ حيث حفر بئر معونة ، وحيث جهَّز جيش العسرة) رواه الحاكم في « مستدركه » وصححه[3] .

وكل عاقل يدري أن الجنة لله سبحانه وتعالىٰ ، لا يملكها أحد ولا يتصرف فيها أحد مهما كانت قيمته ودرجته ، لا ملك ولا نبي ولا رسول ، ولٰكن الله يمنُّ علىٰ رسله ويعطيهم من المنح التي تميزهم

---

(١) فتح الباري (٧/٢٢٣) ، مسند أحمد (٣/٣٩٦) .
(٢) أخرجها أحمد في « مسنده » (٣/٣٢٢) ، والبزار في « مسنده » (٢٧٣١) ، وذكرها بلفظها الهيثمي في « المجمع » (١٣/٨٢) ، وقال : (ورجال أحمد رجال الصحيح) انتهىٰ .
(٣) المستدرك (٣/١٠٧) .

عن غيرهم ؛ وذٰلك لكرامتهم عنده وعلو مقامهم لديه ، فتنسب إليهم تلك العطايا وتضاف إليهم تلك التصرفات علىٰ جهة التكريم والتعظيم والاحترام والتقديم .

ومن هٰذا المنطلق جاء التعبير في خصائص النبي صلى الله عليه وسلم من أنه يقطع أرض الجنة ، أو يضمن الجنة ، أو يبيع الجنة ، أو يبشر بالجنة مع أن الجنة لله سبحانه وتعالىٰ ، لا يشك في ذٰلك ولا يرتاب إلا جاهل ليس عنده أدنىٰ معرفة بأبسط مسائل العلم .

اللهم ؛ نور بصائرنا وافتح مسامع قلوبنا ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه .

ما هو المقصود بليلة المولد المفضلة

ذكر بعض العلماء في الخصائص النبوية أن ليلة المولد النبوي أفضل من ليلة القدر ، وعقد مقارنة في هٰذا الموضوع بين الليلتين ، والذي نحب أن نذكره هنا : هو أن المقصود بهٰذه الليلة هي الليلة التي وقع فيها الميلاد النبوي حقيقة ، وهي قد مضت منذ مئات السنين ، وهي كانت قبل أن تعرف أو تظهر ليلة القدر بلا شك ، وليس المقصود بتلك الليلة ليلة المولد المتكررة كل عام ، والتي هي نظائر ليلة الميلاد الحقيقي .

والحق : أن البحث في هٰذه المسألة ليس بكبير فائدة ، ولا يترتب علىٰ إنكاره أو الإقرار به ضرر أو خطر ، ولا يعارض ذٰلك شيئاً من أصول العقيدة ، وقد بحث العلماء عن مسائل حقيرة وألفوا فيها رسائل خاصة وهي لا تساوي شيئاً أمام هٰذه المسألة ، والحاصل : أننا نعتقد أن هٰذه

المفاضلة هي بين ليلة المولد الحقيقي ، وبين ليلة القدر ، وأن الليلة التي وقع فيها المولد النبوي والتي جرىٰ فيها بحث المفاضلة والمقارنة قد مضت وانتهت ولا وجود لها اليوم ، أما ليلة القدر . . فهي موجودة ومتكررة في كل عام ، ولذلك فهي أفضل الليالي لقوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾[1] .

والبحث في هٰذه المسألة وأمثالها جرىٰ بين أئمة العلم وتكلم فيها كبار السلف ، فهٰذا الشيخ الإمام ابن تيمية يتكلم علىٰ مسألة المقارنة بين ليلة القدر وليلة الإسراء ، ويبحث فيها بدقة وإتقان مع أنه لم يثبت أنه بحث فيها أو تكلم عنها أحد قبله من أئمة السلف وأهل القرون الأولىٰ فضلاً عن الصحابة فضلاً عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

فتوى ابن تيمية في الموضوع

قال الإمام الشيخ ابن القيم : (سئل شيخ الإسلام رحمه الله عن رجل قال : ليلة الإسراء أفضل من ليلة القدر ، وقال آخر : بل ليلة القدر أفضل ، فأيهما مصيب ؟ فأجاب : الحمد لله ؛ أما القائل بأن ليلة الإسراء أفضل من ليلة القدر ؛ فإن أراد به أن تكون الليلة التي أسري فيها بالنبي صلى الله عليه وسلم ونظائرها من كل عام أفضل لأمة محمد صلى الله عليه وسلم من ليلة القدر ؛ بحيث يكون قيامها والدعاء فيها أفضل منه في ليلة القدر . . فهٰذا باطل لم يقله أحد من

(١) سورة القدر ، الآيات (١ ـ ٣) .

المسلمين ، وهو معلوم الفساد بالاطراد من دين الإسلام ، وإن أراد الليلة المعينة التي أسري فيها بالنبي صلى الله عليه وسلم وحصل له فيها ما لم يحصل له في غيرها من غير أن يشرع تخصيصها بقيام ولا عبادة .. فهٰذا صحيح)[1] .



(١) زاد المعاد (١/١١) .

لا تطروني

فهم بعض الناس من قوله صلى الله عليه وسلم : « لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ ٱلنَّصَارَى ٱبْنَ مَرْيَمَ »[1] . . النهي عن مدحه صلى الله عليه وسلم ، واعتبار ذٰلك من الإطراء والغلو المذموم المؤدي إلى الشرك ، وأن كل من مدحه صلى الله عليه وسلم ورفعه عن غيره من عامة البشر ، وأثنىٰ عليه ووصفه بما يميزه عن غيره . . فقد ابتدع في الدين ، وخالف سنة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم .

وهٰذا فهم سيِّئ ويدل علىٰ قصر نظر صاحبه ؛ وذٰلك أن النبي صلى الله عليه وسلم نهىٰ أن يطرىٰ كما أطرت النصارى ابن مريم إذ قالوا : ابن الله ، ومعنىٰ ذٰلك : أن من أطراه صلى الله عليه وسلم ووصفه بما وصف به النصارىٰ نبيهم . . فقد صار مثلهم .

أما من مدحه ووصفه بما لا يخرجه عن حقيقة البشرية معتقداً أنه عبد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، مبتعداً عن معتقد النصارىٰ . . فإنه ولا شك من أكمل الناس توحيداً .

دع ما ادعته النصارىٰ في نبيِّهم ... واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكمِ

فإن فضلَ رسولِ الله ليس له ... حدٌّ فيعربَ عنه ناطق بفمِ

فمبلغ العلم فيه أنه بشرٌ ... وأنه خير خلق الله كلِّهمِ[2]

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٥) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٢) الأبيات للبوصيري في « ديوانه » (ص ٢٤١ ـ ٢٤٢) ، وهي من البسيط .

لقد تولى الله سبحانه وتعالى بنفسه مدح نبيه المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم فقال : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[1] ، وأمر بالأدب معه في الخطاب والجواب فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾[2] ، ونهانا أن نعامله كما يعامل بعضنا بعضاً ، أو أن نناديه كما ينادي بعضنا بعضاً فقال : ﴿ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾[3] .

وذمَّ الذين يسوُّون بينه وبين غيره في المعاملة والأسلوب فقال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[4] .

وقد كان الصحابة الكرام يمتدحون النبي صلى الله عليه وسلم ، فهٰذا حسان بن ثابت يقول[5] :

أغــرُّ عـلـيـه لـلـنـبـوة خـاتـمٌ ... مـن الله مشـهـود يـلـوح[6] ويشـهـدُ[7]

وضمَّ الإلٰهُ اسمَ النبي إلى اسمه ... إذا قال في الخمس المؤذنُ أشهدُ

وشـــقَّ لـه مـن اسـمـه لـيـجـلَّه ... فذو العرش محمود وهٰذا محمدُ

نـبـيٌّ أتـانـا بـعـد يـأسٍ وفـتـرة ... من الرسل والأوثانُ في الأرض تعبدُ

فأمسىٰ سراجاً مستنيراً وهادياً ... يلوح كما لاح الصقيل المهنَّدُ

---

(١) سورة القلم ، الآية (٤) .

(٢) سورة الحجرات ، الآية (٢) .

(٣) سورة النور ، الآية (٦٣) .

(٤) سورة الحجرات ، الآية (٤) .

(٥) ديوان حسان بن ثابت رضي الله عنه (١/٣٠٦) ، وهي من الطويل ، والبيت الأول والثاني في « البداية والنهاية » (٦/٤١٩) .

(٦) يلوح : يظهر .

(٧) يشهد : يشاهد .

وأنــذرنــا نــاراً وبـشــر جـنَّـةً　　　وعـلَّـمـنـا الإسـلام فـالله نـحـمدُ

ويقول أيضاً[(١)] :

يـا ركـن معتمد وعصمة لائذٍ　　　ومـلاذ منتجعٍ وجـار مـجـاورِ
يـا مـن تـخـيَّـره الإلـه لـخلقه　　　فحباه بالخلق الزكـيِّ الطاهرِ
أنـت النبـيُّ وخـيـر عصبة آدمٍ　　　يا من يجود كفيض بحر زاخرِ
ميكال معك وجبرئيل كلاهما　　　مـددٌ لـنـصـرك مـن عـزيـز قـاهـرِ

وهٰذه صفية بنت عبد المطلب ترثي رسول الله صلى الله عليه وسلم[(٢)] :

ألا يـا رسـول الله كنت رجاءنا　　　وكـنـت بنا بـرّاً ولـم تـكُ جافيا
وكـنـت رحـيـمـاً هـاديـاً ومعلماً　　　ليبكِ عليك اليومَ من كان باكيا
صدقت وبلَّغت الرسالة صادقاً　　　ومتَّ صليبَ الدِّين[(٣)] أبلج صافيا
فـدىً لـرسـول الله أمـي وخالـتي　　　وعـمِّـي وآبـائـي ونـفسـي وماليا
لـعـمـرك مـا أبـكـي النبي لفقده　　　ولٰكن لما أخشىٰ من الهرج آتيا
كـأن عـلىٰ قـلبـي لـذكـر محمدٍ　　　وما خفتُ من بعد النبي المكاويا
فـلـو أن رب الـنـاس أبـقىٰ نبينا　　　سعدنا ولٰكن أمره كان ماضيا
عـلـيـك مـن الله الـسـلامُ تـحـيـةً　　　وأُدخلت جناتٍ من العدن راضيا

---

(١) تقدم تخريجها (ص ٢٧٤) .
(٢) أخرجها الطبراني في « الكبير » (٣٢٠/٢٤) ، وابن عبد البر في « الاستيعاب » (ص ٣٦) ، والدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (٧٥٨) ، وهي من الطويل .
(٣) صليب الدين : أي : قويه .

أفاطمَ صلَّى الله رب محمدٍ   علىٰ جدثٍ[1] أمسىٰ بطيبة ثاويا

وذكر ابن سعد في « الطبقات » أنها لأروى بنت عبد المطلب[2] .

وهٰذا كعب بن زهير يمدح النبي صلى الله عليه وسلم بقصيدته المعروفة التي مطلعها[3] :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبولُ   متيَّمٌ إثرها لم يفد مكبولُ[4]

إلىٰ أن قال :

أُنبئت أن رسول الله أوعدني   والعفو عند رسول الله مأمولُ

إن الرسول لنور يستضاء به   مهنَّدٌ من سيوف الله مسلولُ

في عصبةٍ[5] من قريش قال قائلهم   ببطن مكةَ لما أسلموا زولوا[6]

يمشون مشي الجمال الزُّهر يعصمهم   ضربٌ إذا عرَّد السود التنابيلُ[7]

وفي رواية أبي بكر ابن الأنباري أنه لما وصل إلىٰ قوله :

إن الرسول لنور يستضاء به   مهنَّدٌ من سيوف الله مسلولُ

.. رمىٰ عليه الصلاة والسلام إليه بردة كانت عليه ، وأن معاوية

---

(١) **الجدث** : القبر .

(٢) الطبقات الكبير (٢/٢٨٣) .

(٣) ديوان كعب بن زهير رضي الله عنه بشرح السكري (ص ٦ ـ ٢٤) ، وهي من البسيط .

(٤) **بانت** : فارقت ، **متبول** : أصيب بتبل ، والتبل : أن يُسقم الهوى الإنسان ، **ومتيم** : معبَّد ، **ومكبول** : مقيد .

(٥) **العصبة** : من العشرة إلى الأربعين .

(٦) **زولوا** : من زال يزول زولاً .

(٧) **الزهر** : البيض ، جمع أزهر وزهراء ، **ويعصمهم** : يمنعهم ، **عرَّد** : فرَّ ، **التنابيل** : القصار ، جمعُ تِنْبال ، بكسر التاء .

رضي الله عنه بذل له فيها عشرة آلاف ، فقال : (ما كنت لأوثر برسول الله صلى الله عليه وسلم أحداً) فلما مات كعب . . بعث معاوية إلىٰ ورثته بعشرين ألفاً فأخذها منهم [١] .

وها هو صلى الله عليه وسلم يمدح نفسه بنفسه قال :

« أَنَا خَيْرُ أَصْحَابِ ٱلْيَمِينِ » .

« أَنَا خَيْرُ ٱلسَّابِقِينَ » .

« أَنَا أَتْقَىٰ وَلَدِ آدَمَ وَأَكْرَمُهُمْ عَلَى ٱللهِ وَلَا فَخْرَ » [٢] .

وقال : « أَنَا أَكْرَمُ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ وَلَا فَخْرَ » [٣] .

وقال : « لَمْ يَلْتَقِ أَبَوَايَ عَلَىٰ سِفَاحٍ » [٤] .

ويقول جبريل عليه السلام : « قَلَّبْتُ مَشَارِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا فَلَمْ أَجِدْ رَجُلاً أَفْضَلَ مِنْ مُحَمَّدٍ ، وَلَمْ أَرَ بَيْتاً أَفْضَلَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ » [٥] .

وعن أنس رضي الله عنه : (أن النبي صلى الله عليه وسلم أتي بالبراق ليلة أسري به فاستصعب عليه ، فقال له جبريل : « أبمحمد تفعل هـٰذا ؟! فما ركبك أحد أكرم على الله منه » فارفضَّ عرقاً) [٦] .

وفي حديث أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) انظر « شرح بانت سعاد » لابن هشام (ص ٢٢ ـ ٢٣) .
(٢) أخرجه الطبراني في « الكبير » (٥٦/٣) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .
(٣) أخرجه الترمذي (٣٦١٦) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .
(٤) أخرجه أبو نعيم في « دلائل النبوة » (١٥) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .
(٥) أخرجه الطبراني في « الأوسط » (٦٢٨١) ، والبيهقي في « دلائل النبوة » (١٧٦/١) عن عائشة رضي الله عنها .
(٦) أخرجه ابن حبان (٤٦) ، والترمذي (٣١٣١) عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

« أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدمَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ ، وَبِيَدِي لِوَاءُ ٱلْحَمْدِ وَلَا فَخْرَ ، وَمَا مِنْ نَبِيّ يَوْمَئِذٍ ـ آدمَ فَمَنْ سِوَاهُ ـ إِلَّا تَحْتَ لِوَائِي ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ ٱلْأَرْضُ وَلَا فَخْرَ »[1] .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَنَا أَوَّلُ ٱلنَّاسِ خُرُوجاً إِذَا بُعِثُوا ، وَأَنَا خَطِيبُهُمْ إِذَا وَفَدُوا ، وَأَنَا مُبَشِّرُهُمْ إِذَا أَيِسُوا ، لِوَاءُ ٱلْحَمْدِ يَوْمَئِذٍ بِيَدِي ، وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَىٰ رَبِّي وَلَا فَخْرَ »[2] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَىٰ رَبِّي ، يَطُوفُ عَلَيَّ أَلْفُ خَادِمٍ كَأَنَّهُمْ بَيْضٌ مَكْنُونٌ أَوْ لُؤْلُؤٌ مَنْثُورٌ »[3] .

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ ٱلْأَرْضُ فَأُكْسَى ٱلْحُلَّةَ مِنْ حُلَلِ ٱلْجَنَّةِ ، ثُمَّ أَقُومُ عَنْ يَمِينِ ٱلْعَرْشِ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ ٱلْخَلَائِقِ يَقُومُ ذَٰلِكَ ٱلْمَقَامَ غَيْرِي »[4] .



(١) أخرجه الترمذي (٣١٤٨) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .
(٢) أخرجه الترمذي (٣٦١٠) .
(٣) أخرجه الدارمي في « سننه » (٤٩) عن أنس بن مالك رضي الله عنه .
(٤) أخرجه الترمذي (٣٦١١) .

الأنبياء بشرٌ ... ولكن

يظن بعض الناس أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يساوون غيرهم من البشر في كل أحوالهم وأعراضهم ، وهـٰذا خطأ واضح وجهل فاضح تردُّه الأدلة الصحيحة من الكتاب والسنة .

وهم وإن كانوا يشتركون مع جميع بني آدم في حقيقة الأصل التي هي البشرية كما بينه قوله جلَّ ذكره : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ [(١)] . . إلا أنهم يختلفون عنهم في كثير من الصفات والعوارض ، وإلا . . فما هي مزيتهم ؟! وكيف تظهر ثمرة اصطفائهم علىٰ غيرهم واجتبائهم علىٰ من سواهم ؟!

وسنذكر في هـٰذا المبحث شيئاً من صفاتهم في الدنيا ، وخصائصهم في البرزخ التي ثبتت لهم بنصِ الكتاب والسنة .

الأنبياء سادة البشر

الأنبياء هم الصفوة المختارة من عباد الله ، شرَّفهم الله بالنبوة وأعطاهم الحكمة ، ورزقهم قوة العقل وسداد الرأي ، واصطفاهم ليكونوا وسطاء بينه وبين خلقه ، يبلغونهم أوامر الله عزَّ وجلَّ ، ويحذرونهم غضبه وعقابه ، ويرشدونهم إلىٰ ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة ، وقد اقتضت حكمة الله أن يكونوا من البشر ؛ ليتمكن الناس من الاجتماع

(١) سورة الكهف ، الآية (١١٠) .

بهم والأخذ عنهم ، والاتباع لهم في سلوكهم وأخلاقهم ، والبشرية هي عين إعجازهم ؛ فهم بشر من جنس البشر ، لٰكنهم متميزون عنهم بما لا يلحقهم به أحد ، ومن هنا كانت ملاحظة البشرية العادية المجردة فيهم دون غيرها هي نظرة جاهلية شركية ، وفي القرآن شواهد كثيرة علىٰ ذٰلك .

فمن ذٰلك قول قوم نوح في حقه فيما حكاه الله عنهم ، إذ قال : ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا ﴾ (١) ، ومن ذٰلك قول قوم موسىٰ وهارون في حقهما فيما حكاه الله عنهم ، إذ قال : ﴿ فَقَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴾ (٢) .

ومن ذٰلك قول أصحاب ثمود لصالح فيما حكاه الله عنه بقوله : ﴿ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (٣) .

ومن ذٰلك قول أصحاب الأيكة لنبيهم شعيب فيما حكاه الله عنهم بقوله : ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ۝ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ (٤) .

ومن ذٰلك قول المشركين في حق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقد رأوه بعين البشرية المجردة فيما حكاه الله عنهم بقوله : ﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ﴾ (٥) .

---

(١) سورة هود ، الآية (٢٧) .
(٢) سورة المؤمنون ، الآية (٤٧) .
(٣) سورة الشعراء ، الآية (١٥٤) .
(٤) سورة الشعراء ، الآيتان (١٨٥ ـ ١٨٦) .
(٥) سورة الفرقان ، الآية (٧) .

صفات الأنبياء عليهم السلام

والأنبياء صلوات الله عليهم وإن كانوا من البشر يأكلون ويشربون ، ويصحُّون ويمرضون ، وينكحون النساء ويمشون في الأسواق ، وتعتريهم العوارض التي تمر على البشر من ضعف وشيخوخة وموت . . إلا أنهم يمتازون بخصائص ويتصفون بأوصاف عظيمة جليلة هي بالنسبة لهم من ألزم اللوازم ومن أهم الضروريات ، وهـٰذه الصفات نلخصها فيما يلي :

ـ الصدق .

ـ التبليغ .

ـ الأمانة .

ـ الفطانة .

ـ السلامة من العيوب المنفرة .

ـ العصمة .

وليس هـٰذا محل تفصيل هـٰذه الصفات ؛ فقد تكفَّلت بها كتب التوحيد ، وسنذكر هنا بعض الصفات التي يتميز بها سيد الأنبياء صلى الله عليه وسلم عن عامة البشر .

يرىٰ من خلفه كما يرىٰ من أمامه ﷺ

أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « هَلْ تَرَوْنَ قِبْلَتِي هَـٰهُنَا ؟ فَوَٱللهِ ؛ مَا يَخْفَىٰ عَلَيَّ رُكُوعُكُمْ وَلَا سُجُودُكُمْ ؛ إِنِّي لَأَرَاكُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي »[1] .

(١) صحيح البخاري (٤١٨) ، صحيح مسلم (٤٢٤) .

وأخرج مسلم عن أنس رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ؛ إِنِّي إِمَامُكُمْ ، فَلَا تَسْبِقُونِي بِٱلرُّكُوعِ وَلَا بِٱلسُّجُودِ وَلَا بِٱلْقِيَامِ وَلَا بِٱلِانْصِرَافِ ؛ فَإِنِّي أَرَاكُمْ أَمَامِي وَمِنْ خَلْفِي »(١) .

وأخرج عبد الرزاق في « مصنفه » والحاكم وأبو نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَىٰ مَا وَرَائِي كَمَا أَنْظُرُ إِلَىٰ مَا بَيْنَ يَدَيَّ »(٢) .

وأخرج أبو نعيم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنِّي أَرَاكُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي » .

يرىٰ ﷺ ما لا نرىٰ ، ويسمع ﷺ ما لا نسمع

عن أبي ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ ، أَطَّتِ ٱلسَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِداً لِلّٰهِ ، وَٱللّٰهِ ؛ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ . . لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً ، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِٱلنِّسَاءِ عَلَى ٱلْفُرُشِ ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى ٱلصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى ٱللّٰهِ » .

قال أبو ذر : (لوددت أني كنت شجرة تعضد)(٣) .

إبطه الشريف ﷺ

أخرج الشيخان عن أنس رضي الله عنه قال : (رأيت رسول الله

---

(١) صحيح مسلم (٤٢٦/١١٢) .

(٢) مصنف عبد الرزاق (٣٧٣٧) ، المستدرك (٢٣٦/١) ، دلائل النبوة (٣٥٥) .

(٣) أخرجه الترمذي (٢٣١٢) ، واللفظ له ، وابن ماجه (٤٣٥٢) .

صلى الله عليه وسلم يرفع يديه في الدعاء حتىٰ يرىٰ بياض إبطيه)[1] .

وأخرج ابن خزيمة وأحمد وابن سعد عن جابر رضي الله عنه قال : (كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سجد . . يرىٰ بياض إبطيه)[2] .

وقد ورد ذكر بياض إبطيه صلى الله عليه وسلم في عدة أحاديث عن جماعة من الصحابة .

قال المحب الطبري : (من خصائصه صلى الله عليه وسلم : أن الإبط من جميع الناس متغير اللون ، غيره صلى الله عليه وسلم) ، وذكر القرطبي مثل ذٰلك وزاد : (وأنه لا شعر فيه)[3] .

حفظه ﷺ من التثاؤب

أخرج البخاري في « التاريخ » ، وابن أبي شيبة في « المصنف » ، وابن سعد عن يزيد بن الأصم قال : (ما تثاءب النبي صلى الله عليه وسلم قط)[4] .

وأخرج الخطابي عن مسلمة بن عبد الملك بن مروان قال : (ما تثاءب نبي قط)[5] .

---

(١) صحيح البخاري (١٠٣١) ، صحيح مسلم (٥/٨٩٥) .
(٢) صحيح ابن خزيمة (٦٤٩) ، مسند أحمد (٢٩٥/٣) ، الطبقات الكبير (٣٦٢/١) .
(٣) غاية الإحكام (٢٦٩/٣) ، وانظر « سبل الهدىٰ والرشاد » (١٠٣/٢) .
(٤) مصنف ابن أبي شيبة (٨٠٦٥) ، الطبقات الكبير (٣٣١/١) ، التاريخ الكبير (١٧٥/٨) .
(٥) أورده ابن حجر في « فتح الباري » (٦١٣/١٠) .

عرقه الشريف ﷺ

أخرج مسلم عن أنس رضي الله عنه قال : (دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال[1] عندنا فعرق ، وجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلت العرق فيها ، فاستيقظ النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « يَا أُمَّ سُلَيْمٍ ؛ مَا هَـٰذَا ٱلَّذِي تَصْنَعِينَ ؟ » قالت : عرقك نجعله في طيبنا ؛ وهو من أطيب الطيب)[2] .

وأخرج من وجه آخر عن أنس رضي الله عنه : (أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأتي أم سليم فيقيل عندها ، فتبسط له نطعاً فيقيل عليه ، وكان كثير العرق ، فكانت تجمع عرقه فتجعله في الطيب والقوارير ، فقال : « يَا أُمَّ سُلَيْمٍ ؛ مَا هَـٰذَا ؟ » قالت : عرقك أَدُوف به طيبي)[3] .

طوله ﷺ

أخرج ابن أبي خيثمة في « تاريخه » ، والبيهقي وابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها قالت : (لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد ، وكان ينسب إلى الربعة إذا مشىٰ وحده ، ولم يكن علىٰ حال يماشيه أحد من الناس ينسب إلى الطول .. إلا طاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما ، فإذا فارقاه .. نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الربعة)[4] .

---

(١) من القيلولة .

(٢) صحيح مسلم (٢٣٣١/٨٣) .

(٣) صحيح مسلم (٢٣٣٢) ، **وأدوف** : بالدال المهملة والمعجمة بمعنىٰ : أخلط .

(٤) دلائل النبوة (١/٢٩٨) ، تاريخ دمشق (٣/٣٥٦) ، وانظر « سبل الهدىٰ والرشد » (٢/١١٣) .

وذكر ابن سبع في « الخصائص » ذلك وزاد : (أنه كان إذا جلس . . يكون كتفه أعلىٰ من جميع الجالسين)[1] .

ظله ﷺ

أخرج الحكيم الترمذي عن ذكوان : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له ظل في شمس ولا قمر) ، قال ابن سبع : (من خصائصه صلى الله عليه وسلم : أن الظل كان لا يقع على الأرض ، وأنه كان نوراً إذا مشىٰ في الشمس أو القمر . . لا ينظر له ظل ، قال بعضهم : ويشهد له قوله صلى الله عليه وسلم في دعائه : « وَٱجْعَلْنِي نُوراً »)[2] .

حفظه من الذباب

وذكر القاضي عياض في « الشفا » ، والعزفيُّ في « مولده » : (أن من خصائصه صلى الله عليه وسلم أنه كان لا ينزل عليه الذباب)[3] ، وذكره ابن سبع في « الخصائص » بلفظ : (أنه لم يقع علىٰ ثيابه ذباب قط ، وزاد : أن من خصائصه صلى الله عليه وسلم أن القمل لم يكن يؤذيه)[4] .

دمه ﷺ

أخرج البزار وأبو يعلىٰ والطبراني والحاكم والبيهقي عن عبد الله بن

---

(١) أورده الشامي في « سبل الهدىٰ والرشاد » (٢/١١٣) .

(٢) أوردهما السيوطي في « الخصائص الكبرىٰ » (١/٦٨) ، والحديث أخرجه مسلم (١٨٧/٧٦٣) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٣) الشفا (ص ٤٦٢) ، وانظر « الخصائص الكبرىٰ » (١/٦٨) .

(٤) أورده السيوطي في « الخصائص الكبرىٰ » (١/٦٨) .

الزبير رضي الله عنهما : أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحتجم ؛ فلما فرغ . . قال : « يَا عَبْدَ ٱللهِ ؛ ٱذْهَبْ بِهَـٰذَا ٱلدَّمِ فَأَهْرِقْهُ حَيْثُ لَا يَرَاكَ أَحَدٌ » فشربه ؛ فلما رجع . . قال : « يَا عَبْدَ ٱللهِ ؛ مَا صَنَعْتَ ؟ » قال : جعلته في أخفىٰ مكان علمت أنه مخفي عن الناس ، قال : « لَعَلَّكَ شَرِبْتَهُ ؟ » قلت : نعم ، قال : « وَيْلٌ لِلنَّاسِ مِنْكَ وَوَيْلٌ لَكَ مِنَ ٱلنَّاسِ » فكانوا يرون أن القوة التي به من ذٰلك الدم (١) .

نومه ﷺ

أخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت : يا رسول الله ؛ أتنام قبل أن توتر ؟ فقال : « يَا عَائِشَةُ ؛ إِنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ وَلَا يَنَامُ قَلْبِي » (٢) .

وأخرج البخاري عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تَنَامُ عَيْنِي وَلَا يَنَامُ قَلْبِي » (٣) .

وأخرج البخاري قال صلى الله عليه وسلم : « ٱلْأَنْبِيَاءُ تَنَامُ أَعْيُنُهُمْ وَلَا تَنَامُ قُلُوبُهُمْ » (٤) .

جماعه ﷺ

أخرج البخاري من طريق قتادة عن أنس رضي الله عنه قال : (كان

---

(١) المستدرك (٣/٥٥٤) ، مسند البزار (٢٢١٠) ، وانظر « المطالب العالية » (٤٢٢٨) ، و« مجمع الزوائد » (١٧/٢١٩ ـ ٢٢٠) ، و« الإصابة » (٢/٣٠٢) .
(٢) صحيح البخاري (١١٤٧) ، صحيح مسلم (٧٣٨/١٢٥) .
(٣) صحيح البخاري (٣٥٦٩) .
(٤) صحيح البخاري (٣٥٧٠) عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

النبي صلى الله عليه وسلم يدور علىٰ نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار ؛ وهن إحدىٰ عشرة ، قلت لأنس : أوكان يطيقه ؟! قال : كنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين)[1] .

حفظه ﷺ من الاحتلام

أخرج الطبراني من طريق عكرمة عن ابن عباس ، والدينوري في « المجالسة » من طريق مجاهد عن ابن عباس قال : « مَا ٱحْتَلَمَ نَبِيٌّ قَطُّ ، وَإِنَّمَا ٱلِاحْتِلَامُ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ »[2] .

خلاصة مفيدة

وقد نظم بعضهم جملة من الخصائص التي تميز بها صلى الله عليه وسلم عن غيره من جهة الصفات البشرية العادية فقال[3] :

خصَّ نبيُّنا بعشرة خصالْ ... لم يحتلم قطُّ وما له ظلالْ
والأرض ما يخرج منه تبتلعْ ... كذٰلك الذباب عنه ممتنعْ
تنام عيناه وقلب لا ينامْ ... من خلفه يرىٰ كما يرىٰ أمامْ
لم يتثاءب قطُّ وهي السابعةْ ... ولد مختوناً إليها تابعةْ
تعرفه الدواب حين يركبُ ... تأتي إليه سرعة لا تهربُ
يعلو جلوسه جلوس الجلسا ... صلىٰ عليه الله صبحاً ومسا

(١) صحيح البخاري (٢٦٨) .
(٢) المعجم الكبير (١١/٢٢٥) ، المجالسة وجواهر العلم (٢٥٠٨) .
(٣) الأبيات من الرجز .

وقد ذكرنا في (مباحث نبوية) من (الباب الثاني) بعض الخصائص النبوية ، وخلاصة ما نراه في ذٰلك : وهي أن هٰذه الخصائص كثيرة جداً ؛ **منها** ما صحَّ سنده ، **ومنها** ما لم يصحَّ ، **ومنها** ما هو مختلف فيه بين العلماء ؛ إذ يرىٰ بعضهم أنه صحيح ، ويرى الآخرون خلاف ذٰلك ؛ فهي مسائل خلافية .

والكلام فيها دائر بين العلماء من قديم بين الصواب والخطأ ، والصحة والبطلان ، لا بين الكفر والإيمان ، وقد نقلنا جملة من هٰذه الخصائص التي منها ما هو صحيح ، ومنها ما هو ليس بصحيح ، ومنها المقبول ، ومنها غير ذٰلك .

نقلناها لتكون شواهد علىٰ ما ذكرناه من تسامح بعض أئمة الحديث في نقل ذٰلك دون تحقيق أو نقد ، وليس المقصود من ذٰلك الكلام حول صحتها وعدم صحتها ، أو ثبوتها وعدم ثبوتها ، فتدبر .



مفهوم التبرّك

يخطئ كثير من الناس في فهم حقيقة التبرُّك بالنبي صلى الله عليه وسلم وآثاره وآل بيته وورّاثه من العلماء والأولياء رضي الله عنهم ، فيصفون كل من يسلك ذٰلك المسلك بالشرك والضلال ؛ كما هي عادتهم في كل جديد يضيق عنه نظرهم ، ويقصر عن إدراكه تفكيرهم .

وقبل أن نبين الأدلة والشواهد الناطقة بجواز ذٰلك ، بل بمشروعيته ينبغي أن نعلم : أن التبرُّك ليس هو إلا توسلاً إلى الله سبحانه وتعالىٰ بذٰلك المتبرَّك به ، سواء أكان أثراً أو مكاناً أو شخصاً .

أما الأعيان . . فلاعتقاد فضلها وقربها من الله سبحانه وتعالىٰ مع اعتقاد عجزها عن جلب خير أو دفع شر إلا بإذن الله .

وأما الآثار . . فلأنها منسوبة إلىٰ تلك الأعيان ، فهي مشرفة بشرفها ومكرمة ومعظمة ومحبوبة لأجلها .

وأما الأمكنة . . فلا فضل لها لذاتها من حيث هي أمكنة ، وإنما لما يحلُّ فيها ويقع من خير وبر ؛ كالصلاة والصيام ، وجميع أنواع العبادات مما يقوم به عباد الله الصالحون ؛ إذ تتنزل فيها الرحمات وتحضرها الملائكة وتغشاها السكينة ، وهٰذه هي البركة التي تطلب من الله في الأماكن المقصودة لذٰلك .

وهٰذه البركة تطلب بالتعرض لها في أماكنها بالتوجه إلى الله تعالىٰ ودعائه واستغفاره ، وتذكر ما وقع في تلك الأماكن من حوادث عظيمة

ومناسبات كريمة ، تحرِّك النفوس وتبعث الهمة والنشاط ؛ للتشبه بأهلها أهل الفلاح والصلاح ، وإليك هٰذه النصوص المقتبسة من رسالتنا الخاصة في موضوع البركة .

التبرك بشعره وبصاقه ﷺ

عن جعفر بن عبد الله بن الحكم : أن خالد بن الوليد فقد قلنسوة له يوم اليرموك ، فقال : (اطلبوها) فلم يجدوها ، فقال : (اطلبوها) فوجدوها ، فإذا هي قلنسوة خَلَقَة ـ أي : ليست بجديدة ـ فقال خالد : (اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلق رأسه ، فابتدر الناس جوانب شعره ، فسبقتهم إلىٰ ناصيته فجعلتها في هٰذه القلنسوة ، فلم أشهد قتالاً وهي معي إلا رزقت النَّصْرَ)(١) .

وعن مالك بن حمزة بن أبي أسيد الساعدي الخزرجي عن أبيه عن جده أبي أسيد وله بئر بالمدينة يقال لها : بئر بضاعة ، قد بصق فيها النبي صلى الله عليه وسلم فهو يشربها ويتيمَّن بها(٢) .

وصف عروة بن مسعود حال الصحابة مع النبي ﷺ

روى الإمام البخاري بسنده إلى المسور بن مخرمة ومروان قالا : ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعينه قال :

---

(١) أخرجه الطبراني في « الكبير » (٤/١٠٤) ، وأبو يعلىٰ في « مسنده » (٧١٨٣) ، وقال الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٢٧٥/١٩) : (ورجالهما رجال الصحيح ، وجعفر سمع من جماعة من الصحابة ، فلا أدري سمع من خالد أم لا ؟) انتهىٰ وقال ابن حجر في « المطالب العالية » (٤٤٤٥) وفيه يقول خالد : (فما وجهت في جهة إلا فتح لي) .

(٢) أخرجه الطبراني في « الكبير » (٢٦٣/١٩) .

(فوالله ؛ ما تنخَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة . . إلا وقعت في كفِّ رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم . . ابتدروا أمره ، وإذا توضأ . . كادوا يقتتلون علىٰ وضوئه ، وإذا تكلموا . . خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدُّون إليه النظر تعظيماً له ، فرجع عروة إلىٰ أصحابه فقال : أي قوم ؛ والله ؛ لقد وفدت على الملوك ، ووفدت علىٰ قيصر وكسرىٰ والنجاشي ، والله ؛ إن رأيت(١) ملكاً قطُّ يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم محمداً ، والله ؛ إن تنخَّم نخامة . . إلا وقعت في كفِّ رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم . . ابتدروا أمره ، وإذا توضأ . . كادوا يقتتلون علىٰ وضوئه ، وإذا تكلم . . خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدُّون إليه النظر تعظيماً له)(٢) .

تعليق الحافظ ابن حجر علىٰ هـٰذه القصة

وفيه طهارة النخامة والشعر المنفصل ، والتبرُّك بفضلات الصالحين الطاهرة ، ولعلَّ الصحابة فعلوا ذٰلك بحضرة عروة وبالغوا في ذٰلك ؛ إشارة منهم إلى الردِّ علىٰ ما خشيه من فرارهم ، وكأنهم قالوا بلسان الحال : من يحب إمامه هـٰذه المحبة ويعظمه هـٰذا التعظيم . . كيف يظن به أنه يفرُّ عنه ويسلمه لعدوه ؟! بل هم أشد اغتباطاً به وبدينه ، وبنصره من القبائل التي يراعي بعضها بعضاً بمجرد الرحم ، فيستفاد منه جواز التوصل إلى المقصود بكل طريق سائغ(٣) .

---

(١) أي : ما رأيت .

(٢) صحيح البخاري (٢٧٣٢) .

(٣) فتح الباري (٥/٣٤١) .

النبي ﷺ يرشد إلى المحافظة علىٰ بقية وضوئه

عن طلق بن علي قال : (خرجنا وفداً إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعناه وصلينا معه ، وأخبرناه أن بأرضنا بِيعة لنا ، فاستوهبناه من فضل طهوره ، فدعا بماء فتوضأ وتمضمض ، ثم صبه لنا في إداوة وأمرنا فقال : « ٱخْرُجُوا ؛ فَإِذَا أَتَيْتُمْ أَرْضَكُمْ . . فَٱكْسِرُوا بِيعَتَكُمْ وَٱنْضَحُوا مَكَانَهَا بِهَـٰذَا ٱلْمَاءِ وَٱتَّخِذُوهَا مَسْجِداً » ، قلنا : إن البلد بعيد والحر شديد والماء ينشف ، فقال : « مُدُّوهُ مِنَ ٱلْمَاءِ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَزِيدُهُ إِلَّا طِيباً ») رواه النسائي [1] ، وهـٰذا الحديث من الأصول المعتبرة المشتهرة الدالة علىٰ مشروعية التبرُّك به وبآثاره وبكل ما هو منسوب إليه ؛ فإنه صلى الله عليه وسلم أخذ وضوءه ثم جعله في إناء ، ثم أمرهم أن يأخذوه معهم إجابة لطلبهم وتحقيقاً لمرادهم ، فلا بدَّ أن هناك سراً قوياً متمكناً في نفوسهم دفعهم إلىٰ طلب هـٰذا الماء بخصوصه ، والمدينة مملوءة بالمياه ، بل وبلادهم مملوءة بالماء فلم هـٰذا التعب والتكلُّف في حمل قليل من الماء من بلد إلىٰ بلد مع بعد المسافة وطول السفر وحرارة الشمس ؟!

نعم ؛ كل ذٰلك لم يهمهم ؛ لأن المعنى الذي يحمله هـٰذا الماء يهوِّن عليهم كل مشقة ألا وهو التبرك به وبآثاره ، وبكل ما هو منسوب إليه ، وهو لا يوجد في بلدهم ولا يتوافر علىٰ كل حال عندهم ، بل ويتأكد تأييده لهم صلى الله عليه وسلم ورضاه عن فعلهم بجوابه لهم لما قالوا : إن الماء ينشف لشدة الحرِّ إذ قال لهم : « مُدُّوهُ مِنَ ٱلْمَاءِ » ، فبين لهم أن بركته التي حلَّت في الماء لا تزال باقية مهما زادوا فيه فهي مستمرة متصلة .

---

(١) المجتبىٰ (٢/٣٨) .

التبرُّك بشعره ﷺ بعد موته

ـ عن عثمان بن عبد الله بن موهب قال : (أرسلني أهلي إلىٰ أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم بقدح من ماء ، فجاءت بجلجل من فضة فيه شعر من شعر النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان إذا أصاب الإنسان عين أو شيء . . بعث إليها مِخضبه قال : فاطلعت في الجُلجُل فرأيت شعرات حُمْراً) رواه البخاري في (كتاب اللباس ، باب ما يذكر في الشيب)[1] .

قال الإمام الحافظ ابن حجر في « الفتح » : (وقد بينه وكيع في « مصنفه » فقال : كان جلجلاً من فضة ؛ صيغ صواناً لشعرات النبي صلى الله عليه وسلم التي كانت عند أم سلمة ، والجلجل : هو شبه الجرس ؛ يتخذ من الفضة أو الصفر أو النحاس ، وقد تنزع منه الحصاة التي تتحرك فيه فيوضع فيه ما يحتاج إلىٰ صيانته)[2] .

قال الإمام العيني : (وبيان ذٰلك على التحرير : أن أم سلمة كان عندها شعرات من شعر النبي صلى الله عليه وسلم حمر في شيء مثل الجلجل ، وكان الناس عند مرضهم يتبرَّكون بها ويستشفون من بركتها ، ويأخذون من شعره ويجعلونه في قدح من الماء ، فيشربون الماء الذي فيه الشعر فيحصل لهم الشفاء ، وكان أهل عثمان أخذوا منها شيئاً وجعلوه في قدح من فضة ، فشربوا الماء الذي فيه فحصل لهم الشفاء ، ثم أرسلوا عثمان بذٰلك القدح إلىٰ أم سلمة ، فأخذته أم سلمة ووضعته في الجلجل ، فاطلع عثمان في الجلجل ، فرأىٰ فيه شعرات حُمْراً .

---

(١) صحيح البخاري (٥٨٩٦) .

(٢) فتح الباري (١٠/٣٥٣) .

قوله : « وكان إذا أصاب الإنسان . . . » إلىٰ آخره : كلام عثمان بن عبد الله بن موهب : أي : كان أهلي ، كذا فسَّره الكرماني .

وقال بعضهم : وكان ـ أي : الناس ـ إذا أصاب الإنسان ؛ أي : منهم ، والذي قاله الكرماني أصوب يبين به أن الإنسان إذا أصابه عين أو شيء من الأمراض . . بعث أهله إليها ؛ أي : إلىٰ أم سلمة ، مِخضبه : بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الضاد المعجمة والباء الموحدة ؛ وهي الإجانة ، ويجعل فيها ماء وشيء من الشعر المبارك ، ويجلس فيها ، فيحصل له الشفاء ، ثم يرد الشعر إلى الجلجل)[1] .

النبي ﷺ يقسم شعره بين الناس

روىٰ مسلم من حديث أنس رضي الله عنه : (أن النبي صلى الله عليه وسلم أتىٰ منىً فأتى الجمرة فرماها ، ثم أتىٰ منزله بمنىً ونحر ، ثم قال للحلاق : « خُذْ » وأشار إلىٰ جانبه الأيمن ثم الأيسر ، ثم جعل يعطيه الناس)[2] .

وروى الترمذي من حديث أنس أيضاً قال : (لما رمىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمرة . . نحر نسكه ، ثم ناول الحالق شقه الأيمن فحلقه ، فأعطاه أبا طلحة ، ثم ناوله شقه الأيسر فحلقه ، فقال : « ٱقْسِمْهُ بَيْنَ ٱلنَّاسِ »)[3] .

ثم ظاهر رواية الترمذي : أن الشعر الذي أمر أبا طلحة بقسمته بين

---

(١) عمدة القاري (٤٩/٢٢) .

(٢) صحيح مسلم (٣٢٣/١٣٠٥) .

(٣) سنن الترمذي (٩١٢) .

الناس هو شعر الشقِّ الأيسر ، وهٰكذا رواية مسلم من طريق ابن عيينة[(١)] ، وأما رواية حفص بن غياث وعبد الأعلىٰ . . ففيهما : أن الشقَّ الذي قسمه بين الناس هو الأيمن وكلا الروايتين عند مسلم[(٢)] .

توزيع شعره ﷺ شعرة شعرة

وقد جاء في رواية حفص عند مسلم أيضاً بلفظ : (فبدأ بالشق الأيمن فوزعه الشعرة والشعرتين بين الناس ، ثم قال بالأيسر فصنع به مثل ذٰلك) .

وقال أبو بكر في روايته عن حفص : (قال للحلاق : « هَا » ، وأشار بيده إلى الجانب الأيمن هٰكذا ، فقسم شعره بين من يليه ، قال : ثم أشار إلى الحلاق إلى الجانب الأيسر فحلقه فأعطاه أم سليم)[(٣)] .

الناس يتهافتون علىٰ شعره ﷺ

وفي رواية أحمد في « المسند » ما يقتضي أنه أرسل شعر الشقِّ الأيمن مع أنس إلىٰ أمه أم سليم ـ امرأة أبي طلحة ـ فإنه قال فيها : (لما حلق رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه بمنىً . . أخذ شقَّ رأسه الأيمن بيدِهِ ؛ فلما فرغ . . ناولني فقال : « يَا أَنَسُ ؛ ٱنْطَلِقْ بِهَـٰذَا إِلَىٰ أُمِّ سُلَيْمٍ » فلما رأى الناس ما خَصَّها به . . تنافسوا في الشقِّ الآخر ، هٰذا يأخذ الشيء ، وهٰذا يأخذ الشيء)[(٤)] .

---

(١) صحيح مسلم (١٣٠٥/٣٢٦) .
(٢) صحيح مسلم (١٣٠٥/٣٢٣ ـ ٣٢٥) .
(٣) صحيح مسلم (١٣٠٥/٣٢٤) .
(٤) المسند (٣/٢٥٦) .

تحقيق الكلام في الموضوع

وقد اختلفت الروايات في هٰذا الموضوع كما ترىٰ ؛ ففي بعضها أن الذي أعطاه لأبي طلحة هو الشقُّ الأيمن ، والذي قسمه بين الناس هو الأيسر ، وفي بعضها العكس ، وفي بعضها أنه أعطى الأيسر لأم سليم .

ويجمع بين هٰذه الروايات بما جاء عن صاحب « المفهم » إذ قال : (« إن قوله : لما حلق رسول الله صلى الله عليه وسلم شقَّ رأسه الأيمن . . أعطاه أبا طلحة » ليس مناقضاً لما في الرواية الثانية : أنه قسم شعر الجانب الأيمن بين الناس ، وشعر الجانب الأيسر أعطاه أم سليم ، وهي امرأة أبي طلحة ؛ وهي أم أنس رضي الله عنها قال : ويحصل من مجموع هٰذه الروايات : أن النبي صلى الله عليه وسلم لما حلق الشقَّ الأيمن . . ناوله أبا طلحة ليقسمه بين الناس ، ففعله أبو طلحة ، وناول شعر الشقِّ الأيسر لأم سليم ليكون عند أبي طلحة ، فصحَّت نسبة كل ذٰلك إلىٰ من نسب إليه ، والله أعلم)[1] .

وقد رجَّح المحب الطبري في موضع إمكان جمعه ، ورجح في مكان تعذره فقال : (والصحيح : أن الذي وزَّعه على الناس الشقَّ الأيمن ، وأعطى الأيسر أبا طلحة وأم سليم ، ولا تضاد بين الروايتين ؛ لأن أم سليم امرأة أبي طلحة ، فأعطاه صلى الله عليه وسلم لهما ، فنسب العطية تارة إليه وتارة إليها) انتهىٰ[2] .

وفيه التبرُّك بشعره صلى الله عليه وسلم وغير ذٰلك من آثاره بأبي

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٤٠٧/٣) .

(٢) القرىٰ لقاصد أم القرىٰ (ص ٤٥٣) .

وأمي ونفسي هو ، وقد روىٰ أحمد في « مسنده » عن ابن سيرين أنه قال : (فحدَّثنيه عَبيدة السلماني ـ يريد هـٰذا الحديث ـ فقال : لأن يكون عندي شعرة منه . . أحبُّ إليَّ من كل بيضاء وصفراء علىٰ وجه الأرض وفي بطنها)[1] .

وقد ذكر غير واحد : أن خالد بن الوليد رضي الله عنه كان في قلنسوته شعرات من شعره صلى الله عليه وسلم ، فلذٰلك كان لا يقدم علىٰ وجه إلا فتح له[2] ، ويؤيد ذٰلك ما ذكره الملا في « السيرة » : (أن خالداً سأل أبا طلحة حين فرَّق شعره صلى الله عليه وسلم بين الناس أن يعطيه شعر ناصيته ، فأعطاه إياه ، فكان مقدم ناصيته مناسباً لفتح كل ما أقدم عليه) انتهىٰ[3] .

التبرُّك بعرقه ﷺ

ـ عن ثمامة عن أنس رضي الله عنه : (أن أم سليم كانت تبسط للنبي صلى الله عليه وسلم نطعاً فيقيل عندها علىٰ ذٰلك النطع ، قال : فإذا نام النبي صلى الله عليه وسلم . . أخذت من عرقه وشعره فجمعته في قارورة ، ثم جمعته في سكٍّ[4] وهو نائم ، قال : فلما حضر أنسَ بن مالك الوفاة . . أوصىٰ إليَّ أن يجعل في حنوطه من ذٰلك السكِّ قال : فجعل في حنوطه)[5] .

---

(١) المسند (٣/٢٥٦) .

(٢) تقدم تخريجه (ص ٣٤٣) .

(٣) أورده العيني في « عمدة القاري » (١٠/٦٣) .

(٤) سُكّ : بضم المهملة وتشديد الكاف : هو طيب مركب .

(٥) أخرجه البخاري (٦٢٨١) .

ـ وفي رواية عند مسلم : (دخل علينا النبي صلى الله عليه وسلم فقال عندنا فعرق ، وجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلت العرق فيها فاستيقظ النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « يَا أُمَّ سُلَيْمٍ ؛ مَا هَـٰذَا ٱلَّذِي تَصْنَعِينَ ؟ » قالت : هـٰذا عرقك نجعله في طيبنا ؛ وهو من أطيب الطيب)[1] .

ـ وفي رواية إسحاق ابن أبي طلحة : (عرق واستنقع عرقه علىٰ قطعة أديم على الفراش ، فجعلت تنشف ذٰلك العرق فتعصره في قواريرها فأفاق ، فقال : « مَا تَصْنَعِينَ ؟ » قالت : نرجو بركته لصبياننا ، فقال : « أَصَبْتِ »)[2] .

وفي رواية أبي قلابة : (فكانت تجمع عرقه فتجعله في الطيب والقوارير فقال : « مَا هَـٰذَا ؟ » قالت : عرقك أدوف به طيبي)[3] .

ويستفاد من هـٰذه الروايات : اطلاع النبي صلى الله عليه وسلم علىٰ فعل أم سليم وتصويبه ، ولا معارضة بين قولها : إنها كانت تجمعه لأجل طيبه وبين قولها للبركة ، بل يحمل علىٰ أنها كانت تفعل ذٰلك للأمرين معاً . انتهىٰ[4] .

التبرُّك بمسِّ جلده ﷺ

عن عبد الرحمـٰن بن أبي ليلىٰ عن أبيه قال : (كان أسيد بن حضير

(١) صحيح مسلم (٨٣/٢٣٣١) .
(٢) صحيح مسلم (٨٤/٢٣٣١) .
(٣) صحيح مسلم (٢٣٣٢) .
(٤) فتح الباري (٧٢/١١) .

رضي الله عنه رجلاً صالحاً ضاحكاً مليحاً ؛ فبينما هو عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث القوم ويضحكهم . . فطعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في خاصرته فقال : أوجعتني ، قال صلى الله عليه وسلم : « ٱقْتَصَّ » قال : يا رسول الله ؛ إن عليك قميصاً ولم يكن عليَّ قميص ، قال : فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه فاحتضنه ثم جعل يقبل كشحه ، فقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ؛ أردت هٰذا) .

قال الحاكم : (هٰذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) ، ووافقه الذهبي فقال : (صحيح)[1] .

وأخرج ابن إسحاق عن حبان بن واسع ، عن أشياخ من قومه : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدل صفوف أصحابه يوم بدر ، وفي يده قدح يعدل به القوم ، فمر بسواد بن غزية رضي الله عنه ـ حليف بن عدي بن النجار ـ وهو مستنتل من الصف ؛ أي : خارج ، فطعن في بطنه بالقدح وقال : « ٱسْتَوِ يَا سَوَادُ » فقال : يا رسول الله ؛ أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدني ، فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه ، فقال : « ٱسْتَقِدْ » فاعتنقه ، فقبل بطنه فقال : « مَا حَمَلَكَ عَلَىٰ هَـٰذَا يَا سَوَادُ ؟ » قال : يا رسول الله ؛ حضر ما ترىٰ ، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمسَّ جلدي جلدك ، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير)[2] .

---

(١) المستدرك (٢٨٩/٣) ، وأخرجه أبو داوود (٥١٨٢) ، والطبراني في « الكبير » (٢٠٦/١) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٩٢/٩) .

(٢) انظر « سيرة ابن هشام » (٦٢٦/٢) ، و« البداية والنهاية » (٥٧/٤) .

وأخرج عبد الرزاق عن الحسن : (أن النبي صلى الله عليه وسلم لقي رجلاً مختضباً بصفرة وفي يد النبي صلى الله عليه وسلم جريدة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « خُطْ وَرْسَ » فطعن بالجريدة بطن الرجل وقال : « أَلَمْ أَنْهَكَ عَنْ هَـٰذَا ؟! » فأثر في بطنه دماً أدماه ، فقال : القود يا رسول الله ؛ فقال الناس : أمن رسول الله صلى الله عليه وسلم تقتصُّ ؟! فقال : « مَا بَشَرَةُ أَحَدٍ فَضَّلَ ٱللهُ عَلَىٰ بَشَرَتِي » فكشف النبي صلى الله عليه وسلم عن بطنه ثم قال : « ٱقْتَصَّ » فقبل الرجل بطن النبي صلى الله عليه وسلم وقال : أدعها لك أن تشفع لي يوم القيامة)[١] .

وأخرج ابن سعد عن الحسن : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأىٰ سواد بن عمرو هـٰكذا ، قال إسماعيل : ملتحفاً ، فقال : « خُطْ خُطْ وَرْسَ وَرْسَ » ثم طعن بعود أو سواك في بطنه ، فماد في بطنه فأثر في بطنه ، فذكر نحوه)[٢] .

وأخرج عبد الرزاق أيضاً ؛ كما في « الكنز » عن الحسن قال : (كان رجل من الأنصار يقال له : سواد بن عمرو رضي الله عنه يتخلق[٣] كأنه عرجون ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا رآه . . نغض له ، فجاء يوماً وهو متخلق ، فأهوىٰ له النبي صلى الله عليه وسلم بعود كان في يده فجرحه ، فقال له : القصاص يا رسول الله ؛ فأعطاه العود وكان على النبي صلى الله عليه وسلم قميصان فجعل يرفعهما ، فنهره الناس وكف عنه ؛ حتىٰ إذا انتهىٰ إلى المكان الذي جرحه . . رمىٰ

---

(١) المصنف (١٨٠٣٨) ، وقوله : (أدعها لك) أي : أترك المقاصة .

(٢) الطبقات الكبير (٣/٤٧٨) .

(٣) يتخلَّق : يتطيب بالخلوق ؛ وهو طيب مركب من زعفران وغيره .

بالقضيب وعلق يقبله وقال : يا نبي الله ؛ بل أدعها لك تشفع لي بها يوم القيامة)[1] .

خبر زاهر

وكان صلى الله عليه وسلم يقول : « زَاهِرٌ بَادِيَتُنَا وَنَحْنُ حَاضِرَتُهُ » ، وكان صلى الله عليه وسلم يحبه ، فمشىٰ صلى الله عليه وسلم يوماً إلى السوق فوجده قائماً ، فجاء من قبل ظهره وضمه بيده إلىٰ صدره ، فأحسَّ زاهر بأنه رسول الله قال : فجعلت أمسح ظهري في صدره رجاء بركته[2] ، وفي رواية الترمذي في « الشمائل » : فاحتضنه من خلفه ولا يبصره فقال : من هـٰذا ؟ أرسلني ، فالتفت فعرف النبي صلى الله عليه وسلم ، فجعل لا يألو ما ألصق ظهره بصدر النبي صلى الله عليه وسلم حين عرفه ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنْ يَشْتَرِي هَـٰذَا ٱلْعَبْدَ ؟ » فقال له زاهر : يا رسول الله ؛ إذاً تجدني ـ والله ـ كاسداً ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أَنْتَ عِنْدَ ٱللهِ غَالٍ » .

وفي رواية للترمذي أيضاً : « لَـٰكِنْ عِنْدَ ٱللهِ لَسْتَ بِكَاسِدٍ » أو قال : « أَنْتَ عِنْدَ ٱللهِ غَالٍ » انتهىٰ[3] .



(١) المصنف (١٨٠٣٩) ، كنز العمال (٤٠٢٢٣) .

(٢) أخرجه ابن حبان (٥٧٩٠) ، وأحمد في « المسند » (٣/١٦١) ، والبزار في « مسنده » (٦٩٢٢) ، وأبو يعلىٰ في « مسنده » (٣٤٥٦) عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٣) الشمائل المحمدية (٢٤٥) عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

خبر عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما :

عن عامر بن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما : أن أباه حدَّثه أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحتجم ؛ فلما فرغ . . قال : « يَا عَبْدَ ٱللهِ ؛ ٱذْهَبْ بِهَٰذَا ٱلدَّمِ فَأَهْرِقْهُ حَيْثُ لَا يَرَاكَ أَحَدٌ » فلما برز عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . . عمد إلى الدم فشربه ؛ فلما رجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم . . قال : « يَا عَبْدَ ٱللهِ ؛ مَا صَنَعْتَ بِٱلدَّمِ ؟ » قال : جعلته في أخفىٰ مكان علمت أنه يخفىٰ على الناس ، قال : « لَعَلَّكَ شَرِبْتَهُ ؟ » قال : نعم ، فقال صلى الله عليه وسلم : « وَلِمَ شَرِبْتَ ٱلدَّمَ ؟ وَيْلٌ لِلنَّاسِ مِنْكَ وَوَيْلٌ لَكَ مِنَ ٱلنَّاسِ » .

قال أبو موسىٰ : (قال أبو عاصم : فكانوا يرون أن القوة التي به من ذٰلك الدم)[1] .

وعند أبي نعيم في « الحلية » عن كيسان مولىٰ عبد الله بن الزبير

---

(١) كذا في « الإصابة » (٢/٣٠٢) ، وأخرجه الحاكم في « المستدرك » (٣/٥٥٤) ، والبزار في « مسنده » (٢٢١٠) ، وقال الهيثمي في « المجمع » (١٩/٢١٩ ـ ٢٢٠) : (رواه الطبراني والبزار باختصار ، ورجال البزار رجال الصحيح غير هنيد بن القاسم وهو ثقة) انتهىٰ ، وأخرج ابن عساكر نحوه في « تاريخه » (٢٨/١٦٤) مع ذكر قول أبي عاصم ، وفي رواية : قال أبو سلمة : (فيرون أن القوة التي كانت في ابن الزبير رضي الله عنهما من قوة دم رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

رضي الله عنهما قال : (دخل سلمان رضي الله عنه علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا عبد الله بن الزبير معه طِسْت يشرب ما فيها ، فدخل عبد الله علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : « فَرَغْتَ ؟ » قال : نعم ، قال سلمان : ما ذاك يا رسول الله ؟ قال : « أَعْطَيْتُهُ غُسَالَةَ مَحَاجِمِي يُهْرِيقُ مَا فِيهَا » قال سلمان : ذاك شربه والذي بعثك بالحق ، قال : « شَرِبْتَهُ ؟ » قال : نعم ، قال : « لِمَ ؟ » قال : أحببت أن يكون دم رسول الله صلى الله عليه وسلم في جوفي ، فقال بيده علىٰ رأس ابن الزبير ، وقال : « وَيْلٌ لَكَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَوَيْلٌ لِلنَّاسِ مِنْكَ ، لَا تَمَسُّكَ ٱلنَّارُ إِلَّا قَسَمَ ٱلْيَمِينِ »)[١] .

وفي رواية : أن ابن الزبير لما شرب دم رسول الله صلى الله عليه وسلم . . قال له صلى الله عليه وسلم : « فَمَا حَمَلَكَ عَلَىٰ ذَٰلِكَ ؟ » قال : علمت أن دمك لا تصيبه نار جهنم فشربته لذٰلك ، فقال : « وَيْلٌ لَكَ مِنَ ٱلنَّاسِ »[٢] ، وعند الدارقطني من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما نحوه وفيه : « وَلَا تَمَسُّكَ ٱلنَّارُ »[٣] ، وفي كتاب « الجوهر المكنون في ذكر القبائل والبطون » : (أنه لما شرب ـ أي : عبد الله بن الزبير ـ دمه . . تضوَّع فمه مسكاً وبقيت رائحته موجودة في فمه إلىٰ أن صلب رضي الله عنه)[٤] .

---

(١) حلية الأولياء (١/٣٣٠) ، وأخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٨/١٦٢) عن سلمان نحوه مختصراً ، ورجاله ثقات ، كذا في « الكنز » (٣٧٢٢٤ ، ٣٧٢٢٨) وروىٰ نحوه الدارقطني في « سننه » (١/٢٢٨) .

(٢) أوردها القسطلاني في « المواهب اللدنية » (٢/٣١٦) .

(٣) سنن الدارقطني (١/٢٢٨) .

(٤) أورده القسطلاني في « المواهب اللدنية » (٢/٣١٧) .

خبر سفينة مولى النبي ﷺ

وأخرج الطبراني عن سفينة رضي الله عنه قال : (احتجم النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : « خُذْ هَـٰذَا ٱلدَّمَ فَٱدْفِنْهُ مِنَ ٱلدَّوَابِ وَٱلطَّيْرِ وَٱلنَّاسِ » فتغيَّبت فشربته ، ثم ذكرت ذٰلك له فضحك)[١] .

خبر مالك بن سنان رضي الله عنه

وفي سنن « سعيد بن منصور » من طريق عمرو بن السائب : أنه بلغه أن مالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري لما جرح النبي صلى الله عليه وسلم في وجهه الشريف يوم أحد . . مصَّ جرحه حتىٰ أنقاه ولاح ؛ أي : ظهر محل الجرح بعد المصِّ أبيض ، فقال له صلى الله عليه وسلم : « مُجَّهُ » فقال : ولا أمجُّه أبداً ، ثم ازدرده ـ أي : ابتلعه ـ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ ٱلْجَنَّةِ . . فَلْيَنْظُرْ إِلَىٰ هَـٰذَا » فاستشهد بأحد[٢] .

رواه الطبراني أيضاً ، وفيه قال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ خَالَطَ دَمِي دَمَهُ . . لَا تَمَسُّهُ ٱلنَّارُ »[٣] .

وروىٰ سعيد بن منصور أيضاً أنه صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَىٰ رَجُلٍ خَالَطَ دَمِي دَمَهُ . . فَلْيَنْظُرْ إِلَىٰ مَالِكِ بْنِ سِنَانٍ »[٤] .

---

(١) المعجم الكبير (٧/٨١) ، وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٧/٢٢٠) : (ورجال الطبراني ثقات) .

(٢) سنن سعيد بن منصور (٢٥٧٣) .

(٣) المعجم الأوسط (٩٠٩٤) ، قال الهيثمي في « المجمع » (١٧/٢٢١) : (لم أر في إسناده من أجمع علىٰ ضعفه) انتهىٰ .

(٤) أورده ابن حجر في « الإصابة » (٣/٣٢٥) ، وعزاه لسعيد بن منصور ، وأخرجه الحاكم في « المستدرك » (٣/٥٦٣) ، والطبراني في « الكبير » (٦/٣٤) .

حجَّام آخر يشرب دمه ﷺ

روى ابن حبان في « الضعفاء » عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : حجم النبي صلى الله عليه وسلم غلام لبعض قريش ؛ فلما فرغ من حجامته . . أخذ الدم فذهب به من وراء الحائط فنظر يميناً وشمالاً فلم ير أحداً ، فحسا دمه حتىٰ فرغ ثم أقبل فنظر في وجهه فقال : « وَيْحَكَ مَا صَنَعْتَ بِٱلدَّمِ ؟ » قلت : غيَّبته من وراء الحائط ، قال : « أَيْنَ غَيَّبْتَهُ ؟ » قلت : يا رسول الله ؛ نفست[1] علىٰ دمك أن أهريقه في الأرض فهو في بطني ، فقال : « ٱذْهَبْ ؛ فَقَدْ أَحْرَزْتَ نَفْسَكَ مِنَ ٱلنَّارِ »[2] .

خبر بركة خادم أم حبيبة رضي الله عنهما

قال الحافظ ابن حجر : (روىٰ عبد الرزاق عن ابن جريج قال : أخبرت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبول في قدح من عيدان ثم يوضع تحت سريره ، فجاء فإذا القدح ليس فيه شيء ، فقال لامرأة يقال لها : بركة ، كانت تخدم أم حبيبة جاءت معها من أرض الحبشة : « أين البول الذي كان في القدح ؟ » قالت : شربته ، قال : « صحة يا أم يوسف » وكانت تكنىٰ أم يوسف ، فما مرضت قط حتىٰ مرضها الذي ماتت فيه)[3] .

قلت : وقد رواه أبو داوود والنسائي مختصراً ، قال الحافظ السيوطي : (وقد أتمَّه ابن عبد البر في « الاستيعاب » وفيه : أنه سألها عن البول الذي

---

(١) نفِسْتُ : بكسر الفاء : ضننتُ .

(٢) المجروحين (٢/٤٠٣) ، وذكره الحافظ القسطلاني في « المواهب اللدنية » (١/٢٨٤) .

(٣) التلخيص الحبير (١/٦٦) .

كان في القدح ، فقالت : شربته يا رسول الله . . .) وذكر الحديث[1] .

التبرُّك بالمكان الذي صلىٰ فيه النبي ﷺ

عن نافع أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما حدَّثه : (أن النبي صلى الله عليه وسلم صلىٰ حيث المسجد الصغير الذي دون المسجد الذي بشرف الروحاء ، وقد كان عبد الله يعلم المكان الذي صلىٰ فيه النبي صلى الله عليه وسلم يقول : ثم عن يمينك حين تقوم في المسجد تصلي ؛ وذٰلك المسجد علىٰ حافة الطريق اليمنىٰ وأنت ذاهب إلىٰ مكة بينه وبين المسجد الأكبر رمية بحجر أو نحو ذٰلك)[2] .

التبرُّك بموضع لامسه فم النبي ﷺ

روى الإمام أحمد وغيره عن أنس رضي الله عنه : (أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل علىٰ أم سليم وفي البيت قربة معلقة ، فشرب من فيها ـ أي : من فم القربة ـ وهو قائم قال أنس : فقطعت أم سليم فم القربة فهو عندنا)[3] .

والمعنىٰ : أن أم سليم قطعت فم القربة الذي هو موضع شربه صلى الله عليه وسلم ، واحتفظت به في بيتها للتبرُّك بأثر النبي صلى الله عليه وسلم .

---

(١) شرح المجتبىٰ (٣١/١) ، سنن أبي داوود (٢٥) ، المجتبىٰ (٣١/١) ، الاستيعاب (ص ٨٧٧) .

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٥) .

(٣) مسند أحمد (١١٩/٣) ، المعجم الكبير (١٢٦/٢٥) ، وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٢١٧/١١) : (ورواه الطبراني وفيه البراء بن يزيد ، ولم يضعِّفه أحد ، وبقية رجاله رجال الصحيح) انتهىٰ .

التبرك بتقبيل يد من مس رسول الله ﷺ

عن يحيى بن الحارث الذماري قال : (لقيت واثلة بن الأسقع رضي الله عنه فقلت : بايعت بيدك هٰذه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : نعم ، قلت : أعطني يدك أقبلها ، فأعطانيها فقبلتها)[1] .

وعند أبي نعيم في « الحلية » عن يونس بن ميسرة قال : (دخلنا علىٰ يزيد بن الأسود عائدين فدخل عليه واثلة بن الأسقع رضي الله عنه ؛ فلما نظر إليه . . مدَّ يده فأخذ يده فمسح بها وجهه وصدره ؛ لأنه بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : يا يزيد ؛ كيف ظنك بربك ؟ فقال : حسن ، فقال : فأبشر فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إِنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ يَقُولُ : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ؛ إِنْ خَيْراً فَخَيْرٌ ، وَإِنْ شَرّاً فَشَرٌّ »)[2] .

وأخرج البخاري في « الأدب المفرد » عن عبد الرحمٰن بن رزين قال : (مررنا بالرَّبذة فقيل لنا : هٰهنا سلمة بن الأكوع رضي الله عنه ، فأتيته فسلمنا عليه ، فأخرج يديه فقال : بايعت بهاتين نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فأخرج كفاً له ضخمة كأنها كفُّ بعير ، فقمنا إليها فقبلناها)[3] .

وأخرج ابن سعد عن عبد الرحمٰن بن زيد العراقي نحوه[4] .

---

(١) أخرجه الطبراني في « الكبير » (٢٢/٩٤) ، وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٦/١٠٩) : (وفيه عبد الملك القاري ولم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات) انتهىٰ .

(٢) حلية الأولياء (٩/٣٠٦) .

(٣) الأدب المفرد (٩٧٣) .

(٤) الطبقات الكبير (٥/٢١٢) .

وأخرج البخاري أيضاً في « الأدب » عن ابن جدعان ، قال ثابت لأنس رضي الله عنه : (أمسست النبي صلى الله عليه وسلم بيدك ؟ قال : نعم ، فقبَّلها)[1] .

وأخرج البخاري أيضاً في « الأدب » عن صهيب قال : (رأيت علياً رضي الله عنه يقبِّل يد العباس رضي الله عنه ورجليه)[2] .

وعن ثابت قال : (كنت إذا أتيت أنساً يُخْبَر بمكاني فأدخل عليه .. فآخذ يديه وأقبِّلهما وأقول : بأبي هاتين اليدين اللتين مسَّتا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبِّل عينيه وأقول : بأبي هاتين العينين اللتين رأتا رسول الله صلى الله عليه وسلم)[3] .

التبرّك بجبته ﷺ

عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما : (أنها أخرجت جبَّة طيالسة كِسْرَوانية لها لِبْنَة[4] ديباج وفرجيها مكفوفين بالديباج ، فقالت : هٰذه كانت عند عائشة حتىٰ قبضت ؛ فلما قبضت .. قبضتها ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يلبسها ، فنحن نغسلها للمرضىٰ يُستشفىٰ بها) رواه مسلم[5] .

---

(١) الأدب المفرد (٩٧٤) .

(٢) الأدب المفرد (٩٧٦) .

(٣) أخرجه أبو يعلىٰ في « مسنده » (٣٤٩١) ، والبيهقي في « الشعب » (١٤٩٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/٣٢٧) ، وذكره الحافظ ابن حجر في « المطالب العالية » (٤٥٠١) ، وقال الهيثمي في « المجمع » (٩/٢٠٩) : (رواه أبو يعلىٰ ورجاله رجال الصحيح ، غير عبد الله بن أبي بكر المقدمي وهو ثقة ، وسكت عنه البوصيري) انتهىٰ .

(٤) بكسر اللام وسكون الباء : رقعة في جيب القميص .

(٥) صحيح مسلم (٢٠٦٩/١٠) .

التبرك بما مسته يده ﷺ

عن صفية بنت مَجْزأة : (أن أبا محذورة كانت له قُصَّة في مقدَّم رأسه إذا قعد أرسلها فتبلغ الأرض فقالوا له : ألا تحلقها ؟ فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح عليها بيده فلم أكن لأحلقها حتىٰ أموت)[١] .

وعن محمد بن عبد الملك بن أبي محذورة عن أبيه عن جده قال : قلت : يا رسول الله ؛ علِّمني سنة الأذان ، قال : فمسح مقدم رأسي قال : « تَقُولُ : ٱللَّهُ أَكْبَرُ ٱللَّهُ أَكْبَرُ ٱللَّهُ أَكْبَرُ ٱللَّهُ أَكْبَرُ » ورفع بها صوته . . . الحديث[٢] .

وفي رواية : (فكان أبو محذورة لا يجزُّ ناصيته ولا يفرقها ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم مسح عليها)[٣] .

التبرك بقدح النبي ﷺ ومسجد صلىٰ فيه

عن أبي بردة قال : (قدمت المدينة فلقيني عبد الله بن سلام ، فقال لي : انطلق إلى المنزل فأسقيك في قدح شرب فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتصلي في مسجد صلىٰ فيه النبي صلى الله عليه وسلم ،

---

(١) أخرجه الطبراني في « الكبير » (١٧٦/٧) ، وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٥٤٠/١١) : (وفيه أيوب بن ثابت المكي ، قال أبو حاتم : لا يحمد حديثه) انتهىٰ .

(٢) أخرجه ابن حبان (١٦٨٢) ، وأبو داوود (٥٠١) ، وأحمد في « المسند » (٤٠٩/٣) .

(٣) أخرجه ابن حبان (١٦٨٢) ، والنسائي في « المجتبىٰ » (٤/٢ ـ ٨) ، وأحمد في « المسند » (٤٠٨/٣) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٤١٨/١) برقم (١٩٩٥) ، والدارقطني في « سننه » (٢٣٥/١) .

فانطلقت معه فسقاني سويقاً وأطعمني تمراً ، وصليت في مسجده) رواه البخاري في (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة)[1] .

التبرك بموضع قدم النبي ﷺ

جاء في الحديث عن أبي مجلز : (أن أبا موسىٰ كان بين مكة والمدينة فصلى العشاء ركعتين ، ثم قام فصلىٰ ركعة أوتر بها فقرأ فيها بمئة آية من « النساء » ثم قال : ما ألوت أن أضع قدمي حيث وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم قدميه وأنا أقرأ بما قرأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم)[2] .

التبرك بدار مباركة

عن محمد بن سوقة عن أبيه قال : (لما بنىٰ عمرو بن حريث داره . . أتيته لأستأجر منه بيتاً فقال : ما تصنع به ؟ فقلت : أريد أن أجلس فيه وأشتري وأبيع ، قال : أقلت ذٰلك : لأحدِّثك في هٰذه الدار بحديث : إن هٰذه الدار مباركة علىٰ من سكن فيها ، مباركة علىٰ من باع فيها واشترىٰ ؛ وذٰلك أني أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وعنده مال موضوع ، فتناول بكفِّه منه دراهم فدفعها إليَّ وقال : « هَاكَ يَا عَمْرُو هَـٰذِهِ ٱلدَّرَاهِمَ » ، فأخذتها ثم مضيت بها إلىٰ أمي فقلت : يا أمه ؛ أمسكي هٰذه الدراهم حتىٰ ننظر في أي شيء نضعها ؛ فإنها دراهم أعطانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذتها ثم مكثنا ما شاء الله حتىٰ قدمنا الكوفة فأردت شراء دار ، فقالت لي أمي : يا بني ؛ إذا اشتريت داراً

---

(١) صحيح البخاري (٧٣٤١) .

(٢) أخرجه النسائي في « المجتبىٰ » (٣/٢٤٣) .

وهيأت مالها . . فأخبرني ، ففعلت ، ثم جئتها فدعوتها فجاءت والمال موضوع ، فأخرجتْ شيئاً معها فطرحته في الدراهم ثم خلطتها بيدها ، فقلت : يا أمه ؛ أي شيء هٰذه ؟ قالت : يا بني ؛ هٰذه الدراهم التي جئتني بها فزعمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاكها بيده ، فأنا أعلم أن هٰذه الدار مباركة لمن جلس فيها ، مباركة لمن باع فيها واشترىٰ)(١) .

التبرك بمنبر رسول الله ﷺ (٢)

قال القاضي عياض : (رُئي ابن عمر رضي الله عنهما واضعاً يده علىٰ مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر ثم وضعها علىٰ وجهه .

---

(١) أخرجه أبو يعلىٰ في « مسنده » (١٤٧١) ، وهو بلفظه في « مجمع الزوائد » (٩/٢٤٢ ـ ٢٤٣) .

(٢) **نصوص التبرك بالنبي صلى الله عليه وسلم وما بعدها :**
فهٰذه النصوص تدل صراحة على انتقال بركة النبي صلى الله عليه وسلم من ذاته إلىٰ غيرها من الأعيان .
وتدل على اجتهاد الناس في تحصيل ذٰلك ، وحرصهم علىٰ طلبه في محله الذي انتقلت إليه من يد لامست يده ، وقدح شرب فيه ، وقربة لامست فمه ، ودراهم مسَّتها يده ، وجبَّة لبسها ، وموضع وقف فيه للصلاة ووطأته قدماه ، وهٰذا كله مفصل في مواضعه ، والشاهد فيه انتقال بركة ذاته الشريفة إلىٰ غيرها من الأعيان بلا تفريق بين الذوات ، وهٰذا يدخل فيه الأمكنة والأزمنة بلا إشكال ، وأقرب دليل علىٰ ذٰلك حديث عتبان بن مالك الذي طلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يصلِّي له في مكانه ليتخذه مصلىً [صحيح البخاري (٤٢٥) ، صحيح مسلم (٥٤/٣٣)] .
فالمحبُّون لبركة النبيِ صلى الله عليه وسلم لا يرون لذٰلك معنىً إلا طلب البركة من الله في المكان الذي صلّىٰ فيه المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم ، وهو معنى التبرك بمكانه صلى الله عليه وسلم .
وغيرهم ممن لا يحب بركة النبي صلى الله عليه وسلم لهم في ذٰلك تأويلات فاسدة ضالة ، والعياذ بالله تعالىٰ من ذٰلك .

وعن ابن قسيط والعتبي : كان أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا خلا المسجد .. جسُّوا[1] رمانة المنبر[2] التي تلي القبر بميامنهم ثم استقبلوا القبلة يدعون) انتهىٰ[3] .

قال الملا علي القاري شارح « الشفا » : (رواه ابن سعد عن عبد الرحمٰن بن عبد القاري)[4] .

وروى الشيخ ابن تيمية عن الإمام أحمد : (أنه رخَّص في التمسُّح بالمنبر والرمانة ، وذكر أن ابن عمر وسعيد بن المسيب ويحيى بن سعيد من فقهاء المدينة كانوا يفعلون ذٰلك) انتهىٰ[5] .

التبرك بقبره الشريف

لما حضرت الوفاة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ..

← واستمع إلى العلامة المحدث الفقيه شيخ علماء زمانه الإمام النووي في شرح هٰذا الحديث ، وهو يقول في « شرح مسلم » (١٦١/٥) : (وفي حديث عتبان هٰذا فوائد كثيرة ؛ منها : التبرك بالصالحين وآثارهم ، والصلاة في المواضع التي صلوا بها وطلب التبريك منهم) .

قال الإمام الحافظ ابن حجر في « فتح الباري شرح صحيح البخاري » (٥١٨/١) : (وإنما استأذن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه دعي للصلاة ليتبرك صاحب البيت بمكان صلاته ، فسأله ليصلِّي في البقعة التي يحب تخصيصها بذٰلك) ، وانظر كذٰلك « عمدة القاري » للعيني (٢٧٥/٤ ، ٢٤١/٩ ، ٢٦٤/٢٢) ، و« عين الباري » للشيخ صديق حسن خان .

(١) **جَسُّوا** : بفتح الجيم وتشديد السين المهملة : أي : مَسُّوا .

(٢) **رمانة المنبر** : أي : العقدة المشابهة للرمانة .

(٣) الشفا (ص ٥٨٦ ـ ٥٨٧) .

(٤) شرح الشفا (١٥٣/٢) ، الطبقات الكبير (٢١٨/١) .

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم (٧٢٦/٢) .

قال لابنه عبد الله : (انطلق إلىٰ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقل : يقرأ عليك عمر السلام ، ولا تقل : أمير المؤمنين ؛ فإني لست اليوم للمؤمنين أميراً ، وقل : يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه) ، فسلم واستأذن ، ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي ، فقال : يقرأ عليك عمر السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه ، فقالت : كنت أريده لنفسي ، ولأوثرنَّ به اليوم علىٰ نفسي ؛ فلما أقبل . . قيل : هـٰذا عبد الله بن عمر قد جاء ، قال : (ارفعوني) فأسنده رجل إليه ، فقال : (ما لديك ؟) قال : الذي تحب يا أمير المؤمنين أذنت ، فقال : (الحمد لله ، ما كان شيء أهم إليَّ من ذٰلك ، فإذا أنا قضيت . . فاحملوني ، ثم سلم فقل : يستأذن عمر ؛ فإن أذنت لي . . فأدخلوني ، وإن ردَّتني . . ردُّوني إلىٰ مقابر المسلمين)[1] .



(١) أخرجه بطوله البخاري في « صحيحه » في (كتاب الجنائز ، باب ما جاء في قبر النبي صلى الله عليه وسلم) (١٣٩٢) ، وفي (كتاب فضائل الصحابة ، باب قصة البيعة) (٣٧٠٠) .

التّبرّك بالقبر النّبويّ
في مذهب حافظ الإسلام وإمام أئمّة الإسلام الذّهبيّ

قال الإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي : (أخبرنا أحمد بن عبد المنعم غير مرة ، أنا أبو جعفر الصيدلاني ـ كتابةً ـ أنا أبو علي الحداد ـ حضوراً ـ أنا أبو نعيم الحافظ ، نا عبد الله بن جعفر ، ثنا محمد بن عاصم ، نا أبو أسامة ، عن عبيد الله ، عن نافع عن ابن عمر : « أنه كان يكره مسَّ قبر النبي صلى الله عليه وسلم » ، قُلت : كره ذٰلك لأنه رآه إساءة أدب ، وقد سئل أحمد ابن حنبل عن مسِّ القبر النبوي وتقبيله فلم يَرَ بذٰلك بأساً ، رواه عنه ولده عبد الله بن أحمد (١) .

فإن قيل : فهلَّا فعل ذٰلك الصحابة ؟ قيل : لأنهم عاينوه حيّاً ، وتملوا به وقبلوا يده ، وكادوا يقتتلون علىٰ وضوئه ، واقتسموا شعره المطهر يوم الحج الأكبر ، وكان إذا تنخم . . لا تكاد نخامته تقع إلَّا في يد رجل فيدلك بها وجهه .

وأما نحن : فلما لم يصح لنا مثل هٰذا النصيب الأوفر . . ترامينا علىٰ قبره بالالتزام والتبجيل والاستلام والتقبيل ، ألا ترىٰ كيف فعل ثابت البناني : كان يُقَبِّلُ يد أنس بن مالك ويضعها علىٰ وجهه ويقول : « يَدٌ مَسَّت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم » (٢) .

---

(١) العلل ومعرفة الرجال (٤٩٢/٢) .

(٢) تقدم تخريجه (ص ٣٦١) .

وهـٰذه الأمور لا يحركها من المسلم إلَّا فرط حبّه للنبي صلى الله عليه وسلم ؛ إذ هو مأمور بأن يحب الله ورسوله أشد من حبه لنفسه وولده والناس أجمعين ، ومن أمواله ومن الجنة وحُورها ، بل خَلْق من المؤمنين يحبون أبا بكر وعمر أكثر من حب أنفسهم .

حكىٰ لنا جندار : أنه كان بجبل البقاع فسمع رجلاً سب أبا بكر ، فسل سيفه وضرب عنقه ، ولو كان سمعه يَسُبُّه أو يسب أباه . . لما استباح دمه .

ألا ترى الصحابة في فرط حبهم للنبي صلى الله عليه وسلم قالوا : ألا نسجد لك ؟ فقال : « لَا »[1] ، فلو أذن لهم . . لسجدوا له سجود إجلالٍ وتوقير لا سجود عبادة كما قد سجد إخوة يوسف عليه السلام ليوسف .

وكذٰلك القول في سجود المسلم لقبر النبي صلى الله عليه وسلم علىٰ سبيل التعظيم والتبجيل لا يُكَفَّرُ به أصلاً بل يكون عاصياً ، فليُعَرَّف أن هـٰذا منهي عنه ، وكذٰلك الصلاة إلى القبر)[2] .



(١) أخرجه أحمد في « المسند » (٥/٢٢٨) ، والبزار في « مسنده » (٤٣١٨) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ، والدارمي في « سننه » (١٥٠٤) ، وبنحوه عند أبي داوود (٢١٣٣) عن قيس بن سعد رضي الله عنه .

(٢) معجم الشيوخ (١/٧٣ ـ ٧٤) .

عن نافع : (أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أخبره أن الناس نزلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر أرض ثمود ، فاستقوا من آبارها وعجنوا به العجين ، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يهريقوا ما استقوا ويعلفوا الإبل العجين ، وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كانت تردها الناقة) .

قال النووي في « الشرح » : (وفي هٰذا الحديث من الفوائد التبرُّك بآثار الصالحين)[1] .

التبرك بالتابوت

ذكر الله تعالىٰ في القرآن فضيلة التابوت فقال : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾[2] .

وخلاصة القصة : أن هٰذا التابوت كان عند بني إسرائيل وكانوا يستنصرون به ، ويتوسلون إلى الله تعالىٰ بما فيه من آثار ، وهٰذا هو التبرُّك بعينه الذي نريده ونقصده ، وقد بين الله جلَّ جلاله محتويات التابوت فقال : ﴿ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ ﴾ ، وهٰذه

(١) صحيح مسلم (٤٠/٢٩٨١) ، شرح صحيح مسلم (١١١/١٨) .
(٢) سورة البقرة ، الآية (٢٤٨) .

البقية مما تركه آل موسىٰ وهارون : هي عصا موسىٰ وشيء من ثيابه وثياب هارون ونعلاه ، وألواح من التوراة وطست ؛ كما ذكره المفسرون والمؤرخون ؛ كابن كثير والقرطبي والسيوطي والطبري ، فارجع إليهم ، وهو يدل علىٰ معانٍ كثيرة ؛ منها التوسل بآثار الصالحين ، ومنها المحافظة عليها ، ومنها التبرُّك بها[1] .

التبرك بمسجد العَشَّار

عن صالح بن درهم يقول : انطلقنا حاجين ؛ فإذا رجل فقال لنا : إلىٰ جنبكم قرية يقال لها : الأُبُلَّة ؟ قلنا : نعم ، قال : من يضمن لي منكم أن يصليَ لي في مسجد العَشَّار ركعتين أو أربعاً ويقول هٰذه لأبي هريرة ؟ سمعت خليلي أبا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول : « إِنَّ ٱللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْعَثُ مِنْ مَسْجِدِ ٱلْعَشَّارِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ شُهَدَاءَ لَا يَقُومُ مَعَ شُهَدَاءِ بَدْرٍ غَيْرُهُمْ » .

قال أبو داوود : (هٰذا المسجد مما يلي النهر) انتهىٰ[2] .

قال العلامة المحدث الكبير الشيخ خليل أحمد السهارنفوري في كتابه « بذل المجهود شرح سنن أبي داوود » : (وفي الحديث دلالة علىٰ أن الطاعات البدنية توصل إلى الغير أجرها ، وأن مآثر الأولياء والمقربين تزار ويتبرَّك بها)[3] .

---

(١) تفسير الطبري (٨١١/٢/٢ ـ ٨١٤) ، تفسير ابن كثير (٣٠١/١) ، تفسير القرطبي (٢٥٠/٣) ، الدر المنثور (٧٥٨/١) .

(٢) سنن أبي داوود (٤٣٠٨) .

(٣) بذل المجهود (٢٢٥/١٧) .

وقال العلامة المحدث الشيخ أبو الطيب صاحب « عون المعبود » :
(مسجد العشار مسجد مشهور يتبرَّك بالصلاة فيه)[1] .



---

(١) عون المعبود (١١/٤٢٢) .

نحن في بركة الرسول صلى الله عليه وسلم

نسمع كثيراً من الناس يقولون : نحن في بركة الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو معنا بركته صلى الله عليه وسلم ، وسئل عن ذٰلك شيخ الإسلام ابن تيمية فقال : (وأما قول القائل : نحن في بركة فلان أو من وقت حلوله عندنا حلَّت البركة . . فهٰذا الكلام صحيح باعتبار ، باطل باعتبار ؛ فأما الصحيح : فأن يراد به أنه هدانا وعلمنا وأمرنا بالمعروف ونهانا عن المنكر ، فببركة اتباعه وطاعته حصل لنا من الخير ما حصل . . فهٰذا كلام صحيح ، كما كان أهل المدينة لما قدم عليهم النبي صلى الله عليه وسلم في بركته لما آمنوا به وأطاعوه . . فببركة ذٰلك حصل لهم سعادة الدنيا والآخرة ، بل كل مؤمن آمن بالرسول وأطاعه . . حصل له من بركة الرسول بسبب إيمانه وطاعته من خير الدنيا والآخرة ما لا يعلمه إلا الله .

وأيضاً : إذا أريد بذٰلك أنه ببركة دعائه وصلاحه دفع الله الشر وحصل لنا رزق ونصر . . فهٰذا حق ؛ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « وَهَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ ؛ بِدُعَائِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ »[1] .

وقد يدفع العذاب عن الكفار والفجار ؛ لئلا يصيب من بينهم من المؤمنين ممن لا يستحق العذاب ، ومنه قوله تعالىٰ : ﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٩٦) ، والنسائي في « المجتبىٰ » (٦/٤٥) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

﴿وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ . . .﴾ إلىٰ قوله : ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (١) .

فلولا الضعفاء المؤمنون الذين كانوا بمكة بين ظهراني الكفار . . لعذب الله الكفار .

وكذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لَوْلَا مَا فِي ٱلْبُيُوتِ مِنَ ٱلنِّسَاءِ وَٱلذَّرَارِي . . لَأَمَرْتُ بِٱلصَّلَاةِ فَتُقَامُ ، ثُمَّ أَنْطَلِقُ مَعِي بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حِزَمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَىٰ قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ ٱلصَّلَاةَ مَعَنَا فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ » (٢) .

وكذلك ترك رجم الحامل حتىٰ تضع جنينها ، وقد قال المسيح عليه السلام : ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ (٣) ، فبركات أولياء الله الصالحين باعتبار نفعهم للخلق بدعائهم إلىٰ طاعة الله ، وبدعائهم للخلق وبما ينزل الله من الرحمة ويدفع من العذاب بسببهم حق موجود ؛ فمن أراد بالبركة هٰذا وكان صادقاً . . فقوله حق .

وأما المعنى الباطل . . فمثل أن يريد الإشراك بالخلق : مثل أن يكون رجل مقبور بمكان فيظن أن الله يتولاهم لأجله ، وإن لم يقوموا بطاعة الله ورسوله . . فهٰذا جهل ؛ فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم مدفوناً بالمدينة عام الحرَّة ، وقد أصاب أهل المدينة

---

(١) سورة الفتح ، الآية (٢٥) .

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٤) ، ومسلم (٢٥٢/٦٥١) ، وأبو داوود (٥٤٩) ، والترمذي (٢١٧) ، والنسائي في « المجتبىٰ » (١٠٧/٢) ، وابن ماجه (٨٥٦) ، وأحمد (٣٦٧/٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) سورة مريم ، الآية (٣١) .

من القتل والنهب والخوف ما لا يعلمه إلا الله ، وكان ذلك لأنهم بعد الخلفاء الراشدين أحدثوا أعمالاً أوجبت ذلك ، وكان علىٰ عهد الخلفاء يدفع الله عنهم بإيمانهم وتقواهم ؛ لأن الخلفاء الراشدين كانوا يدعونهم إلىٰ ذلك ، وكان ببركة طاعتهم للخلفاء الراشدين ، وببركة عمل الخلفاء معهم ينصرهم الله ويؤيدهم .

وكذلك الخليل صلى الله عليه وسلم مدفون بالشام وقد استولى النصارىٰ علىٰ تلك البلاد قريباً من مئة سنة ، وكان أهلها في شر ؛ فمن ظن أن الميت يدفع عن الحي مع كون الحي عاملاً بمعصية الله . . فهو غالط .

وكذلك إذا ظن أن بركة الشخص تعود علىٰ من أشرك به وخرج عن طاعة الله ورسوله ؛ مثل أن يظن أن بركة السجود لغيره ، وتقبيل الأرض عنده ، ونحو ذلك يحصل له السعادة وإن لم يعمل بطاعة الله ورسوله ، وكذلك إذا اعتقد أن ذلك الشخص يشفع له ، ويدخله الجنة بمجرد محبته ، وانتسابه إليه ، فهـٰذه الأمور ونحوها مما فيه مخالفة الكتاب والسنة . . فهو من أحوال المشركين وأهل البدع باطل لا يجوز اعتقاده ولا اعتماده)[1] .



(١) مجموعة الفتاوىٰ (١١/٦٧ ـ ٦٨) .

الإمام أحمد يتبرّك ، والحافظ الذّهبي يؤيّده

قال عبد الله بن أحمد : (رأيت أبي يأخذ شعرة من شعر النبي صلى الله عليه وسلم فيضعها على فيه يقبِّلها ، وأحسِب أني رأيته يضعها على عينه ، ويغمسها في الماء ويشربه يستشفي به .

ورأيته أخذ قصعة النبي صلى الله عليه وسلم فغسلها في حُبِّ الماء ثم شرب فيها ، ورأيته يشرب من ماء زمزم يستشفي به ويمسح به يديه ووجهه) .

قلت ـ أي : الإمام الذهبي ـ : (أين المتنطِّع المنكر على أحمد ، وقد ثبت أن عبد الله سأل أباه عمَّن يلمَس رمَّانة منبر النبي صلى الله عليه وسلم ويمَسُّ الحجرة النبوية ، فقال : « لا أرى بذلك بأساً » أعاذنا الله وإياكم من رأي الخوارج ومن البدع)[1] .



(١) سير أعلام النبلاء (٢١٢/١١) .

الخلاصة

والحاصل من هٰذه الآثار والأحاديث : هو أن التبرُّك به صلى الله عليه وسلم وبآثاره وبكل ما هو منسوب إليه سنة مرفوعة وطريقة محمودة مشروعة ، ويكفي في إثبات ذٰلك فعل خيار الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، وتأييد النبي صلى الله عليه وسلم لذٰلك ، بل وأمره مرة وإشارته أخرىٰ إلىٰ فعل ذٰلك ، وبالنصوص التي نقلناها يظهر كذب من زعم أن ذٰلك ما كان يعتني به ويهتم بفعله أحد من الصحابة إلا ابن عمر رضي الله عنهما ، وأن ابن عمر ما كان يوافقه علىٰ ذٰلك أحد من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم .

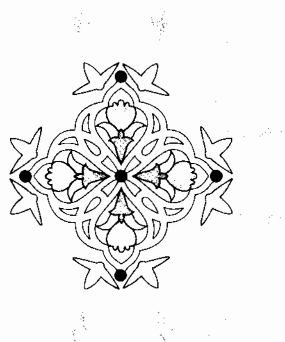
وهٰذا جهل أو كذب أو تلبيس ؛ فقد كان كثير غيره يفعل ذٰلك ويهتم به ومنهم الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم ، وأم سلمة ، وخالد بن الوليد ، وواثلة بن الأسقع ، وسلمة بن الأكوع ، وأنس بن مالك ، وأم سليم ، وأسيد بن حضير ، وسواد بن غزية ، وسواد بن عمرو ، وعبد الله بن سلام ، وأبو موسىٰ ، وعبد الله بن الزبير ، وسفينة مولى النبي صلى الله عليه وسلم ، وبركة خادم أم حبيبة ، ومالك بن سنان ، وأسماء بنت أبي بكر ، وأبو محذورة ، ومالك بن أنس ، وأشياخه من أهل المدينة ؛ كسعيد بن المسيب ويحيى بن سعيد .



الباب الثّالث

مباحثُ مختلفةٌ

وفيها بيان الحياة البرزخيّة
ومشروعيّة الزّيارة النّبويّة
وما يتعلّق بها من الآثار والمشاهد والمناسبات الدّينيّة



الحياة البرزخية حياة حقيقية

الحياة البرزخية حياة حقيقية ، وهٰذا ما دلت عليه الآيات البينات والأحاديث المشهورة الصحيحة .

وهٰذه الحياة الحقيقية لا تعارض وصفهم بالموت ؛ كما جاء ذٰلك في كتاب الله العزيز إذ يقول : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ﴾ (١) ، ويقول : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ (٢) ، إن معنىٰ قولنا عن الحياة البرزخية بأنها حقيقية ؛ أي : ليست خيالية أو مثالية كما يتصورها بعض الملاحدة ممن لا تتسع عقولهم للإيمان إلا بالمشاهد المحسوس دون الغيب الذي لا يطيق العقل البشري تصوره .

إن وقفة تأمُّل قصيرة عند قولنا عن الحياة البرزخية بأنها حقيقية لا تبقي من الإشكال أدنىٰ ذرَّة ؛ حتىٰ عند من يقصر فهمه وذوقه عن تعقُّل المعاني ، فكلمة (حقيقية) ليست إلا لنفي الباطل وطرد الوهم ، ونفي الخيال الذي قد يقع في ذهن الإنسان المتشكك المرتاب في أحوال عالم البرزخ وعالم الآخرة ، وغيرهما من العوالم الأخرىٰ ؛ كالنشر والبعث والحشر والحساب .

وهٰذا المعنىٰ يدركه الإنسان العربي البسيط الذي يعرف أن كلمة (حقيقية) تعني حقيقة ؛ وهي ما يقابل الوهم والخيال والمثال ،

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية (٣٤) .

(٢) سورة الزمر ، الآية (٣٠) .

فحقيقية ؛ أي : ليست بوهمية وهٰذا هو المقصود بعينه ، وهٰذا هو مفهومنا وتصورنا لهٰذه القضية ، ولقد تضافرت الأحاديث والآثار التي تثبت بأن الميت يسمع ويحسُّ ويعرف ، سواء كان مؤمناً أم كافراً .

فمنها حديث القليب ؛ وهو ثابت في « الصحيحين » من وجوه متعددة عن أبي طلحة وعمر وابنه عبد الله رضي الله عنهم : أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش فقذفوا في طوي من أطواء بدر ، فناداهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسماهم : « يَا أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ ، يَا أُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ ، يَا عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ ، يَا شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ ؛ أَلَيْسَ قَدْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً ؟ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقّاً » فسمع عمرُ قولَ النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ؛ كيف يسمعوا وأنىٰ يجيبوا وقد جيَّفوا ؟ قال : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ؛ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ ، وَلَـٰكِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يُجِيبُوا »(١) .

ورواه الطبراني من حديث ابن مسعود رضي الله عنه بإسناد صحيح(٢) ، ومن حديث عبد الله بن سيدان عن أبيه نحوه ، وفيه : فقالوا : يا رسول الله ؛ وهل يسمعون ؟ قال : « يَسْمَعُونَ كَمَا تَسْمَعُونَ وَلَـٰكِنْ لَا يُجِيبُونَ »(٣) .

ومنها : ما رواه البزار وصححه ابن حبان من طريق إسماعيل بن

---

(١) هٰكذا أخرجه مسلم (٢٨٧٤) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، وأخرجه البخاري أيضاً من حديث أنس عن أبي طلحة (٣٩٧٦) ، و(١٣٧٠ ، ٣٩٨٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، ومسلم من حديث أنس عن عمر رضي الله عنهما (٧٦/٢٨٧٣) .
(٢) المعجم الكبير (١٠/١٦٠) .
(٣) المعجم الكبير (٧/١٦٥) .

عبد الرحمٰن السدي عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه : عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « إِنَّ ٱلْمَيِّتَ لَيَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ »[١] .

وقال البخاري في « صحيحه » : (باب الميت يسمع خفق النعال) ، ثم روىٰ عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ٱلْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتُوُلِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ ، حَتَّىٰ إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ . . أَتَاهُ مَلَكَانِ فَأَقْعَدَاهُ . . . » الحديث ، وذكر الحديث أيضاً في (باب ما جاء في عذاب القبر)[٢] .

وسماع الميت خفق النعال وارد في عدة أحاديث ؛ **منها** الأحاديث الواردة في سؤال القبر وهي كثيرة منتشرة ، وفيها التصريح بسؤال الملكين له وجوابه بما يطابق حاله من سعادة أو شقاء[٣] ، **ومنها** ما شرعه النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأمته من السلام علىٰ أهل القبور ومخاطبتهم بلفظ : السلام عليكم دار قوم مؤمنين .

قال ابن القيم : (وهٰذا خطاب لمن يسمع ويعقل ، ولولا ذٰلك . . لكان هٰذا الخطاب بمنزلة خطاب المعدوم والجماد ، والسلف مجمعون علىٰ هٰذا ، وقد تواترت الآثار عنهم بأن الميت يعرف زيارة الحي له ويستبشر به) ثم ذكر جملة منها في « كتاب الروح » فليراجع[٤] .

---

(١) أخرجه ابن حبان (٣١١٨) ، والبزار في « مسنده » (٩٧١٥) ، وأخرجه أيضاً ابن حبان في « صحيحه » (٣١١٣) من طريق محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه من حديث طويل .

(٢) صحيح البخاري (١٣٣٨ ، ١٣٧٤) ، وأخرجه مسلم (٢٨٧٠/٧٠) عن أنس رضي الله عنه .

(٣) أخرجه البخاري (١٣٧٤) ، ومسلم (٢٨٧٠/٧٠) ، وأبو داوود (٤٧١٨) عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٤) الروح (ص ٥٤) .

قلت : وقد روىٰ عبد الرزاق في هـٰذا الباب حديثاً عن زيد بن أسلم قال : (مر أبو هريرة وصاحب له علىٰ قبر ، فقال أبو هريرة رضي الله عنه : سَلِّم ، فقال الرجل : أُسلِّمُ على القبر ! فقال أبو هريرة : إن كان رآك في الدنيا يوماً قط . . إنه ليعرفك الآن)[1] .

وهـٰذا الذي قلناه هو عقيدة السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين ؛ وهم أهل السنة والجماعة ، فلا أدري كيف يغفل هـٰؤلاء الذين يَدَّعون أنهم علىٰ مذهب السلف عن هـٰذه الحقيقة ؟!

وقد أفاض الشيخ ابن القيم في كتاب « الروح » بما يشفي ويكفي ، وننقل هنا فتوىٰ عظيمة لشيخ الإسلام الإمام ابن تيمية في هـٰذا الموضوع ؛ كما جاء في « الفتاوى الكبرىٰ » .

سئل الشيخ عن الأحياء إذا زاروا الأموات هل يعلمون بزيارتهم ؟ وهل يعلمون بالميت إذا مات من قرابتهم أو غيره ؟

فأجاب : (الحمد لله ، نعم ؛ قد جاءت الآثار بتلاقيهم وتساؤلهم وعرض أعمال الأحياء على الأموات ؛ كما روى ابن المبارك عن أبي أيوب الأنصاري قال : « إِذَا قَبَضْتُ نَفْسَ ٱلْمُؤْمِنِ . . تَلَقَّاهَا ٱلرَّحْمَةُ مِنْ عِبَادِ ٱللهِ كَمَا يَتَلَقَّوْنَ ٱلْبَشِيرَ فِي ٱلدُّنْيَا ، فَيُقْبِلُونَ عَلَيْهِ وَيَسْأَلُونَهُ فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضِهِمْ : أَنْظِرُوا أَخَاكُمْ يَسْتَرِيحُ ؛ فَإِنَّهُ كَانَ فِي كَرْبٍ شَدِيدٍ ، قَالَ : فَيُقْبِلُونَ عَلَيْهِ وَيَسْأَلُونَهُ مَا فَعَلَ فُلَانٌ وَمَا فَعَلَتْ فُلَانَةٌ هَلْ تَزَوَّجَتْ . . . » الحديث[2] .

---

(١) المصنف (٦٧٢٣) .

(٢) الزهد (٤٤٣) .

وأما علم الميت بالحي إذا زاره وسلم عليه . . ففي حديث ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا مِنْ أَحَدٍ يَمُرُّ بِقَبْرِ أَخِيهِ ٱلْمُؤْمِنِ كَانَ يَعْرِفُهُ فِي ٱلدُّنْيَا فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ . . إِلَّا عَرَفَهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامَ »[1] .

قال ابن المبارك : « ثبت ذٰلك عن النبي صلى الله عليه وسلم » وصححه عبد الحق صاحب « الأحكام ») انتهىٰ[2] .

وجاء في موضع آخر أيضاً سئل الشيخ ابن تيمية : هل الميت يسمع كلام زائره ويرىٰ شخصه ؟ وهل تعاد روحه إلىٰ جسده في ذٰلك الوقت أم تكون ترفرف علىٰ قبره في ذٰلك الوقت وغيره ؟ وهل تجمع روحه مع أرواح أهله وأقاربه الذين ماتوا قبله ؟

فأجاب : (الحمد لله رب العالمين ، نعم ؛ يسمع الميت في الجملة كما ثبت في « الصحيحين » عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ حِينَ يُوَلُّونَ عَنْهُ »[3] .

ثم ساق أحاديث متعددة في هٰذا المعنىٰ ، ثم قال : فهٰذه النصوص وأمثالها تبين أن الميت يسمع في الجملة كلام الحي ، ولا يجب أن يكون السمع له دائماً ، بل قد يسمع في حال دون حال ؛ كما قد يعرض للحي فإنه قد يسمع أحياناً خطاب من يخاطبه ، وقد لا يسمع لعارض يعرض له ، وهٰذا السمع سمع إدراك ليس يترتب عليه جزاء ولا هو

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في « الاستذكار » (١٨٥٨) .

(٢) مجموعة الفتاوىٰ (١٨٥/٢٤) .

(٣) صحيح البخاري (١٣٣٨) ، صحيح مسلم (٧١/٢٨٧٠) عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

السمع المنفي بقوله : ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾[1] ؛ فإن المراد بذٰلك سمع القبول والامتثال ؛ فإن الله جعل الكافر كالميت الذي لا يستجيب لمن دعاه ، وكالبهائم التي تسمع الصوت ولا تفقه المعنىٰ ؛ فالميت وإن سمع الكلام وفقه المعنىٰ لٰكنه لا يمكنه إجابة الداعي ولا امتثال ما أمر به ونهي عنه فلا ينتفع بالأمر والنهي ، وكذٰلك الكافر لا ينتفع بالأمر والنهي وإن سمع الخطاب وفهم المعنىٰ ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ﴾[2] ، وأما رؤية الميت . . فقد روي في ذٰلك آثار عن عائشة وغيرها .

وأما قول القائل : هل تعاد روحه إلىٰ بدنه ذٰلك الوقت أم تكون ترفرف علىٰ قبره في ذٰلك الوقت وغيره ؟ فإن روحه تعاد إلى البدن في ذٰلك الوقت ؛ كما جاء في الحديث ، وتعاد أيضاً في غير ذٰلك .

ومع ذٰلك فتتصل بالبدن متىٰ شاء الله ؛ وذٰلك في اللحظة بمنزلة نزول الملك وظهور الشعاع في الأرض وانتباه النائم .

وهٰذا جاء في عدة آثار أن الأرواح تكون في أفنية القبور ، قال مجاهد : « الأرواح تكون في أفنية القبور سبعة أيام من يوم دفن الميت لا تفارقه »[3] فهٰذا يكون أحياناً ، وقال مالك بن أنس : « بلغني أن الأرواح مرسلة تذهب حيث شاءت »[4] ، والله أعلم) انتهىٰ[5] .

---

(١) سورة النمل ، الآية (٨٠) .

(٢) سورة الأنفال ، الآية (٢٣) .

(٣) أورده ابن عبد البر في « الاستذكار » (١١٨٥١) .

(٤) أورده ابن عبد البر في « الاستذكار » (١١٨٨٥) .

(٥) مجموعة الفتاوىٰ (٢٤/٢٠٣ ـ ٢٠٥) .

وقال الشيخ ابن تيمية في موضع آخر : (أما ما أخبر الله من حياة الشهيد ورزقه ، وما جاء في الحديث الصحيح من دخول أرواحهم الجنة . . فذهبت طوائف إلىٰ أن ذٰلك مختص بهم دون الصديقين وغيرهم ، والصحيح الذي عليه الأئمة وجماهير أهل السنة : أن الحياة والرزق ودخول الأرواح الجنة ليس مختصاً بالشهيد ؛ كما دلت علىٰ ذٰلك النصوص الثابتة ، ويختص الشهيد بالذكر لكون الظان يظن أنه يموت فينكل عن الجهاد ، فأخبر بذٰلك ليزول المانع من الإقدام على الجهاد والشهادة ؛ كما نهىٰ عن قتل الأولاد خشية الإملاق ؛ لأنه هو الواقع وإن كان قتلهم لا يجوز مع عدم خشية الإملاق) انتهىٰ[1] .

لا تؤذ الميت لئلا يؤذيك

رأىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً قد اتَّكأ علىٰ قبر فقال له : « لَا تُؤْذِ صَاحِبَ ٱلْقَبْرِ »[2] .

وأخرجه الطحاوي في « معاني الآثار » من حديث عمرو بن حزم بلفظ : رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم علىٰ قبر ، فقال : « ٱنْزِلْ عَنِ ٱلْقَبْرِ ، لَا تُؤْذِ صَاحِبَ ٱلْقَبْرِ وَلَا يُؤْذِيكَ » انتهىٰ[3] .

معنى الحياة البرزخية

وينبغي أن نبين للناس معنىٰ تلك الحياة وأنها حياة برزخية وأنها

---

(١) مجموعة الفتاوىٰ (٢٤/١٨٥ ـ ١٨٦) .

(٢) أخرجه أحمد في « مسنده » برقم (٢٤٤٦٠) ، وهو مما سقط من الطبعة الميمنية ، وذكره المجد ابن تيمية في « المنتقىٰ » (١٧٤٤) ، وكذا الحافظ ابن حجر في « الفتح » (٣/٢٢٥) وقال : (إسناده صحيح) انتهىٰ .

(٣) شرح معاني الآثار (١/٥١٥) .

ليست كحياتنا هٰذه ، بل هي حياة خاصة لائقة بهم وبالعالم الذي هم فيه ، لٰكن لا بدَّ أن نبين لهم أيضاً أنها ليست كحياتنا ؛ لأن حياتنا أقل وأحقر وأضيق وأضعف ؛ فالإنسان فيها بين عبادة وعادة ، وطاعة ومعصية ، وواجبات مختلفة لنفسه وأهله ولربه ، وأنه تارة يكون طاهراً ، وتارة يكون علىٰ ضد ذٰلك ، وتارة يكون في المسجد ، وتارة يكون في الحمام وأنه لا يدري بم يختم له ؟! فقد يكون بينه وبين الجنة ذراع ثم ينقلب الأمر رأساً علىٰ عقب فيصير من أهل النار وبالعكس ؛ أما في البرزخ ؛ فإنه إن كان من أهل الإيمان . . فإنه قد جاوز قنطرة الامتحان التي لا يثبت عندها إلا أهل السعادة ، ثم إنه قد انقطع عنه التكليف وأصبح روحاً مشرقة طاهرة مفكرة ، سيَّاحة سبَّاحة جوَّالة في ملكوت الله وملكه سبحانه وتعالىٰ ، لا همَّ ولا حزن ، ولا بأس ولا قلق ؛ لأنه لا دنيا ولا عقار ، ولا ذهب ولا فضة ، فلا حسد ولا بغي ولا حقد .

وإن كان غير ذٰلك . . ففي عكس ذٰلك .



وللأنبياء عليهم الصلاة والسلام في البرزخ خصائص انفردوا بها دون غيرهم من البشر ، ولو شاركهم غيرهم في بعضها . . فهو علىٰ وجه الإلحاق النسبي ، وتبقى الخصوصية للأنبياء من جهتين :

الأولىٰ : من جهة الأصالة .

الثانية : من جهة الكمال .

وهٰذه بعض تلك الخصائص :

كمال حياتهم عليهم الصلاة والسلام

ذكرنا فيما تقدم أن الحياة البرزخية حياة حقيقية ، وأن الميت يسمع ويحسُّ ويعرف ، سواء أكان مؤمناً أم كافراً ، وأن الحياة والرزق ودخول الأرواح الجنة ليست مختصة بالشهيد كما دلت علىٰ ذٰلك النصوص الثابتة ، وهٰذا هو الصحيح الذي عليه الأئمة وجماهير أهل السنة ، ومن هنا فإن القول بحياة الأنبياء من فضول القول وهو أمر ظاهر كالشمس لا يحتاج إلىٰ إثبات ، بل إن الصواب هو أن نقرر بأن حياتهم أكمل وأجلُّ وأتم وأعظم ، وهٰكذا حياة الناس علىٰ ظهر الأرض في الدنيا فإنها درجات ومقامات ومراتب متفاوتة ؛ فمنهم أموات في صورة أحياء ، قال فيهم المولىٰ جلَّ شأنه : ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ [1] .

---

(١) سورة الأعراف ، الآية (١٧٩) .

ومنهم الذين قال فيهم : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[1] .

ومنهم من قال فيهم : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ . . . ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾[2] .

ومنهم من قال فيهم : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ۝ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[3] .

وهٰكذا الحياة البرزخية درجات ومراتب ومقامات متفاوتة ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾[4] .

أما الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . . فإن حياتهم ورزقهم ، ومعرفتهم وسماعهم ، وإدراكهم وشعورهم وإحساسهم أكمل وأتم وأرفع من غيرهم ، والدليل هو قوله تعالىٰ في حق الشهداء : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾[5] .

وإذا كانت الحياة معناها هو بقاء الروح فلا تفنىٰ ولا تبلىٰ . . فلا مزية للشهيد تستحق أن تذكر وتشهر ؛ إذ أرواح جميع بني آدم باقية لا تفنىٰ ولا تبلىٰ ، وهو الصواب الذي عليه المحققون من أهل العلم ؛ كما حققه الشيخ ابن القيم في كتاب « الروح »[6] ، فلا بدَّ من وجود مزية

---

(١) سورة يونس ، الآية (٦٢) .

(٢) سورة المؤمنون ، الآيات (١ ـ ١٠) .

(٣) سورة الذاريات ، الآيتان (١٦ ـ ١٧) .

(٤) سورة الإسراء ، الآية (٧٢) .

(٥) سورة آل عمران ، الآية (١٦٩) .

(٦) الروح (ص ١١٧) .

ظاهرة يزيد بها الشهداء علىٰ من سواهم ، وإلا . . كان ذكر حياتهم عبثاً لا فائدة منه ؛ خصوصاً وأن الله تعالىٰ نهىٰ أن نقول عنهم أموات فقال : ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾[1] .

وحينئذٍ نقول : إنه لا بدَّ من أن تكون حياتهم أكمل من حياة غيرهم وأشرف ، وهٰذا ما يؤيده ظاهر النصوص فأرواحهم مرزوقة ترد أنهار الجنة وتأكل ثمارها كما قال تعالىٰ : ﴿ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾[2] ، ثم إحساسهم بذٰلك الطعام والشراب والنعيم إحساس كامل بشعور تام وتلذذ تام وتمتع حقيقي ؛ كما جاء في الحديث : « فَلَمَّا وَجَدُوا طِيبَ مَشْرَبِهِمْ وَمَأْكَلِهِمْ وَحُسْنَ مَقِيلِهِمْ . . قَالُوا : يَا لَيْتَ إِخْوَانَنَا يَعْلَمُونَ بِمَا صَنَعَ ٱللَّهُ بِنَا »[3] .

وأرواحهم لها تصرف أكبر من غيرها وأوسع ؛ فهي تتجول وتسرح في الجنة حيث تشاء ، ثم تأوي إلىٰ قناديل تحت العرش ، كذا في « صحيح مسلم »[4] .

وهم يسمعون الكلام ويفهمون الخطاب ؛ فقد جاء في « الصحيح » : أن الله تعالىٰ يقول لهم : ما تشتهون ؟ فيقولون : كذا وكذا ، ويعود السؤال ويعود الجواب ، ثم يطلبون أن يعودوا إلى الدنيا للجهاد[5] ، ثم

---

(١) سورة البقرة ، الآية (١٥٤) .
(٢) سورة آل عمران ، الآية (١٦٩) .
(٣) أخرجه أبو داوود (٢٥١٢) ، وأحمد في « المسند » (١/٢٦٦) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .
(٤) صحيح مسلم (١٨٨٧) عن ابن مسعود رضي الله عنه .
(٥) أخرجه مسلم (١٨٨٧) ، والترمذي (٣٠١١) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

يطلبون أن يبلغ الله عنهم رسالة منهم إلىٰ إخوانهم بالدنيا فيها بيان ما أكرمهم الله به ، فيقول الله : أنا أبلغ عنكم(١) .

فإذا ثبت هٰذا في حقِ الشهداء . . ثبت في حقِ الأنبياء من وجهين :

الأول : أن هٰذه رتبة شريفة أعطيت للشهيد كرامة له ولا رتبة أعلىٰ من رتبة الأنبياء ، ولا شك أن حال الأنبياء أعلىٰ وأكمل من حال جميع الشهداء ، فيستحيل أن يحصل كمال للشهداء ولا يحصل للأنبياء ، لا سيما هٰذا الكمال الذي يوجب زيادة القربىٰ والزلفىٰ والنعيم والأنس بالعلي الأعلىٰ .

الثاني : أن هٰذه الرتبة حصلت للشهداء أجراً علىٰ جهادهم وبذلهم أنفسهم لله تعالىٰ ، والنبي صلى الله عليه وسلم هو الذي سنَّ لنا ذٰلك ودعانا إليه وهدانا له بإذن الله تعالىٰ وتوفيقه ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ سَنَّ فِي ٱلْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً . . فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ »(٢) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ دَعَا إِلَىٰ هُدىً . . كَانَ لَهُ مِنَ ٱلْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَٰلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً ، وَمَنْ دَعَا إِلَىٰ ضَلَالَةٍ . . كَانَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَٰلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئاً »(٣) .

---

(١) أخرجه أبو داوود (٢٥١٢) ، وأحمد في « المسند » (١/٢٦٦) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه مسلم (١٠١٧) عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه .

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٧٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

والأحاديث الصحيحة في ذلك كثيرة مشهورة ، فكل أجر حصل للشهيد . . حصل للنبي صلى الله عليه وسلم لسعيه مثله .

والحياة البرزخية الخاصة بالشهيد هي زيادة إكرام له بهذا الأجر في مقابلة عمله تحت لواء نبيه صلى الله عليه وسلم ، واستشهاده في سبيل الله وسبيله ، فيحصل للنبي صلى الله عليه وسلم مثله من الحياة ، بل وأعظم منه لفضله عليه .

إن حياة الأنبياء البرزخية الحقيقية وخصوصاً نبينا صلى الله عليه وسلم هي أرفع وأكمل من أن يتصور جاهل أو أحمق أننا نعني بها أن يعيشوا كما نعيش ، فيأكلون ويشربون محتاجين إلى الأكل والشرب ، ويبولون ويتغوَّطون مضطرين إلىٰ ذلك ، ويخرجون من قبورهم لحضور مجالس الذكر ومجامع القرآن ، ولمشاركة الأمة في أفراحها وأحزانها وأعيادها ومواسمها ، ثم يرجعون إلىٰ قبورهم تحت الأرض في تلك الحفرة الضيقة وفوقهم التراب ، وليس في هٰذا أدنىٰ كرامة أو منقبة ، بل هو عين الإهانة التي لا يرضاها الإنسان لتابع أو خادم له فضلاً عن أن يمنَّ الله تعالىٰ بذلك علىٰ خير خلقه وأجلِّ عبيده ، حاشا وكلا وألف حاشا وكلا .

إن الحياة البرزخية الحقيقية هي الشعور التام والإدراك الكامل والمعرفة الصادقة ، إنها حياة طيبة صالحة ؛ دعاء وتسبيح وتهليل وتحميد وصلاة .



صلاة الأنبياء في قبورهم، وعبادات أخرىٰ

ومن ثمرات تلك الحياة البرزخية صلاتهم في قبورهم صلاة حقيقية ليست خيالية ولا مثالية ، وقد جاءت أحاديث في هٰذا الموضوع ؛ فمنها : عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ٱلْأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ »(١) .

قال الإمام الحافظ البيهقي في الجزء الخاص بهٰذه المسألة : (وفي رواية عن أنس رضي الله تعالىٰ عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ ٱلْأَنْبِيَاءَ لَا يُتْرَكُونَ فِي قُبُورِهِمْ بَعْدَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، وَلَـٰكِنَّهُمْ يُصَلُّونَ بَيْنَ يَدَيِ ٱللهِ تَعَالَىٰ حَتَّىٰ يُنْفَخُ فِي ٱلصُّورِ ») .

قال البيهقي : (إن صح بهٰذا اللفظ . . فالمراد به ـ والله أعلم ـ لا يتركون لا يصلون إلا هٰذا المقدار ، ثم يكونون مصلين فيها بين يدي الله تعالىٰ)(٢) ، قال البيهقي : (ولحياة الأنبياء بعد موتهم صلوات الله عليهم شواهد من الأحاديث الصحيحة)(٣) .

ثم ذكر البيهقي بأسانيده حديث : « مَرَرْتُ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ »(٤) .

---

(١) أخرجه أبو يعلىٰ في « مسنده » (٣٤٢٥) ، والبزار في « مسنده » (٦٨٨٨) ، ورجال أبي يعلىٰ ثقات ؛ كذا في « مجمع الزوائد » (٥١/١٧) .

(٢) حياة الأنبياء (ص ٧٦) .

(٣) حياة الأنبياء (ص ٧٧) .

(٤) حياة الأنبياء (ص ٧٩) عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

وحديث : « قَدْ رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ ٱلْأَنْبِيَاءِ ؛ فَإِذَا مُوسَىٰ قَائِمٌ يُصَلِّي ، فَإِذَا رَجُلٌ ضَرْبٌ جَعْدٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ ، وَإِذَا عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَائِمٌ يُصَلِّي أَقْرَبُ ٱلنَّاسِ بِهِ شَبَهاً عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ ٱلثَّقَفِيُّ ، وَإِذَا إِبْرَاهِيمُ قَائِمٌ يُصَلِّي أَشْبَهُ ٱلنَّاسِ بِهِ صَاحِبُكُمْ ـ يعني : نفسه ـ فَحَانَتِ ٱلصَّلَاةُ فَأَمَمْتُهُمْ ؛ فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنَ ٱلصَّلَاةِ . . قَالَ قَائِلٌ : يَا مُحَمَّدُ ؛ هَـٰذَا مَالِكٌ صَاحِبُ ٱلنَّارِ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ ، فَٱلْتَفَتُّ إِلَيْهِ فَبَدَأَنِي بِٱلسَّلَامِ »[1] .

وقوله : « ضَرْب » أي : خفيف اللحم الممشوق المستدق .

وقال البيهقي في « دلائل النبوة » : (وفي الحديث الصحيح عن سليمان التيمي وثابت البناني ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أَتَيْتُ عَلَىٰ مُوسَىٰ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عِنْدَ ٱلْكَثِيبِ ٱلْأَحْمَرِ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ »)[2] .

قلت : وهو صحيح[3] .

وقد ثبت بما لا يقبل الشك أن السبب في تخفيف الصلاة علينا من خمسين إلىٰ خمس صلوات هو موسىٰ عليه السلام ؛ وهو ميت قد أدىٰ رسالة ربه وانتقل إلىٰ جواره في الرفيق الأعلىٰ ، ولـٰكنه هو السبب في إيصال أعظم خير إلى الأمة المحمدية حينما طلب من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مراجعة ربه وقال له : « سَلْ رَبَّكَ ٱلتَّخْفِيفَ ؛ فَإِنَّ

---

(١) حياة الأنبياء (ص ٨٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، والحديث أخرجه مسلم (١٧٢) ، وعبد الرزاق في « المصنف » (٩٧١٩) .

(٢) دلائل النبوة (٣٨٧/٢) .

(٣) أخرجه مسلم (١٦٤/٢٣٧٥) عن أنس رضي الله عنه .

أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَٰلِكَ »(١) ، فهل هٰذه المراجعة حقيقية أو خيالية ؟ وهل في اليقظة أو في المنام ؟ وهل هي صحيحة أم مكذوبة ؟ وهل موسىٰ مات أم لا يزال حياً حتىٰ وقت تلك المراجعة ؟

أخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن النبي صلى الله عليه وسلم مرَّ علىٰ ثنيَّة فقال : « مَا هَـٰذِهِ ؟ » قالوا : ثنيَّة كذا وكذا ، قال : « كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ يُونُسَ عَلَىٰ نَاقَةٍ خِطَامُهَا لِيفٌ وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ وَهُوَ يَقُولُ : لَبَّيْكَ ٱللَّهُمَّ لَبَّيْكَ » انتهىٰ(٢) .

وفي حديث آخر : « أُرَانِي لَيْلَةً عِنْدَ ٱلْكَعْبَةِ ، فَرَأَيْتُ رَجُلاً آدَمَ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ مِنْ أُدْمِ ٱلرِّجَالِ ، لَهُ لِمَّةٌ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ مِنَ ٱللِّمَمِ قَدْ رَجَّلَهَا فَهِيَ تَقْطُرُ مَاءً ، مُتَّكِئاً عَلَىٰ رَجُلَيْنِ أَوْ عَلَىٰ عَوَاتِقِ رَجُلَيْنِ ، يَطُوفُ بِٱلْبَيْتِ ، فَسَأَلْتُ مَنْ هَـٰذَا ؟ فَقِيلَ : هَـٰذَا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ »(٣) .

وفي حديث آخر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ بوادي الأزرق ، فقال : « كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ مُوسَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هَابِطاً مِنَ ٱلثَّنِيَّةِ وَلَهُ جُؤَارٌ إِلَى ٱللهِ بِٱلتَّلْبِيَةِ » ، ثم أتىٰ علىٰ ثنيَّة هَرْشىٰ ، فقال : « كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ يُونُسَ بْنِ مَتَّىٰ عَلَىٰ نَاقَةٍ حَمْرَاءَ جَعْدَةٍ عَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ ، خِطَامُ نَاقَتِهِ خُلْبَةٌ وَهُوَ يُلَبِّي »(٤) .

وفي حديث آخر : « كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَاضِعاً إِصْبَعَيْهِ فِي أُذُنَيْهِ »(٥) .

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٩) ، ومسلم (١٦٣) عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٢) المستدرك (٢/٥٨٤) ، وانظر « الدر المنثور » (٥/٦٦٩) .

(٣) أخرجه البخاري (٥٩٠٢) ، ومسلم (١٦٩/٢٧٣) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٤) أخرجه مسلم (١٦٦/٢٦٨) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٥) أخرجه مسلم (١٦٦/٢٦٩) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

وهٰذه الأحاديث كلها في الصحيح ، وكذٰلك صلاتهم قياماً وإمامة النبي صلى الله عليه وسلم بهم ، ولا يقال : إن ذٰلك رؤيا منام ، وإن قوله : « أراني » فيه إشارة إلى النوم ؛ لأن الإسراء وما اتفق فيه كان يقظة على الصحيح الذي عليه جمهور السلف والخلف ، ولو قيل بأنه نوم . . فرؤيا الأنبياء حقٌّ .

بقاء أجسادهم عليهم الصلاة والسلام

جاء في الحديث عن أوس بن أوس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ ٱلْجُمُعَةِ ؛ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ ، وَفِيهِ قُبِضَ ، وَفِيهِ ٱلنَّفْخَةُ ، وَفِيهِ ٱلصَّعْقَةُ ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ ٱلصَّلَاةِ فِيهِ ؛ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ » ، قال : قالوا : يا رسول الله ؛ وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ؟ ـ يقولون : بليت ـ فقال : « إِنَّ ٱللهَ حَرَّمَ عَلَى ٱلْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ ٱلْأَنْبِيَاءِ »(١) .

واعلم : أن حديث : « إِنَّ ٱللهَ حَرَّمَ عَلَى ٱلْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ ٱلْأَنْبِيَاءِ » ورد من طرق كثيرة جمعها الحافظ المنذري في جزء مخصوص ، وقال في « الترغيب والترهيب » : (رواه ابن ماجه بإسناد

---

(١) هٰذا الحديث أخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٨٧٨٩) ، وأحمد في « مسنده » (٨/٤) ، وابن أبي عاصم في « الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم » (٦٣) ، وأبو داوود في « سننه » (١٠٤٠) ، والنسائي في « المجتبىٰ » (٩١/٣) ، وابن ماجه في « سننه » (١٧٢٣) ، والطبراني في « الكبير » (٢١٦/١) ، وابن خزيمة في « صحيحه » (١٧٣٣) ، وابن حبان في « صحيحه » (٩١٠) ، والحاكم في « المستدرك » (٢٧٨/١) ، والبيهقي في « حياة الأنبياء » (ص ٨٨) ، وفي « شعب الإيمان » (٢٧٦٨) ، وغيرهما من تصانيفه .

جيد ، ورواه أحمد وأبو داوود وابن حبان في « صحيحه » والحاكم وصححه)[1] .

وقال ابن القيم في كتاب « الروح » نقلاً عن أبي عبد الله القرطبي : (صحَّ عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء ، وأنه صلى الله عليه وسلم اجتمع مع الأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس ، وفي السماء خصوصاً موسىٰ وقد أخبر : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُسَلِّمُ عَلَيْهِ . . إِلَّا رَدَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِ رُوحَهُ حَتَّىٰ يَرُدَّ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامَ »[2] . . . إلىٰ غير ذٰلك مما يحصل من جملته القطع بأن موت الأنبياء إنما هو راجع إلىٰ أنهم غيبوا عنا بحيث لا ندركهم وإن كانوا موجودين أحياء ، وذٰلك كالحال في الملائكة ؛ فإنهم أحياء موجودون ولا نراهم)[3] .

وقد نقل كلام القرطبي وأقره أيضاً الشيخ محمد السفاريني الحنبلي في « شرح عقيدة أهل السنة » حيث قال ما نصه : قال أبو عبد الله القرطبي : قال شيخنا أحمد بن عمر القرطبي صاحب « المفهم في شرح مسلم » : (والذي يزيح هٰذا الإشكال : أن الموت ليس بعدم محض وإنما هو انتقال من حال إلىٰ حال ، ويدل علىٰ ذٰلك أن الشهداء بعد موتهم وقتلهم أحياء عند ربهم يرزقون فرحين ، وهٰذه صفة الأحياء في الدنيا ، وإذا كان هٰذا في الشهداء . . كان الأنبياء بذٰلك أحق وأولىٰ)[4] .

---

(١) الترغيب والترهيب (٢٤٨٨) ، سنن ابن ماجه (١٧٢٣) ، مسند أحمد (٤/٨) ، سنن أبي داوود (١٠٤٠) ، صحيح ابن حبان (٩١٠) ، مستدرك الحاكم (١/٢٧٨) ، وصححه .
(٢) أخرجه أبو داوود (٢٠٣٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه .
(٣) الروح (ص ١٢٠) .
(٤) المفهم (٦/٢٣٣) .

وذكر القرطبي : (أن أجساد الشهداء لا تبلىٰ)[(١)] ، وقد صحَّ عن جابر : أن أباه وعمرو بن الجموح رضي الله تعالىٰ عنهم ـ وهما ممن استشهد بأحد ودفنا في قبر واحد ـ حفر السيل قبرهما فوجدا لم يتغيرا ، وكان أحدهما قد جرح فوضع يده علىٰ جرحه فدفن وهو كذٰلك ، فأميطت يده عن جرحه ثم أرسلت فرجعت كما كانت ، وكان بين ذٰلك وبين أحد ست وأربعون سنة[(٢)] .

ولما أجرىٰ معاوية العين التي استنبطها بالمدينة ؛ وذٰلك بعد أحد بنحو من خمسين سنة ، ونقل الموتىٰ . . أصابت المسحاة قدم حمزة رضي الله عنه فسال منه الدم ، ووجد عبد الله بن حرام كأنما دفن بالأمس[(٣)] .

وروىٰ أهل المدينة كافة : أن جدار النبي صلى الله عليه وسلم لما انهدم أيام الوليد . . بدت لهم قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان قد قتل شهيداً[(٤)] .

وقد ذكر الشيخ ابن تيمية : (أنه لما حصل الهدم . . بدت لهم قدم بساق وركبة ففزع من ذٰلك عمر بن عبد العزيز فأتاه عروة ، فقال : هٰذه ساق عمر وركبته ، فسري عن عمر بن عبد العزيز) انتهىٰ[(٥)] .

---

(١) المفهم (٣٠٧/٧) .
(٢) أخرجه ابن سعد في « الطبقات الكبير » (٥٢١/٣) ، وأخرجه مالك في « الموطأ » (٤٧٠/٢) عن ابن أبي صعصعة رحمه الله تعالىٰ .
(٣) انظر « الطبقات الكبير » (٥٢٢/٣) ، و« السيرة النبوية » لابن كثير (٨٦/٣ ـ ٨٧) .
(٤) انظر « البداية والنهاية » (٢٣٧/٩) .
(٥) اقتضاء الصراط المستقيم (٧٢٣/٢) .

وقد ألَّف في هٰذا الموضوع الإمام الحجة أبو بكر بن الحسين البيهقي رسالة خاصة جمع فيها جملة من الأحاديث التي تدل على حياة الأنبياء وبقاء أجسادهم ، وكذٰلك ألَّف الحافظ جلال الدين السيوطي رسالة خاصة بذٰلك .



حياةٌ خاصّةٌ بنبينا محمدٍ صلى الله عليه وسلم

وقد ثبت لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم حياة برزخية أكمل وأعظم من غيره تحدَّث عنها بنفسه ، تثبت اتصاله بالأمة المحمدية ومعرفته بأحوالها واطلاعه علىٰ أعمالها وسماعه لكلامهم وردَّه لسلامهم ، والأحاديث في هٰذا الباب كثيرة ؛ **فمنها** : عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي ٱلْأَرْضِ يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي ٱلسَّلَامَ »(١) .

ومنها : عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُحْدِثُونَ وَيُحْدَثُ لَكُمْ ، وَوَفَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ ؛ فَمَا رَأَيْتُ مِنْ خَيْرٍ . . حَمِدْتُ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ، وَمَا رَأَيْتُ مِنْ شَرٍّ . . ٱسْتَغْفَرْتُ ٱللَّهَ لَكُمْ »(٢) .

قال الحافظ أبو زرعة العراقي في (كتاب الجنائز) من « طرح التثريب في شرح التقريب » : (إسناده جيد)(٣) .

---

(١) أخرجه النسائي في « المجتبىٰ » (٤٣/٣) ، وابن حبان (٩١٤) ، والقاضي إسماعيل في « فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم » (٢٠) ، وانظر « الترغيب والترهيب » (٢٤٧٤) .

(٢) تقدم تخريجه (ص ١٢٣) .

(٣) طرح التثريب (٢٩٧/٣) ، **قوله : قال العراقي : (إسناده جيد)** :
كذا قال العراقي في « طرح التثريب » (٢٩٧/٣) ، وظن بعضهم أن هٰذا مخالف لما جاء في « تخريج أحاديث الإحياء » للعراقي (٣٨١٠) حيث قال : (رواه البزار من حديث ابن مسعود ، ورجاله رجال الصحيح إلا أن عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد ، ←

وقال الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » : (رواه البزار ورجاله رجال الصحيح) ، وصححه الحافظ السيوطي في « المعجزات والخصائص » ، وكذا القسطلاني شارح « البخاري » ، ونصَّ المناوي في « فيض القدير » : (بأنه صحيح) ، وكذا الزرقاني في « شرح المواهب » للقسطلاني ، وكذا الشهاب الخفاجي في « شرح الشفا »[1] .

وكذا الملا علي القاري في « شرح الشفا » وقال : (رواه أيضاً الحارث ابن أبي أسامة في « مسنده » بسند صحيح) ، وذكره ابن حجر في « المطالب العالية » ، وجاء هٰذا الحديث من طريق آخر مرسلاً عن بكر بن عبد الله المزني ، ورواه الحافظ إسماعيل القاضي في « فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم » ، قال فيه الشيخ الألباني : (مرسل صحيح) ، وصححه الحافظ ابن عبد الهادي مع تعنُّته وتشدُّده في كتابه « الصارم المنكي »[2] .

← وإن أخرج له مسلم ووثقه ابن معين والنسائي فقد ضعفه كثيرون) انتهىٰ ، فظن البعض أن بين هٰذا تعارضاً وأن هٰذا منقوض بذٰلك ، والحق أنه لا تعارض ولا تناقض ، إن الذي في تخريج أحاديث « الإحياء » هو كلام الحافظ العراقي ، والذي في « طرح التثريب » هو كلام ولده الحافظ أبي زرعة العراقي ، فالناظر لم يفرق بين الأب والابن ، وظن أن الكلام مخرجه واحد ، ونحن اعتمدنا كلام الحافظ أبي زرعة العراقي الذي في « طرح التثريب » انتهىٰ .

وقد صنف العلامة المحدث الشيخ أبو الفضل عبد الله الغماري رسالة خاصة في هٰذا الموضوع سماها : « نهاية الآمال في صحة وشرح حديث عرض الأعمال » .

(١) مجمع الزوائد (٤٢٥/١٧) ، الخصائص الكبرىٰ (٢٨١/٢) ، إرشاد الساري (٤٤٠/٢) ، فيض القدير (٤٠١/٣) ، نسيم الرياض (١٧٣/١) ، شرح المواهب (٣٧٣/٧) .

(٢) المطالب العالية (٤٢٣٦) ، فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (٢٤) ، الصارم المنكي (ص ١٩٣) ، شرح الشفا (٤٥/١) .

فالحديث صحيح لا مطعن فيه ؛ وهو يدل علىٰ أن النبي صلى الله عليه وسلم يعلم أعمالنا بعرضها عليه ، ويستغفر الله لنا علىٰ ما فعلنا من سيِّئ وقبيح ، وإذا كان كذٰلك . . فإنه يجوز لنا أن نتوسل به إلى الله ونتشفع به لديه ؛ لأنه يعلم بذٰلك فيشفع فينا ويدعو لنا ؛ وهو الشفيع المشفع صلى الله عليه وآله وسلم ، وزاده تشريفاً وتكريماً .

وقد أخبر الله في القرآن أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم شهيد علىٰ أمته ؛ وذٰلك يقتضي أن تعرض أعمالهم عليه ليشهد علىٰ ما رأىٰ وعلم ، قال ابن المبارك : (أخبرنا رجل من الأنصار عن المنهال بن عمرو : أنه سمع سعيد بن المسيب يقول : ليس من يوم إلا يعرض فيه على النبي صلى الله عليه وسلم أمته غدوة وعشياً ، فيعرفهم بأسمائهم وأعمالهم فلذٰلك يشهد عليهم ، يقول الله تعالىٰ : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾)(١) .

ومنها : عن عمار بن ياسر رضي الله تعالىٰ عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إِنَّ ٱللهَ وَكَّلَ بِقَبْرِي مَلَكاً أَعْطَاهُ أَسْمَاعَ ٱلْخَلَائِقِ ، فَلَا يُصَلِّي عَلَيَّ أَحَدٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ . . إِلَّا أَبْلَغَنِي بِٱسْمِهِ وَٱسْمِ أَبِيهِ ؛ هَـٰذَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ قَدْ صَلَّىٰ عَلَيْكَ » .

رواه البزار وأبو الشيخ ابن حيان ولفظه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ لِلهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مَلَكاً أَعْطَاهُ أَسْمَاءَ ٱلْخَلَائِقِ كُلِّهِمْ فَهُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ قَبْرِي إِذَا مِتُّ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ ، فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي

---

(١) أورده القرطبي في « تفسيره » (٥/١٩٨) ، والآية من سورة النساء (٤١) .

صَلَّىٰ عَلَيَّ صَلاَةً . . إِلَّا سَمَّاهُ بِٱسْمِهِ وَٱسْمِ أَبِيهِ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ؛ صَلَّىٰ عَلَيْكَ فُلاَنٌ ، فَيُصَلِّي ٱلرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ ذَٰلِكَ ٱلرَّجُلِ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ عَشْراً »[1] .

ومنها : عن عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن زيد بن أيمن ، عن عبادة بن نسي ، عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أَكْثِرُوا ٱلصَّلاَةَ عَلَيَّ يَوْمَ ٱلْجُمُعَةِ ؛ فَإِنَّهُ مَشْهُودٌ تَشْهَدُهُ ٱلْمَلاَئِكَةُ ، وَإِنَّ أَحَداً لَنْ يُصَلِّيَ عَلَيَّ إِلَّا عَرَضَتْ عَلَيَّ صَلاَتُهُ حَتَّىٰ يَفْرُغَ مِنْهَا » قال : قلت : وبعد الموت ؟ قال : « وَبَعْدَ ٱلْمَوْتِ ، إِنَّ ٱللهَ حَرَّمَ عَلَى ٱلْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ ٱلْأَنْبِيَاءِ » ، فنبيُّ الله حي يرزق[2] .

ومنها عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ . . إِلَّا رَدَّ ٱللهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّىٰ أَرُدَّ عَلَيْهِ ٱلسَّلاَمُ »[3] .

قال الشيخ ابن تيمية : (هٰذا الحديث علىٰ شرط مسلم ، وقال : وفي « مسند ابن أبي شيبة » عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ عِنْدَ قَبْرِي . . سَمِعْتُهُ ، وَمَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ نَائِياً . . بُلِّغْتُهُ » رواه الدارقطني بمعناه .

---

(١) مسند البزار (١٤٢٥) ، العظمة (٣٣٩) .

(٢) أخرجه ابن ماجه في « السنن » (١٧٢٤) ، وقال في « الزوائد » (٢/٥٩) : (هٰذا الحديث صحيح إلا أنه منقطع في موضعين ؛ لأن عبادة روايته عن أبي الدرداء مرسلة ، قاله العلاء ، وزيد بن أيمن عن عبادة مرسلة ، قاله البخاري) انتهىٰ .

(٣) تقدم تخريجه (ص ١٢٤) .

وفي « النسائي » وغيره عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « إِنَّ ٱللّهَ وَكَّلَ بِقَبْرِي مَلَائِكَةً يُبَلِّغُونِي عَنْ أُمَّتِي ٱلسَّلَامَ » .

. . . إلىٰ أحاديث أخر في هٰذا الباب متعددة) انتهىٰ [١] .



(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٦٦٤/٢) ، المجتبىٰ (٤٣/٣) ، مسند أحمد (٣٨٧/١) ، سنن الدارمي (٢٨١٦) .

النبي صلى الله عليه وسلم يجيب من ناداه قائلاً : يا محمد .

ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند أبي يعلىٰ في ذكر عيسىٰ : « وَلَئِنْ قَامَ عَلَىٰ قَبْرِي فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ . . لَأُجِيبَنَّهُ »[(١)] .

إرسال السلام بالبريد إلى النبي ﷺ

عن يزيد بن أبي سعيد المهري قال : (لما ودَّعت عمر بن عبد العزيز . . قال : إن لي إليك حاجة ، قلت : يا أمير المؤمنين ؛ كيف ترىٰ حاجتك عندي ؟ قال : إني أراك إذا أتيت المدينة . . سترىٰ قبر النبي صلى الله عليه وسلم فأقرئه مني السلام) .

وعن حاتم بن وردان قال : (كان عمر بن عبد العزيز يوجِّه البريد قاصداً من الشام إلى المدينة ؛ ليقرئ عنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم السلام)[(٢)] .

وذكر الخفاجي والملا علي القاري في « شرح الشفا » : أنه رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي في « الشعب » ، وقال الخفاجي : (كان من دأب

(١) مسند أبي يعلىٰ (٦٥٨٤) ، وذكره الحافظ ابن حجر في « المطالب العالية » (١٥٨/٩) بعنوان : (حياته صلى الله عليه وسلم في قبره) .

(٢) ذكره القاضي عياض في « الشفا » (ص ٥٨٥) في (باب الزيارة) ، والفيروزاباذي في « الصلات والبشر » (ص ١٥٣ ـ ١٥٤) .

السلف أنهم يرسلون السلام إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ابن عمر يفعله ويرسل له صلى الله عليه وسلم ، السلام لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم وإن كان يبلغه سلام من سلم عليه وإن كان بعيداً عنه لٰكن في هٰذا فضيلة خطابه عنده ورده عليه السلام بنفسه) انتهىٰ(١) .

صوت وسلام وأذان يسمع من القبر النبوي

روى الإمام الحافظ أبو محمد عبد الله الدارمي في كتابه « السنن » الذي يعتبر من كتب الأصول الحديثية الستة ، قال : (أخبرنا مروان بن محمد عن سعيد بن عبد العزيز قال : لما كان أيام الحرَّة . . لم يُؤذَّن في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثاً ولم يُقَم ، ولم يبرح سعيد بن المسيب من المسجد ، وكان لا يعرف وقت الصلاة إلا بهمهمة يسمعها من قبر النبي صلى الله عليه وسلم فذكر معناه) انتهىٰ من « سنن الدارمي »(٢) .

وقال إبراهيم بن شيبان : (حججت فجئت المدينة ، فتقدمت إلىٰ قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسلمت عليه ، فسمعت من داخل الحجرة : وعليك السلام)(٣) .

---

(١) شرح الشفا (١٥٣/٢) ، نسيم الرياض (١٠٣/٥ ـ ١٠٤) ، شعب الإيمان (٤١٦٦ ـ ٤١٦٧) .

(٢) سنن الدارمي (٩٤) ، ونقله الشيخ محمد بن عبد الوهاب في « أحكام تمني الموت » (ص ٤٧) من مجموعة مؤلفاته (٤٧/٣) ، ونقل هٰذه الرواية الإمام مجد الدين الفيروزاباذي في « الصلات والبشر » (ص ١٥٤) .

(٣) الصلات والبشر (ص ١٥٤) .

تأييد ابن تيمية لهٰذه الوقائع

ذكر الشيخ ابن تيمية هٰذه الوقائع في معرض كلامه عن اتخاذ القبر مسجداً أو وثناً يعبد ، ثم قال : (ولا يدخل في هٰذا الباب ما يروىٰ من أن قوماً سمعوا ردَّ السلام من قبر النبي صلى الله عليه وسلم أو قبور غيره من الصالحين ، وأن سعيد بن المسيب كان يسمع الأذان من القبر ليالي الحرَّة ونحو ذٰلك) انتهىٰ[١] .

ثم قال في موضع آخر : (وكذٰلك ما يذكر من الكرامات وخوارق العادات التي توجد عند قبور الأنبياء والصالحين ؛ مثل نزول الأنوار والملائكة عندها ، وتوقي الشياطين والبهائم لها ، واندفاع النار عنها وعمن جاورها ، وشفاعة بعضهم في جيرانه من الموتىٰ ، واستحباب الاندفان عند بعضهم ، وحصول الأنس والسكينة عندها ، ونزول العذاب بمن استهان بها ؛ فجنس هٰذا حق ليس مما نحن فيه ، وما في قبور الأنبياء والصالحين من كرامة الله ورحمته ، وما لها عند الله من الحرمة والكرامة فوق ما يتوهمه أكثر الخلق ، لٰكن ليس هٰذا موضع تفصيل ذٰلك) انتهىٰ[٢] .

ثبوت بعض هٰذه الكرامات لغير الأنبياء عليهم السلام

وقد روىٰ أهل العلم شيئاً من هٰذه الكرامات لبعض السلف الصالح رضي الله عنهم حصلت لهم بعد وفاتهم ، ونقلها عنهم الثقات عن الثقات الذين رأوها بأعينهم ، وسننقل هنا بعض ذٰلك عن الشيخ

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٧٣٥/٢) .
(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٧٣٦/٢) .

محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، قال في كتاب « أحكام تمني الموت » ضمن مجموعة مؤلفاته التي نشرتها جامعة الإمام محمد بن سعود :

الصلاة في القبر

ولأحمد عن عفان ، عن حماد ، عن ثابت أنه قال : (اللهم ؛ إن كنت أعطيت أحداً الصلاة في قبره . . فأعطني الصلاة في قبري)[١] .

ولأبي نعيم عن جبير قال : (أنا ـ والله الذي لا إله إلا هو ـ أدخلت ثابتاً البناني في لحده ، ومعي حميد الطويل ، فلما سوَّينا عليه اللبن . . سقطت لبنة ، فإذا أنا به يصلي في قبره)[٢] .

قراءة القرآن

وله ولابن جرير عن إبراهيم بن الصمة المهلبي قال : (حدَّثني الذين كانوا يمرون بالجصِّ بالأسحار ، قالوا : كنا إذا مررنا بجبانة قبر ثابت البناني . . سمعنا قراءة القرآن)[٣] .

وللترمذي وحسنه عن ابن عباس قال : ضرب بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خباءه علىٰ قبر وهو لا يحسب أنه قبر ، فإذا فيه

---

(١) أورده السيوطي في « شرح الصدور » (ص ٣٦٢) وعزاه للإمام أحمد في « الزهد » ، وأخرجه البيهقي في « الشعب » (٢٩٢٠) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣١٩/٢) ، وابن أبي الدنيا في « التهجد وقيام الليل » (٤١٤) ، وابن سعد في « الطبقات الكبير » (٢٣٢/٩) .

(٢) أورده السيوطي في « شرح الصدور » (ص ٣٦٢) وعزاه لأبي نعيم عن جبير ، وهو في « حلية الأولياء » (٢٥٣/٦) عن شيبان بن جسر عن أبيه .

(٣) تهذيب الآثار (٧٣٨) ، حلية الأولياء (٣٢٢/٢) ، وأخرجه ابن أبي الدنيا في « التهجد وقيام الليل » (٤١٦) .

إنسان يقرأ (سورة الملك) حتىٰ ختمها ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هِيَ ٱلْمَانِعَةُ ، هِيَ ٱلْمُنْجِيَةُ ، تُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ ٱلْقَبْرِ »(١) .

وللنسائي والحاكم عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نِمْتُ فَرَأَيْتُنِي فِي ٱلْجَنَّةِ ـ ولفظ النسائي : دَخَلْتُ ٱلْجَنَّةَ ـ فَسَمِعْتُ صَوْتَ قَارِئٍ يَقْرَأُ ، فَقُلْتُ : مَنْ هَـٰذَا ؟ قَالُوا : حَارِثَةُ بْنُ ٱلنُّعْمَانِ » ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كَذَاكَ ٱلْبِرُّ ، كَذَاكَ ٱلْبِرُّ ، كَذَاكَ ٱلْبِرُّ » وكان أبرَّ الناس بأمه(٢) .

ولابن أبي الدنيا عن الحسن قال : (بلغني أن المؤمن إذا مات ولم يحفظ القرآن . . أمر حفظته أن يعلِّموه القرآن في قبره حتىٰ يبعثه الله يوم القيامة مع أهله)(٣) ، وله عن يزيد الرقاشي نحوه(٤) ، وروى السِّلفي معناه من مراسيل عطية العوفي(٥) .

تزاور أهل القبور

ولابن أبي شيبة عن ابن سيرين قال : (كان يحب حسن الكفن ، ويقول : إنهم يتزاورون في أكفانهم)(٦) ، ومعناه في « مسند

---

(١) سنن الترمذي (٢٨٩٠) .

(٢) السنن الكبرىٰ (٨١٧٦) ، واللفظ له ، المستدرك (٢٠٨/٣ ـ ١٥١/٤) .

(٣) ذكر الموت (٢٩٦) .

(٤) ذكر الموت (٢٩٥) .

(٥) أورده السيوطي في « شرح الصدور » (ص ٣٦٨) وعزاه للسِّلفي في « انتخابه لحديث القراء » ، وأخرجه ابن أبي الدنيا في « ذكر الموت » (٢٩٤) عن عطية العوفي .

(٦) المصنف (١١٢٤٣) .

ابن أبي أسامة » عن جابر مرفوعاً : وفيه : « وَيَتَبَاهَوْنَ وَيَتَزَاوَرُونَ فِي قُبُورِهِمْ »[1] .

ولمسلم من حديثه : « إِذَا كَفَّنَ أَحُدُكُمْ أَخَاهُ . . فَلْيُحْسِنْ كَفَنَهُ »[2] .

وللترمذي وابن ماجه ومحمد بن يحيى الهمداني في « صحيحه » عن أبي قتادة مرفوعاً : « إِذَا وَلِيَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ . . فَلْيُحْسِنْ كَفَنَهُ ؛ فَإِنَّهُمْ يَتَزَاوَرُونَ فِي قُبُورِهِمْ »[3] .

رسالة من الدنيا إلى البرزخ مع ميت

وأخرج ابن أبي الدنيا بسند لا بأس به عن راشد بن سعد : (أن رجلاً توفيت امرأته ، فرأىٰ نساء في المنام ولم ير امرأته معهن !! . . فسألهن عنها ، فقلن : إنكم قصَّرتم في كفنها ؛ فهي تستحيي أن تخرج معنا ، فأتى الرجل النبيَّ صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ٱنْظُرْ هَلْ إِلَىٰ ثِقَةٍ مِنْ سَبِيلٍ ؟ » فأتىٰ رجلاً من الأنصار قد حضرته الوفاة ، فأخبره ، فقال الأنصاري : إن كان أحد يُبلِّغ الموتىٰ . . بلغت ، فتوفي الأنصاري ؛ فجاء بثوبين مزودين بالزعفران ، فجعلهما في كفن الأنصاري ؛ فلما كان الليل . . رأى النسوة ومعهن امرأته وعليها الثوبان الأصفران)[4] .

---

(١) أورده السيوطي في « شرح الصدور » (ص ٣٦٩) وعزاه لابن أبي أسامة في « مسنده » ، وذكره الديلمي في « الفردوس بمأثور الخطاب » (٣١٧) .

(٢) صحيح مسلم (٩٤٣) .

(٣) سنن الترمذي (٩٩٥) ، سنن ابن ماجه (١٥٥٩) ، وأخرجه بلفظه ابن أبي الدنيا في « المنامات » (١٦٢) .

(٤) المنامات (١٦١) .

وروى ابن الجوزي عن محمد بن يوسف الفريابي : (قصة المرأة التي رأت أمها في المنام ، تشكو إليها الكفن ، فقصوا علىٰ محمد وسألوه ، وفيه : أن أمها قالت لها : اشتروا لي كفناً ، وابعثوه مع فلانة ، قال الفريابي : فذكرت الحديث : أنهم يتزاورون في أكفانهم ، فقلت : اشتروا لها كفناً ، فماتت المرأة في اليوم الذي ذكرت ، ووضعوه معها)[1] .

النور على القبور

ولابن أبي الدنيا عن أبي غالب ـ صاحب أبي أمامة ـ : (أن فتىً بالشام حضره الموت ، فقال لعمه : أرأيت لو أن الله تعالىٰ دفعني إلىٰ والدتي . . ما كانت صانعة بي ؟ قال : إذاً والله كانت تدخلك الجنة ، قال : فوالله ؛ لله أرحم بي من والدتي !! فقبض الفتىٰ ، فدخلت القبر مع عمه ، فقلنا : باللَّبِن ، فسويناه عليه ، فسقطت منها لبنة ، فوثب عمه فتأخر !! فقلت : ما شأنك ؟ فقال : ملئ قبره نوراً ، وفسح له مدُّ بصره)[2] .

ولأبي داوود وغيره عن عائشة قالت : (لما مات النجاشي . . كنَّا نتحدَّث : أنه لا يزال يرىٰ علىٰ قبره نور)[3] .

وفي « تاريخ ابن عساكر » عن عبد الرحمـٰن بن عمارة قال : (حضرت جنازة الأحنف بن قيس ، فكنت فيمن نزل قبره ؛ فلما

(١) عيون الحكايات (ص ٤٣١ ـ ٤٣٢) .
(٢) المحتضرين (١٩) ، حسن الظن بالله (٣٥) .
(٣) سنن أبي داوود (٢٥١٥) .

سويته . . رأيته قد فسح له مدُّ بصري ، فأخبرت بذلك أصحابي ، فلم يروا ما رأيت)[1] .

وعن إبراهيم الحنفي قال : (لما صلب ماهان الحنفي على بابه . . كنا نرى الضوء عنده في الليل)[2] .

انظر « أحكام تمني الموت » المصحح على النسخة المصورة (٨٦/٧٧١) بالمكتبة السعودية بالرياض ، تحقيق الشيخ عبد الرحمن السدحان والشيخ عبد الله الجبرين ، مجلد الفقه (القسم الثاني)[3] .

وقد ذكروا في أول المجموعة توثيق هذه النسخ وتصحيح نسبتها إلى الشيخ ، وقد قامت جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض بنشر هذه المجموعة كاملة بعد تحقيقها تحت إشرافها بمناسبة أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب .



(١) تاريخ دمشق (٣٥٥/٢٤ ـ ٣٥٦) .
(٢) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٣٦٤/٤) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٧٧٤٨) .
(٣) أحكام تمني الموت (ص ٤٠ ـ ٤٢) .

لا تشد الرحال

يخطئ كثير من الناس في فهم حديث : « لَا تُشَدُّ ٱلرِّحَالُ إِلَّا إِلَىٰ ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ : مَسْجِدِي هَـٰذَا ، وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ، وَمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَىٰ »(١) .

فيستدلون به علىٰ تحريم شد الرحل لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم ، ويعتبرون أن السفر بذٰلك سفر معصية ، وهـٰذا الاستدلال مردود ؛ لأنه مبني علىٰ فهم باطل ؛ فالحديث كما ترىٰ في باب ، والاستدلال في باب آخر ، وبيان ذٰلك هو أن قوله صلى الله عليه وسلم : « لا تشد الرحال إلا إلىٰ ثلاثة مساجد » جاء على الأسلوب المعروف عند اللغويين بأسلوب الاستثناء ، وهـٰذا يقتضي وجود مستثنىً ومستثنىً منه ، فالمستثنىٰ هو ما كان بعد (إلا) ، والمستثنىٰ منه هو ما كان قبلها ، وهو إما مذكور أو مقدر ، وهـٰذا مقرر ومعروف في أبسط كتب النحو .

وإذا نظرنا إلىٰ هـٰذا الحديث . . وجدنا أنه قد جاء فيه التصريح بذكر المستثنىٰ وهو قوله : « إلىٰ ثلاثة مساجد » وهو ما بعد (إلا) ولم يأت ذكر المستثنىٰ منه ؛ وهو ما قبل (إلا) فلا بدَّ إذاً من تقديره .

فإن فرضنا أن المستثنىٰ منه (قبر) . . كان اللفظ المنسوب لرسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تشد الرحال إلىٰ قبر إلا إلىٰ ثلاثة مساجد) ، وهـٰذا السياق ظاهر في عدم الانتظام وغير لائق بالبلاغة النبوية ، فالمستثنىٰ غير داخل ضمن المستثنىٰ منه ، والأصل أن يكون

---

(١) أخرجه البخاري (١١٨٩) ، ومسلم (١٣٩٧/٥١١) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

المستثنىٰ من جنس المستثنىٰ منه ، ولا يطمئن قلب عالم يتحرج من نسبة كلام للمصطفىٰ صلى الله عليه وسلم لم يقله إلىٰ نسبة هٰذه اللفظة (قبر) وهي لا تتفق مع الأصل في الاستثناء إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تصلح أن تكون هي المستثنىٰ منه ، فلنفرض أنه لفظ (مكان) فيكون السياق المنسوب لرسول الله صلى الله عليه وسلم علىٰ هٰذا الفرض : (لا تشد الرحال إلىٰ مكان إلا إلىٰ ثلاثة مساجد) ، ومعنىٰ هٰذا : ألا تسافر إلىٰ تجارة أو علم أو خير ، وهٰذا ضرب من الهوس ظاهر البطلان .

فالحديث اشتمل علىٰ ذكر المستثنىٰ وليس فيه ذكر المستثنىٰ منه ، ولذٰلك فلا بدَّ من تقديره باتفاق أهل اللغة ، وتقديره لا يحتمل إلا ثلاثة وجوه لا رابع لها :

الوجه الأول : أن يكون تقديره بلفظ : (قبر) فيكون اللفظ المقدر : (لا تشد الرحال إلىٰ قبر إلا إلىٰ ثلاثة مساجد) .

وهٰذا التقدير مبني علىٰ رأي من يستدل بالحديث علىٰ منع السفر للزيارة ، وأنت ترىٰ أنه تقدير بارد ممجوج لا يستسيغه من عنده أدنىٰ إلمام بالعربية ، وهو لا تليق نسبته إلىٰ أفصح من نطق بالضاد صلوات الله وسلامه عليه ، فحاشا أن يرضىٰ بمثل هٰذا الأسلوب الساقط .

الوجه الثاني : أن يكون تقدير المستثنىٰ منه في الحديث بلفظ عام ؛ وهو لفظ (مكان) وهٰذا باطل كما تقدم بلا خلاف ولا قائل به .

الوجه الثالث : أن يكون تقدير المستثنىٰ منه في الحديث بلفظ (مسجد) فيكون سياق الحديث : (لا تشد الرحال إلىٰ مسجد إلا إلىٰ

ثلاثة مساجد) فنرىٰ أن الكلام قد انتظم وجرىٰ على الأسلوب اللغوي الفصيح ، واختفى التهافت الواضح في الصورتين المتقدمتين وأشرقت فيه روح النبوة ، ويطمئن القلب التقي إلىٰ نسبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، هـٰذا بفرض أنه لا توجد رواية أخرىٰ مصرحة بالمستثنىٰ منه ؛ فإذا وجدت هـٰذه الرواية . . فلا يحل لمن له دين أن يعدل عنها إلىٰ محض فرض لا يستند إلىٰ فصيح اللغة .

وقد وجدنا بحمد الله في السنة النبوية من طريق الروايات المعتبرة ما فيه التصريح بالمستثنىٰ منه ؛ فمنه : ما أخرجه الإمام أحمد من طريق شهر بن حوشب قال : سمعت أبا سعيد وذكرت عنده الصلاة في الطور فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا يَنْبَغِي لِلْمَطِيِّ أَنْ تُشَدَّ رِحَالُهُ إِلَىٰ مَسْجِدٍ يُبْتَغَىٰ فِيهِ ٱلصَّلَاةُ غَيْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ، وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَىٰ ، وَمَسْجِدِي هَـٰذَا »(١) .

قال الحافظ ابن حجر : (وشَهْرٌ : حسن الحديث وإن كان فيه بعض ضعف)(٢) .

ومنه ما جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَنَا خَاتَمُ ٱلْأَنْبِيَاءِ ، وَمَسْجِدِي خَاتَمُ مَسَاجِدِ ٱلْأَنْبِيَاءِ ، أَحَقُّ ٱلْمَسَاجِدِ أَنْ يُزَارَ وَتُشَدَّ إِلَيْهِ ٱلرَّوَاحِلُ : ٱلْمَسْجِدُ ٱلْحَرَامُ وَمَسْجِدِي ؛ صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ ٱلْمَسَاجِدِ إِلَّا ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ »(٣) .

---

(١) مسند أحمد (٣/٦٤) .

(٢) فتح الباري (٣/٦٥) .

(٣) أورده الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٨/٤١٩ ـ ٤٢٠) وعزاه للبزار ، وفيه موسى بن عبيدة ، وهو ضعيف . انتهىٰ .

فكلامه صلى الله عليه وسلم في المساجد ليبين للأمة أن ما عدا هٰذه المساجد الثلاثة متساوٍ في الفضل ، فلا فائدة في التعب بالسفر إلىٰ غيرها ؛ أما هي . . فلها مزيد فضل ، ولا دخل للمقابر في هٰذا الحديث ، فإقحامها في هٰذا الحديث يعتبر ضرباً من الكذب علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هٰذا مع أن الزيارة مطلوبة ، بل وكثير من العلماء يذكرونها في كتب المناسك علىٰ أنها من المستحبات ، ويؤيد هٰذا أحاديث كثيرة ، نذكر جملة منها :

عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ زَارَ قَبْرِي . . وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي »[(١)] .

عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ جَاءَنِي زَائِراً لَا يُعْمِلُهُ حَاجَةٌ إِلَّا زِيَارَتِي . . كَانَ حَقّاً عَلَيَّ أَنْ أَكُونَ لَهُ شَفِيعاً يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ »[(٢)] .

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ حَجَّ فَزَار قَبْرِي فِي مَمَاتِي . . كَانَ كَمَنْ زَارَنِي فِي حَيَاتِي »[(٣)] .

---

(١) قال الهيثمي في « المجمع » (٤٠٩/٨) : (رواه البزار وفيه عبد الله بن إبراهيم الغفاري وهو ضعيف) انتهىٰ ، ونقله الشيخ ابن تيمية في « الفتاوىٰ » (١٢١/٢٧) وقال : (إنه ضعيف) انتهىٰ ، ولم يحكم بوضعه أو كذبه في هٰذا الموضع ؛ فإن ثبت غير هٰذا عنه في موضع آخر . . فمعناه أنه متردد في الحكم عليه ، أو أنه اختلف رأيه فيه ولم نعلم المتقدم من المتأخر فلا يوثق بواحدة حينئذٍ .

(٢) أخرجه الطبراني في « الكبير » (٢٩١/١٢) ، و« الأوسط » (٤٥٤٣) ، وقال الهيثمي في « المجمع » (٤١٠/٨) : (وفيه مسلمة بن سالم وهو ضعيف) انتهىٰ ، وقال الحافظ العراقي في « المغني عن حمل الأسفار » (٢٠٨/١) : (صححه ابن السكن) انتهىٰ .

(٣) أخرجه الطبراني في « الكبير » (٤٠٦/١٢) ، و« الأوسط » (٣٤٠٠) ، وقال الهيثمي ←

عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ زَارَ قَبْرِي بَعْدَ مَوْتِي . . كَانَ كَمَنْ زَارَنِي فِي حَيَاتِي »[1] .

والحاصل : أن أحاديث الزيارة لها طرق كثيرة يقوّي بعضها بعضاً ؛ كما نقله المناوي عن الحافظ الذهبي في « فيض القدير »[2] خصوصاً وأن بعض العلماء صححها أو نقل تصحيحها ؛ كالسبكي وابن السكن والعراقي ، والقاضي عياض في « الشفا » ، والملا علي القاري شارحه ، والخفاجي كذلك في « نسيم الرياض »[3] ، وكلهم من حفاظ الحديث وأئمته المعتمدين ، ويكفي أن الأئمة الأربعة رضي الله عنهم وغيرهم من فحول العلماء وأركان الدين قالوا بمشروعية زيارة النبي صلى الله عليه وسلم ؛ كما نقله عنهم أصحابهم في كتب فقههم المعتمدة ، وهٰذا كاف منهم في تصحيح أحاديث الزيارة وقبولها ؛ لأن الحديث الضعيف يتأيد بالعمل والفتوىٰ ؛ كما هو معروف من قواعد الأصوليين والمحدِّثين .



في « المجمع » (٤١١/٨) : (وفيه حفص بن أبي داوود القارئ ، وثقه أحمد ، وضعفه جماعة من الأئمة) انتهىٰ .

(١) أخرجه الطبراني في « الكبير » (٤٠٦/١٢) ، و« الأوسط » (٢٨٩) ، وقال الهيثمي في « المجمع » (٤١١/٨) : (وفيه عائشة بنت يونس ، ولم أجد من ترجمها) انتهىٰ .

(٢) فيض القدير (١٤٠/٦) .

(٣) نسيم الرياض (٩٨/٥) .

للشيخ ابن تيمية رأي نفيس جاء ضمن كلامه عن الزيارة ، فبعد أن تكلم عن بدعية شدِّ الرحل للقبر النبوي المحمدي وحده دون المسجد رجع فقال : (وهٰذا المعترض وأمثاله جعلوا السفر إلىٰ قبور الأنبياء نوعاً من القربة ، ثم لما رأوا ما ذكره العلماء من استحباب زيارة قبر نبينا . . ظنوا أن سائر القبور يسافر إليها كما يسافر إليه ، فضلوا من وجوه :

أحدها : أن السفر إليه إنما هو سفر إلىٰ مسجده ؛ وهو مستحب بالنصِّ والإجماع .

الثاني : أن هٰذا السفر هو للمسجد في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وبعد دفنه ، وقبل دخول الحجرة ، وبعد دخول الحجرة فيه ؛ فهو سفر إلى المسجد ، سواء كان القبر هناك أو لم يكن ، فلا يجوز أن يشبه به السفر إلىٰ قبر مجرد .

ثم قال : **السادس** : أن السفر إلىٰ مسجده ـ الذي يسمى السفر لزيارة قبره ـ هو ما أجمع عليه المسلمون جيلاً بعد جيل ، وأما السفر إلىٰ سائر القبور . . فلا يعرف عن أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان بل ولا عن أتباع التابعين .

ثم قال : والمقصود أن المسلمين ما زالوا يسافرون إلىٰ مسجده ، ولا يسافرون إلىٰ قبور الأنبياء ؛ كقبر موسىٰ وقبر الخليل عليهما

السلام ، ولم يعرف عن أحد من الصحابة أنه سافر إلىٰ قبر الخليل مع كثرة مجيئهم إلى الشام وبيت المقدس ، فكيف يجعل السفر إلىٰ مسجد الرسول الذي يسميه بعض الناس زيارة لقبره مثل السفر إلىٰ قبور الأنبياء ؟!)[1] .

فيستفاد من كلام الشيخ ابن تيمية فائدة مهمة جداً : وهي أنه لا يتصور أبداً أن يشدَّ الزائر رحله قاصداً زيارة القبر وحده ، ثم لا يدخل إلى المسجد ويصلي فيه ؛ ليستفيد من بركاته ومضاعفة صلاته ، وروضة الجنة التي فيه ! ويقابله أنه لا يعقل أبداً أن يشدَّ الزائر رحله قاصداً زيارة المسجد وحده ثم لا يتوجه إلى الزيارة ولا يقف بالقبر الشريف ؛ للسلام على النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه رضي الله عنهما !

ولذٰلك ترى الشيخ يشير في عبارته إلىٰ هٰذا المعنىٰ بقوله مثلاً : (فكيف يجعل السفر إلىٰ مسجد الرسول الذي يسميه بعض الناس زيارة لقبره مثل السفر إلىٰ قبور الأنبياء ؟!) .

وبقوله : (إن السفر إليه إنما هو سفر إلىٰ مسجده) .

وبقوله : (إن السفر إلىٰ مسجده الذي يسمى السفر لزيارة قبره هو ما أجمع عليه المسلمون) .

فهٰذا الرأي الجيد النفيس يحلُّ مشكلة كبرىٰ فرَّقت بيننا معشر المسلمين ، وبسببها كفَّر بعضنا بعضاً وأخرجه عن دائرة الإسلام ، ولو سلك من ادَّعىٰ أنه متبع للسلف مسلك ابن تيمية إمام السلف في

---

(١) مجموعة الفتاوىٰ (٢٧/١٤٤ ـ ١٤٥) .

عصره ، والتمس للناس العذر في مقاصدهم وحسن الظن بهم . . لسلم جمع غفير من دخول النار ، وفازوا بالجنة دار القرار .

وهٰذا هو الحق الذي ندين الله به ونعتقده بكل صدق ، سواء صرَّحنا به أو لم نصرِّح ، فلو قال الواحد منا : أنا مسافر لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم أو قبره . . فهو قاصد في الجملة مسجده الشريف ، ولو قال : أنا مسافر لزيارة المسجد . . فهو قاصد في الجملة القبر ، غاية ما في الأمر : أنه فاته التصريح بكل ما يقصده وينويه ؛ للارتباط الوثيق بين المسجد والقبر الذي هو في الحقيقة عبارة عن قصد النبي ذاته صلى الله عليه وسلم ؛ لأن المسافر لزيارة القبر إنما هو مسافر في الحقيقة إلى النبي نفسه صلى الله عليه وسلم .

أما القبر حقيقة . . فلا يقصده ولا يتوجه إليه مسافر ، ونحن إنما نتوجه إليه صلى الله عليه وسلم ونشدُّ رحالنا لزيارته هو ونتقرب إلى الله بتلك الزيارة ، ولذٰلك فالواجب على المسلمين الزائرين أن يصححوا ألفاظهم ابتعاداً عن الشبهة ، ويقولوا : نحن نزور رسول الله ونشدُّ الرحل إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن هنا قال مالك : (أكره للرجل أن يقول : زرت قبر الرسول صلى الله عليه وسلم)[1] .

وفسره العلماء من أئمة المالكية : بأن ذٰلك من الأدب في التعبير اللفظي ، ولو كان المسافر لزيارة القبر لا يقصد إلا زيارة القبر فقط . . لما رأيت هٰذا الازدحام الشديد على الروضة الشريفة ، ولما رأيت

(١) انظر « المدونة » (١/٢/١٣٠) ، و« الشفا » (ص ٥٨٤) .

الناس يتسابقون ويتدافعون عند فتح أبواب المسجد النبوي حتىٰ ليكاد يقتل بعضهم بعضاً ، وهٰؤلاء الذين يحرصون على الصلاة في المسجد والمسابقة إلى الروضة هم الذين جاؤوا لزيارة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وشدُّوا رحلهم إليه صلى الله عليه وسلم .



تحقيقٌ مفيد

تحقيق العلامة الشيخ عطية محمد سالم صاحب « تكملة أضواء البيان »

وقد ذكر هٰذه المسألة العلامة الشيخ عطية محمد سالم القاضي بالمدينة المنورة في كتابه الذي تمَّم به التفسير المشهور المسمىٰ بـ « أضواء البيان » للعلامة المفسر الشيخ محمد الأمين الشنقيطي فقال : (وأعتقد أن هٰذه المسألة لولا نزاع معاصري شيخ الإسلام معه في غيرها . . لما كان لها محل ولا مجال .

ولٰكنهم وجدوها حساسة ولها مساس بالعاطفة ومحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأثاروها وحكموا عليه بالالتزام ؛ أي : بلازم كلامه حينما قال : « لا يكون شدُّ الرحال لمجرد الزيارة ، بل تكون للمسجد من أجل الزيارة عملاً بنصِّ الحديث » فتقوَّلوا عليه ما لم يقله صراحة ، ولو حمل كلامه على النفي بدلاً من النهي . . لكان موافقاً ؛ أي : لا يتأتىٰ ذٰلك ؛ لأنه رحمه الله لم يمنع زيارته صلى الله عليه وسلم ولا السلام عليه ، بل يجعلها من الفضائل والقربات ، وإنما يلتزم بنصِّ الحديث في جعل شدِّ الرحال إلى المسجد ولكل شيء ، ومنه السلام علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صرح بذٰلك في كتبه) انتهىٰ[1] .

---

(١) تتمة أضواء البيان (٨/٥٨٥ ـ ٥٨٦) .

ثم نقل من نصوص كلام ابن تيمية ما نقلناه عنه ثم قال : (فدلَّ كلامه رحمه الله : أن زيارة القبر والصلاة في المسجد مرتبطان ، ومن ادَّعى انفكاكهما عملياً . . فقد خالف الواقع ، وإذا ثبتت الرابطة بينهما . . انتفى الخلاف وزال موجب النزاع والحمد لله رب العالمين ، وصرح ـ أي : ابن تيمية ـ في موضع آخر (ص ٣٤٦) في قصر الصلاة في السفر لزيارة قبور الصالحين عن أصحاب أحمد أربعة أقوال : **الثالث منها** : تقصر إلىٰ قبر نبينا عليه الصلاة والسلام .

ثم قال الشيخ عطية : وهٰذا غاية في التصريح منه رحمه الله أنه لا انفكاك من حيث الواقع بين الزيارة والصلاة في المسجد عند عامة العلماء .

ثم قال ـ أي : ابن تيمية ـ في حق الجاهل : وأما من لم يعرف هٰذا . . فقد لا يقصد إلا السفر إلى القبر ، ثم إنه لا بدَّ أن يصلي في مسجده فيثاب علىٰ ذٰلك ، وما فعله وهو منهي عنه ولم يعلم أنه منهي عنه . . لا يعاقب ، فيحصل له أجر ولا يكون عليه وزر)[1] .

وبه يظهر لك : أن قاصد القبر علىٰ كل حال ليس بمحروم من الأجر والثواب ، فهل يقال في حقه : إنه مبتدع أو ضال أو مشرك ؟! سبحانك هٰذا بهتان عظيم !!



(١) تتمة أضواء البيان (٨/٥٨٩ ـ ٥٩١) .

عن حسن بن حسن بن علي : أنه رأىٰ رجلاً وقف على البيت الذي فيه قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو له ويصلي عليه ، فقال للرجل : لا تفعل ؛ فإنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لَا تَتَّخِذُوا بَيْتِي عِيداً ، وَلَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُوراً ، وَصَلُّوا عَلَيَّ حَيْثُمَا كُنْتُمْ ؛ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي »[1] .

هـٰذا مرسل ، وما استدل حَسنٌ في فتواه بطائل من الدلالة ؛ فمن وقف عند الحجرة المقدسة ذليلاً مسلِّماً مصلياً علىٰ نبيه ، فيا طوبىٰ له . . فقد أحسن الزيارة ، وأجمل في التذلل والحبِّ ، وقد أتىٰ بعبادة زائدة علىٰ من صلىٰ عليه في أرضه أو في صلاته ؛ إذ الزائر له أجر الزيارة وأجر الصلاة عليه ، والمُصَلِّي عليه في سائر البلاد له أجر الصلاة فقط ؛ فمن صلَّىٰ عليه واحدة . . صلى الله عليه عشراً ، ولـٰكن من زاره صلوات الله وسلامه عليه وأساء أدب الزيارة ، أو سجد للقبر ، أو فعل ما لا يشرع . . فهـٰذا فعل حسناً وسيئاً ، فيُعَلَّم برفق والله غفور رحيم .

فوالله ؛ ما يحصل الانزعاج لمسلم والصياح وتقبيل الجدران وكثرة البكاء إلَّا وهو محبٌّ لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، فحبه المعيار

(١) أخرجه أبو يعلىٰ في « مسنده » (٦٧٦١) ، وعبد الرزاق في « المصنف » (٤٨٣٩) عن الحسن بن علي رضي الله عنهما .

والفارق بين أهل الجنة وأهل النار ، فزيارة قبره من أفضل القرب ، وشد الرحال إلىٰ قبور الأنبياء والأولياء لئن سلَّمنا أنه غير مأذون فيه لعموم قوله صلوات الله عليه : « لَا تُشَدُّ ٱلرِّحَالُ إِلَّا إِلَىٰ ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ »(١) ، فشد الرحال إلىٰ نبينا صلى الله عليه وسلم مستلزم لشد الرحل إلىٰ مسجده وذٰلك مشروع بلا نزاع ؛ إذ لا وصول إلىٰ حجرته إلا بعد الدخول إلىٰ مسجده ، فليبدأ بتحية المسجد ثم بتحية صاحب المسجد ، رزقنا الله وإياكم ذٰلك آمين(٢) .



(١) تقدم تخريجه (ص ٤١٢) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٤/٤٨٣) .

الإمام مالك والزيارة

الإمام مالك هو من أشد الناس تعظيماً للجناب النبوي وهو الذي كان لا يمشي في المدينة المنورة منتعلاً ولا راكباً ، ولا يقضي فيها حاجته ؛ احتراماً وتعظيماً وتكريماً لتراب المدينة الذي مشىٰ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وها هو يخاطب أمير المؤمنين المهدي لما جاء إلى المدينة في هٰذا الموضوع ويقول له : (إنك تدخل الآن المدينة فتمر بقوم عن يمينك ويسارك ؛ وهم أولاد المهاجرين والأنصار فسلم عليهم ؛ فإنه ما علىٰ وجه الأرض قوم خير من أهل المدينة ، ولا خير من المدينة ، فقال له : ومن أين قلت ذٰلك يا أبا عبد الله ؟ قال : لأنه لا يعرف قبر نبي اليوم علىٰ وجه الأرض غير قبر محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن قبر محمد عندهم . . فينبغي أن يعلم فضلهم)(١) .

ومن شدة تعظيمه للمدينة أنه كره أن يقال : زرنا قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وكأنه أراد أن يقول القائل : زرنا النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة دون لفظ القبر ؛ لأن القبر مهجور بدليل قوله صلى الله عليه وسلم : « صَلُّوا فِي بُيُوتِكُمْ وَلَا تَتَّخِذُوهَا قُبُوراً »(٢) .

---

(١) أورده القاضي عياض في « ترتيب المدارك » (١٠٢/١) .

(٢) أخرجه البخاري (١١٨٧) ، ومسلم (٢٠٩/٧٧٧) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

قال الحافظ ابن حجر : (إنه إنما كره اللفظ أدباً لا أصل الزيارة ؛ فإنها من أفضل الأعمال وأجلِّ القربات الموصلة إلىٰ ذي الجلال ، وإن مشروعيتها محل إجماع بلا نزاع)(١) .

قال القاضي عياض في « الشفا » . . (قال أبو عمران : إنما كره مالك أن يقال : طواف الزيارة ، وزرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم ؛ لاستعمال الناس ذٰلك بينهم بعضهم لبعض ، فكره تسوية النبي صلى الله عليه وسلم مع الناس ـ أي : عمومهم ـ بهٰذا اللفظ ، وأحب أن يُخصَّ بأن يقال : سلَّمنا على النبي صلى الله عليه وسلم ، وأيضاً فإن الزيارة مباحة بين الناس ، وواجب شدُّ الرحال إلىٰ قبره صلى الله عليه وسلم ؛ يريد بالوجوب هنا وجوب ندب وترغيب وتأكيد لا وجوب فرض . انتهىٰ ، والأولىٰ عندي : أن منعه وكراهة مالك له ؛ لإضافته إلىٰ قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنه لو قال : زرنا النبي صلى الله عليه وسلم . . لم يكرهه ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : « ٱللَّهُمَّ ؛ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَناً يُعْبَدُ بَعْدِي ؛ ٱشْتَدَّ غَضَبُ ٱللهِ عَلَىٰ قَوْمٍ ٱتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ »(٢) ، فحمىٰ إضافة هٰذا اللفظ إلى القبر ، والتشبه بفعل أولٰئك ؛ قطعاً للذريعة وحسماً للباب)(٣) .

قلت : ولو كان المقصود كراهية الزيارة . . لقال مالك : أكره للرجل أن يزور قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، لٰكن ظاهر قوله : (أكره للرجل

---

(١) فتح الباري (٣/٦٦) .
(٢) أخرجه مالك في « الموطأ » (١/١٧٢) عن عطاء بن يسار رحمه الله تعالىٰ مرسلاً .
(٣) الشفا (ص ٥٨٤ ـ ٥٨٥) .

أن يقول : . . .) إلخ : يدل علىٰ أن المقصود هو كراهة التعبير بهٰذا اللفظ فقط .



استحباب زيارة النبيّ صلى الله عليه وسلم عند الحنابلة وغيرهم

زيارة النبي صلى الله عليه وسلم مشروعة ، وقد ذكرها كثير من علماء الأمة وأئمة السلف ، وتخصيص الحنابلة بالذكر المقصود منه ردُّ فرية من زعم أن أئمة الحنابلة لا يقولون بذٰلك ، فاقتضى الأمر تخصيصهم بالذكر لردِّ هٰذه الفرية ، وإلا . . فإن كتب فقه المذاهب الإسلامية جميعها مشحونة ومملوءة بهٰذه المسألة ، فانظر إن شئت كتب الفقه الحنفي ، وانظر إن شئت كتب الفقه المالكي ، وكتب الفقه الشافعي والحنبلي ، وكتب الفقه الزيدي والإباضي والجعفري ، فإنك تجدهم قد عقدوا باباً مخصوصاً في الزيارة بعد أبواب المناسك .



كلام أئمة السلف في مشروعية زيارة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشد الرحل إلى قبره

القاضي عياض

نذكر هنا كلام القاضي عياض في مشروعية الزيارة النبوية عند السلف ، في شرحه للحديث الذي رواه مسلم عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ ٱلْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيباً وَسَيَعُودُ غَرِيباً كَمَا بَدَأَ ، وَهُوَ يَأْرِزُ بَيْنَ ٱلْمَسْجِدَيْنِ كَمَا تَأْرِزُ ٱلْحَيَّةُ إِلَىٰ جُحْرِهَا »(١) ، وفي رواية أبي هريرة : « لَيَأْرِزُ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ . . . » الحديث(٢) .

قال القاضي عياض : (وقوله صلى الله عليه وسلم : « ليأرز إلى المدينة » معناه : أن الإيمان أولاً وآخراً بهٰذه الصفة ؛ لأنه في أول الإسلام كان كل من خلص إيمانه وصح إسلامه . . أتى المدينة ؛ إما مهاجراً مستوطناً ، وإما متشوقاً إلىٰ رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم ومتعلماً منه ومتقرباً ، ثم بعده هٰكذا في زمن الخلفاء كذٰلك ، ولأخذ سيرة العدل منهم ، والاقتداء بجمهور الصحابة رضوان الله عليهم فيها ، ثم من بعدهم من العلماء الذين كانوا سرج الوقت وأئمة الهدىٰ ؛ لأخذ السنن المنتشرة بها عنهم ، فكان كل ثابت الإيمان منشرح الصدر به يرحل إليها ، ثم بعد ذٰلك في كل وقت وإلىٰ زماننا هٰذا لزيارة قبر النبي

---

(١) صحيح مسلم (١٤٦) .

(٢) أخرجها البخاري (١٨٧٦) ، ومسلم (١٤٧) .

صلى الله عليه وسلم والتبرُّك بمشاهده وآثاره وآثار أصحابه الكرام ، فلا يأتيها إلا مؤمن) .

هـٰذا كلام القاضي عياض ، والله أعلم بالصواب . انتهىٰ[1] .

الإمام النووي

عقد الإمام الحافظ شرف الدين النووي صاحب « شرح صحيح مسلم » في كتابه المعروف في المناسك المسمىٰ : بـ « الإِيضاح » فصلاً خاصاً عن الزيارة النبوية ، قال فيه : (إذا انصرف الحجاج والمعتمرون من مكة . . فليتوجهوا إلىٰ مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيارة تربته صلى الله عليه وسلم ؛ فإنها من أهم القربات وأنجح المساعي)[2] .

الإمام ابن حجر الهيتمي

قال الحافظ ابن حجر الهيتمي في « حاشيته على الإيضاح » للنووي معلقاً علىٰ قوله : (وقد روى البزار والدارقطني بإسنادهما عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ زَارَ قَبْرِي . . وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي »[3] .

قال : رواه أيضاً ابن خزيمة في « صحيحه » وصححه جماعة ؛ كعبد الحق والتقي السبكي ، ولا ينافي ذٰلك قول الذهبي : « طرقه كلها لينة ، يقوي بعضها بعضاً » .

---

(١) إكمال المعلم (١/٤٥٧) ، وانظر « شرح صحيح مسلم » للنووي (٢/١٧٧) .
(٢) الإيضاح (ص ٤٤٧) .
(٣) تقدم تخريجه (ص ٤١٥) .

ورواه الدارقطني أيضاً والطبراني وابن السبكي وصححه بلفظ : « مَنْ جَاءَنِي زَائِراً لَا تُعْمِلُهُ حَاجَةٌ إِلَّا زِيَارَتِي . . كَانَ حَقّاً عَلَيَّ أَنْ أَكُونَ لَهُ شَفِيعاً يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ »(١) .

وفي رواية : « . . كَانَ لَهُ حَقّاً عَلَى ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ أَكُونَ لَهُ شَفِيعاً يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ »(٢) .

والمراد بقوله صلى الله عليه وسلم : « لَا تَحْمِلُهُ حَاجَةٌ إِلَّا زِيَارَتِي » ، اجتناب قصد ما لا تعلق له بالزيارة ؛ أما ما يتعلق بها من نحو قصد الاعتكاف في المسجد النبوي ، وكثرة العبادة فيه ، وزيارة الصحابة وغير ذٰلك مما يندب للزائر فعله . . فلا يضر قصده في حصول الشفاعة له ؛ فقد قال أصحابنا وغيرهم : يسنُّ أن ينوي مع التقرب بالزيارة التقرب بشد الرحل للمسجد النبوي والصلاة فيه كما ذكره المصنف .

ثم الحديث يشمل زيارته صلى الله عليه وسلم حياً وميتاً ، ويشمل الذكر والأنثى الآتي من قُرْبٍ أو بعد ، فيستدل به علىٰ فضيلة شدِّ الرحال لذٰلك ، وندب السفر للزيارة ؛ إذ للوسائل حكم المقاصد ، وقد أخرج أبو داوود بسند صحيح : « مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ . . إِلَّا رَدَّ ٱللهُ عَلَيَّ رُوحِي ، حَتَّىٰ أَرُدَّ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامَ »(٣) .

فتأمل هٰذه الفضيلة العظيمة ؛ وهي ردُّه صلى الله عليه وسلم على المسلم عليه ؛ إذ هو صلى الله عليه وسلم حي في قبره كسائر الأنبياء ؛

---

(١) شفاء السقام (ص ١٠٧) ، وتقدم تخريجه (ص ٤١٥) .
(٢) أخرجها ابن المقرئ في « معجمه » (١٦٩) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .
(٣) تقدم تخريجه (ص ١٢٤) .

لما ورد مرفوعاً : « ٱلْأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ » ، ومعنىٰ ردِّ روحه الشريفة : ردُّ القوة النطقية في ذٰلك الحين للردِّ عليه) انتهىٰ[١] .

الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني

قال ابن حجر في « شرحه على البخاري » عند قوله : « لَا تُشَدُّ ٱلرِّحَالُ إِلَّا إِلَىٰ ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ » : (قوله : « إلا إلىٰ ثلاثة مساجد » المستثنىٰ منه محذوف ؛ فإما أن يقدر عاماً فيصير : لا تشد الرحال إلىٰ مكان في أي أمر كان إلا إلى الثلاثة ، أو أخص من ذٰلك ، لا سبيل إلى الأول لإفضائه إلىٰ سد باب السفر ؛ للتجارة وصلة الرحم وطلب العلم وغيرها ، فتعين الثاني ، والأولىٰ أن يقدر ما هو أكثر مناسبة وهو : لا تشد الرحال إلىٰ مسجد للصلاة فيه إلا إلى الثلاثة ، فيبطل بذٰلك قول من منع شد الرحال إلىٰ زيارة القبر الشريف وغيره من قبور الصالحين ، والله أعلم .

وقال السبكي الكبير : « وقد التبس ذٰلك علىٰ بعضهم فزعم أن شد الرحال إلى الزيارة لمن في غير الثلاثة داخل في المنع ، وهو خطأ ؛ لأن الاستثناء إنما يكون من جنس المستثنىٰ منه ، فمعنى الحديث : لا تشد الرحال إلىٰ مسجد من المساجد أو إلىٰ مكان من الأمكنة لأجل ذٰلك المكان إلا إلى الثلاثة المذكورة ، وشد الرحال إلىٰ زيارة أو طلب علم ليس إلى المكان ، بل إلىٰ من في ذٰلك المكان ، والله أعلم ») انتهىٰ[٢] .

---

(١) حاشية العلامة ابن حجر الهيتمي علىٰ شرح الإيضاح (ص ٤٨١) .

(٢) فتح الباري (٣/٦٦) .

الإمام الشيخ الكرماني شارح « البخاري »

قال الشيخ الكرماني في « شرحه على البخاري » عند قوله : « إلا إلىٰ ثلاثة مساجد » : (والاستثناء مفرغ ، فإن قلت : فتقدير الكلام : لا تشد الرحال إلىٰ موضع أو مكان . . فيلزم ألا يجوز السفر إلىٰ مكان غير المستثنىٰ ، حتىٰ لا يجوز السفر لزيارة إبراهيم الخليل عليه السلام ونحوه ؛ لأن المستثنىٰ منه في المفرغ لا بد أن يقدر أعم العام .

قلت : المراد بأعم العام : ما يناسب المستثنىٰ نوعاً ووصفاً كما إذا قلت : ما رأيت إلا زيداً . . كان تقديره : ما رأيت رجلاً أو أحداً إلا زيداً ، لا ما رأيت شيئاً أو حيواناً إلا زيداً ، فهٰهنا تقديره : لا تشد إلىٰ مسجد إلا إلىٰ ثلاثة ، وقد وقع في هٰذه المسألة في عصرنا مناظرات كثيرة في البلاد الشامية ، وصنف فيها رسائل من الطرفين لسنا الآن لبيانها) انتهىٰ[1] .

الشيخ الإمام بدر الدين العيني

قال الشيخ العيني في « شرح البخاري » : (وحكى الرافعي عن القاضي ابن كج أنه قال : « إذا نذر أن يزور قبر النبي صلى الله عليه وسلم . . فعندي أنه يلزمه الوفاء وجهاً واحداً ، قال : ولو نذر أن يزور قبر غيره . . ففيه وجهان عندي »[2] ، وقال القاضي عياض ، وأبو محمد الجويني من الشافعية : « إنه يحرم شدُّ الرحال إلىٰ غير المساجد الثلاثة لمقتضى

---

(١) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (١٢/٧ ـ ١٣) .

(٢) العزيز شرح الوجيز (٣٩٥/١٢) .

النهي »[١] ، وقال النووي : « وهو غلط ، والصحيح عند أصحابنا ؛ وهو الذي اختاره إمام الحرمين والمحققون . . أنه لا يحرم ولا يكره »[٢] ، وقال الخطابي : « **لا تشدُّ** لفظه خبر ، ومعناه الإيجاب فيما نذره الإنسان من الصلاة في البقاع التي يتبرك بها ؛ أي : لا يلزم الوفاء بشيء من ذٰلك حتىٰ يشد الرحل له ويقطع المسافة إليه غير هٰذه الثلاثة التي هي مساجد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ؛ فأما إذا نذر الصلاة في غيرها من البقاع . . فإن له الخيار في أن يأتيها أو يصليها في موضعه ولا يرحل إليها » .

وقال شيخنا زين الدين : « من أحسن محامل هٰذا الحديث : أن المراد منه حكم المساجد فقط ، وأنه لا يشدُّ الرحل إلىٰ مسجد من المساجد غير هٰذه الثلاثة ؛ فأما قصد غير المساجد من الرحلة في طلب العلم وفي التجارة والتنزه وزيارة الصالحين والمشاهد وزيارة الإخوان ونحو ذٰلك . . فليس داخلاً في النهي » وقد ورد ذٰلك مصرحاً به في بعض طرق الحديث في « مسند أحمد » : حدَّثنا هاشم ، حدَّثنا عبد الحميد ، حدَّثني شهر ، سمعت أبا سعيد الخدري رضي الله عنه ، وذكر عنده صلاة في الطور ، فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا يَنْبَغِي لِلْمُطِيِّ أَنْ يَشُدَّ رِحَالَهُ إِلَىٰ مَسْجِدٍ يَبْتَغِي فِيهِ ٱلصَّلَاةَ غَيْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَىٰ وَمَسْجِدِي هَـٰذَا » ، وإسناده حسن ، وشهر بن حوشب وثقه جماعة من الأئمة) انتهىٰ[٣] .

---

(١) نهاية المطلب (١٨/٤٣٠) ، إكمال المعلم (٤/٤٤٩ ، ٥١٦) .

(٢) شرح صحيح مسلم (٩/١٦٨) .

(٣) عمدة القاري (٧/٢٥٤) ، مسند أحمد (٣/٦٤) .

الشيخ أبو محمد ابن قدامة إمام الحنابلة صاحب كتاب « المغني »

قال الشيخ أبو محمد موفق الدين عبد الله ابن قدامة : (ويستحب زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم لما روى الدارقطني بإسناده عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ حَجَّ فَزَارَ قَبْرِي بَعْدَ وَفَاتِي . . فَكَأَنَّمَا زَارَنِي فِي حَيَاتِي »(١) .

وفي رواية : « مَنْ زَارَ قَبْرِي . . وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي »(٢) .

رواه باللفظ الأول سعيد : حدَّثنا حفص بن سليمان ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن ابن عمر ، وقال أحمد في رواية عبد الله : عن يزيد بن قسيط ، عن أبي هريرة : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ عِنْدَ قَبْرِي . . إِلَّا رَدَّ ٱللهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّىٰ أَرُدَّ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامَ »(٣) .

وإذا حج الذي لم يحج قط ـ يعني : من غير طريق الشام ـ . . لا يأخذ علىٰ طريق المدينة ؛ لأني أخاف أن يحدث به حدث ، فينبغي أن يقصد مكة من أقصر الطرق ولا يتشاغل بغيره ، ويروىٰ عن العتبي قال : كنت جالساً عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فجاء أعرابي فقال : السلام عليك يا رسول الله ؛ سمعت الله يقول : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾(٤) ، وقد جئتك مستغفراً لذنبي مستشفعاً بك إلىٰ ربي ، ثم أنشأ يقول :

---

(١) سنن الدارقطني (٢٧٨/٢) .

(٢) أخرجها الدارقطني (٢٧٨/٢) ، والبيهقي في « الشعب » (٣٨٦٢) .

(٣) تقدم تخريجه (ص ١٢٤) .

(٤) سورة النساء ، الآية (٦٤) .

يا خير من دفنت بالقاع أعظُمه فطاب من طيبهنَّ القاع والأكمُ

نفسي الفداء لقبرٍ أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرمُ

ثم انصرف الأعرابي ، فحملتني عيني فنمت فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال : « يَا عُتْبِيُّ ؛ اَلْحَقِ ٱلْأَعْرَابِيَّ فَبَشِّرْهُ أَنَّ ٱللهَ قَدْ غَفَرَ لَهُ ») انتهىٰ[1] .

الشيخ أبو الفرج ابن قدامة إمام الحنابلة وصاحب « الشرح الكبير »

قال الشيخ شمس الدين أبو الفرج عبد الرحمٰن ابن قدامة الحنبلي في كتابه « الشرح الكبير » : (**مسألة** : فإذا فرغ من الحج . . استحب زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقبر صاحبيه رضي الله عنهما)[2] .

ثم ذكر الشيخ ابن قدامة صيغة تقال عند السلام على النبي صلى الله عليه وسلم ، وفيها أن يقول : (اللهم ؛ إنك قلت وقولك الحق : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾[3] ، وقد أتيتك مستغفراً من ذنوبي مستشفعاً بك إلىٰ ربي ؛ فأسألك يا رب أن توجب لي المغفرة كما أوجبتها لمن أتاه في حياته ، اللهم ؛ اجعله أول الشافعين وأنجح السائلين ، وأكرم الأولين والآخرين برحمتك يا أرحم الراحمين)[4] .

---

(١) المغني (٥/٤٦٥ ـ ٤٦٦) ، والبيتان من البسيط .

(٢) الشرح الكبير (٩/٢٧٤) .

(٣) سورة النساء ، الآية (٦٤) .

(٤) المغني (٥/٤٦٧) .

ثم قال : (ولا يستحب التمسح بحائط قبر النبي صلى الله عليه وسلم ولا تقبيله ، قال أحمد رحمه الله : « ما أعرف هٰذا » قال الأثرم : « رأيت أهل العلم من أهل المدينة لا يمسون قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، يقومون من ناحية فيسلمون » ، قال أبو عبد الله : « وهٰكذا كان ابن عمر رضي الله عنهما يفعل ، قال : أما المنبر . . فقد جاء فيه ما رواه إبراهيم بن عبد الله بن عبد القاري : أنه نظر إلى ابن عمر وهو يضع يده علىٰ مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر ثم يضعها علىٰ وجهه ») انتهىٰ (١) .

الشيخ منصور بن يونس البهوتي الحنبلي

قال الشيخ منصور بن يونس البهوتي في كتابه « كشاف القناع عن متن الإقناع » : (**فصل** : وإذا فرغ من الحج . . استحب له زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقبري صاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ؛ لحديث الدارقطني عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ حَجَّ فَزَارَ قَبْرِي بَعْدَ وَفَاتِي . . فَكَأَنَّمَا زَارَنِي فِي حَيَاتِي » (٢) .

وفي رواية : « مَنْ زَارَ قَبْرِي . . وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي » (٣) ، رواه باللفظ الأول سعيد .

تَنْبِيهٌ

قال ابن نصر الله : « لازم استحباب زيارة قبره صلى الله عليه وسلم

---

(١) المغني (٥/٤٦٨) .

(٢) تقدم تخريجه (ص ٣١٥) .

(٣) تقدم تخريجه (ص ٤١٥) .

استحباب شدِّ الرحال إليها ؛ لأن زيارته للحاج بعد حجه لا تمكن بدون شدِّ الرحال ، فهٰذا كالتصريح باستحباب شدِّ الرحل لزيارته صلى الله عليه وسلم ») انتهىٰ[1] .

شيخ الإسلام محمد تقي الدين الفتوحي الحنبلي

قال الشيخ الفتوحي : (وسنَّ زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقبر صاحبيه رضي الله تعالىٰ عنهما ، فيسلم عليه مستقبلاً له ، ثم يستقبل القبلة ، ويجعل الحجرة عن يساره ، ويدعو ، ويحرم الطواف بها ، ويكره التمسُّح ورفع الصوت عندها)[2] .

الشيخ مرعي بن يوسف الحنبلي

قال الشيخ مرعي بن يوسف في كتابه « دليل الطالب » : (وسنَّ زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقبر صاحبيه رضوان الله عليهما ، وتستحب الصلاة في مسجده صلى الله عليه وسلم : وهي بألف صلاة ، وفي المسجد الحرام : بمئة ألف ، وفي المسجد الأقصىٰ : بخمس مئة) انتهىٰ[3] .

الإمام شيخ الإسلام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزاباذي صاحب « القاموس »

قال في كتابه : « الصلات والبشر » : (اعلم : أن الصلاة على النبي

---

(١) كشاف القناع (٢/٣١٨) .
(٢) منتهى الإرادات مع حاشية ابن قائد (٢/١٧٠ ـ ١٧١) .
(٣) دليل الطالب (ص ٢٢٢) .

صلى الله عليه وسلم عند قبره آكد ، فيستحب إعمال المطي لإدراك الفوز بهذا الشرف العظيم والمنصب الكريم ، قال القاضي ابن كج : ـ هو القاضي يوسف بن أحمد بن كج ـ فيما حكاه الرافعي : « إذا نذر أن يزور قبر النبي صلى الله عليه وسلم . . فعندي أنه يلزمه الوفاء وجهاً واحداً ، ولو نذر أن يزور قبر غيره . . ففيه وجهان عندي »[1] ، وقد علم أنه لا يلزمه بالنذر إلا العبادات .

وممن صرح باستحبابها وكونها سنة **من أصحابنا** الرافعي في أواخر « باب أعمال الحج » ، والغزالي في « الإحياء » ، والبغوي في « التهذيب » ، والشيخ عز الدين بن عبد السلام في « مناسكه » ، وأبو عمرو ابن الصلاح ، وأبو زكريا النووي رحمهم الله تعالىٰ .

ومن الحنابلة : الشيخ موفق الدين ، والإمام أبو الفرج البغدادي وغيرهما .

ومن الحنفية : صاحب « الاختيار » في « شرح المختار » له ، عقد لها فصلاً وعدَّها من أفضل المندوبات المستحبات[2] .

وأما المالكية : فقد حكى القاضي عياض منهم الإجماع علىٰ ذٰلك ، وفي كتاب « تهذيب المطالب » لعبد الحق الصقلي عن الشيخ أبي عمران المالكي : أن زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم واجبة ، قال عبد الحق : « يعني من السنن الواجبة » ، وفي كلام العبدي المالكي في

---

(١) العزيز شرح الوجيز (١٢/٣٩٥) .

(٢) العزيز شرح الوجيز (٣/٤٤٩) ، إحياء علوم الدين (٢/٢٥٢) ، مناسك الحج لابن عبد السلام (ص ٢٩) ، الإيضاح (ص ٤٤٧) ، الاختيار (١/٢٤٧) ، المغني (٥/٤٦٥) ، مثير الغرام الساكن (ص ٤٨٦) .

« شرح الرسالة » : « أن المشي إلى المدينة لزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم أفضل من الكعبة ومن بيت المقدس » ، وأكثر عبارات الفقهاء أصحاب المذاهب تقتضي استحباب السفر للزيارة ؛ لأنهم استحبوا للحاج بعد الفراغ من الحج الزيارة ، ومن ضرورتها : السفر ، وأما نفس الزيارة . . فالأدلة عليها كثيرة ؛ منها : قوله تعالىٰ : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾[1] .

ولا شك أنه صلى الله عليه وسلم حي ، وأن أعمال أمته معروضة عليه) انتهىٰ[2] ، ثم ذكر الشيخ جملة من أحاديث الزيارة .

الإمام الشيخ محمد بن علان الصديقي الشافعي شارح « الأذكار »

قال معلقاً علىٰ قول النووي : (« فإن زيارته صلى الله عليه وسلم من أهم القربات وأربح المساعي »[3] : وكيف لا وقد وعد الزائر بوجوب شفاعته صلى الله عليه وسلم ؛ وهي لا تجب إلا لأهل الإيمان ، ففي ذٰلك التبشير بالموت على الإيمان مع ما ينضم إلىٰ ذٰلك من سماعه صلى الله عليه وسلم سلام الزائر من غير واسطة ، أخرج أبو الشيخ : « مَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ عِنْدَ قَبْرِي . . سَمِعْتُهُ ، وَمَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ بَعِيداً . . أُعْلِمْتُهُ »[4] ، قال الحافظ : « وينظر في سنده » ، وأخرج أبو داوود وغيره عن أبي هريرة

(١) سورة النساء ، الآية (٦٤) .

(٢) الصلات والبشر (ص ١٤٧ ـ ١٤٨) .

(٣) الأذكار (ص ٣٤٢) .

(٤) أورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٢١٩٨) وعزاه لأبي الشيخ عن أبي هريرة رضي الله عنه .

عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ . . إِلَّا رَدَّ ٱللهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّىٰ أَرُدَّ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامَ » .

قال الحافظ : « حديث حسن أخرجه أحمد والبيهقي وغيرهما » وأنبئت عن الشيخ السبكي في « شفاء السقام » قال : « اعتمد جماعة من الأئمة علىٰ هـٰذا الحديث في استحباب زيارة قبره صلى الله عليه وسلم وهو اعتماد صحيح ؛ لأن الزائر إذا سلم عليه . . وقع الردُّ عليه من قرب وتلك فضيلة مطلوبة » انتهىٰ (١) .

أقول : وردُّه عليه كذٰلك بنفسه ، ولو لم يكن للزائر من القرىٰ إلا هـٰذا الخطاب لكان فيه الغنىٰ ، كيف وفيه الشفاعة العظمىٰ ، ومضاعفة الصلاة في ذٰلك الحرم الأسنىٰ ، وقد أورد جملة من الأحاديث في ذٰلك التقي السبكي في « شفاء السقام » وابن حجر الهيتمي في « [الجوهر] المنظم » (٢) ، وتلميذه الفاكهي في « حسن الاستشارة في آداب الزيارة ») انتهىٰ من « الفتوحات الربانية على الأذكار النووية » (٣) .



---

(١) شفاء السقام (ص ١٦٢ ـ ١٦٣) ، سنن أبي داوود (٢٠٣٤) ، مسند أحمد (٢/٥٢٧) ، شعب الإيمان (١٤٧٩) .

(٢) في الأصل « الدر المنظم » ، ولعل الصواب ما أثبت ، والله أعلم .

(٣) الفتوحات الربانية (٥/٣١) .

ومعلوم أن المقصود بالزيارة هو الزيارة الشرعية ؛ وهي التي بينت السنة النبوية آدابها وما ينبغي أن يفعله الزائر .

قال الشيخ ابن تيمية مبيناً الفرق بين زيارة أهل التوحيد وبين زيارة أهل الشرك : (فزيارة أهل التوحيد لقبور المسلمين : تتضمن السلام عليهم والدعاء لهم ، وهي مثل الصلاة على جنائزهم ، وزيارة أهل الشرك : تتضمن أنهم يشبهون المخلوق بالخالق ؛ ينذرون له ويسجدون له ويدعونه ، ويحبونه مثل ما يحبون الخالق ، فيكونون قد جعلوه لله نداً وسوَّوه برب العالمين ، وقد نهى الله أن يشرك به الملائكة والأنبياء وغيرهم ، فقال تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ۝ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [1] ، وقال تعالى : ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [2] ، قالت طائفة من السلف : « كان أقوام يدعون الأنبياء ؛ كالمسيح وعزير ويدعون الملائكة ، فأخبرهم

---

(١) سورة آل عمران ، الآيتان (٧٩ ـ ٨٠) .

(٢) سورة الإسراء ، الآيتان (٥٦ ـ ٥٧) .

تعالىٰ : أن هـٰؤلاء عبيده يرجون رحمته ويخافون عذابه ، ويتقربون إليه بالأعمال ») انتهىٰ [1] .

قلت : وهل زيارتنا لنبينا صلى الله عليه وسلم إلا علىٰ هـٰذا المنهج ، وبهـٰذا الطريق السويِّ والصراط المستقيم ؟!

فالله يشهد وملائكته وحملة عرشه وأهل السماوات والأرض أننا في زيارتنا لسيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نعتقد إلا أنه صلى الله عليه وسلم بشر يوحىٰ إليه ، من خيار عبيد الله يرجو رحمة ربه ويخاف عذابه ويتقرب إليه بالأعمال ، بل هو أشد الناس حرصاً علىٰ ذٰلك ؛ فهو أتقانا لله وأخوفنا من الله ، وأعلمنا بالله وأعرفنا به ، لا نشبهه بالخالق ولا ننذر له ولا نسجد له ، ولا ندعوه ولا نجعله لله نداً ، ولا نسوِّيه برب العالمين ، ونحبه كما أمر أكثر من النفس والمال والولد .



(١) مجموعة الفتاوىٰ (١٨١/٢٧) .

الشيخ ابن القيم والزيارة النبوية

وقد ذكر الشيخ ابن القيم في قصيدته المعروفة بـ « النونية » كيف تكون الزيارة وما هي الآداب المطلوبة فيها ، وكيف ينبغي أن يكون شعور الزائر وهو واقف أمام المواجهة الشريفة ، وماذا ينبغي أن يحسَّ به تجاه صاحب القبر صلى الله عليه وسلم ؟ وذكر في آخر تلك الأبيات أن الزيارة بهٰذا الإحساس والشعور وبتلك الكيفية هي من أفضل الأعمال فقال [1] :

فإذا أتينا المسجد النبويَّ صلَّـ ... ـينا التحية أولاً ثنتانِ
بتمام أركانٍ لها وخشوعها ... وحضور قلبٍ فعل ذي الإحسانِ
ثم انثنينا للزيارة نقصد الـ ... ـقبر الشَّريف ولو على الأجفانِ
فنقوم دون القبر وقفةَ خاضعٍ ... متذللٍ في السرِّ والإعلانِ
فكأنه في القبر حيٌّ ناطق ... فالواقفون نواكسُ الأذقانِ
ملكتهُمُ تلك المهابةُ فاعترت ... تلك القوائم كثرةُ الرجفانِ
وتفجرت تلك العيونُ بمائها ... ولطالما غاضت على الأزمانِ
وأتى المسلمُ بالسلام بهيبةٍ ... ووقار ذي علمٍ وذي إيمانِ
لم يرفع الأصوات حول ضريحه ... كلَّا ولم يسجد على الأذقانِ
كلَّا ولم يُرَ طائفاً بالقبر أسـ ... ـبوعاً كأن القبر بيتٌ ثانِ

---

(١) نونية ابن القيم (ص ١٨١) ، والأبيات من الكامل .

ثـم انـثـنـىٰ بـدعـائـه مـتـوجّـهـاً ... لله نـحـو الـبـيـت ذي الأركـانِ
هـٰذي زيـارة مـن غـدا متـمسّكـاً ... بـشـريـعـة الإسـلام والإيـمـانِ
من أفضل الأعمال هاتيك الزّيا ... رة وهي يوم الحشر في الميزانِ

وتدبر قوله رحمه الله : (من أفضل الأعمال هاتيك الزيارة) فقد أعمى الله بصيرة بعض من القراء عن قراءتها فأنكرها .



القبر النبويّ الشريف

إن بعض الناس أصلحهم الله وهداهم إلى الصراط المستقيم ينظر إلى القبر النبوي المكرم من الزاوية القبرية فقط ، ولهٰذا فإنه لا غرابة في كل ما يقع في ذهنه من تصورات فاسدة ، ولا غرابة في كل ما يقع في قلبه من ظنون سيئة بالمسلمين والزائرين للنبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ، والقاصدين إليه والداعين عند قبره فتراه يقول : لا تشدُّ الرحال إلىٰ قبره صلى الله عليه وسلم ، ولا يجوز الدعاء عند قبره ، بل قد يصل به العنت إلىٰ أن يقول : إن الدعاء عند قبره شرك أو كفر ، وإن استقبال القبر بدعة أو ضلال ، وإن إكثار الوقوف والتردُّد على القبر شرك أو بدعة ، أو أن من قال : إن القبر أفضل البقاع وبما فيها الكعبة . . فقد أشرك أو ضل ، وهٰذا التكفير والتضليل هٰكذا بالكيل الجزاف دون تبصُّر أو تعقل . . مخالف لما عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين .

ونحن حينما نتكلم عن القبر أو عن زيارة القبر ، أو عن تفضيل القبر أو شدِّ الرحال إلى القبر ، أو دعاء الله وسؤاله أمام القبر ؛ فإن المقصود الذي لا يختلف فيه اثنان ولا ينتطح فيه عنزان إنما هو ساكن القبر وصاحبه ؛ ألا وهو سيد المرسلين والآخرين ، وأفضل مخلوقات الله أجمعين النبي الأعظم والرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ، وما هي قيمة القبر بدونه ؟ بل ما هي قيمة المسجد بدونه ؟ بل ما هي قيمة المدينة المنورة بدونه ؟ بل ما هي قيمة المسلمين كلهم بدونه ؟ فإنهم

لولاه ولولا رسالته والإيمان به ومحبته والإقرار بالشهادة التي لا تصح إلا به . . ما كانوا ولا قاموا ولا فازوا ولا نجوا .

ومن هنا فإن ابن عقيل الحنبلي لما سئل عن المفاضلة بين الحجرة والكعبة . . قال : (إن أردت مجرَّد الحجرة . . فالكعبة أفضل ، وإن أردت وهو صلى الله عليه وسلم فيها . . فلا والله لا العرش وحملته ولا جنة عدن ولا الأفلاك الدائرة ؛ لأن بالحجرة جسداً لو وزن بالكونين . . لرجح)[1] .

هـٰذا هو المقصود بالقبر وبتفضيله وزيارته وشدِّ الرحال إليه .

ومن هنا أيضاً قال العلماء : إنه لا ينبغي أن يقول : زرت القبر وإنما زرت النبي صلى الله عليه وسلم[2] ، وهـٰذا ما قرره العلماء في تفسير قول الإمام مالك رحمه الله : (أكره للرجل أن يقول : زرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم)[3] ؛ وذٰلك لأنه إنما يزور من يسمعه ويراه ويحسُّ به ويعرفه ويردُّ عليه ، فالقضية ليست قضية قبر ، بل هي أكبر من ذٰلك وأجلُّ وأرفع من أن ينظر إليها من الزاوية القبرية ، فإذا نظرنا إلى القبر فقط دون النظر إلىٰ من فيه . . وجدنا الأرواح الطاهرة التي تحفُّ به من كل جانب ، ووجدنا جسراً مَلَكِيّاً متصلاً ممتداً من الملأ الأعلىٰ إلىٰ قبر محمد صلى الله عليه وسلم ، مواكب متصلة لا تنقطع أعدادها وأمدادها لا يحصيها إلا الحق جل جلاله .

روى الدارمي في « سننه » : (حدَّثنا عبد الله بن صالح ، حدَّثني

---

(١) أورده ابن القيم في « بدائع الفوائد » (٣/١٣٥ ـ ١٣٦) .
(٢) انظر « الشفا » (ص ٥٨٤ ـ ٥٨٥) .
(٣) تقدم تخريجه (ص ٤١٩) .

الليث ، حدَّثني خالد ؛ هو ابن يزيد ، عن سعيد ؛ هو ابن أبي هلال ، عن نبيه بن وهب : أن كعباً دخل علىٰ عائشة فذكروا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم فقال كعب : ما من يوم يطلع إلا نزل سبعون ألفاً من الملائكة حتىٰ يحفُّوا بقبر النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ، يضربون بأجنحتهم ويصلون علىٰ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ؛ حتىٰ إذا أمسوا . . عرجوا وهبط مثلهم فصنعوا مثل ذٰلك ؛ حتىٰ إذا انشقت عنه الأرض . . خرج في سبعين ألفاً من الملائكة يزفونه)[1] .

قلت : وروىٰ هـٰذا الأثر أيضاً الحافظ إسماعيل القاضي بسنده ؛ وهو جيد في المتابعات والشواهد والمناقب وفضائل الأعمال[2] .

وإذا نظرنا إلىٰ ما حول القبر من الروضة التي هي قطعة من الجنة ، والمنبر الذي نال الشرف الأعلىٰ بالحبيب صلى الله عليه وسلم وسيكون يوم القيامة علىٰ حوضه العظيم ، وإلى الجذع الذي حنَّ إليه حنين الثكلىٰ وسيكون يوم القيامة في جنة الخلد وسط أشجارها ، وقد قيل : إنه دفن في موضعه بالمسجد . . فلا أظن أن عاقلاً حريصاً على الخير يتوقف عن الدعاء في هـٰذه المواضع .



(١) سنن الدارمي (٩٥) .

(٢) فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (٩٨) .

القبر النبويّ والدّعاء

ذكر العلماء رضي الله عنهم : أنه يستحب لمن زار النبي صلى الله عليه وسلم أن يقف للدعاء مستقبلاً للقبر الشريف فيسأل الله تعالىٰ ما يشاء من الخير والفضل ، ولا يلزمه أن يتوجه إلى القبلة ، ولا يكون في وقوفه ذٰلك مبتدعاً أو ضالّاً أو مشركاً ، وقد نصَّ العلماء علىٰ هٰذا الأمر ، بل قد ذهب بعضهم إلى القول بالاستحباب .

والأصل في هٰذا الباب : هو ما جاء عن الإمام مالك بن أنس لما ناظره أبو جعفر المنصور في المسجد النبوي ، فقال له مالك : (يا أمير المؤمنين ؛ لا ترفع صوتك في هٰذا المسجد ؛ فإن الله تعالىٰ أدَّب قوماً فقال : ﴿ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ . . . ﴾ الآية [1] ، وقد مدح قوماً فقال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ . . . ﴾ الآية [2] ، وذمَّ قوماً فقال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ . . . ﴾ الآية [3] ؛ وإن حرمته ميتاً كحرمته حياً ، فاستكان لها أبو جعفر [4] وقال : يا أبا عبد الله ؛ أأستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله تعالىٰ يوم القيامة ؟ بل استقبله واستشفع به

(١) سورة الحجرات ، الآية (٢) .

(٢) سورة الحجرات ، الآية (٣) .

(٣) سورة الحجرات ، الآية (٤) .

(٤) أي : خضع وخشع وذلَّ .

فيشفعه الله ، قال الله تعالىٰ[1] : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ . . . ﴾ الآية) .

وهٰذه القصة رواها القاضي عياض بسنده في كتابه المعروف بـ « الشفا في التعريف بحقوق المصطفىٰ » في باب من أبواب الزيارة ، وقد صرح كثير من العلماء بهٰذا[2] .

قال الشيخ ابن تيمية : (قال ابن وهب فيما يرويه عن مالك : إذا سلَّم على النبي صلى الله عليه وسلم . . يقف ووجهه إلى القبر لا إلى القبلة ، ويدنو ويسلم ويدعو ، ولا يمسُّ القبر بيده) انتهىٰ[3] .

وصرح النووي رحمه الله في كتابه المعروف بـ « الأذكار » في (أبواب الزيارة) ، وكذٰلك في « الإيضاح » في (باب الزيارة) ، وكذٰلك في « المجموع »[4] .

قال الخفاجي شارح « الشفا » : (قال السبكي : صرح أصحابنا بأنه يستحب أن يأتي القبر ويستقبله ويستدبر القبلة ثم يسلِّم على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم على الشيخين ، ثم يرجع إلىٰ موقفه الأول ويقف فيدعو) انتهىٰ « شرح الشفا » للخفاجي[5] .

رأي الشيخ ابن تيمية

قال الشيخ ابن تيمية بعد نقل أقوال العلماء في هٰذا الموضوع :

---

(١) سورة النساء ، الآية (٦٤) .
(٢) الشفا (ص ٥٢٠) .
(٣) مجموعة الفتاوىٰ (٢٧/٦٩) .
(٤) الأذكار (ص ٣٤١ ـ ٣٤٤) ، الإيضاح (ص ٤٤٦ ـ ٤٥٦) ، المجموع (٨/٢٠١ ـ ٢٠٣) .
(٥) نسيم الرياض (٤/٤٨٦) .

(فاتفقوا في استقبال القبلة ، وتنازعوا في تولية القبر ظهره وقت الدعاء)[1] .

هٰذه خلاصة ما يراه الشيخ ابن تيمية في هٰذا الموضوع ؛ وهو يدل دلالة واضحة علىٰ أن من وقف أمام القبر يدعو الله تعالىٰ ويسأله من فضله ؛ كما شرع هو علىٰ أساس متين معتبر مؤيد بأقوال أئمة من السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين ، ولو تأمل المنصف العاقل قول الشيخ ابن تيمية : (وتنازعوا في تولية القبر ظهره وقت الدعاء) . . لفهم منه ما يطمئن قلبه ويقرُّ عينه ، ويبشره بأن هٰؤلاء الذين يقفون بعد السلام على الرسول صلى الله عليه وسلم للدعاء عند قبره ما زالوا على التوحيد ، ومن أهل الإيمان ، وأن هٰذه المسألة متنازع فيها بين السلف ، والكلام مختلف بينهم بين الاستحباب وغيره ، فهل يصل الحال إلى القول بالشرك والضلال ؟! سبحانك هٰذا بهتان عظيم !!

تحليل كلام الشيخ ابن تيمية

والمفهوم من كلام الشيخ ابن تيمية : هو أن المنهي عنه حقيقة هو تحري الدعاء عند القبور ، أو قصد القبور للدعاء عندها ورجاء الإجابة بالدعاء هناك ، أو يستشعر أن الدعاء عند القبر أجوب من غيره ؛ أما أن يدعو الله تعالىٰ في طريقه ويتفق أن يمر بالقبور فيدعو عندها ، أو أن يزور قبراً فيسلِّم علىٰ صاحبه ثم يدعو في مكانه ذٰلك . . فلا يلزمه أن يتحول إلى القبلة ولا يقال في حقه : إنه مشرك أو مبتدع ، وإليك نصوص كلام الشيخ في هٰذا الموضوع ، قال في « اقتضاء الصراط المستقيم » :

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٧٦٥/٢) .

(فمما يدخل في هٰذا : قصد القبور للدعاء عندها أو لها ؛ فإن الدعاء عند القبور وغيرها من الأماكن ينقسم إلىٰ نوعين :

أحدهما : أن يحصل الدعاء في البقعة بحكم الاتفاق لا لقصد الدعاء فيها ؛ كمن يدعو الله تعالىٰ في طريقه ويتفق أن يمر بالقبور ، أو من يزورها فيسلم عليها ، ويسأل الله العافية له وللموتىٰ ؛ كما جاءت به السنة ، فهٰذا ونحوه لا بأس به[1] .

الثاني : أن يتحرَّى الدعاء عندها ؛ بحيث يستشعر أن الدعاء هناك أجوب منه في غيره ، فهٰذا النوع منهي عنه : إما نهي تحريم أو تنزيه ؛ وهو إلى التحريم أقرب ، والفرق بين البابين ظاهر .

ولو تحرى الدعاء عند صنم أو صليب أو كنيسة يرجو الإجابة بالدعاء في تلك البقعة . . لكان هٰذا من العظائم ، بل لو قصد بيتاً أو حانوتاً في السوق ، أو بعض عواميد الطرقات يدعو عندها يرجو الإجابة بالدعاء عندها . . لكان هٰذا من المنكرات المحرمة ؛ إذ ليس للدعاء عندها فضل .

فقصد القبور للدعاء عندها من هٰذا الباب ، بل هو أشدُّ من بعضه ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهىٰ عن اتخاذها مساجد ، وعن اتخاذها عيداً ، وعن الصلاة عندها ، بخلاف كثير من هٰذه المواضع)[2] .

ثم قال : (إن قصد القبور للدعاء عندها ، ورجاء الإجابة بالدعاء

---

(١) أخرجه مسلم (٩٧٥) عن بريدة رضي الله عنه .
(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٦٨٢ ـ ٦٨٣) .

هناك رجاء أكثر من رجائها بالدعاء في غير ذٰلك الموطن . . أمر لم يشرعه الله ولا رسوله ، ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أئمة المسلمين ، ولا ذكره أحد من العلماء الصالحين المتقدمين)[١] .

ثم قال : (ومن تأمل كتب الآثار وعرف حال السلف . . تيقن قطعاً أن القوم ما كانوا يستغيثون عند القبور ولا يتحرون الدعاء عندها أصلاً ، بل كانوا ينهون عن ذٰلك من يفعله من جهالهم ؛ كما ذكرنا بعضه) انتهىٰ[٢] .

رأي الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الدعاء عند القبر
الدعاء عند القبر ليس بدعة ولا شركاً

سئل الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن قولهم في الاستسقاء : (لا بأس بالتوسل بالصالحين) وقول أحمد : (يتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم خاصة) مع قولهم : (إنه لا يستغاث بمخلوق) .

فقال : (فالفرق ظاهر جداً وليس الكلام مما نحن فيه ، فكون بعض يرخص بالتوسل بالصالحين وبعضهم يخصُّه بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وأكثر العلماء ينهىٰ عن ذٰلك ويكرهه ، فهٰذه المسألة من مسائل الفقه وإن كان الصواب عندنا قول الجمهور : إنه مكروه ، فلا ننكر علىٰ من فعله ولا إنكار في مسائل الاجتهاد ، لٰكن إنكارنا علىٰ من دعا لمخلوق أعظم مما يدعو الله تعالىٰ ، ويقصد القبر يتضرع عند ضريح الشيخ عبد القادر أو غيره ، يطلب فيه تفريج الكربات

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٦٨٤) .
(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٦٨٧) .

وإغاثة اللهفات وإعطاء الرغبات ، فأين هـٰذا ممن يدعو الله مخلصاً له الدين لا يدعو مع الله أحداً ؟ ولـٰكن يقول في دعائه : أسألك بنبيك أو بالمرسلين أو بعبادك الصالحين ، أو يقصد قبر معروف أو غيره يدعو عنده لـٰكن لا يدعو إلا الله مخلصاً له الدين ، فأين هـٰذا مما نحن فيه ؟!)[1] .



(١) فتاوىٰ ومسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص ٦٨ ـ ٦٩) في مجموع المؤلفات (القسم الثالث) نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله سنة (١٤٠٠ هـ) .

اعلم: أنه ينبغي للزائر ألا يقبِّل القبر الشريف ولا يمسحه بيديه، ولا يلصق بطنه وظهره بجداره، أو بالحاجز المستور بالكسوة أو الشباك؛ فإن كل ذٰلك مكروه؛ لما فيه من استعمال خلاف الأدب في حضرته صلى الله عليه وسلم، وقصد التبرُّك لا ينفي الكراهة؛ لأنه جهل بما يليق من الأدب، ولا اغترار بما يفعله أكثر العوام؛ فإن الصوابَ الذي قاله العلماء وأطبقوا عليه خلافُه؛ كما صرح به النووي في «إيضاحه»[1].

وأطال ابن حجر في «المنح» و«الجوهر» في ترجيحه[2]، قال في «الإحياء»: (مسُّ المشاهد وتقبيلها عادة اليهود والنصارى) انتهىٰ[3].

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله ما معناه: (اتبع طرق الهدىٰ ولا يضرَّك قلَّة السالكين، وإياك وطرق الضلالة ولا تغترَّ بكثرة الهالكين)[4].

وقال النووي: (ومن خطر بباله أن المسح باليد ونحوه أبلغ في البركة.. فهو من جهالته وغفلته؛ لأن البركة إنما هي فيما وافق الشرع وأقوال العلماء وكيف يبتغي الفضل في مخالفة الصواب؟!) انتهىٰ[5].

---

(١) الإيضاح (ص ٤٥٦).
(٢) الجوهر المنظم (ص ١٧٨ ـ ١٨٢).
(٣) إحياء علوم الدين (٢/٢٥٢).
(٤) أورده النووي في «الأذكار» (ص ٢٧٥).
(٥) الإيضاح (ص ٤٥٦).

رأي الإمام أحمد ابن حنبل

وقد جاءت روايات عن الإمام أحمد في هٰذا الموضوع بعضها يفيد جواز ذٰلك وبعضها يفيد التوقف في الحكم ، وبعضها يفيد التفريق بين المنبر النبوي وبين القبر ، وذٰلك بجواز الأول والتوقف في الثاني أو الإباحة ، ومهما كان ذٰلك الاختلاف فإنه لا يصل الحال بالحكم علىٰ فاعله بالكفر أو الضلال ، أو الخروج عن الملة أو الابتداع في الدين ، غاية ما في الأمر أنه فعل ما هو مختلف فيه ، أو ما هو مكروه ، والمقصود هو ألا يتخذ ذٰلك عادة حتىٰ يغتر به العوام ويظنونه من مستلزمات الزيارة وآدابها ، وإليك كلام الإمام أحمد :

قال في « خلاصة الوفا » ما نصه : (وفي كتاب « العلل والسؤالات » لعبد الله بن أحمد ابن حنبل قال : سألت أبي عن الرجل يمسُّ قبر النبي صلى الله عليه وسلم يتبرَّك بمسِّه وتقبيله ، ويفعل بالمنبر مثل ذٰلك رجاء ثواب الله تعالىٰ ، فقال : لا بأس به .

قال أبو بكر الأثرم : قلت لأبي عبد الله ـ يعني : أحمد ابن حنبل ـ : قبر النبي صلى الله عليه وسلم يُلْمَسُ ويتمسَّح به ؟ فقال : ما أعرف هٰذا ، قلت له : فالمنبر ؟ أي : قبل احتراقه ، فقال : أما المنبر . . فنعم ؛ قد جاء فيه شيء يروونه عن ابن أبي فديك ، عن ابن أبي ذئب ، عن ابن عمر رضي الله عنهما : « أنه مسح على المنبر » قال : ويروونه عن سعيد بن المسيب في الرمانة .

ويروىٰ عن يحيى بن سعيد شيخ الإمام مالك : أنه حين أراد الخروج إلى العراق . . جاء إلى المنبر فمسحه ودعا ، فرأيته استحسن ذٰلك ، ثم قال : لعله عند الضرورة لا شيء فيه ، قلت لأبي عبد الله : إنهم يلصقون

بطونهم بجدار القبر ، وقلت له : رأيت أهل العلم من أهل المدينة لا يمسونه ، ويقومون ناحية فيسلمون ، فقال أبو عبد الله : نعم ؛ وهٰكذا كان ابن عمر يفعل ، ثم قال أبو عبد الله : بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم)[١] .

قال الشيخ ابن تيمية : (فقد رخص أحمد وغيره في التمسُّح بالمنبر والرمانة التي هي موضع مقعد النبي صلى الله عليه وسلم ويده ، ولم يرخصوا في التمسُّح بقبره ، وقد حكىٰ بعض أصحابنا رواية في مسح قبره ؛ لأن أحمد شيَّع بعض الموتىٰ فوضع يده علىٰ قبره يدعو له ، والفرق بين الموضعين ظاهر) انتهىٰ[٢] .



---

(١) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم (١/١٤٥ ـ ١٤٦) .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٧٢٦ ـ ٧٢٧) ، ونقله ابن مفلح عن الإمام أحمد في « الفروع » (٦/٦٦) .

القبر النبوي محفوظ من الشرك والوثنية

وقد حفظ الله تعالىٰ هٰذا القبر الشريف بالحبيب الأعظم والنبي الأكرم صلى الله عليه وسلم ، فلا يقع عنده شرك ولا شيء من أنواع العبادة التي لا يجوز صرفها إلا لله ، ولا يقع في ذهن أحد أنه وثن يعبد ، أو قبلة يتوجه إليها بالعبادة ؛ وذٰلك ببركة دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث دعا بذٰلك فاستجاب الله دعاءه وحقَّق مطلوبه ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (وفي « موطأ مالك » رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ٱللَّهُمَّ ؛ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَناً يُعْبَدُ ؛ ٱشْتَدَّ غَضَبُ ٱللهِ عَلَىٰ قَوْمٍ ٱتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ »[(١)] .

وقد استجاب الله دعوته فلم يتخذ ـ ولله الحمد ـ وثناً كما اتخذ قبر غيره ، بل ولا يتمكن أحد من الدخول إلىٰ حجرته بعد أن بنيت الحجرة ، وقبل ذٰلك ما كانوا يمكنون أحداً من أن يدخل إليه ليدعو عنده ، ولا يصلىٰ عنده ولا غير ذٰلك مما يفعل عند قبر غيره ، لٰكن من الجهال من يصلِّي إلىٰ حجرته أو يرفع صوته أو يتكلم بكلام منهي عنه ، وهٰذا إنما يفعل خارجاً عن حجرته لا عند قبره ، وإلا . . فهو ولله الحمد استجاب الله دعوته فلم يمكن أحداً قط أن يدخل إلىٰ قبره فيصلِّي عنده ، أو يدعو أو يشرك به ؛ كما فعل بغيره اتخذ قبره وثناً ،

---

(١) الموطأ (١/١٧٢) .

فإنه في حياة عائشة رضي الله عنها ما كان أحد يدخل إلا لأجلها ، ولم تكن تمكن أحداً أن يفعل عند قبره شيئاً مما نُهِيَ عنه ، وبعدها كانت مغلقة إلىٰ أن أدخلت في المسجد فسدَّ بابها وبني عليها حائط آخر ، كل ذٰلك صيانة له أن يتخذ بيته عيداً وقبره وثناً ، وإلا . . فمعلوم أن أهل المدينة كلهم مسلمون ، ولا يأتي إلىٰ ما هناك إلا مسلم ، وكلهم معظمون للرسول صلى الله عليه وسلم ، وقبور آحاد أمته في البلاد معظمة ، فما فعلوا ذٰلك ليستهان بالقبر المكرم ، بل فعلوه لئلا يتخذ وثناً يعبد ، ولا يتخذ بيته عيداً ، ولئلا يفعل به كما فعل أهل الكتاب بقبور أنبيائهم ، والقبر المكرم في الحجرة إنما عليه بطحاء ـ وهو الرمل الغليظ ـ ليس عليه حجارة ولا خشب ، ولا هو مطين كما فعل بقبور غيره .

وهو صلى الله عليه وسلم إنما نهىٰ عن ذٰلك سداً للذريعة ؛ كما نهىٰ عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت غروبها ؛ لئلا يفضي ذٰلك إلى الشرك ، ودعا الله عزَّ وجلَّ ألا يتخذ قبره وثناً يعبد فاستجاب الله دعاءه صلى الله عليه وسلم ، فلم يكن مثل الذين اتخذت قبورهم مساجد ؛ فإن أحداً لا يدخل عند قبره ألبتة ؛ فإن من كان قبله من الأنبياء إذا ابتدع أممهم بدعة . . بعث الله نبياً ينهىٰ عنها ؛ وهو صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء لا نبيَّ بعده ، فعصم الله أمته أن تجتمع علىٰ ضلالة ، وعصم قبره المكرم أن يتخذ وثناً ، فإن ذٰلك والعياذ بالله لو فعل . . لم يكن بعده نبي ينهىٰ عن ذٰلك ، وكان الذين يفعلون ذٰلك قد غلبوا الأمة ، وهو صلى الله عليه وسلم قد أخبر أنه لا تزال طائفة من أمته ظاهرين على الحق لا يضرهم من

خالفهم ولا من خذلهم إلىٰ يوم القيامة ، فلم يكن لأهل البدع سبيل أن يفعلوا بقبره المكرم كما فعل بقبور غيره صلى الله عليه وسلم) انتهىٰ[1] .



(١) مجموعة الفتاوىٰ (٢٧/١٧٥ ـ ١٧٦) .

التّردّد على الآثار النّبويّة والمشاهد الدّينيّة والتّبرّك بزيارتها

كتب في هٰذا الموضوع الشيخ ابن تيمية كلاماً نفيساً جداً ، ونحن ننقل منه هٰذه الفوائد المهمة : (فأما مقامات الأنبياء والصالحين ؛ وهي الأمكنة التي قاموا فيها ، أو أقاموا ، أو عبدوا الله سبحانه وتعالىٰ فيها لٰكنهم لم يتخذوها مساجد . . فالذي بلغني في ذٰلك قولان عن العلماء المشهورين :

أحدهما : النهي عن ذٰلك وكراهته ، وأنه لا يستحب قصد بقعة للعبادة ؛ إلا أن يكون قصدها للعبادة مما جاء به الشرع ؛ مثل أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قصدها للعبادة كما قصد الصلاة في مقام إبراهيم ، وكما كان يتحرَّى الصلاة عند الأسطوانة ، وكما يقصد المساجد للصلاة ، ويقصد الصف الأول ونحو ذٰلك .

والقول الثاني : أنه لا بأس باليسير من ذٰلك ؛ كما نقل عن ابن عمر رضي الله عنهما : أنه كان يتحرَّىٰ قصد المواضع التي سلكها النبي صلى الله عليه وسلم وإن كان النبي صلى الله عليه وسلم قد سلكها اتفاقاً لا قصداً .

قال سندي الخواتيمي : سألنا أبا عبد الله عن الرجل يأتي هٰذه المشاهد ، ويذهب إليها ، ترىٰ ذٰلك ؟ قال : أما علىٰ حديث ابن أم مكتوم : أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يصلِّي في

بيته حتىٰ يتخذ ذٰلك مصلىً ، وعلىٰ ما كان يفعله ابن عمر يتتبع مواضع النبي صلى الله عليه وسلم وأثره . . فليس بذٰلك بأس : أن يأتي الرجل المشاهد ؛ إلا أن الناس قد أفرطوا في هٰذا جداً وأكثروا فيه .

وكذٰلك نقل عنه أحمد بن القاسم : أنه سئل عن الرجل يأتي هٰذه المشاهد التي بالمدينة المنورة وغيرها يذهب إليها ؟ فقال : أما علىٰ حديث ابن أم مكتوم : أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يأتيه فيصلِّي في بيته حتىٰ يتخذه مسجداً ، وعلىٰ ما كان يفعل ابن عمر : كان يتتبع مواضع سير النبي صلى الله عليه وسلم ؛ حتىٰ رُئي أنه يصبُّ في موضع ماءً ، فسئل عن ذٰلك ، فقال : « كان النبي صلى الله عليه وسلم يصب هٰهنا ماء » ، قال : أما علىٰ هٰذا . . فلا بأس ؛ قال : ورخَّص فيه ثم قال : « ولٰكن قد أفرط الناس جداً وأكثروا في هٰذا المعنىٰ ، فذكر قبر الحسين وما يفعل الناس عنده » رواهما الخلال في « كتاب الأدب » .

قال الشيخ ابن تيمية : فقد فصل أبو عبد الله في المشاهد ؛ وهي الأمكنة التي فيها آثار الأنبياء والصالحين من غير أن تكون مساجد لهم ؛ كمواضع بالمدينة بين القليل الذي لا يتخذونه عيداً ، والكثير الذي يتخذونه عيداً كما تقدم .

وهٰذا التفصيل جمع فيه بين الآثار وأقوال الصحابة ؛ فإنه قد روى البخاري في « صحيحه » عن موسى بن عقبة قال : رأيت سالم بن عبد الله يتحرَّىٰ أماكن من الطريق ويصلِّي فيها ، ويحدث أن أباه كان يصلِّي فيها ، وأنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلِّي في تلك الأمكنة ،

قال موسىٰ : وحدَّثني نافع : « أن ابن عمر رضي الله عنهما كان يصلِّي في تلك الأمكنة »[1] .

فهٰذا ما رخَّص فيه أحمد رضي الله عنه .

وأما ما كرهه . . فروىٰ سعيد بن منصور في « سننه » : حدَّثنا أبو معاوية ، حدَّثنا الأعمش عن المعرور بن سويد ، عن عمر رضي الله عنه قال : خرجنا معه في حجة حجها فقرأ بنا في الفجر بـ ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴾[2] ، و﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴾[3] في الثانية ، فلما رجع من حجته . . رأى الناس ابتدروا المسجد فقال : ما هٰذا ؟ قالوا : مسجد صلَّىٰ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « هٰكذا هلك أهل الكتاب قبلكم : اتخذوا آثار أنبيائهم بيعاً ؛ من عرضت له منكم الصلاة فيه . . فليصل ، ومن لم تعرض له الصلاة . . فليمض » .

فقد كره عمر رضي الله عنه اتخاذ مصلى النبي صلى الله عليه وسلم عيداً ، وبين أن أهل الكتاب إنما هلكوا بمثل هٰذا .

قال الشيخ ابن تيمية : وقد اختلف العلماء رضي الله عنهم في إتيان تلك المشاهد :

فقال محمد بن وضاح : كان مالك وغيره من علماء المدينة يكرهون إتيان تلك المساجد وتلك الآثار التي بالمدينة ما عدا قباء وأحداً ، ودخل سفيان الثوري بيت المقدس وصلىٰ فيه ، ولم يتتبع تلك الآثار ولا الصلاة فيها .

---

(١) صحيح البخاري (٤٨٣) .

(٢) سورة الفيل ، الآية (١) .

(٣) سورة قريش ، الآية (١) .

فهٰؤلاء كرهوها مطلقاً لحديث عمر رضي الله عنه هٰذا ، ولأن ذٰلك يشبه الصلاة عند المقابر ؛ إذ هو ذريعة إلى اتخاذها أعياداً وإلى التشبه بأهل الكتاب ، ولأن ما فعله ابن عمر لم يوافقه عليه أحد من الصحابة ، فلم ينقل عن الخلفاء الراشدين ولا عن غيرهم من المهاجرين والأنصار أن أحداً منهم كان يتحرىٰ قصد الأمكنة التي نزلها النبي صلى الله عليه وسلم[١] .

ثم قال : واستحب آخرون من العلماء المتأخرين إتيانها ، وذكر طائفة من المصنفين من أصحابنا وغيرهم في المناسك استحباب زيارة هٰذه المشاهد وعدُّوا منها مواضع وسموها .

وأما أحمد : فرخَّص منها فيما جاء به الأثر من ذٰلك إلا إذا اتخذت عيداً ؛ مثل أن تنتاب لذٰلك ويجتمع عندها في وقت معلوم ؛ كما يرخص في صلاة النساء في المساجد جماعات وإن كانت بيوتهن خيراً لهن إلا إذا تبرجن ، وجمع بذٰلك بين الآثار واحتج بحديث ابن أم مكتوم) انتهىٰ[٢] .

---

(١) **قوله : (في اختلاف علماء المدينة في التبرُّك بالأماكن) :**
في هٰذا غاية الإنصاف من مؤلف « المفاهيم » حيث نقل كلام العلماء بأمانة في هٰذا الموضوع ، وبين قول من يجيز وقول من لا يجيز ، ويبقىٰ بعد ذٰلك الترجيح والنظر حسب الاجتهاد ، ولٰكن بعض المنتقدين أغمضوا عيونهم عن هٰذا الإنصاف وهٰذه النقول ، وصاروا يبدلون الكلام عن مواضعه ؛ ليوهموا الناس أن المؤلف أهملها وتجاهلها ؛ لغرض تأييد رأيه الذي جرىٰ عليه هو وجمهور الأمة من المتبركين بسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وآثاره ومشاهده ، وهٰذا مع الأسف الشديد انحياز عن سنن الحق يجافي الأمانة العلمية .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٧٥٠ ـ ٧٥٤) .

والحاصل الظاهر من كلام الإمام أحمد : أنه يجيز التردد على الآثار والمشاهد والأماكن المنسوبة إلى الأنبياء والصالحين ، ويرىٰ أن تتبع ذٰلك والاعتناء به له أصل في السنة النبوية ؛ وهو ليس ببدعة ولا ضلالة فضلاً عن أن يكون شركاً أو كفراً ، لٰكنه انتقد الإفراط في ذٰلك والاشتغال به بصورة زائدة .

هٰذه خلاصة رأيه رضي الله تعالىٰ عنه .

أما الشيخ ابن تيمية . . فقد فهم من كلام أحمد التفصيل في هٰذا الأمر بين القليل والكثير ، وفهم أن الكثير من ذٰلك هو المكروه عند أحمد ، وحكم عليه بأنه مكروه فقط ، ولم يزد على القول بالكراهة شيئاً ، وقد بين ابن تيمية القدر الكثير الذي يصير به هٰذا التردد والتتبع للآثار النبوية مكروهاً ؛ وهو أن تتخذ تلك الأماكن والآثار عيداً يجتمعون عليه عندها ، ويحتفلون بها في أوقات مخصوصة .

ويفهم من كلام الشيخ ابن تيمية أيضاً أن الآثار والمشاهد التي ثبت أن الأنبياء اتخذوها مساجد أو صلوا فيها فإنها خارجة عن هٰذا التفصيل ، وينبني عليه أن الأماكن والآثار التي ثبت أن الأنبياء صلوا فيها . . لها ميزة علىٰ غيرها وأنها تقصد للعبادة والصلاة ، وهٰذا صريح كلامه حين قال في أول المبحث : (لٰكنهم لم يتخذوها مساجد) ، وحين قال : (فقد فصل أبو عبد الله في المشاهد ؛ وهي الأمكنة التي فيها آثار الأنبياء والصالحين من غير أن تكون مساجد لهم ؛ كمواضع بالمدينة بين القليل الذي لا يتخذونه عيداً ، والكثير الذي يتخذونه عيداً كما تقدم) انتهىٰ .

معنى العيد المنهي عنه في الحديث

وقد حدد الشيخ ابن تيمية معنى العيد المنهي عنه في الحديث بقوله صلى الله عليه وسلم : « لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيداً »[1] .

فقال : (وفي الجملة : هـٰذا الذي يفعل عند هـٰذه القبور هو بعينه الذي نهىٰ عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : « لا تتخذوا قبري عيداً » .

فإن اعتياد قصد المكان المعين في وقت معين عائداً بعود السنة أو الشهر أو الأسبوع ؛ هو بعينه معنى العيد ، ثم ينهىٰ عن دقّ ذٰلك وجلِّه ، وهـٰذا هو الذي تقدم عن الإمام أحمد إنكاره قال : « وقد أفرط الناس في هـٰذا جداً وأكثروا » ، وذكر ما يفعل عند قبر الحسين)[2] .

وقال في موضع آخر : (فأما اتخاذ قبورهم أعياداً . . فهو مما حرمه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، واعتياد قصد هـٰذه القبور في وقت معين ، أو الاجتماع العام عندها في وقت معين هو اتخاذها عيداً كما تقدم ، ولا أعلم بين المسلمين من أهل العلم في ذٰلك خلافاً ، ولا يغترَّ بكثرة العادات الفاسدة ؛ فإن هـٰذا من التشبه بأهل الكتابين الذي أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم أنه كائن في هـٰذه الأمة) انتهىٰ[3] .

عقيدة المؤلف

وهـٰذا الذي ذكره الشيخ ابن تيمية هو عين ما نعتقده في هـٰذا

---

(١) أخرجه أبو داوود (٢٠٣٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه .
(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٧٣٨) .
(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٧٣٩) .

الموضوع بفضل الله سبحانه وتعالىٰ ، وهو ما ندعو إليه ونحثُّ الناس عليه في كل مجال وفي كل مناسبة .

إننا ننهاهم أن يتخذوا قبر النبي صلى الله عليه وسلم أو الآثار والمشاهد عيداً ، وننهاهم أن يخصوها بشيء من أنواع العبادات التي لا يجوز صرفها إلا لله سبحانه وتعالىٰ ، وننهاهم أن يخصصوا لها يوماً يجتمعون فيه ويحتفلون به ، هٰذا ما نعتقده وندين الله به ، لا من اليوم ولا من الأمس بل خلف عن سلف وأبناء عن آباء ، بفضل الله سبحانه وتعالىٰ .

فالواجب علينا : أن نلاحظ بعين الاعتبار هٰذه الأقوال والتحليلات العلمية الدقيقة التي تدل علىٰ حسن الفهم في تذوق العلم ، وألا نبادر إلىٰ تكفير المسلمين أو الحكم عليهم بالضلال والبدعة لمجرد تتبعهم للآثار النبوية ، واهتمامهم بالمقامات والمشاهد والأماكن المنسوبة إلى الأنبياء والصالحين ، وأن نحسن الظن بهم ، وأن نعلم أن المقصود الأصلي هو الله سبحانه وتعالىٰ ، وهٰذه كلها أسباب ووسائل تزيد في النفس الإيمان والاعتبار والادِّكار والارتباط بأصحابها وتاريخهم ، وهم القدوة الحسنة للبشر مع ما في ذٰلك من التعرض للنفحات والبركات المتنزلة في أماكن الخير ومواطن الهدىٰ ؛ لأن الأماكن التي كانت معمورة بأهل الخير والصلاح لا تزال هي محل الرضا والرضوان ، والأماكن التي كانت معمورة بأهل الشر والفساد هي محل السخط والغضب ، ولذٰلك أمر صلى الله عليه وسلم أصحابه ألا يدخلوا ديار ثمود إلا وهم باكون ، وألا يشربوا من مائها ، بل أمرهم أن يهريقوا ما أخذوه ، وألا يأكلوا ما طبخوه به ،

وكذٰلك أمرهم بالإسراع في المشي إذا دخلوا وادي مُحسِّر المعروف بـ (وادي النار) .

وقد فصَّلنا هـٰذا الموضوع بعينه في مبحث خاص : بـ (التبرُّك بالآثار النبوية) .



الاعتناء بالآثار والمشاهد

المحافظة على الآثار النبوية أصل عظيم وتراث كريم وتاريخ ؛ إنه تاريخ الأمة الذي تفخر به ، والذي يظهر به شرفها وشرف رجالها وأئمتها الذين بنوا مجدها وأقاموا عزَّها ، وصنعوا منها أمة قائدة رائدة في كل مجال ؛ ولذٰلك فإن إهمال هٰذه الآثار إهدار لشواهد الحضارة الإسلامية الواقعية ، ومسخ لأصول طبيعية باقية من تراثنا الإسلامي ، وجناية علىٰ أعزِّ ما تملكه الأمة في هٰذا المجال ، إنه هو وصمة في الجبين ، وقذاة في العين يعكر صفو الرؤية ويشوِّه الصورة ، ويفوت علينا خيراً عظيماً لا يعوض ولا يدرك ؛ لأنه ستتغير معالمها وتنطمس رسومها ، ثم لا يبقىٰ منها شيء ، ثم لا يبقىٰ من يعرف منها شيئاً .

فإن قيل : إن بعض الناس يتخذها عيداً ويشرك بالله عندها بعبادتها دون الله ، أو بالطواف حولها وربط الحبال ، وإلقاء الأوراق أو الذبح لها .

فنقول : إن ذٰلك كله لا نرضاه ولا نوافق عليه ، بل وننهىٰ عنه ونحذر الناس منه ؛ وهو من الجهل الذي يجب محاربته ؛ لأن هٰؤلاء يؤمنون بالله ويقرون له بالتوحيد ، ويشهدون أنه لا إلٰه إلا هو ، ولٰكنهم يخطئون العمل ويجهلون الصواب ، فالواجب تعليمهم وإرشادهم ، ولٰكن ذٰلك كله لا يدعو إلىٰ إهمالها أو إزالتها ومحوها من الوجود ، والاعتذار بتلك الحجج اعتذار بارد وتعليل عليل ليس بمقبول عند العلماء والعقلاء ؛ إذ يمكن إزالة تلك العوارض إذا وجدت بالمنع والمراقبة ، والأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر ، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والخلق الحسن ، مع بقاء آثارنا والمحافظة عليها والاعتناء بها ؛ حفظاً لأصالة الأمة ووفاء للتاريخ ، وأداء للأمانة التي في أعناقنا ، والتي هي جزء أصيل من تاريخها المجيد وتاريخ نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، والمفكرون اليوم يحافظون علىٰ آثار بائدة لأمم ملعونة مسخوطة معذبة ممن سبقنا ؛ كقوم ثمود وعاد ، فهل يصح أن نحافظ علىٰ تلك الآثار ونعتني بها ونجاهد في سبيل بقائها ، ونضيع آثار أشرف خلق الله الذي تشرفت به البلاد والعباد ، وأعزَّ الله به الأمة ورفعها وجعل لها المكانة العالية والرتبة السامية ، التي ما نالها نائل ولا وصل إليها واصل إلا بسبب الانتماء إلى الحظ السعيد والمجد التليد محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ؟!



اعتناء القرآن بآثار الأنبياء السابقين

ذكر الله سبحانه وتعالىٰ في كتابه العزيز قصة تابوت بني إسرائيل الذي جعله علامة صحة ملك طالوت عليهم فقال : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [١] .

هٰذا التابوت شأنه عظيم ومقامه كريم ، وكان عندهم يقدمونه بين أيديهم في حروبهم ، فيحصل لهم النصر ببركة التوسل إلى الله تعالىٰ به وبما فيه ، فلا يقاتلون أحداً من أعدائهم إلا ويكون معهم هٰذا التابوت ، وقد أخبر الله تعالىٰ في الآية عن محتوياته : بأنه فيه سكينة إلٰهية وآثار نبوية ؛ وهي التي قال عنها : ﴿ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ .

وهٰذه البقية من تركة آل هارون : هي عصا موسىٰ وعصا هارون وثيابه والنعلان ولوحان من التوراة [٢] ، وفيه أيضاً طست من ذهب كان يغسل فيه صدور الأنبياء . انتهىٰ [٣] .

وبسبب هٰذه الآثار العظيمة المنسوبة إلىٰ أولـٰئك المصطفين الأخيار

---

(١) سورة البقرة ، الآية (٢٤٨) .

(٢) انظر « تفسير ابن كثير » (٣٠١/١) .

(٣) انظر « البداية والنهاية » (١٥٩/٢) .

من عباد الله . . عظم الله قدر هـٰذا التابوت ورفع شأنه ، وحفظه ورعاه برعايته الخاصة لما غلبوا بسبب معاصيهم ومخالفتهم ؛ إذ لم تتحقق أهليتهم للاحتفاظ به فعاقبهم الله تعالىٰ بأخذه وسلبه منهم ، ثم حفظه الله تعالىٰ ، ثم ردَّه إليهم ليكون علامة علىٰ صحة ملك طالوت عليهم ، وقد ردَّه إليهم بالتعزيز والتكريم والتقدير ؛ إذ جاءت به الملائكة تحمله إليهم .

فأي عناية أعظم من هـٰذه العناية بالآثار والاهتمام بها والمحافظة عليها ، وتنبيه العقول والأفهام إلىٰ أهمية ذٰلك الأمر وجلالته وقيمته التاريخية والدينية والحضارية ؟!



عناية المصطفى صلى الله عليه وسلم بآثار الأنبياء السابقين وإرشاده إلى الاهتمام بها

وعناية النبي صلى الله عليه وسلم بالآثار المباركة السابقة التي هي مواطن الرحمات ومنازل البركات ومهابط الوحي وموالد الأنبياء ، عنايته صلى الله عليه وسلم بذٰلك ظاهرة ومشهورة ، ولنا في ذٰلك رسالة خاصة ستظهر إن شاء الله تعالىٰ في وقت لاحق ، ونكتفي هنا بذكر هٰذا النَّص :

روىٰ مالك في « الموطأ » عن محمد بن عمرو بن حَلحلة الديلي ، عن محمد بن عمران الأنصاري ، عن أبيه أنه قال : عدل إليَّ عبد الله بن عمر وأنا نازل تحت سرحة بطريق مكة ، فقال : ما أنزلكَ تحت هٰذه السرحة ؟ فقلت : أردت ظلها ، فقال : هل غير ذٰلك ؟ فقلت : لا ، ما أنزلني إلا ذٰلك ، فقال عبد الله بن عمر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِذَا كُنْتَ بَيْنَ ٱلْأَخْشَبَيْنِ مِنْ مِنىً ـ ونفخ بيده نحو المشرق ـ . . فَإِنَّ هُنَالِكَ وَادِياً يُقَالُ لَهُ : ٱلسُّرَرُ ، بِهِ شَجَرَةٌ سُرَّ تَحْتَهَا سَبْعُونَ نَبِيّاً »(١) قال مالك : (سُرَّ ؛ يعني : قطعت سُرَرُهم حين ولدوا) .

قال الزُّرقاني : (به شجرة سُرَّ تحتها سبعون نبيّاً ؛ أي : ولدوا تحتها فقطع سُرّهم ـ بالضم ـ وهو ما تقطعه القَابِلةُ من سُرَّة الصَّبي كما في

---

(١) الموطأ (٤٢٣/١) بلفظه ، وأخرجه أحمد في « مسنده » (١٣٨/٢) ، والنسائي في « المجتبىٰ » (٢٤٨/٥ ـ ٢٤٩) ، وابن حبان في « صحيحه » (٦٢٤٤) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (١٣٩/٥) برقم (٩٦٩٤) .

« النهاية » وغيرها[1] ، فقول السيوطي : « أي : قطعت سُرَّتهم إذ ولدوا تحتها » . . مَجازٌ ، سمَّى السُرَّ سُرَّة لعلاقة المجاورة .

وقال مالك : « بُشِّروا تحتها بما يَسُرُّهم »[2] .

قال ابن حبيب : « فهو من السرور ؛ أي : تنبؤوا تحتها واحداً بعد واحد ، فَسُرُّوا بذلك وبه أقول ، وفيه التّبرك بمواضع النبيين)[3] .

وقال ابن عبد البر : (وفي هـٰذا الحديث دَليلٌ على التّبرك بمواضع الأنبياء والصالحين ومقاماتهم ومساكنهم ، وإلىٰ هـٰذا قصد عبد الله بن عمر بحديثه هـٰذا ، والله أعلم)[4] .



---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/٣٥٩) .

(٢) تنوير الحوالك (١/٣٧١) .

(٣) شرح الزرقاني على الموطأ (٢/٥٣٠) .

(٤) التمهيد (١٣/٦٧) .

محافظة الخلفاء الراشدين على خاتم النبي صلى الله عليه وسلم

روى الإمام البخاري بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : (اتخذ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم خاتماً من وَرِقٍ وكان في يده ، ثم كان بعدُ في يد أبي بكر ، ثم كان بعد في يد عمر ، ثم كان بعد في يد عثمان حتىٰ وقع بعد في بئر أريس ، نقشه : محمد رسول الله)(١) .

قال الحافظ ابن حجر : (جاء في رواية النسائي : أنه التمس فلم يوجد ، وجاء في رواية ابن سعد : أنه كان في يد عثمان ست سنين) انتهىٰ(٢) .

قال العيني : (وبئر أريس : حديقة بقرب مسجد قباء) انتهىٰ « عمدة القاري »(٣) .

قلت : وهٰذه البئر صارت معروفة اليوم ببئر الخاتم ؛ وهو خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي سقط فيها أيام خلافة عثمان ، وقد اجتهد ثلاثة أيام في استخراجه بكل ما وجد سبيلاً فلم يلقه(٤) .



(١) صحيح البخاري (٥٨٧٣) .
(٢) المجتبىٰ (١٧٩/٨) ، الطبقات الكبير (٤١٠/١) ، فتح الباري (٣١٩/١٠) .
(٣) عمدة القاري (٣١/٢٢) .
(٤) انظر « المغانم المطابة في معالم طابة » (ص ٢٥) .

روى الإمام البخاري بسنده إلى الزبير رضي الله تعالىٰ عنه قال : (لقيت يوم بدر عبيدة بن سعيد بن العاص وهو مدجَّج [١] لا يرىٰ منه إلا عيناه ؛ وهو يُكْنىٰ أبو ذات الكَرِش فقال : أنا أبو ذات الكرش ، فحملت عليه بالعنزة [٢] فطعنته في عينه فمات ، قال هشام : فأُخبرت أن الزبير قال : لقد وضعت رجلي عليه ثم تمطَّأْت فكان الجَهْد أن نزعتها وقد انثنىٰ طرفاها ، قال عروة : فسأله إياها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه ؛ فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم . . أخذها ، ثم طلبها أبو بكر فأعطاه ؛ فلما قبض أبو بكر . . سألها إياه عمر ، فأعطاه إياها ؛ فلما قبض عمر . . أخذها ، ثم طلبها عثمان منه فأعطاه إياها ؛ فلما قتل عثمان . . وقعت عند آل عليٍّ [٣] فطلبها عبد الله بن الزبير ، فكانت عنده حتىٰ قتل) [٤] .

وحاصل القصة : هو أن الزبير طعن عبيدة بن سعيد بن العاص يوم بدر في عينه بالعنزة فقتله ، ثم طلب النبي صلى الله عليه وسلم منه تلك العنزة فأعطاه ؛ فلما قبض صلى الله عليه وسلم . . أخذها الزبير ، ثم طلبها أبو بكر من الزبير عارية فأعطاه وبقيت عنده إلىٰ أن مات ،

(١) **مدجَّجٌ** : بجيمين ، الأولىٰ ثقيلة ومفتوحة وقد تكسر ؛ أي : مغطىً بالسلاح .
(٢) **العنزة** : بفتح النون : هي كالحربة ، وقال بعضهم : هي شبه العكاز .
(٣) **عند آل عليٍّ** : أي : عند عليٍّ نفسه ، ثم عند أولاده .
(٤) صحيح البخاري (٣٩٩٨) .

ثم رجعت إلى الزبير صاحبها الأول ، ثم طلبها عمر من الزبير فأعطاه وبقيت عنده مدة حياته ، ثم رجعت إلى الزبير صاحبها الأول ، ثم طلبها عثمان منه فأعطاه إياها ؛ فلما قتل عثمان . . وقعت عند عليٍّ فطلبها عبد الله بن الزبير فكانت عنده حتىٰ قتل[١] .

ونحن نتساءل : لماذا هٰذا الحرص العظيم والاهتمام بهٰذه الحربة والحراب كثيرة ؟! ولعلَّ هناك ما هو أحسن منها وأجود ، وممن هٰذا الحرص ؟! إنه من الخلفاء الأربعة الراشدين المهتدين أئمَّة الدين ، وأركان التوحيد وأمناء الدين .



(١) انظر « فتح الباري » (٧/٣١٤ ـ ٣١٥) ، و« عمدة القاري » (١٧/١٠٧ ـ ١٠٨) .

محافظة عمر بن الخطّاب علىٰ ميزاب العبّاس لأنّه وضعه صلى الله عليه وسلم

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : (كان للعباس ميزاب علىٰ طريق عمر رضي الله عنه ، فلبس عمر ثيابه يوم الجمعة ، وقد كان ذُبح للعباس فرخان ؛ فلما وافى الميزاب . . صُبَّ فيه من دم الفرخين ، فأصاب عمر ، فأمر عمر بقلعه ، ثم رجع فطرح ثيابه ولبس غيرها ، ثم جاء فصلىٰ بالناس ، فأتاه العباس فقال : والله ؛ إنه للموضع الذي وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عمر للعباس : عزمت عليك لَمَّا صعدت علىٰ ظهري حتىٰ تضعه في الموضع الذي وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففعل ذٰلك العباس رضي الله عنه)[1] .

وقال الإمام أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة في كتابه « المغني » : (**فصل** : ولا يجوز إخراج الميازيب إلى الطريق الأعظم ، ولا يجوز إخراجها إلىٰ درب نافذ إلا بإذن أهله .

وقال أبو حنيفة ومالك والشافعي : يجوز إخراجها إلى الطريق ؛ لأن عمر رضي الله عنه اجتاز علىٰ دار العباس وقد نصب ميزاباً إلى الطريق

(١) أخرجه أحمد في « المسند » (١/٢١٠) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٦/٣٦٦) عن عبيد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وذكره المتقي الهندي في « كنز العمال » (٣٧٢٩٩) .

فقلعه ، فقال العباس : تقلعه وقد نصبه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ؟! فقال : والله ؛ لا نصبته إلا علىٰ ظهري ، وانحنىٰ حتىٰ صعد علىٰ ظهره فنصبه) انتهىٰ [1] .



(١) المغني (٣٤/٧) ، وحديث عمر رضي الله عنه أخرجه الحاكم في « المستدرك » (٣٣١/٣) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٦٦/٦) برقم (١١٤٧٥) .

ابن عمر لم يكن وحده مع الآثار

اشتهر ابن عمر رضي الله عنهما بتتبعه للآثار واعتنائه بها ومحافظته عليها ، قال الشيخ ابن تيمية : (سئل الإمام أحمد ابن حنبل عن الرجل يأتي هٰذه المشاهد ، فأجاب وذكر في جوابه : أن ابن عمر كان يتتبع مواضع سير النبي صلى الله عليه وسلم ؛ حتىٰ إنه رُئي يصبُّ في موضع ماء ، فسئل عن ذٰلك ، فقال : « كان النبي صلى الله عليه وسلم يصبُّ هٰهنا ماء » .

وروى البخاري في « صحيحه » عن موسى بن عقبة قال : رأيت سالم بن عبد الله يتحرَّىٰ أماكن من الطريق ويصلي فيها ، ويحدث أن أباه كان يصلي فيها ، وأنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في تلك الأمكنة ، قال موسىٰ : وحدَّثني نافع : أن ابن عمر كان يصلي في تلك الأمكنة) انتهىٰ [(١)] .

ولٰكن لم ينفرد ابن عمر بهٰذا الأمر ، بل شاركه كثير من الصحابة رضي الله عنهم في التتبع للآثار والمحافظة عليها والاهتمام بها ، وقد ذكرنا ما يؤيد هٰذا من قبل من فعل الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين الذين جعل النبي صلى الله عليه وسلم فعلهم سنة متبعة مستمدة من سنته وهديه ، وأمر بالتمسك بها والرجوع إليها ، ومعلوم أن سنتهم هي سنته ؛ لأنهم لا كلام ولا اجتهاد ولا نظر أمام كلامه الذي صح وثبت عنه صلى الله عليه وسلم .

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٧٥١/٢) ، صحيح البخاري (٤٨٣) .

وذكرنا في مبحث التبرُّك بالآثار جملة صالحة من النصوص التي لها اتصال وثيق بهٰذا المبحث ، وبها ينجلي ويتضح كيف كان الصحابة رضي الله عنهم يتبركون بآثاره وفيهم ابن عمر وغيره ، والحق أن هٰذا البحث وذاك متصلان ونابعان من أصل واحد ؛ لأن التبرُّك بالآثار هو فرع المحافظة عليها والاعتناء بها ؛ إلا أن الثانية ألصق بالتاريخ والحضارة الاجتماعية ، والأولىٰ أنسب للإيمان والمحبة والتعلق .



ابن عبّاس والآثار القديمة

لما أراد عبد الله بن الزبير هدم الكعبة . . جمع الصحابة فاستشارهم في ذٰلك ، فاقترح عليه ابن عباس ألا يهدمها كلها ، وأن يصلح المواضع التي تحتاج إلىٰ إصلاح فقط ليبقى الصالح علىٰ ما هو عليه ؛ محافظة على الحجارة القديمة التي كانت في العهد الأول ؛ عهد الإسلام عهد البعثة عهد النبي صلى الله عليه وسلم .

عن عطاء قال : (لما احترق البيت زمن يزيد بن معاوية حين غزاها أهل الشام فكان من أمره ما كان . . تركه ابن الزبير حتىٰ قدم الناس الموسم يريد أن يجرِّئهم أو يُحَرِّبَهُم علىٰ أهل الشام ؛ فلما صدر الناس . . قال : يا أيها الناس ؛ أشيروا عليَّ في الكعبة أنقضها ثم أبني بناءها ، أو أصلح ما وهىٰ منها ؟ قال ابن عباس : فإني قد فُرِقَ لي رأيٌ فيها أرىٰ أن تصلح ما وهىٰ منها ، وتدع بيتاً أسلم الناس عليه وأحجاراً أسلم الناس عليها وبُعث عليها النبي صلى الله عليه وسلم)[1] .



(١) أخرجه مسلم (١٣٣٣/٤٠٢) .

غيرة عمر على الآثار النبوية

ولقد كان سيدنا عمر رضي الله عنه شديد الغيرة على الآثار النبوية عظيم العناية بها والحماية لها ، ولذٰلك لما رأى الناس مجتمعين علىٰ شجرة زعموا أنها شجرة الرضوان التي حصلت عندها بيعة الرضوان ، وذكرها الله تعالىٰ في كتابه بقوله : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ [1] قطعها ؛ إذ كان رضي الله عنه يعرف حق المعرفة أن الشجرة غير معروفة ، ولا أحد يعلم مكانها فضلاً عن عينها ، وأن أصحابها الذين حضروها وشهدوها وبايعوا تحتها هم بأنفسهم لا يعرفونها فكيف بغيرهم ، بل قد صرحوا بذٰلك كما جاء في « الصحيح » عن ابن عمر رضي الله عنهما : أنه جاء في العام التالي لعام بيعة الرضوان ، قال : (فما اجتمع منا اثنان على الشجرة حتىٰ بايعنا تحتها) [2] .

قال المسيب والد سعيد رضي الله عنهما : (لقد رأيت الشجرة ثم أتيتها بعد فلم أعرفها) [3] ، وقال طارق بن عبد الرحمٰن : (انطلقت حاجاً فمررت بقوم يصلون فقلت : ما هٰذا المسجد ؟ قالوا : هٰذه الشجرة حيث بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان ، فأتيت سعيد بن المسيب فأخبرته ، فقال سعيد : حدَّثني أبي أنه كان فيمن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة قال : فلما

---

(١) سورة الفتح ، الآية (١٨) .

(٢) صحيح البخاري (٢٩٥٨) .

(٣) صحيح البخاري (٤١٦٢) ، صحيح مسلم (٧٩/١٨٥٩) .

خرجنا من العام المقبل . . نسيناها فلم نقدر عليها ، فقال سعيد : إن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لم يعلموها وعلمتموها أنتم فأنتم أعلم)[١] ، وفي رواية أنه قال : (فعميت علينا)[٢] .

أي : لم يتفق رأي رجلين على شجرة واحدة بالتعيين ، فإذا كان هـٰذا في خلال سنة واحدة في عهد واحد ، ومع توافر وجود أصحاب الرضوان الذين حضروا عندها وبايعوا تحتها . . فما بالك بشجرة ظهرت في زمن عمر رضي الله عنه بعد سنوات عديدة .

اختلف العهد ومات أكثر من حضر الموقف ، واختلف الناس في تعيين الشجرة المباركة التي تشرَّفت بالبيعة المحمدية ، وحصل عندها أعظم موقف من مواقف التضحية والجهاد اهتزَّت له السماوات والأرض ، وشهدته الملائكة الكرام ، وسجَّله القرآن بقوله : ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾[٣] .

ثم كان عند هـٰذه الشجرة المباركة الميمونة إعلان منقبة من أعظم مناقب وخصائص النبي الأعظم والرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم ، سجَّلها القرآن بقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ . . . ﴾ الآية[٤] .

فعمر رضي الله عنه لم يقطع شجرة الرضوان حقيقةً وإنما قطع شجرة

---

(١) صحيح البخاري (٤١٦٣) ، صحيح مسلم (٧٧/١٨٥٩) .
(٢) أخرجه البخاري (٤١٦٤) ، ومسلم (١٨٥٩) .
(٣) سورة الفتح ، الآية (١٨) .
(٤) سورة الفتح ، الآية (١٠) .

مزعومة موهومة ، يظن الناس أنها شجرة الرضوان ؛ لأن الله سبحانه وتعالىٰ أخفاها عليهم لحكمة يعلمها جلَّ جلاله .

وقطع عمر رضي الله عنه هـٰذه الشجرة المزعومة غيرة علىٰ شجرة الرضوان الحقيقية المنسية ، فلا يصح أن يقال : إن عمر رضي الله عنه قطع شجرة الرضوان ليمنع التبرُّك بالآثار ؛ لأنه لا يرىٰ ذٰلك ، أو لأنه يراها وسيلةً إلى الشرك ، بل إن الحق والصواب أن ذٰلك المعنىٰ لم يقع في قلبه أصلاً ، ولم يخطر علىٰ باله أبداً ؛ بدليل أنه رضي الله عنه ثبت عنه التبرُّك وطلب التبرُّك بالآثار ونحوها ؛ كطلبه من الزبير العنزةَ التي كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومحافظته علىٰ خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير ذٰلك ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استعار تلك العنزة من الزبير ؛ كما في « البخاري » في (باب شهود الملائكة بدراً) من (المغازي)[1] .



(١) صحيح البخاري (٣٩٩٨) .

الاهتمام بالنعال النبوية، والقيام بدراسة علمية لها

ومن الآثار النبوية التي نالت اهتمام العلماء وعنايتهم النعال النبوية ، بل حظيت بدراسة عميقة ودقيقة عن صفتها ومثالها ولونها ، فكتبوا عنها البحوث المتخصصة ، وألفوا فيها الرسائل المستقلة (١) .

والمقصود من ذلك كله هو صاحب النعال ؛ ألا وهو النبي الأعظم والرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم .

وإذا كنا نهتم بآثار العظماء وملابسهم وثيابهم ومتاعهم ، ونبذل في تحصيلها الغالي والرخيص ، ونقيم لها المتاحف الخاصة والخبراء المتخصصين . . فإنه صلى الله عليه وسلم ـ نفسي له الفداء ـ أولىٰ وأحق ؛ فلو بذلت المهج وحرُّ الأموال في سبيل ذلك . . لكان رخيصاً لأجله صلى الله عليه وآله وسلم .



(١) انظر « تبرك الصحابة بآثار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم » للعلامة محمد طاهر الكردي (ص ٨٥) .

اهتمام المملكة بالآثار

ولقد وفَّق الله حكومتنا السنية إلى العناية بالآثار عناية عظيمة ؛ حرصاً علىٰ تراثنا المجيد ، وحفظاً لمعالم الحضارة الإسلامية التاريخية ، فجعلت لها دائرة خاصة تعتني وتهتم بها تسمىٰ : (إدارة الآثار) وأصدرت لها نظاماً خاصاً معتمداً على المرسوم الملكي رقم (م/٢٦) وتاريخ (١٣٩٦/٢٣ هـ)[١] .

وأنشأت مجلساً خاصاً للنظر فيما يتعلق بهٰذا الموضوع يسمى : (المجلس الأعلىٰ للآثار) وصدر قرار مجلس الوزارة رقم (٢٣٥) وتاريخ (١٣٩٨/٢/٢١ هـ) بتكوين أعضائه برئاسة : وزير المعارف وعضوية مندوبين عن الداخلية والمالية والحج والأوقاف والإعلام والآثار .

وبيَّن النظام : أن الهدف من إنشاء المجلس الأعلىٰ للآثار هو تجميع أكبر قدر من الخبرات ؛ لضمان وصول دائرة الآثار إلىٰ غايتها المرجوة .

المحافظة على الآثار

جاء في المادة (٦) من النظام : تتولىٰ دائرة الآثار بالتعاون مع الأجهزة الأخرىٰ في الدولة ـ كل في اختصاصه ـ المحافظة على الآثار والمواقع الأثرية ، كما تتولىٰ تقرير أثرية الأشياء والمباني التاريخية والمواقع ، وما يجب تسجيله من آثار ، ويعني تسجيل كل أثر أقرت

---

(١) انظر المذكرة الخاصة بنظام الآثار الصادرة من وزارة المالية والاقتصاد الوطني سنة (١٣٩٩ هـ) .

الدولة بأهميته التاريخية أو الفنية ، وعملها علىٰ صيانته ودراسته ، وإظهاره بالمظهر اللائق وفقاً لأحكام هـٰذا النظام .

المساجد وأماكن العبادة من أهم الآثار

وجاء في المادة (٧) : الآثار نوعان : آثار ثابتة وآثار منقولة :

أ ـ **الآثار الثابتة** : هي الآثار المتصلة بالأرض ؛ مثل الكهوف الطبيعية أو المحفورة التي كانت مخصصة لحاجات الإنسان القديم ، والصخور التي رسم أو حفر عليها الإنسان صوراً أو نقوشاً أو كتابات ، وكذٰلك أطلال المدن والمنشآت المطمورة في بطون التلال المتراكمة ، والأبنية التاريخية المنشأة لغايات مختلفة ؛ كالمساجد وأماكن العبادة الأخرىٰ ، والقصور والبيوت في المشافي ، والقلاع والحصون والأسوار ، والملاعب والحمامات والمدافن ، والقنوات المشيدة والسدود ، وأطلال تلك المباني وما اتصل بها ؛ كالأبواب والنوافذ والأعمدة ، والشرفات والسلالم والسقوف ، والأفاريز والتيجان وما شابه ذٰلك .

ب ـ **الآثار المنقولة** : هي التي صنعت لتكون بطبيعتها منفصلة عن الأرض ، أو عن المباني التاريخية والتي يمكن تغيير مكانها ؛ كالمنحوتات والمسكوكات ، والمنقوشات والمخطوطات ، والمنسوجات والمصنوعات مهما كانت مادتها والغرض من صنعها ووجوه استعمالها .

الآثار ومشاريع الهدم والتخطيط

جاء في النظام : التحذير من تغيير الآثار ، سواء من الأهالي أم من تخطيط المدن ، تقول المادة (١١) : يحظر إتلاف الآثار المنقولة أو

الثابتة ، أو تحويرها أو إلحاق الضرر بها ، أو تشويهها بالكتابة والنقش عليها ، أو تغيير معالمها ، كما يحظر على الأهالي إلصاق الإعلانات أو وضع اللافتات في المناطق الأثرية وعلى الأبنية التاريخية المسجلة .

وتقول المادة (١٢) : يتعين عند وضع مشروعات تخطيط المدن والقرىٰ ، أو توسيعها أو تجميلها المحافظة على المناطق والمعالم الأثرية فيها ، ولا يجوز إقرار مشروعات التخطيط التي يوجد في نطاقها آثار ، إلا بعد أخذ موافقة دائرة الآثار عليها ، وعلىٰ دائرة الآثار تحديد الأماكن التي يوجد فيها معالم أثرية وإحاطة جهاز تخطيط المدن علماً بذٰلك .

ومعلوم أن الآثار التي نصَّ النظام علىٰ أن منها المساجد وأماكن العبادة تشمل بالدرجة الأولى الآثار الدينية المنسوبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم أو أصحابه الكرام ، بل هٰذه هي الآثار التي تستحق التكريم والتقديم ، وهي التي يفتخر بها المؤمن ويعتز ، وهي التي تذكر الأبناء بالآباء والخلف بالسلف .



وقد أراد بعض المفتنين تغيير وضع الحجرة النبوية بإخراج القبر الشريف المكرم من المسجد ؛ فلما سمع بذٰلك المرحوم الملك خالد بن عبد العزيز . . غضب غضباً شديداً وثارت فيه الحمية الدينية ، وتكلم كلاماً رادعاً لصاحب ذٰلك الاقتراح الأثيم سمعه من كان حاضراً في المجلس ، ولعلَّ بعضهم لا زال علىٰ قيد الحياة ، رحم الله ذٰلك الملك الصالح ، وجعل موقفه هٰذا ذخيرة له عند الله ، ويداً بيضاء عند رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم ، ينال به إن شاء الله شفاعته يوم القيامة .

وبارك في خليفته الملك فهد ، ونصر به الدين ، وحفظ به الديار والآثار ، والعباد والبلاد ، آمين يا رب العالمين .



فتوى الشيخ محمد بن عبد الوهاب في شأن الحجرة النبوية

وقد نسب بعض أهل الفتنة والسوء إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب القول بإخراج الحجرة النبوية من المسجد ، فأنكر ذٰلك وتبرأ منه ومن قائله كما جاء في « رسالته لأهل المجمعة » التي يقول فيها : (إذا تبين هٰذا . . فالمسائل التي شنع بها ؛ منها : ما هو من البهتان الظاهر وهي قوله : إني مبطل كتب المذاهب ، وقوله : إني أقول : إن الناس من ست مئة سنة ليسوا علىٰ شيء ، وقوله : إني أدَّعي الاجتهاد ، وقوله : إني خارج عن التقليد ، وقوله : إني أقول : إن اختلاف العلماء نقمة ، وقوله : إني أكفِّر من توسل بالصالحين ، وقوله : إني أكفِر البوصيري لقوله[1] :

يا أكرم الخلق . . . .

وقوله : إني أقول : لو أقدر علىٰ هدم حجرة الرسول . . لهدمتها ، ولو أقدر على الكعبة . . لأخذت ميزابها وجعلت لها ميزاباً من خشب ، وقوله : إني أنكر زيارة قبر النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ، وقوله : إني أنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهما ، وإني أكفِّر من يحلف بغير الله ، فهٰذه اثنتا عشرة مسألة ، جوابي فيها أن أقول : سبحانك هٰذا بهتان عظيم !!) انتهىٰ[2] .



(١) تقدم تخريجه (ص ١١١) .

(٢) الرسائل الشخصية (ص ٦٤) ، الدرر السنية (١/٥٢) .

أما القبَّة الخضراء . . فقد نسب بعضهم إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب القول بإزالتها وهدمها ، ولٰكن الشيخ رحمه الله نفىٰ ذٰلك بكل قوة وتبرأ منه ، واستنكر هٰذا القول أشدَّ الإنكار في عدة مواضع من رسائله ، الموضع الأول في « رسالته لأهل القصيم » التي يقول فيها : (فهٰذه عقيدة وجيزة حررتها وأنا مشتغل البال ؛ لتطلعوا علىٰ ما عندي ، والله علىٰ ما نقول وكيل .

ثم لا يخفىٰ عليكم أنه بلغني أن « رسالة سليمان بن سحيم » قد وصلت إليكم ، وأنه قبلها وصدقها بعض المنتمين للعلم في جهتكم ، والله يعلم أن الرجل افترىٰ عليَّ أموراً لم أقلها ولم يأت أكثرها علىٰ بالي .

فمنها قوله : إني مبطل كتب المذاهب الأربعة ، وإني أقول : إن الناس من ست مئة سنة ليسوا علىٰ شيء ، وإني أدعي الاجتهاد ، وإني خارج عن التقليد ، وإني أقول : إن اختلاف العلماء نقمة ، وإني أكفِّر من توسل بالصالحين ، وإني أكفر البوصيري لقوله[1] :

يا أكرم الخلق . . . .

وإني أقول : لو أقدر علىٰ هدم قبة رسول الله صلى الله عليه وسلم . . لهدمتها ، ولو أقدر على الكعبة . . لأخذت ميزابها وجعلت لها ميزاباً

(١) تقدم تخريجه (ص ١١١) .

من خشب ، وإني أحرم زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، وإني أنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهما ، وإني أكفِّر من حلف بغير الله ، وإني أكفِّر ابن الفارض وابن عربي ، وإني أحرق « دلائل الخيرات » و« روض الرياحين » ، وأسميه روض الشياطين ، جوابي عن هٰذه المسائل أن أقول : سبحانك هٰذا بهتان عظيم !!)[١] .

الموضع الثاني في « رسالته إلىٰ أهل العراق » وهي رسالة أرسلها إلى السويدي عالم من أهل العراق ، وكان قد أرسل له كتاباً وسأله عما يقوله الناس فيه ، فأجابه بهٰذه الرسالة ، وفيها يقول في ردِّ ما نسب إليه وتكذيبه ؛ منها : (إشاعة البهتان بما يستحي العاقل أن يحكيه فضلاً عن أن يفتريه ، ومنها ما ذكرتم أني أكفِّر جميع الناس إلا من اتبعني ، وأزعم أن أنكحتهم غير صحيحة ، ويا عجبا كيف يدخل هٰذا في عقل عاقل ؟! هل يقول هٰذا مسلم أو كافر أو عارف أو مجنون ؟! وكذٰلك قولهم : إنه يقول : لو أقدر أهدم قبَّة النبي صلى الله عليه وسلم . . لهدمتها ، وأما « دلائل الخيرات » . . فله سبب ؛ وذٰلك أني أشرت علىٰ من قبِل نصيحتي من إخواني ألا يصير في قلبه أجل من كتاب الله ، ويظن أن القراءة فيه أجل من قراءة القرآن ، وأما إحراقه والنهي عن الصَّلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بأي لفظ كان . . فهٰذا بهتان)[٢] .

هٰذا الموقف من الشيخ محمد بن عبد الوهاب هو عين الحكمة والصَّواب ، وهو السِّياسة الشرعية التي يجب أن يتحلَّىٰ بها العلماء والمرشدون والمشايخ في أمرهم ونهيهم ووعظهم وإرشادهم .

---

(١) الرسائل الشخصية (ص ١١ ـ ١٢) .

(٢) الرسائل الشخصية (ص ٣٧) .

وقد كان الشيخ رحمه الله حريصاً كل الحرص علىٰ نفي زعم المفترين ، وردِّ قول المفتنين الذين ألصقوا به هٰذا القول الشنيع ، ونسبوا إليه ذٰلك الرأي الفظيع ، فتراه أنكره في عدة مواطن ؛ لخطر المسألة ولما ينبني عليها من السوء والفتنة والشر الذي يجرُّ إلىٰ مصائب وبلايا نحن عنها في غنىً ، فأين هٰذا ممَّن ضاقت العلوم في عينيه ولم يجد مسألة يكتب عنها أو بحثاً يقدمه إلا قضية القبَّة الخضراء ؟! فما أتفه عقلاً هٰذا منتهاه ، وما أسفه علماً ذٰلك مؤدَّاه !

ولنا بحث خاص عن هٰذا الموضوع نسأل الله أن ييسر إتمامه ونشره بعونه وفضله .



من رسالة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز :

وهنا موقف عظيم يستحق التسجيل للأمانة والتاريخ ؛ وهو أن الملك فهد بن عبد العزيز لما اطَّلع على المخططات المرسومة لبناء وتوسعة مسجد قباء ، ورأىٰ أن معالم المسجد الحالي القديمة ستزول داخل التوسعة الجديدة . . أمر ـ وفقه الله ـ بإلغاء المخطط الموضوع وإعداد مخطط جديد يبقي على المنبر والمحراب والمعالم القديمة ، بحيث تمتد التوسعة من جانبي المسجد ومن خلفه ؛ ليتعرف المسلمون جيلاً بعد جيل على الأماكن الأصلية والآثار النبوية الشريفة ، وقال : (من الخير أن نزيد في مساجد الله ولا نزيل) .

وكان لهٰذه اللفتة السامية الكريمة من جلالته أعمق الأثر في نفوسنا بما فيها من دلالة الحفاظ علىٰ معالم التراث الإسلامي وتخليده .

وقد نشرت الجرائد السعودية بالتفصيل هٰذه المقابلة والحديث في الأعداد الصادرة يوم السبت (١٧) صفر (١٤٠٥ هـ) مثل جريدة (المدينة) و(الندوة) .



مفهوم الاجتماع

جرت عادتنا أن نجتمع لإحياء جملة من المناسبات التاريخية ؛ كالمولد النبوي ، وذكرى الإسراء والمعراج ، وليلة النصف من شعبان ، والهجرة النبوية ، وذكرىٰ نزول القرآن ، وذكرىٰ غزوة بدر ، وفي اعتبارنا أن هٰذا الأمر عادي لا صلة له بالدين ، فلا يوصف بأنه مشروع أو سنة كما أنه ليس معارضاً لأصل من أصول الدين ؛ لأن الخطر هو في اعتقاد مشروعية شيء ليس بمشروع ، وعندي أن أمثال هٰذه الأمور العادية العرفية لا يقال فيها أكثر من أنها محبوبة للشارع أو مبغوضة ، وأظن أن هٰذا القدر متفق عليه .

ويدعي البعض أن هٰذه المناسبات التي يجتمع الناس لإحيائها ينقصها التوقيت المضبوط المتفق عليه ، فيقول : إن الناس تعودوا أن يجتمعوا ليلة السابع والعشرين من رجب ؛ لإحياء ذكرى الإسراء والمعراج ، وأن يجتمعوا ليلة الثاني عشر من ربيع الأول ؛ لإحياء ذكرى المولد النبوي ، مع أن العلماء اختلفوا في تعيين وقت هاتين الحادثتين بالضبط .

وأنا أقول : إن عدم الاتفاق علىٰ تعيين الوقت لا يؤثر ؛ لأننا لا نعتقد مشروعية تحديد الاجتماع بوقت مخصوص ، بل الأمر عادي كما أسلفنا ، والذي يهمنا هو اغتنام فرصة الاجتماع وكسب ذٰلك لتوجيه الناس إلى الخير ، فهٰذه الليلة قد اجتمع الناس فيها بشكل كبير وعظيم ، وسواء

أخطؤوا في التوقيت أم أصابوا ؛ فإن مجرد اجتماعهم هٰذا علىٰ ذكر الله ومحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم كاف في استجلاب رحمة الله وفضله .

إني أعتقد تمام الاعتقاد أن اجتماع هٰؤلاء الناس ما دام أنه لله وفي الله فإنه مقبول عند الله ولو أخطؤوا في التوقيت ، وأضرب لذٰلك مثلاً لتقريب القضية للأذهان : برجل دعا إلىٰ وليمة في يوم معين ، فجاء بعض المدعوين في غير وقت الدعوة ظناً منهم أنه هو الوقت ، فهل ترىٰ أن صاحب الوليمة يطردهم ويردهم بجفوة وغلظة ويصدُّ عنهم ويقول لهم : ارجعوا وانصرفوا عني فليس هٰذا هو وقت الوليمة الذي دعوتكم إليه وحددته لكم ؟! أو ترىٰ أنه يقابلهم بالحسنىٰ ويشكرهم علىٰ قدومهم ويفتح لهم بابه ويطلب منهم الدخول ، ثم يطلب منهم الرجوع مرة أخرىٰ في الوقت المحدد ؟! هٰذا الذي أنا أتصوره وهو اللائق بفضل الله وكرمه .

ونحن إذا اجتمعنا للإسراء والمعراج ، أو للمولد النبوي أو لأي ذكرىٰ من الذكريات التاريخية . . لا يهمنا تعيين الوقت بالضبط ؛ لأنه إن كان موافقاً للصواب في الواقع ونفس الأمر . . فالحمد لله ، وإن كان غير ذٰلك . . فإن الله لا يردُّنا ولا يغلق بابه عنا .

فاغتنام فرصة الاجتماع بالدعاء والتوجه إلى الله سبحانه وتعالىٰ ، والتعرض لنفحاته وخيراته وبركاته هو أجلُّ من فائدة الذكرىٰ نفسها عندي ، واغتنام اجتماع الناس بتذكيرهم وإرشادهم ونصحهم وتوجيههم إلى الخير هو أولىٰ من صدِّهم وردِّهم والإنكار على اجتماعهم بما لا طائل تحته ؛ إذ المشاهد أن ذٰلك لا ينفع ولا يفيد ، وأن الناس يزيد

إقبالهم ويشدد تمسُّكهم كلما زاد الإنكار عليهم أو اشتد ؛ حتىٰ كأن الناهي لهم عن ذٰلك آمر لهم بفعله من حيث لا يشعر .

إن العقلاء من أرباب الفكر والدعوة يتمنون بكل قلوبهم أن يجدوا مكاناً يجتمع فيه الناس ليبثُّوا فيهم آراءهم ويكسبوهم إلىٰ صفهم ، ولذٰلك تراهم يرتادون الحدائق والنوادي والأماكن العامة التي يكثر فيها اجتماع الناس ليصنعوا بهم ما يريدون ، ونحن نرى الأمة تجتمع في مناسبات متعددة برغبة وهِمّة وحرص فما هو الواجب علينا نحوهم ؟

إن الاشتغال بالإنكار والأخذ والرد في حكم اجتماعهم وما إلىٰ ذٰلك هو عبث بل وحمق وجهالة ؛ لأننا نضيع كنزاً عظيماً ، ونفوت فرصة لا يمكن أن يجود الزمان بها إلا في مثل هٰذه المناسبات .

فلنغتنم هٰذه المجامع الكبرىٰ .



مفهوم المولد النبويّ

يخطئ كثير من الناس في فهمهم لحقيقة المولد النبوي الشريف الذي ندعو إليه ونشجع عليه ، فيتصورون تصورات فاسدة يبنون عليها مسائل طويلة ومناقشات عريضة يضيعون بها أوقاتهم وأوقات القراء وهي كلها هباء ؛ لأنها مبنية علىٰ تصورات كما قلنا فاسدة .

وقد كتبنا عن المولد النبوي كثيراً ، وتحدثنا عنه في الإذاعة والمجامع العامة مراراً بما يظهر معه وضوح مفهومنا عن المولد الشريف .

إننا نقول وقد قلنا من قبل : إن الاجتماع لأجل المولد النبوي الشريف ما هو إلا أمر عادي وليس من العبادة في شيء ؛ وهٰذا ما نعتقده وندين الله تعالىٰ به .

وليتصور من شاء ما يتصور ؛ لأن الإنسان هو المصدق فيما يقوله عن نفسه وحقيقة معتقده لا غيره .

ونحن نقول في كل محفل ومجمع ومناسبة : إن هٰذا الاجتماع بهٰذه الكيفية أمر عادي ليس من العبادة في شيء فهل يبقىٰ بعد هٰذا إنكار لمنكر واعتراض لمعترض ؟! لٰكن المصيبة الكبرىٰ في عدم الفهم ، ولهٰذا يقول الإمام الشافعي : (ما جادلت عالماً إلا غلبته ، ولا جادلت جاهلاً إلا غلبني) .

إن أقلَّ الطلاب علماً يعلم الفرق بين العادة والعبادة وحقيقة هٰذه وتلك ؛ فإذا قال القائل : هٰذه عبادة مشروعة بكيفيتها نقول له : أين

الدليل ؟ وإذا قال : هٰذه عادة نقول له : اصنع ما تشاء ؛ لأن الخطر كل الخطر والبلاء الذي نخشاه كلنا هو أن يلبس ثوب العبادة لفعل مبتدع غير مشروع بل من اجتهاد البشر ، وهٰذا ما لا نرضاه بل نحاربه ونحذر منه .

والحاصل : أن الاجتماع لأجل المولد النبوي أمر عادي ، ولٰكنه من العادات الخيرة الصالحة التي تشتمل علىٰ منافع كثيرة ، وفوائد تعود على الناس بفضل وفير ؛ لأنها مطلوبة شرعاً بأفرادها .

ومن التصورات الفاسدة التي تقع في أذهان بعض الناس : أنهم يظنون أننا ندعو إلى الاحتفال بالمولد في ليلة مخصوصة دون سائر العام ، وما درىٰ هٰذا المغفل أن الاجتماعات تعقد لأجل المولد النبوي في مكة والمدينة بشكل منقطع النظير في كل أيام العام ، وفي كل مناسبة تحدث يفرح بها صاحبها ، ولا يكاد يمر يوم أو ليلة بمكة والمدينة إلا ويحصل فيه اجتماع للمولد النبوي ، علم هٰذا من علمه وجهله من جهله .

فمن زعم أننا نذكر النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة واحدة فقط ونهجره ونغفل عنه ثلاث مئة وتسعاً وخمسين ليلة . . فقد افترىٰ إثماً عظيماً وكذب كذباً مبيناً ، وهٰذه مجالس المولد النبوي تنعقد بفضل الله تعالىٰ في جميع ليالي السنة ، ولا يكاد يمر يوم أو ليلة إلا وهنا مجلس وهناك محفل ، ونحن ننادي بأن تخصيص الاجتماع بليلة واحدة دون غيرها هو الجفوة الكبرىٰ للرسول صلى الله عليه وسلم ، ولذٰلك فإن الناس بحمد الله يستجيبون لهٰذا النداء بكل إقبال ورغبة .

ومن زعم أننا نخصِّص الاحتفال به صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة . . فهو جاهل أو متجاهل عن الحقيقة ، وما لنا إلا أن ندعو الله له بأن ينوِّر بصيرته ويكشف عنه حجاب الجهل ؛ ليرىٰ أن ذٰلك ليس خاصاً بالمدينة المنورة ، ولا بليلة مخصوصة في شهر مخصوص ، بل هو عام في الزمان والمكان .

وليس يصحُّ في الأذهان شيٌء إذا احتاج النهار إلىٰ دليلِ (١)

والحاصل : أننا لا نقول بسنية الاحتفال بالمولد المذكور في ليلة مخصوصة ، بل من اعتقد ذٰلك . . فقد ابتدع في الدين ؛ لأن ذكره صلى الله عليه وسلم والتعلق به يجب أن يكون في كل حين ويجب أن تملأ به النفوس .

نعم ؛ إن في شهر ولادته يكون الداعي أقوىٰ لإقبال الناس واجتماعهم وشعورهم الفيَّاض بارتباط الزمان بعضه ببعض ، فيتذكرون بالحاضر الماضي وينتقلون من الشاهد إلى الغائب .

وإن هٰذه الاجتماعات : هي وسيلة كبرىٰ للدعوة إلى الله ؛ وهي فرصة ذهبية ينبغي ألا تفوَّت ، بل يجب على الدعاة والعلماء أن يذكِّروا الأمة بالنبي صلى الله عليه وسلم : بأخلاقه وآدابه وأحواله وسيرته ومعاملته وعباداته ، وأن ينصحوهم ويرشدوهم إلى الخير والفلاح ، ويحذروهم من البلاء والبدع والشر والفتن .

وإننا دائماً بفضل الله ندعو إلىٰ ذٰلك ونشارك في ذٰلك ونقول للناس : ليس المقصود من هٰذه الاجتماعات مجرد الاجتماعات والمظاهر ، بل

---

(١) البيت للمتنبي في « ديوانه بشرح العكبري » (٣/٩٢) ، وهو من الوافر .

إن هٰذه وسيلة شريفة إلىٰ غاية شريفة ؛ وهي كذا وكذا ، ومن لم يستفد شيئاً لدينه . . فهو محروم من خيرات المولد الشريف ، ولا نحب أن نطيل بذكر الأدلة والمسوغات التي استنبطناها في هٰذا الموضوع ؛ إذ لنا رسالة خاصة لذٰلك بعنوان : « حول الاحتفال بالمولد النبوي الشريف » غير أننا سنخصُّ قصة (عتق ثويبة) بالذكر لكثرة الكلام حولها .



قصة عتق ثويبة

يذكر العلماء في كتب الحديث والسيرة قصة عتق أبي لهب لجاريته ثويبة لما أخبرته بولادة النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن العباس بن عبد المطلب رأىٰ أبا لهب في النوم بعد وفاته فسأله عن حاله فقال : (لم ألق خيراً بعدكم غير أني سقيت في هـٰذه بعتاقتي ثويبة وإنه ليخفف عليَّ في كل يوم اثنين) .

قلت : هـٰذا الخبر رواه جملة من أئمة الحديث والسير ؛ مثل الإمام عبد الرزاق الصنعاني ، والإمام البخاري ، والحافظ ابن حجر ، والحافظ ابن كثير ، والحافظ البيهقي ، وابن هشام ، والسهيلي ، والحافظ البغوي ، ومحمد بن عمر بحرق الحضرمي ، والأشخر والعامري ، وسأبين ذٰلك بالتفصيل إن شاء الله .

فأما الإمام عبد الرزاق الصنعاني . . فقد رواه في « المصنف » ، وأما الإمام البخاري . . فقد رواه في « صحيحه » بإسناده إلىٰ عروة بن الزبير مرسلاً [١] ، وأما ابن حجر . . فقد ذكره في « الفتح » وقال : (إنه رواه الإسماعيلي من طريق الذهلي عن أبي اليمان ، ورواه عبد الرزاق عن معمر وقال : وفي الحديث دلالة علىٰ أن الكافر قد ينفعه العمل الصالح في الآخرة ، لـٰكنه مخالف لظاهر القرآن ؛ قال الله تعالىٰ : ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [٢] .

---

(١) صحيح البخاري (٥١٠١) ، المصنف (١٦٣٥٠) .

(٢) سورة الفرقان ، الآية (٢٣) .

وأجيب **أولاً** : بأن الخبر مرسل ، أرسله عروة ولم يذكر من حدَّثه به ، وعلىٰ تقدير أن يكون موصولاً : فالذي في الخبر رؤيا منام ، فلا حجة فيه ، ولعل الذي رآها لم يكن إذ ذاك أسلم بعد ، فلا يحتجُّ به .

وثانياً : علىٰ تقدير القبول . . فيحتمل أن يكون ما يتعلق بالنبي صلى الله عليه وسلم مخصوصاً من ذٰلك ؛ بدليل قصة أبي طالب كما تقدم أنه خفف عنه ، فنقل من الغمرات إلى الضحضاح .

وقال البيهقي : « ما ورد من بطلان الخير للكفار . . فمعناه : أنهم لا يكون لهم التخلص من النار ، ولا دخول الجنة ، ويجوز أن يخفف عنهم من العذاب الذي يستوجبونه علىٰ ما ارتكبوه من الجرائم سوى الكفر بما عملوه من الخيرات »[1] .

وأما عياض . . فقال : « انعقد الإجماع علىٰ أن الكفار لا تنفعهم أعمالهم ، ولا يثابون عليها بنعيم ولا تخفيف عذاب ، وإن كان بعضهم أشد عذاباً من بعض »[2] .

قلت : وهٰذا لا يرد الاحتمال الذي ذكره البيهقي ؛ فإن جميع ما ورد من ذٰلك فيما يتعلق بذنب الكفر ، وأما ذنب غير الكفر . . فما المانع من تخفيفه ؟!

وقال القرطبي : « هٰذا التخفيف خاص بهٰذا ، وبمن ورد النصُّ فيه » .

وقال ابن المنير في « الحاشية » : « هنا قضيتان :

---

(١) البعث والنشور (ص ٤٠٧) .

(٢) إكمال المعلم (١/٥٩٧) .

إحداهما : محال ، وهي اعتبار طاعة الكافر مع كفره ؛ لأن شرط الطاعة أن تقع بقصد صحيح ، وهـٰذا مفقود من الكافر .

الثانية : إثابة الكافر علىٰ بعض الأعمال تفضلاً من الله تعالىٰ ، وهـٰذا لا يحيله العقل ؛ فإذا تقرر ذٰلك . . لم يكن عتق أبي لهب لثويبة قربة معتبرة ، ويجوز أن يتفضل الله عليه بما شاء كما تفضل علىٰ أبي طالب ، والمتبع في ذٰلك التوقيف نفياً وإثباتاً » .

قلت : وتتمة هـٰذا : أن يقع التفضل المذكور إكراماً لمن وقع من الكافر البر له ، ونحو ذٰلك ، والله أعلم) انتهىٰ[(١)] .

وأما الحافظ ابن كثير . . فقد رواه في « البداية والنهاية » ، وقال معلقاً : (لأنه لما بشرته ثويبة بميلاد ابن أخيه محمد بن عبد الله . . أعتقها من ساعته ، فجوزي بذٰلك لذٰلك) انتهىٰ[(٢)] .

وأما الحافظ البغوي . . فقد رواه في « شرح السنة »[(٣)] .

وأما العلامة محمد بن عمر بحرق . . فقد رواه في « سيرته » ، وقال معلقاً : (**قلت** : فتخفيف العذاب عنه إنما هو كرامة للنبي صلى الله عليه وسلم ؛ كما خفف عن أبي طالب ، لا لأجل العتق ؛ لقوله تعالىٰ[(٤)] : ﴿ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾) انتهىٰ[(٥)] .

وأما الإمام العامري . . فقد رواه في « بهجة المحافل » ، وقال

---

(١) فتح الباري (٩/١٤٥ ـ ١٤٦) .
(٢) البداية والنهاية (٣/٥٣) .
(٣) شرح السنة (٥/٣٣٢) .
(٤) سورة هود ، الآية (١٦) .
(٥) حدائق الأنوار (ص ١٠٧) .

« شارحه » الأشخر : (قيل : هـٰذا خاص به ؛ إكراماً له صلى الله عليه وسلم ؛ كما خفف عن أبي طالب بسببه ، وقيل : لا مانع من تخفيف العذاب عن كل كافر عمل خيراً) انتهىٰ[١] .

وأما السهيلي . . فقد رواه في « الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام » وقال بعد نقل الخبر : (فنفعه ذٰلك وهو في النار ؛ كما نفع أخاه أبا طالب ذبُّه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهو أهون أهل النار عذاباً ، وقد تقدم في باب أبي طالب أن هـٰذا النفع إنما هو نقصان من العذاب ، وإلا . . فعمل الكافر كله محبط بلا خلاف ؛ أي : لا يجده في ميزانه ، ولا يدخل به جنة) انتهىٰ[٢] .



(١) بهجة المحافل (ص ٦٢) ، شرح البهجة (١/٤١) .

(٢) الروض الأنف (٥/١٢٣) .

حاصل البحث

والحاصل : أن هٰذه القصة مشهورة في كتب الأحاديث ، وفي كتب السير ، ونقلها حفاظ معتبرون معتمدون ، ويكفي في توثيقها كون البخاري نقلها في « صحيحه » المتفق علىٰ جلالته ومكانته ، وكل ما فيه من المسند صحيح بلا كلام .

وأما المعلقات والمرسلات التي فيه . . فإنها لا تخرج عن دائرة المقبول ، ولا تصل إلى المردود ، وهٰذا يعرفه أهل العلم المشتغلون بالحديث والمصطلح ، والذين يعرفون معنى المعلق والمرسل ، ويعرفون حكمهما إذا جاءا في الصحيح .

فانظر إن شئت ذٰلك في كتب المصطلح ؛ كـ « ألفية السيوطي » و« العراقي » وشروحهما ، و« تدريب الراوي » فإنهم تعرضوا لهٰذه المسألة ، وبينوا قيمة ما في الصحيح من المعلق والمرسل ، وأن ذٰلك مقبول عند المحققين (١) .

ثم إن هٰذه المسألة من المناقب والفضائل والكرامات التي يذكرها العلماء في كتب الخصائص والسير ، ويتساهلون في نقلها ، ولا يشترطون فيها الصحيح بالمعنى المصطلح عليه .

ولو ذهبنا إلى اشتراط هٰذا الشرط الشاذ . . لما أمكن لنا ذكر شيء من

---

(١) انظر « شرح التبصرة والتذكرة » (١/١٣٤ ـ ١٤٦) ، و« تدريب الراوي » (٢/٤٣٠ ـ ٤٥٠) ، و« شرح ألفية السيوطي » لأحمد شاكر (ص ٣٠ ـ ٣١) .

سيرة النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وبعد البعثة ، مع أنك تجد كتب الحفاظ الذين عليهم العمدة ، وعلىٰ صنيعهم المعوَّل ، والذين منهم عرفنا ما يجوز وما لا يجوز ذكره من الحديث الضعيف ؛ تجد كتبهم مملوءة بالمقطوعات والمراسيل ، وما أخذ عن الكهان وأشباههم في خصائص رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لأن ذٰلك مما يجوز ذكره في هٰذا المقام .

أما قول من قال : (إن هٰذا الخبر يعارض قوله[1] : ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾) . . فهٰذا قول مردود بما قاله العلماء ، ونقلناه عنهم سابقاً .

وتحرير الكلام في هٰذا المقام : هو أن الآية تدل علىٰ أن أعمال الكفار لا ينظر إليها ، وليس فيها أنهم سواء في العذاب ، وأنه لا يخفف عن بعضهم العذاب كما هو مقرَّر عند العلماء .

وكذٰلك الإجماع الذي حكاه عياض ؛ فإنه في عموم الكفار ، ليس فيه أن الله تعالىٰ لا يخفِّف العذاب عن بعضهم لأجل عمل عملوه ، ولهٰذا جعل الله تعالىٰ جهنم دركات ، والمنافقون في الدرك الأسفل منها[2] .

ثم إن هٰذا الإجماع يردُّه النصُّ الصحيح ، ولا يصحُّ إجماع مع مخالفة النصِّ كما هو معلوم للطلبة .

وذٰلك أنه ثبت في « الصحيح » : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل : هل نفعت أبا طالب بشيء فإنه كان يحوطك ويدافع عنك ؟

---

(١) سورة الفرقان ، الآية (٢٣) .

(٢) إكمال المعلم (١/٥٩٧) .

فقال : « وَجَدْتُهُ فِي غَمَرَاتٍ مِنَ ٱلنَّارِ ، فَأَخْرَجْتُهُ إِلَىٰ ضَحْضَاحٍ مِنْهَا . . . » الحديث[1] .

فها هو أبو طالب قد نفعه دفاعه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وأخرجه النبي صلى الله عليه وسلم من أجل ذٰلك من غمرات النار إلىٰ ضحضاح منها .

فالتخفيف عن أبي لهب من هٰذا الباب أيضاً ، لا منكر فيه ، والحديث يدلُّ علىٰ أن الآية المذكورة فيمن لم يكن لهم عمل يوجب التخفيف ، وكذٰلك الإجماع .

وفي حديث أبي طالب المذكور دلالة وأيُّ دلالة علىٰ أن النبي صلى الله عليه وسلم يتصرف الآن ، وقبل يوم القيامة في أمور الآخرة ، ويشفع لمن تعلق به ودافع عنه .

وأما قول من قال : (إن هٰذا الخبر رؤيا منام لا يثبت بها حكم) . . فإن هٰذا القائل ـ هداه الله للصواب ـ لا يفرِّق بين الأحكام الشرعية وغيرها .

أما الأحكام الشرعية . . فإن الخلاف واقع بين الفقهاء : هل يجوز أخذ الأحكام وتصحيح الأخبار برؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام أم لا ؟

وأما غيرها . . فإن الاعتماد على الرؤيا في هٰذا الباب لا شيء فيه مطلقاً ، وقد اعتمد عليها الحفَّاظ ، وذكروا ما جاء في رؤيا أهل الجاهلية

---

(١) صحيح البخاري (٣٨٨٣) ، صحيح مسلم (٢٠٩/٣٥٨) ، واللفظ له عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه .

قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذرة بظهوره ، وأنه سيقضي على الشرك وما هم عليه من فساد .

وكتب السنة مملوءة بهٰذا ، وفي مقدمتها : كتاب « دلائل النبوة » وعدُّوها من الإرهاصات التي لا مانع من الاستدلال في شأنها بالرؤيا ، ولولا ذٰلك . . لما ذكروها .

فقول القائل في شأن رؤيا العباس : (إنها ليست بحجة ، ولا يثبت بها حكم ولا خبر) . . خروج عن عمل الأئمة من الحفاظ وغيرهم ، والمراد به التهويل لا غير ، وما هٰكذا يكون شأن الباحث عن الحق ، والأمر لله .

وأما من قال : (إن الرائي والمخبر هو العباس في حال الكفر ، والكفار لا تسمع شهادتهم ، ولا تقبل أخبارهم) . . فإن هٰذا قول مردود ، لا رائحة للعلم فيه ، وهو باطل ؛ وذٰلك لأنه لم يقل أحد : إن الرؤيا من باب الشهادة مطلقاً ، وإنما هي بشارة لا غير ، فلا يشترط فيها دين ولا إيمان .

بل ذكر الله تعالىٰ في القرآن معجزة يوسف عليه السلام عن رؤيا ملك مصر ، وهو وثني لا يعرف ديناً سماوياً مطلقاً ، ومع ذٰلك جعل الله تعالىٰ رؤيته المنامية من دلائل نبوة يوسف عليه السلام وفضله ، وقرنها بقصته ، ولو كان ذٰلك لا يدل علىٰ شيء . . لما ذكرها الله تعالىٰ ؛ لأنها رؤيا مشرك وثني لا فائدة فيها ، لا في التأييد ولا في الإنكار .

ولهٰذا ذكر العلماء أن الكافر يرى الله تعالىٰ في المنام ، ويرىٰ في ذٰلك ما فيه إنذار له وتوبيخ وتقريع .

والعجب كل العجب من قول القائل : (إن العباس رأىٰ ذٰلك في حال كفره ، والكفار لا تسمع شهادتهم ولا تقبل أخبارهم) ؛ فإن هٰذا القول يدل علىٰ عدم المعرفة بعلم الحديث ؛ إذ المقرر في المصطلح : أن الصحابي أو غيره إذا تحمل الحديث في حال كفره ، ثم روىٰ ذٰلك بعد إسلامه . . أخذ ذٰلك عنه ، وعمل به .

وانظر أمثلة ذٰلك في كتب المصطلح ؛ لتعرف بُعْدَ صاحب هٰذا القول عن العلم ، وإنما الهوىٰ هو الذي حمل المعترض على الدخول فيما لا يتقنه[1] .



---

(١) انظر « فتح المغيث » (٢/١٣١ ـ ١٣٢) ، و« تدريب الراوي » (٤/١٤٧) .

الخاتمة

وبعد : فهٰذا ما تيسَّر لنا كتابته عن هٰذه المسائل التي أحببنا أن نبيِّن مفهومنا الذي نراه فيها .

فإن كان ذٰلك صواباً . . فالحمد لله ، وإن كان غير ذٰلك . . فإنني بشر أصيب وأخطئ ، وكل منا يؤخذ منه ويردُّ عليه إلا السيد المعصوم صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوىٰ إن هو إلا وحي يوحىٰ ، وأعوذ بالله من المراء والجدال والخصام ، وأعوذ بالله من علم لا ينفع ودعاء لا يسمع وقلب لا يخشع ، وأعوذ بالله من كل سوء وشرٍّ وبلاء وشرك وبدعة ، وأبرأ مما تبرأ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقرُّ بما أقرَّ به .

وأسأل الله أن يثبِّتني عليه حتىٰ أموت عليه مسلماً موحداً مؤمناً بالله في بلاد الله ، وبين المؤمنين الموحدين الذين يشهدون أن لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله منذ أن جاء بها محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وسار علىٰ ذٰلك أصحابه وأتباعه وأتباعهم من أئمة السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين ، في ظل أئمة التوحيد ودعاة الخير من حكامنا الأماجد وفَّقهم الله لنصرة الحق وأخذ بأيديهم إلىٰ خير البلاد والعباد ، والحمد لله رب العالمين .

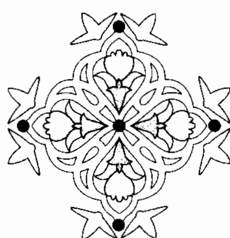
وصلّى الله علىٰ سيّدنا محمّدٍ وعلىٰ آله وصحبه أجمعين

وكتب ذٰلك بقلمه وقاله بفمه : محمد بن علوي بن عباس المالكي

مذهباً ، السلفي عقيدة ، المكي موطناً ، الحسني نسباً عفا الله عنه ، خادم العلم الشريف بالبلد الحرام .

تحريراً بمكة المكرمة في ربيع الأول سنة (١٤٠٤) من هجرة المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم .

تمّ بحمد الله تعالى



أهمّ المصادر والمراجع (1)

- إتحاف الأذكياء بجواز التوسل بالأنبياء والأولياء ، **للإمام الحافظ الأصولي المفسر الشريف** أبي الفضل **عبد الله** بن محمد **بن الصديق الغماري** الحسني المالكي (ت ١٤١٣ هـ) ، ط ٢ ، (١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٤ م) ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان .

- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ، المسمى : « المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع من غير وجود قطع في سندها ولا ثبوت جرح في ناقليها » ، **للإمام الحافظ المجود الرحلة** أبي حاتم محمد **بن حبان** بن أحمد التميمي البستي الشافعي (ت ٣٥٤ هـ) ، بترتيب الإمام الحافظ الأمير علاء الدين أبي الحسن علي بن بلبان بن عبد الله الفارسي المصري الحنفي (ت ٧٣٩ هـ) ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، ط ٣ ، (١٤١٨ هـ ، ١٩٩٧ م) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .

- أحكام تمني الموت ، **للعلامة الأثري محمد بن عبد الوهاب** بن سليمان آل مشرف التميمي الحنبلي (ت ١٢٠٦ هـ) ، تحقيق الشيخ عبد الرحمٰن السدحان (ت ١٤٣٢ هـ) والشيخ عبد الله بن جبرين (ت ١٤٣٠ هـ) ، ط ١ ، (بدون تاريخ) ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، السعودية .

- إحياء علوم الدين ، **للإمام المجدد حجة الإسلام** زين الدين أبي حامد محمد بن محمد بن محمد **الغزالي** الطوسي الطابراني الشافعي

(١) **اعتمدنا في فهرسة المصادر على التالي** : اسم الكتاب ، واسم المؤلف وسنة وفاته ، واسم المحقق ، ورقم الطبعة ، وتاريخ طبعه ، والدار الناشرة ومقرها .

(ت ٥٠٥ هـ) ، عني به اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي ، ط ١ ، (١٤٣٢ هـ ، ٢٠١١ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

- الاختيار لتعليل المختار ، **للإمام الفقيه الأصولي المفتي** مجد الدين أبي الفضل عبد الله بن محمود بن مودود **الموصلي** الحنفي (ت ٦٨٣ هـ) ، تحقيق بشار بكري عرابي الدمشقي ، ط ١ ، (١٤٢٥ هـ ، ٢٠٠٤ م) ، دار قباء ، دمشق ، سورية .

- الإخوان ، **للإمام الحافظ المؤدب** أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد **ابن أبي الدنيا** القرشي الأموي البغدادي (ت ٢٨١ هـ) ، تحقيق مصطفىٰ عبد القادر عطا ، ط ١ ، (١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٨ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

- الأدب المفرد ، **لإمام الدنيا حبر الإسلام الحافظ** أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي **البخاري** (ت ٢٥٦ هـ) ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط ٤ ، (١٤١٧ هـ ، ١٩٩٧ م) ، نسخة مصورة لدىٰ دار البشائر الإسلامية عن طبعة المكتبة السلفية ، بيروت ، لبنان .

- الأذكار من كلام سيد الأبرار ، المسمىٰ : « حلية الأبرار وشعار الأخيار في تلخيص الدعوات والأذكار المستحبة في الليل والنهار » ، **لشيخ الإسلام الحافظ المجتهد** محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف بن مري **النووي** الشافعي (ت ٦٧٦ هـ) ، عني به اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي ، ط ١ ، (١٤٢٥ هـ ، ٢٠٠٥ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

- إرشاد الساري إلىٰ شرح صحيح البخاري ، **للإمام الحجة المحدث الفقيه** شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر **القسطلاني** المصري

الشافعي (ت ٩٢٣ هـ) ، وبهامشه : « صحيح مسلم » و« شرح النووي » عليه ، ط ٦ ، (١٣٠٤ هـ ، ١٨٨٦ م) ، طبعة مصورة عن نشرة بولاق لدىٰ دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

ـ الاستذكار الجامع لمذهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه « الموطأ » من معاني الرأي والآثار وشرح ذٰلك كله بالإيجاز والاختصار ، **للإمام الحافظ المؤرخ الأديب** أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد **بن عبد البر** النمري القرطبي المالكي (ت ٤٦٣ هـ) ، تحقيق الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي ، ط ١ ، (١٤١٤ هـ ، ١٩٩٣ م) ، دار قتيبة ودار الوعي ، دمشق ، حلب ، سورية ـ بيروت ، لبنان .

ـ الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصىٰ ، **للعلامة المؤرخ الأديب** أبي العباس أحمد بن خالد بن حماد الناصري الدرعي **السلاوي** (ت ١٣١٥ هـ) ، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري ، ط ١ ، (١٤١٨ هـ ، ١٩٩٧ م) ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، المغرب .

ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، **للإمام الحافظ المؤرخ الأديب** أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد **بن عبد البر** النمري القرطبي المالكي (ت ٤٦٣ هـ) ، تحقيق عادل مرشد ، ط ١ ، (١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م) ، دار الأعلام ، عمان ، المملكة الأردنية الهاشمية .

ـ اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ، **للإمام العلامة المفتي** تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام **بن تيمية** الحراني الحنبلي (ت ٧٢٨ هـ) ، تحقيق الدكتور ناصر عبد الكريم العقل ، ط ١ ، (بدون تاريخ) ، مكتبة الرشد ، الرياض ، السعودية .

ـ إكمال المعلم بفوائد مسلم ، **للإمام الحافظ الأوحد القاضي** أبي الفضل **عياض** بن موسىٰ **عياض** اليحصبي الأندلسي المالكي (ت ٥٤٤ هـ) ،

تحقيق الدكتور يحيىٰ إسماعيل ، ط ٢ ، (١٤٢٥ هـ ، ٢٠٠٤ م) ، دار الوفاء ، القاهرة ، مصر .

- ألفية الحديث (التبصرة والتذكرة في علوم الحديث) ، **للإمام الحافظ الفقيه المجدد القاضي زين الدين** أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمٰن **العراقي** المهراني الشافعي (ت ٨٠٦ هـ) ، تحقيق العربي الدائزالفرياطي ، ط ١ ، (١٤٢٦ هـ ، ٢٠٠٥ م) ، مكتبة دار المنهاج ، الرياض ، السعودية .
- ألفية السيوطي في علم الحديث (نظم الدرر في علم الأثر) ، **للإمام الحافظ البحر جلال الدين** أبي الفضل عبد الرحمٰن بن أبي بكر بن محمد الخضيري **السيوطي** الشافعي (ت ٩١١ هـ) ، تصحيح وشرح العلامة أحمد محمد شاكر (ت ١٣٧٧ هـ) ، ط ١ ، (١٣٥٣ هـ ، ١٩٣٤ م) ، طبعة مصورة عن نشرة البابي الحلبي لدىٰ دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .
- الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع (حقيقة السنة والبدعة) ، **للإمام الحافظ البحر جلال الدين** أبي الفضل عبد الرحمٰن بن أبي بكر بن محمد الخضيري **السيوطي** الشافعي (ت ٩١١ هـ) ، تحقيق مشهور سلمان ، ط ١ ، (١٤١٠ هـ ، ١٩٩٠ م) ، دار ابن القيم ، الدمام ، السعودية .
- الإيضاح في مناسك الحج والعمرة ، **لشيخ الإسلام الحافظ المجتهد** محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف بن مري **النووي** الشافعي (ت ٦٧٦ هـ) ، عني به عبد الفتاح حسين راوه المكي ، ط ٢ ، (١٤١٤ هـ ، ١٩٩٤ م) ، دار البشائر الإسلامية والمكتبة الإمدادية ، بيروت ، لبنان . مكة المكرمة ، السعودية .
- البحر الزخار (مسند البزار) ، **للإمام الحافظ الكبير** أبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري **البزار** (ت ٢٩٢ هـ) ، تحقيق الدكتور

محفوظ الرحمـٰن زين الله ، ط ١ ، (١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٨ م) ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، السعودية .

- البداية والنهاية ، **للإمام الحافظ** عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر **بن كثير** القرشي البصروي الدمشقي الشافعي (ت ٧٧٤ هـ) ، عني به مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ عبد القادر الأرناؤوط والدكتور بشار عواد معروف ، ط ١ ، (١٤٢٨ هـ ، ٢٠٠٧ م) ، دار ابن كثير ، دمشق ، سورية .
- بدائع الفوائد ، **للإمام الحافظ الفقيه الأصولي المشارك** شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر **بن** أيوب **ابن قيم الجوزية** الزرعي الحنبلي (ت ٧٥١ هـ) ، ط ١ ، (بدون تاريخ) ، طبعة مصورة عن نشرة المنيرية لدىٰ دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .
- البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير ، **للإمام الحافظ الفقيه أعجوبة الزمان** سراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن أحمد بن محمد **ابن الملقن وابن النحوي** الأندلسي المصري الشافعي (ت ٨٠٤ هـ) ، تحقيق مجموعة من الباحثين ، ط ١ ، (١٤٢٥ هـ ، ٢٠٠٤ م) ، دار الهجرة ، جدة ، السعودية .
- بذل المجهود في حل أبي داوود ، **للعلامة المحدث الفقيه** أبي إبراهيم خليل أحمد بن مجيد علي الأيوبي الأنصاري الأنبيتهوي **السهارنفوري** المدني الحنفي (ت ١٣٤٦ هـ) ، تعليق العلامة محمد زكريا بن يحيى الكاندهلوي (ت ١٤٠٢ هـ) ، ط ١ ، (١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٤ م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- البعث والنشور ، **للإمام الحافظ الفقيه الأصولي** أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي الخسروجردي **البيهقي** الشافعي (ت ٤٥٨ هـ) ، تحقيق

أبو عاصم الشوامي ، ط ١ ، (١٤٣٦ هـ ، ٢٠١٥ م) ، مكتبة دار الحجاز ، الرياض ، السعودية .

- بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص السير والمعجزات والشمائل ، **للإمام المحدث الفقيه الولي** عماد الدين أبي زكريا يحيى بن أبي بكر بن محمد **العامري** الحرضي اليماني الشافعي (ت ٨٩٣ هـ) ، عني به أبو حمزة أنور بن أبي بكر الشيخي الداغستاني ، ط ١ ، (١٤٣٠ هـ ، ٢٠٠٩ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

- تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك) ، **للإمام المحدث المفسر المؤرخ** أبي جعفر محمد بن **جرير** بن يزيد الآملي **الطبري** (ت ٣١٠ هـ) ، تحقيق العلامة محمد أبو الفضل إبراهيم (ت ١٤٠١ هـ) ، ط ٢ ، (١٣٨٧ هـ ، ١٩٦٧ م) ، طبعة مصورة بدون ناشر ، بيروت ، لبنان .

- التاريخ الكبير ، **لإمام الدنيا حبر الإسلام الحافظ** أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي **البخاري** (ت ٢٥٦ هـ) ، عني به مصطفىٰ عبد القادر عطا ، ط ٢ ، (١٤٢٩ هـ ، ٢٠٠٨ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها ، **للإمام الحافظ الكبير المجود** ثقة الدين أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله **ابن عساكر** الدمشقي الشافعي (ت ٥٧١ هـ) ، تحقيق محب الدين عمر بن غرامة العمروي ، ط ١ ، (١٤١٥ هـ ، ١٩٩٥ م) ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

- تبرك الصحابة بآثار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبيان فضله العظيم ، **للعلامة المحقق المؤرخ الخطاط** أبي عبد الرحمٰن **محمد طاهر** بن عبد القادر بن محمود **الكردي** المكي (ت ١٤٠٠ هـ) ،

تشرفت بخدمته والعناية به اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي ، ط ١ ، (١٤٣٣ هـ ، ٢٠١٢ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

- تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ، **للإمام الحافظ الكبير المجود** ثقة الدين أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله **ابن عساكر** الدمشقي الشافعي (ت ٥٧١ هـ) ، تحقيق العلامة محمد زاهد الكوثري (ت ١٣٧١ هـ) ، ط ١ ، (١٤٢٠ هـ ، ١٩٩٩ م) ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، مصر .

- تتمة أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، **لتلميذ المؤلف العلامة** الشيخ **عطية** محمد سالم المصري (ت ١٤٢٠ هـ) ، ط ٢ ، (١٤٠٠ هـ ، ١٩٨٠ م) ، مطبعة المدني ، القاهرة ، مصر .

- تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم ، **للإمام الأصولي الفقيه المفسر** بدر الدين أبي علي محمد بن علي بن محمد **الشوكاني** الصنعاني (ت ١٢٥٠ هـ) ، ط ١ ، (١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٨ م) ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، لبنان .

- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ، **للإمام الحافظ البحر جلال الدين** أبي الفضل عبد الرحمٰن بن أبي بكر بن محمد الخضيري **السيوطي** الشافعي (ت ٩١١ هـ) ، تحقيق العلامة الشيخ محمد عوامة ، ط ١ ، (١٤٣٧ هـ ، ٢٠١٦ م) ، دار اليسر ودار المنهاج ، المدينة المنورة ، جدة ، السعودية .

- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، **للإمام الحافظ الأوحد القاضي** أبي الفضل **عياض** بن موسىٰ عياض اليحصبي الأندلسي المالكي (ت ٥٤٤ هـ) ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي ،

ط ٢ ، (١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م) ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الرباط ، المغرب .

- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ، **للإمام الحافظ الفقيه المؤرخ** زكي الدين أبي محمد عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله **المنذري** المصري الشافعي (ت ٦٥٦ هـ) ، تحقيق محيي الدين مستو وسمير العطار ويوسف بديوي ، ط ٣ ، (١٤١٩ هـ ، ١٩٩٩ م) ، دار ابن كثير ، دمشق ، سورية .
- تفسير ابن أبي حاتم (تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين) ، **للإمام الحافظ الكبير** أبي محمد عبد الرحمـٰن **بن أبي حاتم** محمد بن إدريس التميمي الحنظلي الرازي الشافعي (ت ٣٢٧ هـ) ، تحقيق أسعد محمد الطيب ، ط ١ ، (١٤١٧ هـ ، ١٩٩٧ م) ، مكتبة نزار الباز ، مكة المكرمة ، السعودية .
- تفسير البغوي (معالم التنزيل) ، **للإمام الحافظ الفقيه المجتهد** ركن الدين أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء **البغوي** الشافعي (ت ٥١٦ هـ) ، تحقيق خالد عبد الرحمـٰن العك ومروان سوار ، ط ١ ، (١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٦ م) ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .
- تفسير التستري ، **للإمام المتكلم الصوفي** أبي محمد سهل بن عبد الله بن يونس **التستري** البصري (ت ٢٨٣ هـ) ، تحقيق محمد باسل عيون السود ، ط ١ ، (١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) ، **للإمام المحدث المفسر المؤرخ** أبي جعفر محمد **بن جرير** بن يزيد الآملي **الطبري** (ت ٣١٠ هـ) ، عني به مكتب التحقيق والإعداد العلمي في دار الأعلام ، ط ١ ، (١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م) ، دار ابن حزم ودار الأعلام ، بيروت ، لبنان . عمان ، الأردن .

- تفسير القرآن العظيم ، **للإمام الحافظ** عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن **كثير** القرشي البصروي الدمشقي الشافعي (ت ٧٧٤ هـ) ، تصحيح مجموعة من العلماء ، ط ١ ، (١٣٨٨ هـ ، ١٩٦٩ م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ، **للإمام الفقيه المفسر** أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري **القرطبي** المالكي (ت ٦٧١ هـ) ، تصحيح أحمد عبد العليم البردوني ، ط ٢ ، (١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

- تقريب التهذيب ، **للإمام الحافظ الحجة** شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد **ابن حجر العسقلاني** الكناني الشافعي (ت ٨٥٢ هـ) ، تحقيق العلامة محمد عوامة ، ط ٨ ، (١٤٣٠ هـ ، ٢٠٠٩ م) ، دار اليسر ودار المنهاج ، المدينة المنورة ، جدة ، السعودية .

- التلخيص الحبير (التمييز في تلخيص تخريج أحاديث شرح الوجيز) ، **للإمام الحافظ الحجة** شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد **ابن حجر العسقلاني** الكناني الشافعي (ت ٨٥٢ هـ) ، عني به الدكتور محمد الثاني موسىٰ ، ط ١ ، (١٤٢٨ هـ ، ٢٠٠٧ م) ، دار أضواء السلف ، الرياض ، السعودية .

- تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الأخبار ، **للإمام المحدث المفسر المؤرخ** أبي جعفر **محمد بن جرير** بن يزيد الآملي **الطبري** (ت ٣١٠ هـ) ، تحقيق العلامة محمود محمد شاكر (ت ١٤١٨ هـ) ، ط ١ ، (١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٢ م) ، مطبعة المدني ، القاهرة ، مصر .

- تهذيب التهذيب ، **للإمام الحافظ الحجة** شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن

علي بن محمد **ابن حجر العسقلاني** الكناني الشافعي (ت ٨٥٢ هـ) ، عني به إبراهيم الزيبق وعادل المرشد ، ط ١ ، (١٤١٦ هـ ، ١٩٩٦ م) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .

- الثقات ، **للإمام الحافظ المجود الرحلة** أبي حاتم محمد **بن حبان** بن أحمد التميمي البستي الشافعي (ت ٣٥٤ هـ) ، عني به إبراهيم شمس الدين وتركي فرحان المصطفىٰ ، ط ١ ، (١٤٠٩ هـ ، ١٩٩٨ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

- الجامع لشعب الإيمان ، **للإمام الحافظ الفقيه الأصولي** أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي الخسروجردي **البيهقي** الشافعي (ت ٤٥٨ هـ) ، تحقيق الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد ، ط ٢ ، (١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٤ م) ، مكتبة الرشد ، الرياض ، السعودية .

- حاشية ابن حجر الهيتمي على الإيضاح في مناسك الحج (منح الفتاح شرح حقائق الإيضاح) ، **للإمام المجتهد الفقيه** شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن محمد **ابن حجر الهيتمي** المكي الشافعي (ت ٩٧٤ هـ) ، تحقيق عبد المنعم إبراهيم ، ط ٢ ، (١٤٢١ هـ ، ٢٠٠٠ م) ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان .

- حاشية الخضري علىٰ شرح ابن عقيل علىٰ ألفية ابن مالك ، **للعلامة الفقيه المشارك** محمد بن مصطفى بن حسن الخضري **الدمياطي** الشافعي (ت ١٢٨٧ هـ) ، شرح وتحقيق تركي فرحان المصطفىٰ ، ط ٣ ، (١٤٣٠ هـ ، ٢٠٠٩ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

- حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار صلى الله عليه وسلم وعلىٰ آله وصحبه المصطفين الأخيار ، **للإمام العلامة القاضي** جمال الدين محمد بن عمر بن مبارك **بحرق** الحميري الحضرمي الشافعي

(ت ٩٣٠ هـ) ، عني به محمد غسان نصوح عزقول ، ط ٢ ، (١٤٢٥ هـ ، ٢٠٠٤ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، **للإمام الحافظ المؤرخ الثقة أبي نعيم** أحمد بن عبد الله بن أحمد المهراني **الأصبهاني** الشافعي (ت ٤٣٠ هـ) ، ط ٥ ، (١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧ م) ، طبعة مصورة عن نشرة مطبعة السعادة والخانجي سنة (١٣٥٧ هـ) لدىٰ دار الريان للتراث ودار الكتاب العربي ، القاهرة ، مصر . بيروت ، لبنان .
- حياة الأنبياء صلوات الله عليهم بعد وفاتهم ، **للإمام الحافظ الفقيه الأصولي** أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي الخسروجردي **البيهقي** الشافعي (ت ٤٥٨ هـ) ، تحقيق الدكتور أحمد عطية الغامدي ، ط ٢ ، (١٤٢٢ هـ ، ٢٠٠١ م) ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، السعودية .
- الخصائص الكبرىٰ (كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب صلى الله عليه وسلم) ، **للإمام الحافظ البحر جلال الدين** أبي الفضل عبد الرحمـٰن بن أبي بكر بن محمد الخضيري **السيوطي** الشافعي (ت ٩١١ هـ) ، ط ١ ، (١٣٢٠ هـ ، ١٩٠٠ م) ، طبعة مصورة عن نشرة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن بالهند لدىٰ دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .
- خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم ، **للإمام الفقيه المؤرخ الحجة الشريف** نور الدين أبي الحسن علي بن عبد الله بن أحمد **السمهودي** الحسني الشافعي (ت ٩١١ هـ) ، تحقيق الدكتور علي عمر ، ط ١ ، (١٤٢٧ هـ ، ٢٠٠٦ م) ، مكتبة الثقافة الإسلامية ، القاهرة ، مصر .
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، **للإمام الحافظ البحر جلال الدين**

أبي الفضل عبد الرحمٰن بن أبي بكر بن محمد الخضيري **السيوطي** الشافعي (ت ٩١١ هـ) ، ط ١ ، (١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م) ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

- الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد ، **للإمام الأصولي الفقيه المفسر** بدر الدين أبي علي محمد بن علي بن محمد **الشوكاني** الصنعاني (ت ١٢٥٠ هـ) ، تحقيق أبي عبد الله الحلبي ، ط ١ ، (١٤١٤ هـ ، ١٩٩٤ م) ، دار ابن خزيمة ، الرياض ، السعودية .

- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، **للإمام الحافظ الفقيه الأصولي** أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي الخسروجردي **البيهقي** الشافعي (ت ٤٥٨ هـ) ، تحقيق الدكتور عبد المعطي قلعجي ، ط ١ ، (١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٨ م) ، دار الريان ، القاهرة ، مصر .

- دلائل النبوة ، **للإمام الحافظ المؤرخ الثقة أبي نعيم** أحمد بن عبد الله بن أحمد المهراني **الأصبهاني** الشافعي (ت ٤٣٠ هـ) ، عني به عبد البر عباس ومحمد رواس قلعه جي ، ط ١ ، (١٣٩٠ هـ ، ١٩٧٠ م) ، المكتبة العربية ، حلب ، سورية .

- دليل الطالب لنيل المطالب ، **للعلامة الفقيه الأصولي المحقق مرعي** بن يوسف بن أبي بكر **الكرمي** المقدسي الحنبلي (ت ١٠٣٣ هـ) ، عني به سلطان عبد الرحمٰن العيد ، ط ١ ، (بدون تاريخ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .

- ديوان أبي الفتح البستي ، **للشاعر المفلق الكاتب أبي الفتح** علي بن محمد بن الحسين **البستي** الشافعي (ت ٤٠٠ هـ) ، تحقيق شاكر العاشور ، ط ١ ، (١٤٢٦ هـ ، ٢٠٠٦ م) ، دار الينابيع ، دمشق ، سورية .

- ديوان البوصيري ، **لإمام المادحين وأعجوبة النثر والنظم** شرف الدين أبي عبد الله محمد بن سعيد بن حماد المغربي الصنهاجي **البوصيري** (ت ٦٩٦ هـ) ، تحقيق محمد سيد كيلاني (ت ١٤١٩ هـ) ، ط ٢ ، (١٣٩٣ هـ ، ١٩٧٣ م) ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ، مصر .
- ديوان الصبابة ، **للإمام الفقيه الكاتب الزاهد** شهاب الدين أبي العباس أحمد بن يحيى **ابن أبي حجلة** التلمساني الحنفي (ت ٧٧٦ هـ) ، تحقيق العلامة الدكتور محمد زغلول سلام (ت ١٤٣٤ هـ) ، ط ١ ، (١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧ م) ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر .
- ديوان حسان بن ثابت رضي الله عنه ، **للصحابي الجليل وشاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت** بن المنذر النجاري الخزرجي (ت ٤٠ هـ) ، تحقيق الدكتور وليد عرفات ، ط ١ ، (١٣٩٤ هـ ، ١٩٧٤ م) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .
- ديوان رؤبة بن العجاج (مجموع أشعار العرب) ، **للشاعر المخضرم الراجز المشهور** أبي الجحاف **رؤبة بن عبد الله العجاج** بن رؤبة التميمي السعدي البصري (ت ١٤٥ هـ) ، عني به وليم بن الورد البروسي ، ط ٢ ، (١٤٠٠ هـ ، ١٩٨٠ م) ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، لبنان .
- ذكر الموت ، **للإمام الحافظ المؤدب** أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد **ابن أبي الدنيا** القرشي الأموي البغدادي (ت ٢٨١ هـ) ، تحقيق مشهور آل سلمان ، ط ١ ، (١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م) ، مكتبة الفرقان ، عجمان ، الإمارات العربية المتحدة .
- ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل ، **للإمام محدث الإسلام ومؤرخ الشام** شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز

التركماني الدمشقي **الذهبي** (ت ٧٤٨ هـ) ، تحقيق العلامة عبد الفتاح أبو غدة (ت ١٤١٧ هـ) ، ط ٦ ، (١٤١٩ هـ ، ١٩٩٩ م) ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، دمشق ، سورية .

- الرسالة القشيرية ، **للإمام الأصولي المحدث المفسر الأستاذ** زين الإسلام أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك **القشيري** الأستوائي النيسابوري الشافعي (ت ٤٦٥ هـ) ، تحقيق أنس محمد عدنان الشرفاوي ، ط ١ ، (١٤٣٨ هـ ، ٢٠١٧ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

- الرسائل الشخصية ، **للعلامة الأثري محمد بن عبد الوهاب** بن سليمان آل مشرف التميمي الحنبلي (ت ١٢٠٦ هـ) ، عني به صالح الفوزان ومحمد صالح العليقي ، ط ١ ، (بدون تاريخ) ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، السعودية .

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، **للعلامة المفتي الفقيه المفسر الشريف** شهاب الدين أبي الثناء محمود بن عبد الله بن محمود **الآلوسي** البغدادي الحسيني الحنفي (ت ١٢٧٠ هـ) ، عني به الشريف محمود شكري الآلوسي ، ط ٤ ، (١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م) ، طبعة مصورة عن نشرة المطبعة المنيرية لدىٰ دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

- الروح ، **للإمام الحافظ الفقيه الأصولي المشارك** شمس الدين **أبي عبد الله** محمد بن أبي بكر بن أيوب **ابن قيم الجوزية** الزرعي الحنبلي (ت ٧٥١ هـ) ، تحقيق يوسف علي بديوي ، ط ٦ ، (١٤٢٥ هـ ، ٢٠٠٥ م) ، دار ابن كثير ، دمشق ، سورية .

- الرياض الأنيقة في شرح أسماء خير الخليقة صلى الله عليه وسلم ، **للإمام**

الحافظ البحر جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمٰن بن أبي بكر بن محمد الخضيري **السيوطي** الشافعي (ت ٩١١ هـ) ، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول ، ط ١ ، (١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

- زاد المعاد في هدي خير العباد ، **للإمام الحافظ الفقيه الأصولي المشارك** شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب **ابن قيم الجوزية** الزرعي الحنبلي (ت ٧٥١ هـ) ، بعناية الشيخ حسن محمد المسعودي ، ط ٣ ، (١٣٩٤ هـ ، ١٩٧٣ م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .
- الزهد الكبير ، **للإمام الحافظ الفقيه الأصولي** أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي الخسروجردي **البيهقي** الشافعي (ت ٤٥٨ هـ) ، تحقيق الشيخ عامر أحمد حيدر ، ط ٣ ، (١٤١٧ هـ ، ١٩٩٦ م) ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، لبنان .
- الزهد والرقائق برواية المروزي مع زيادات رواية نعيم بن حماد عليه ، **للإمام الحافظ الرحلة** أبي عبد الرحمٰن **عبد الله بن المبارك** بن واضح الحنظلي المروزي (ت ١٨١ هـ) ، تحقيق حبيب الرحمٰن الأعظمي ، ط ١ ، (١٣٨٦ هـ ، ١٩٧٧ م) ، طبعة مصورة عن نشرة الهند لدىٰ دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- زهر الأكم في الأمثال والحكم ، **للعلامة الفقيه الأديب** نور الدين أبي علي الحسن بن مسعود بن محمد **اليوسي** المالكي (ت ١١٠٢ هـ) ، تحقيق العلامة الدكتور محمد حجي المغربي (ت ١٤٢٣ هـ) والدكتور محمد الأخضر ، ط ١ ، (١٤٠١ هـ ، ١٩٨١ م) ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب .

- سنن ابن ماجه ، **للإمام الحافظ الثبت المفسر** أبي عبد الله محمد بن يزيد **بن ماجه** الربعي القزويني (ت ٢٧٣ هـ) ، تحقيق جمعية المكنز الإسلامي بإشراف الدكتور العلامة أحمد معبد عبد الكريم ، ط ١ ، (١٤٣٧ هـ ، ٢٠١٦ م) ، طبعة خاصة عن نشرة جمعية المكنز الإسلامي لدىٰ دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

- سنن أبي داوود ، **للإمام الحافظ الثبت أبي داوود** سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني (ت ٢٧٥ هـ) ، تحقيق العلامة محمد عوامة ، ط ٣ ، (١٤٣١ هـ ، ٢٠١٠ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

- سنن الترمذي (الجامع الصحيح) ، **للإمام الحافظ العلم الفقيه** أبي عيسىٰ محمد بن عيسى بن سورة السلمي **الترمذي** (ت ٢٧٩ هـ) ، تحقيق أحمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة ، ط ٢ ، (١٣٩٧ هـ ، ١٩٧٧ م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

- سنن الدارقطني ، **للإمام الحافظ الحجة** أبي الحسن علي بن عمر بن أحمد **الدارقطني** البغدادي الشافعي (ت ٣٨٥ هـ) ، وبذيله « التعليق المغني على الدارقطني » للمحدث العلامة محمد شمس الحق العظيم آبادي ، عني به عبد الله هاشم يماني ، ط ١ ، (١٣٨٥ هـ ، ١٩٦٦ م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

- السنن الكبير ، **للإمام الحافظ الفقيه الأصولي** أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي الخسروجردي **البيهقي** الشافعي (ت ٤٥٨ هـ) ، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ، ط ١ ، (١٤٣٢ هـ ، ٢٠١١ م) ، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية ، القاهرة ، مصر .

- سنن النسائي (المجتبىٰ) ، **للإمام الحافظ الثبت** أبي عبد الرحمٰن

أحمد بن شعيب بن علي **النسائي** الخراساني (ت ٣٠٣ هـ) ، ط ١ ، (١٣١٢ هـ ، ١٨٩٤ م) ، نسخة مصورة عن نشرة المطبعة الميمنية لدى دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .

- سير أعلام النبلاء (مع السيرة النبوية وسير الخلفاء الراشدين) ، **للإمام محدث الإسلام ومؤرخ الشام** شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني الدمشقي **الذهبي** (ت ٧٤٨ هـ) ، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط ، ط ١١ ، (١٤١٧ هـ ، ١٩٩٦ م) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .
- السيرة الشامية (سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد صلى الله عليه وسلم) ، **للإمام المحدث المؤرخ** شمس الدين أبي عبد الله محمد بن يوسف بن علي **الصالحي** الشامي الشافعي (ت ٩٤٢ هـ) ، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف العلامة محمد أبو الفضل إبراهيم (ت ١٤٠١ هـ) ، ط ١ ، (١٤١٨ هـ ، ١٩٩٧ م) ، وزارة الأوقاف ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، مصر .
- السيرة النبوية ، **للإمام الحافظ** عماد الدين أبي الفداء إسماعيل **بن عمر بن كثير** القرشي البصروي الدمشقي الشافعي (ت ٧٧٤ هـ) ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، ط ١ ، (١٣٨٣ هـ ، ١٩٦٤ م) ، طبعة مصورة لدى دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .
- السيرة النبوية ، **للإمام المؤرخ راوي السيرة** جمال الدين أبي محمد عبد الملك **بن هشام** بن أيوب الحميري المعافري الشافعي (ت ٢١٨ هـ) ، تحقيق مصطفى السقا والعلامة إبراهيم الإبياري (ت ١٤١٤ هـ) وعبد الحفيظ شلبي ، ط ٢ ، (١٣٧٥ هـ ، ١٩٥٥ م) ، طبعة مصورة عن نشرة مصطفى البابي الحلبي لدى دار ابن كثير ، دمشق ، سورية .

- السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل ، **للإمام المجتهد الأصولي الحافظ تقي الدين** أبي الحسن علي بن عبد الكافي بن علي الأنصاري **السبكي** الشافعي (ت ٧٥٦ هـ) ، تحقيق العلامة محمد زاهد الكوثري (ت ١٣٧١ هـ) ، ط ١ ، (١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٣ م) ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، مصر .

- شرح البهجة (العلم الكافل باستدلال الناهل علىٰ أعذب المناهل لشرح بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل للعامري) ، **للإمام الحافظ الفقيه المفتي** جمال الدين محمد بن أبي بكر بن عبد الله **الأشخر** الزبيدي اليمني الشافعي (ت ٩٩١ هـ) ، ط ١ ، (١٣٣٠ هـ ، ١٩١٠ م) ، طبعة مصورة عن نشرة المطبعة الجمالية لدىٰ دار صادر ، بيروت ، لبنان .

- شرح التبصرة والتذكرة (ألفية الحديث) ، **للإمام الحافظ الفقيه المجدد القاضي زين الدين** أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمٰن **العراقي** المهراني الشافعي (ت ٨٠٦ هـ) ، تحقيق الدكتور عبد اللطيف الهميم والدكتور ماهر الفحل ، ط ١ ، (١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

- شرح السنة ، **للإمام الحافظ الفقيه المجتهد** ركن الدين أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء **البغوي** الشافعي (ت ٥١٦ هـ) ، تحقيق سعيد اللحام ، ط ١ ، (١٤١٤ هـ ، ١٩٩٤ م) ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

- شرح الشفا ، **للإمام المحدث الفقيه** نور الدين أبي الحسن **ملا علي** بن سلطان محمد **القاري** الهروي المكي الحنفي (ت ١٠١٤ هـ) ، تحقيق عبد الله محمد الخليلي ، ط ٣ ، (١٤٣٣ هـ ، ٢٠١٢ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

- شرح الصدور بشرح حال الموتىٰ والقبور ، **للإمام الحافظ البحر جلال الدين** أبي الفضل عبد الرحمـٰن بن أبي بكر بن محمد الخضيري **السيوطي** الشافعي (ت ٩١١ هـ) ، عني به قصي محمد نورس الحلاق ، ط ١ ، (١٤٣٢ هـ ، ٢٠١١ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

- شرح العلامة الزرقاني على « المواهب اللدنية بالمنح المحمدية » للإمام القسطلاني (ت ٩٢٣ هـ) ، **للإمام المحدث الحجة الفقيه** أبي عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف **الزرقاني** المالكي (ت ١١١٢ هـ) ، عني به محمد عبد العزيز الخالدي ، ط ١ ، (١٤١٧ هـ ، ١٩٩٦ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

- الشرح الكبير ، **للإمام الحافظ الفقيه القاضي** شمس الدين أبي الفرج عبد الرحمـٰن بن محمد بن أحمد بن **قدامة المقدسي** الجماعيلي الحنبلي (ت ٦٨٢ هـ) ، تحقيق الدكتور عبد الله التركي والدكتور عبد الفتاح الحلو (ت ١٤١٤ هـ) ، ط ١ ، (١٤١٧ هـ ، ١٩٩٦ م) ، دار هجر ، القاهرة ، مصر .

- شرح بانت سعاد ، **لإمام العربية النحوي** جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف بن يوسف **ابن هشام** الأنصاري المصري الحنبلي (ت ٧٦١ هـ) ، تحقيق سناء ناهض الريس ، ط ١ ، (١٤٢٨ هـ ، ٢٠٠٨ م) ، دار سعد الدين ، دمشق ، سورية .

- شرح ديوان المتنبي (التبيان في شرح الديوان) ، **للإمام العلامة النحوي الأديب** محب الدين أبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله **العكبري** البغدادي الحنبلي (ت ٦١٦ هـ) ، عني به مصطفى السقا والعلامة إبراهيم الإبياري (ت ١٤١٤ هـ) وعبد الحفيظ شلبي ، ط الأخيرة ، (١٣٩١ هـ ، ١٩٧١ م) ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، مصر .

- شرح ديوان كعب بن زهير ، **صنعة العلامة الأديب الراوية النحوي اللغوي** أبي سعيد الحسن بن الحسين بن عبد الرحمٰن العتكي **السكري** (ت ٢٧٥ هـ) ، ط ٤ ، (١٤٣١ هـ ، ٢٠١٠ م) ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، مصر .

- شرح صحيح مسلم (المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج) ، **لشيخ الإسلام الحافظ المجتهد** محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف بن مري **النووي** الشافعي (ت ٦٧٦ هـ) ، ط ١ ، (١٣٤٩ هـ ، ١٩٣٠ م) ، طبعة مصورة عن نشرة المطبعة البهية لدىٰ مكتبة الغزالي ، دمشق ، سورية .

- شرح كتاب آداب المشي إلى الصلاة أو العبادات ، **للعلامة المفتي محمد بن إبراهيم** بن عبد اللطيف **آل الشيخ** الحنبلي (ت ١٣٨٩ هـ) ، جمع وترتيب محمد عبد الرحمٰن قاسم ، ط ١ ، (١٤١٩ هـ ، ١٩٩٩ م) ، نشره محققه ، الرياض ، السعودية .

- شرح مشكل الآثار ، **للإمام الحافظ المحدث الفقيه** أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي **الطحاوي** الحنفي (ت ٣٢١ هـ) ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، ط ١ ، (١٤١٤ هـ ، ١٩٩٤ م) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .

- شرح معاني الآثار ، **للإمام الحافظ المحدث الفقيه** أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي **الطحاوي** الحنفي (ت ٣٢١ هـ) ، تحقيق محمد سيد جاد الحق ، ط ١ ، (١٣٨٨ هـ ، ١٩٦٨ م) ، مطبعة الأنوار المحمدية ، القاهرة ، مصر .

- الشريعة ، **للإمام الحافظ الفقيه الحجة** أبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله **الآجري** البغدادي (ت ٣٨٧ هـ) ، تحقيق الدكتور عبد الله بن

عمر الدميجي ، ط ٣ ، (١٤٢٨ هـ ، ٢٠٠٧ م) ، دار الفضيلة ، الرياض ، السعودية .

- الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم ، **للإمام الحافظ الأوحد القاضي** أبي الفضل **عياض** بن موسىٰ عياض اليحصبي الأندلسي المالكي (ت ٥٤٤ هـ) ، تحقيق عبده علي كوشك ، ط ١ ، (١٤٢٠ هـ ، ٢٠٠٠ م) ، مكتبة الغزالي ودار الفيحاء ، دمشق ، سورية .

- شفاء السقام في زيارة خير الأنام صلى الله عليه وسلم ، **للإمام المجتهد الأصولي الحافظ تقي الدين** أبي الحسن علي بن عبد الكافي بن علي الأنصاري **السبكي** الشافعي (ت ٧٥٦ هـ) ، عني به حسين محمد علي شكري ، ط ١ ، (١٤٢٩ هـ ، ٢٠٠٨ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

- شمائل النبي صلى الله عليه وسلم ، **للإمام الحافظ العلم الفقيه** أبي عيسىٰ محمد بن عيسى بن سورة السلمي **الترمذي** (ت ٢٧٩ هـ) ، تحقيق محمد وائل الحنبلي ، ط ٢ ، (١٤٣٠ هـ ، ٢٠٠٩ م) ، دار البيروتي ، دمشق ، سورية .

- الصارم المنكي في الرد على السبكي ، **للإمام الفقيه المحدث** شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد **بن عبد الهادي** المقدسي الصالحي الحنبلي (ت ٧٤٤ هـ) ، ط ١ ، (١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

- صحيح ابن خزيمة (مختصر المختصر من المسند الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم) ، **للإمام الحافظ الحجة الفقيه** أبي بكر محمد بن إسحاق **بن خزيمة** السلمي النيسابوري الشافعي (ت ٣١١ هـ) ،

تحقيق الدكتور محمد مصطفى الأعظمي ، ط ٣ ، (١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٣ م) ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان .

- صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسننه وأيامه) ، (الطبعة السلطانية العثمانية) ، **لإمام الدنيا حبر الإسلام الحافظ** أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي **البخاري** (ت ٢٥٦ هـ) ، عني به الدكتور محمد زهير بن ناصر الناصر ، ط ٣ ، (١٤٣٦ هـ ، ٢٠١٥ م) ، دار طوق النجاة ودار المنهاج ، بيروت ، لبنان . جدة ، السعودية .

- صحيح مسلم (الجامع الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، **لحافظ الدنيا المجود الحجة** أبي الحسين **مسلم** بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت ٢٦١ هـ) ، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر ، ط ١ ، (١٤٣٣ هـ ، ٢٠١٣ م) ، دار المنهاج ودار طوق النجاة ، جدة ، السعودية . بيروت ، لبنان .

- الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، **للإمام الحافظ الأثري الفقيه** أبي بكر أحمد **بن** عمرو **بن أبي عاصم** الضحاك الشيباني الظاهري (ت ٢٨٧ هـ) ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ، ط ١ ، (١٤١٥ هـ ، ١٩٩٥ م) ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، سورية .

- الصلات والبشر في الصلاة على خير البشر صلى الله عليه وسلم ، **للإمام الكبير بحر اللغة وشيخ الإسلام** مجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب بن محمد **الفيروزاباذي** الشيرازي الشافعي (ت ٨١٧ هـ) ، تحقيق محمد نور الدين الجزائري وعبد القادر الخياري ومحمد مطيع الحافظ ، ط ١ ، (١٣٨٥ هـ ، ١٩٦٥ م) ، دار القرآن ، دمشق ، سورية .

- الطبقات الكبير ، **للإمام الحافظ المؤرخ الثقة** أبي عبد الله **محمد بن سعد** بن منيع الهاشمي الزهري البصري (ت ٢٣٠ هـ) ، تحقيق الدكتور علي محمد عمر ، ط ١ ، (١٤٢١ هـ ، ٢٠٠١ م) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر .

- طرح التثريب في شرح التقريب ، وهو شرح لكتاب « تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد » ، **للإمام الحافظ الفقيه ولي الدين** أبي زرعة أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين **ابن العراقي** المهراني الشافعي (ت ٨٢٦ هـ) ، عني به محمود حسن ربيع ، ط ١ ، (١٤١٣ هـ ، ١٩٩٢ م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

- العزيز شرح الوجيز (الشرح الكبير) ، **للإمام الفقيه عالم العرب والعجم وشيخ الشافعية** إمام الدين أبي القاسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم **الرافعي** القزويني (ت ٦٢٣ هـ) ، تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود ، ط ١ ، (١٤١٧ هـ ، ١٩٩٧ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

- العظمة ، **للإمام الحافظ الصادق محدث أصبهان** أبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر **أبي الشيخ** بن **حيان** الأصبهاني الأنصاري (ت ٣٦٩ هـ) ، تحقيق رضاء الله بن محمد المباركفوري ، ط ٢ ، (١٤١٩ هـ ، ١٩٩٨ م) ، دار العاصمة ، الرياض ، السعودية .

- عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، **للإمام الحافظ البارع المشارك** بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد بن موسى الحلبي **العيني** الحنفي (ت ٨٥٥ هـ) ، ط ١ ، (١٣٤٨ هـ ، ١٩٢٩ م) ، طبعة مصورة عن نشرة إدارة الطباعة المنيرية لدىٰ دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

- عمل اليوم والليلة ، **للإمام الحافظ الرحلة** أبي بكر أحمد بن محمد بن إسحاق **ابن السني** الدينوري (ت ٣٦٤ هـ) ، تحقيق الشيخ بشير محمد عيون (ت ١٤٣١ هـ) ، ط ٣ ، (١٤١٤ هـ ، ١٩٩٤ م) ، مكتبة دار البيان ، دمشق ، سورية .

- عون المعبود شرح سنن أبي داوود ، **للإمام المحدث** محمد شمس الحق بن أمير علي بن مقصود علي **العظيم آبادي** (ت ١٣٢٩ هـ) ، تحقيق عبد الرحمٰن محمد عثمان ، ط ٢ ، (١٣١٨ هـ ، ١٩٦٩ هـ) ، المكتبة السلفية ، المدينة المنورة ، السعودية .

- عيون الحكايات من قصص الصالحين ونوادر الزاهدين ، **للإمام الحافظ المؤرخ** جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمٰن بن علي بن محمد **ابن الجوزي** القرشي البغدادي الحنبلي (ت ٥٩٧ هـ) ، تحقيق الشحات الطحان ، ط ١ ، (١٤٢٧ هـ ، ٢٠٠٦ م) ، مكتبة فياض ، المنصورة ، مصر .

- غاية الإحكام في أحاديث الأحكام ، **للإمام الحافظ الفقيه المحدث محب الدين** أبي جعفر أحمد بن عبد الله بن محمد **الطبري** الحسيني الشافعي (ت ٦٩٤ هـ) ، تحقيق الدكتور حمزة أحمد الزين ، ط ١ ، (١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٤ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

- الغياثي (غياث الأمم في التياث الظلم) ، **للإمام الكبير شيخ الشافعية** ضياء الدين أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الطائي **إمام الحرمين الجويني** النيسابوري الشافعي (ت ٤٧٨ هـ) ، تحقيق العلامة الدكتور عبد العظيم محمود الديب (ت ١٤٣١ هـ) ، ط ٣/١ ، (١٤٣٢ هـ ، ٢٠١١ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

- الفتاوى المصرية ، **للإمام شيخ الإسلام وسلطان العلماء** عز الدين أبي محمد عبد العزيز **بن عبد السلام** بن أبي القاسم السلمي الشافعي (ت ٦٦٠ هـ) ،

تحقيق إياد خالد الطباع ، ط ١ ، (١٤٢٨ هـ ، ٢٠٠٧ م) ، دار الفكر ، دمشق ، سورية .

- فتاوىٰ ومسائل محمد بن عبد الوهاب ، جمعها العلامة صالح **الأطرم** (ت ١٤٢٨ هـ) ومحمد بن عبد الرزاق **الدويش** ، ط ١ ، (بدون تاريخ) ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، السعودية .

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، **للإمام الحافظ الحجة** شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد **ابن حجر العسقلاني** الكناني الشافعي (ت ٨٥٢ هـ) ، بعناية محب الدين الخطيب وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، ط ١ ، (١٤١٦ هـ ، ١٩٩٦ م) ، طبعة مصورة عن نشرة المطبعة السلفية لدىٰ مكتبة الغزالي ، دمشق ، سورية .

- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، **للإمام الأصولي الفقيه المفسر** بدر الدين أبي علي محمد بن علي بن محمد **الشوكاني** الصنعاني (ت ١٢٥٠ هـ) ، تحقيق الدكتور عبد الرحمـٰن عميرة ، ط ٢ ، (١٤١٨ هـ ، ١٩٩٧ م) ، دار الوفاء ، المنصورة ، مصر .

- الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية ، **للإمام الفقيه المحدث المفسر** محمد علي بن محمد **بن علان** البكري الصديقي المكي الشافعي (ت ١٠٥٧ هـ) ، ط ١ ، (١٣٥٨ هـ ، ١٩٣٨ م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

- الفردوس بمأثور الخطاب ، **للإمام الحافظ** أبي شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه إلكيا **الديلمي** الهمذاني (ت ٥٠٩ هـ) ، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول ، ط ١ ، (١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٦ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

- فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، **للإمام الحافظ القاضي المجتهد** أبي إسحاق إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل **الجهضمي** الأزدي البصري المالكي (ت ٢٨٢ هـ) ، تحقيق محمد إبراهيم الحسين ، ط ١ ، (١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٤ م) ، دار غار حراء ، دمشق ، سورية .

- قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ، **للإمام العلامة المفتي** تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام **بن تيمية** الحراني الحنبلي (ت ٧٢٨ هـ) ، تحقيق الشيخ عبد القادر الأرناؤوط (ت ١٤٢٥ هـ) ، ط ١ ، (١٤٢٠ هـ ، ١٩٩٩ م) ، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء ، الرياض ، السعودية .

- القرىٰ لقاصد أم القرىٰ ، **للإمام الحافظ الفقيه المحدث محب الدين** أبي جعفر أحمد بن عبد الله بن محمد **الطبري** الحسيني الشافعي (ت ٦٩٤ هـ) ، عني به مصطفى السقا ، ط ٣ ، (١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م) ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

- القصيدة النونية ، **للإمام الحافظ الفقيه الأصولي المشارك** شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب **ابن قيم الجوزية** الزرعي الحنبلي (ت ٧٥١ هـ) ، ط ١ ، (١٣٤٤ هـ ، ١٩٢٤ م) ، مطبعة التقدم العلمية ، القاهرة ، مصر .

- قضاء الحوائج ، **للإمام الحافظ المؤدب** أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد **ابن أبي الدنيا** القرشي الأموي البغدادي (ت ٢٨١ هـ) ، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا ، ط ١ ، (١٩٩٣ م) ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، لبنان .

- قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلىٰ مقام التوحيد ،

للإمام الفقيه شيخ الصوفية أبي طالب محمد بن علي بن عطية الحارثي **المكي** الشافعي (ت ٣٨٦ هـ) ، بعناية العلامة محمد الزهري الغمراوي (ت بعد ١٣٦٧ هـ) ، ط ١ ، (١٣١٠ هـ ، ١٨٩٠ م) ، طبعة مصورة عن نشرة المطبعة الميمنية لدىٰ دار صادر ، بيروت ، لبنان .

- القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع صلى الله عليه وسلم (النص الكامل) ، **للإمام الحافظ الناقد** شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمـٰن بن محمد **السخاوي** القاهري الشافعي (ت ٩٠٢ هـ) ، تحقيق العلامة محمد عوامة ، ط ٢ ، (١٤٢٨ هـ ، ٢٠٠٧ م) ، دار اليسر ودار المنهاج ، المدينة المنورة ، جدة ، السعودية .
- الكامل في ضعفاء الرجال ، **للإمام الحافظ الناقد الجوال** أبي أحمد عبد الله بن **عدي** بن عبد الله ابن القطان الجرجاني الشافعي (ت ٣٦٥ هـ) ، الطبعة الأولىٰ بتحقيق الدكتور سهيل زكار ، والثالثة بقراءة وتدقيق يحيىٰ مختار غزاوي ، ط ٣ ، (١٤٠٩ هـ ، ١٩٨٨ م) ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .
- كشاف القناع عن متن الإقناع ، **للإمام الفقيه المحقق** زين الدين أبي السعادات منصور بن يونس بن صلاح الدين **البهوتي** المصري الحنبلي (ت ١٠٥١ هـ) ، تحقيق محمد أمين الضناوي ، ط ١ ، (١٤١٧ هـ ، ١٩٩٧ م) ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان .
- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث علىٰ ألسنة الناس ، **لمحدث الشام العلامة المفسر** أبي الفداء إسماعيل بن محمد جراح بن عبد الهادي **العجلوني** الدمشقي الشافعي (ت ١١٦٢ هـ) ، ط ٣ ، (١٣٥١ هـ ، ١٩٣٢ م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، **للعلامة المحدث الفقيه** علاء الدين علي **المتقي** بن حسام الدين ابن قاضي خان البرهانفوري **الهندي** المدني الحنفي (ت ٩٧٥ هـ) ، عني به الشيخ بكري حياني والشيخ صفوت السقا ، ط ١ ، (١٤١٣ هـ ، ١٩٩٣ م) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .

- الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري ، **للإمام المحدث الأصولي الفقيه** شمس الدين محمد بن يوسف بن علي **الكرماني** البغدادي (ت ٧٨٦ هـ) ، بإشراف محمد محمد عبد اللطيف ، ط ٢ ، (١٤٠١ هـ ، ١٩٨١ م) ، طبعة مصورة عن نشرة المطبعة البهية المصرية لدىٰ دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

- لسان الميزان ، **للإمام الحافظ الحجة** شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد **ابن حجر العسقلاني** الكناني الشافعي (ت ٨٥٢ هـ) ، تحقيق العلامة عبد الفتاح أبو غدة (ت ١٤١٧ هـ) ، ط ١ ، (١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م) ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، لبنان .

- المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح ، **للإمام الحافظ الفقيه المحقق** شرف الدين أبي محمد عبد المؤمن بن خلف **الدمياطي** الشافعي (ت ٧٠٥ هـ) ، تحقيق الأستاذ الدكتور عبد الملك دهيش (ت ١٤٣٤ هـ) ، ط ٥ ، (١٤١٤ هـ ، ١٩٩٤ م) ، مكتبة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة ، السعودية .

- مثير الغرام الساكن إلىٰ أشرف الأماكن ، **للإمام الحافظ المؤرخ** جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمٰن بن علي بن محمد **ابن الجوزي** القرشي البغدادي الحنبلي (ت ٥٩٧ هـ) ، تحقيق مصطفىٰ محمد حسين الذهبي ، ط ١ ، (١٤١٥ هـ ، ١٩٩٥ م) ، دار الحديث ، القاهرة ، مصر .

- مجابو الدعوة ، **للإمام الحافظ المؤدب** أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد

ابن أبي الدنيا القرشي الأموي البغدادي (ت ٢٨١ هـ) ، تحقيق عبد الله عبد العزيز أمين ، ط ١ ، (١٤٢٦ هـ ، ٢٠٠٥ م) ، دار الرسالة ، القاهرة ، مصر .

- المجروحين من المحدثين ، **للإمام الحافظ المجود الرحلة** أبي حاتم محمد **بن حبان** بن أحمد التميمي البستي الشافعي (ت ٣٥٤ هـ) ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ، ط ١ ، (١٤٢٠ هـ ، ٢٠٠٠ م) ، دار الصميعي ، الرياض ، السعودية .
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، **للإمام الحافظ** نور الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان **الهيثمي** القاهري الشافعي (ت ٨٠٧ هـ) ، ط ١ ، (١٤٣٦ هـ ، ٢٠١٥ م) ، تحقيق الشيخ حسين سليم أسد ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .
- المجموع شرح المهذب ، **لشيخ الإسلام الحافظ المجتهد** محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف بن مري **النووي** الشافعي (ت ٦٧٦ هـ) ، تحقيق الدكتور محمود مطرجي ، ط ١ ، (١٤١٧ هـ ، ١٩٩٦ م) ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .
- مجموعة الفتاوىٰ ، **للإمام العلامة المشارك** تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام **بن تيمية** الحراني الحنبلي (ت ٧٢٨ هـ) ، تحقيق عامر الجزار وأنور الباز ، ط ٣ ، (١٤٢٦ هـ ، ٢٠٠٥ م) ، دار الوفاء ، المنصورة ، مصر .
- المحتضرين ، **للإمام الحافظ المؤدب** أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد **ابن أبي الدنيا** القرشي الأموي البغدادي (ت ٢٨١ هـ) ، تحقيق محمد خير رمضان يوسف ، ط ١ ، (١٤١٧ هـ ، ١٩٩٧ م) ، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان .

- مختصر العلو للعلي الغفار ، **للشيخ محمد ناصر الدين الألباني** (ت ١٤٢٠ هـ) ، ط ١ ، (١٤٠١ هـ ، ١٩٨١ م) ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان .

- المدونة الكبرىٰ ، **لعالم المدينة وإمام دار الهجرة** أبي عبد الله **مالك بن أنس** بن مالك بن نافع الأصبحي (ت ١٧٩ هـ) ، برواية الإمام الفقيه سحنون أبي سعيد عبد السلام بن سعيد التنوخي المالكي (ت ٢٤٠ هـ) عن الإمام الفقيه أبي عبد الله عبد الرحمٰن بن القاسم العتقي (ت ١٩١ هـ) ، ط ١ ، (١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٣ م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار عالم الكتب ، الرياض ، السعودية .

- المستدرك على الصحيحين ، **للإمام الحافظ الناقد شيخ المحدثين** أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه **الحاكم** الطهماني النيسابوري الشافعي (ت ٤٠٥ هـ) ، وبهامشه تعليقات الأئمة البيهقي والذهبي وابن الملقن وابن حجر العسقلاني ، ط ١ ، (١٤٣٥ هـ ، ٢٠١٤ م) ، دار الميمان ، الرياض ، السعودية .

- مسند أبي داوود الطيالسي ، **للإمام الحافظ الحجة أبي داوود** سليمان بن داوود بن الجارود الطيالسي الفارسي البصري (ت ٢٠٤ هـ) ، ط ١ ، (١٣٢١ هـ ، ١٩٠٣ م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

- مسند أبي يعلى الموصلي ، **للإمام الحافظ محدث الموصل أبي يعلىٰ** أحمد بن علي بن المثنى التميمي **الموصلي** (ت ٣٠٧ هـ) ، تحقيق حسين سليم أسد الداراني ، ط ٢ ، (١٤١٠ هـ ، ١٩٨٩ م) ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، سورية .

- مسند الإمام أحمد ابن حنبل ، **لإمام أهل الدنيا الحجة الفقيه** أبي عبد الله

أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني البغدادي (ت ٢٤١ هـ) ، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط ، ط ١ ، (١٤١٥ هـ ، ١٩٩٥ م) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .

- مسند الدارمي (سنن الدارمي) ، **لإمام أهل زمانه الحافظ الفقيه** أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمٰن بن الفضل التميمي السمرقندي **الدارمي** (ت ٢٥٥ هـ) ، تحقيق حسين سليم أسد الداراني ، ط ١ ، (١٤٢١ هـ ، ٢٠٠٠ م) ، دار المغني ، الرياض ، السعودية .

- مسند الشهاب (شهاب الأخبار في الحكم والأمثال والآداب) ، **للإمام المحدث المفسر المؤرخ القاضي** أبي عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر **القضاعي** الشافعي (ت ٤٥٤ هـ) ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ، ط ١ ، (١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .

- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه ، **للإمام الحافظ** شهاب الدين أبي العباس أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل **البوصيري** الكناني الشافعي (ت ٨٤٠ هـ) ، تحقيق محمد المنتقى الكشناوي ، ط ٢ ، (١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م) ، دار العربية ، بيروت ، لبنان .

- المصنف ، **للإمام الحافظ الثقة عالم اليمن** أبي بكر **عبد الرزاق** بن همام بن نافع الحميري **الصنعاني** (ت ٢١١ هـ) ، تحقيق حبيب الرحمٰن الأعظمي ، ط ٢ ، (١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م) ، المجلس العلمي بالتعاون مع المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان .

- المصنف ، **للإمام العلم سيد الحفاظ** أبي بكر عبد الله بن محمد **بن أبي شيبة** العبسي الكوفي (ت ٢٣٥ هـ) ، تحقيق الشيخ محمد عوامة ، ط ٢ ، (١٤٣٢ هـ ، ٢٠١١ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ، **للإمام الحافظ الحجة** شهاب

الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد **ابن حجر العسقلاني** الكناني الشافعي (ت ٨٥٢ هـ) ، تحقيق أيمن أبو يماني وأشرف علي ، ط ١ ، (١٤١٨ هـ ، ١٩٩٧ م) ، المكتبة المكية ، مكة المكرمة ، السعودية .

- المعجم الأوسط ، **للإمام الحافظ الرحلة الجوال** أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي **الطبراني** (ت ٣٦٠ هـ) ، تحقيق الدكتور محمود الطحان ، ط ١ ، (١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م) ، مكتبة المعارف ، الرياض ، السعودية .

- معجم الصحابة ، **للإمام الحافظ المتقن** أبي القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز **البغوي** البغدادي (ت ٣١٧ هـ) ، تحقيق محمد الأمين الجنكي ، ط ١ ، (١٤٢١ هـ ، ٢٠٠٠ م) ، مكتبة دار البيان ، الكويت .

- المعجم الصغير ، **للإمام الحافظ الرحلة الجوال** أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي **الطبراني** (ت ٣٦٠ هـ) ، ط ١ ، (١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

- المعجم الكبير ، **للإمام الحافظ الرحلة الجوال** أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي **الطبراني** (ت ٣٦٠ هـ) ، ومعه : « الأحاديث الطوال » ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ، ط ٢ ، (١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٣ م) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

- المعجم ، **للإمام الحافظ المجود** أبي بكر محمد بن إبراهيم بن علي **ابن المقرئ** الأصبهاني (ت ٣٨١ هـ) ، تحقيق عادل بن سعد ، ط ١ ، (١٤١٩ هـ ، ١٩٩٨ م) ، مكتبة الرشد وشركة الرياض للنشر ، الرياض ، السعودية .

- المغازي ، **للإمام القاضي المؤرخ** أبي عبد الله محمد بن عمر بن واقد **الواقدي** الأسلمي المديني (ت ٢٠٧ هـ) ، تحقيق الدكتور مارسدن جونس ،

ط ١ ، (١٣٨٥ هـ ، ١٩٦٦ م) ، طبعة مصورة لدىٰ مؤسسة الأعظمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان .

- المغانم المطابة في معالم طابة ، **للإمام الكبير بحر اللغة وشيخ الإسلام** مجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب بن محمد **الفيروزاباذي** الشيرازي الشافعي (ت ٨١٧ هـ) ، تحقيق العلامة الشيخ حمد الجاسر (ت ١٤٢١ هـ) ، ط ١ ، (١٣٨٩ هـ ، ١٩٦٩ م) ، دار اليمامة ، الرياض ، السعودية .

- المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار ، **للإمام الحافظ الفقيه المجدد القاضي زين الدين** أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمٰن **العراقي** المهراني الشافعي (ت ٨٠٦ هـ) ، عني به أشرف عبد المقصود ، ط ١ ، (١٤١٥ هـ ، ١٩٩٥ م) ، مكتبة دار طبرية ، الرياض ، السعودية .

- المغني ، **للإمام الفقيه الحجة المجتهد** موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد **ابن قدامة المقدسي** الجماعيلي الحنبلي (ت ٦٢٠ هـ) ، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي والدكتور عبد الفتاح محمد الحلو (ت ١٤١٤ هـ) ، ط ١ ، (١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٦ م) ، دار هجر للطباعة ، القاهرة ، مصر .

- مفتاح الجنة ، **للعلامة العارف بالله الحبيب أحمد مشهور بن طٰه الحداد** الحضرمي الحسيني الشافعي (ت ١٤١٦ هـ) ، عني به الدكتور مصطفىٰ حسن البدوي ، ط ٢ ، (١٤٢١ هـ ، ٢٠٠٠ م) ، دار الحاوي ، بيروت ، لبنان .

- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ، **للإمام الحافظ الفقيه** ضياء الدين أبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصاري **القرطبي** المالكي (ت ٦٥٦ هـ) ، تحقيق محيي الدين مستو ويوسف بديوي وأحمد السيد

ومحمود بزال ، ط ١ ، (١٤١٧ هـ ، ١٩٩٦ م) ، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب ، دمشق ، سورية .

- مناسك الحج ، **للإمام شيخ الإسلام وسلطان العلماء** عز الدين أبي محمد **عبد العزيز بن عبد السلام** بن أبي القاسم السلمي الشافعي (ت ٦٦٠ هـ) ، تحقيق إياد خالد الطباع ، ط ١ ، (١٤١٨ هـ ، ١٩٩٨ م) ، دار الفكر ، دمشق ، سورية .

- المنامات ، **للإمام الحافظ المؤدب** أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد **ابن أبي الدنيا** القرشي الأموي البغدادي (ت ٢٨١ هـ) ، تحقيق مجدي السيد إبراهيم ، ط ١ ، (١٤١٠ هـ ، ١٩٨٩ م) ، مكتبة القرآن ، القاهرة ، مصر .

- المنتخب من مسند عبد بن حميد ، **للإمام الحافظ الثقة الجوال** أبي محمد عبد الرحمٰن **بن حميد** بن نصر الكشي (ت ٢٤٩ هـ) ، تحقيق أحمد بن إبراهيم أبي العينين ، ط ١ ، (١٤٣٠ هـ ، ٢٠٠٩ م) ، مكتبة ابن عباس ، المنصورة ، مصر .

- المنتقىٰ في الأحكام الشرعية من كلام خير البرية صلى الله عليه وسلم ، **للإمام الحافظ الفقيه** مجد الدين أبي البركات عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم **ابن تيمية** الحراني الحنبلي (ت ٦٥٢ هـ) ، تحقيق طارق عوض الله محمد ، ط ١ ، (١٤٢٩ هـ ، ٢٠٠٩ م) ، دار ابن الجوزي ، الدمام ، السعودية .

- منتهى الإرادات في جمع المقنع مع التنقيح وزيادات ، **للإمام الفقيه الأصولي القاضي** تقي الدين أبي بكر محمد بن أحمد بن عبد العزيز **ابن النجار** الفتوحي الحنبلي (ت ٩٧٢ هـ) ، تحقيق الدكتور عبد الله عبد المحسن التركي ، ط ١ ، (١٤١٨ هـ ، ١٩٩٨ م) ، دار الرسالة ، بيروت ، لبنان .

- منظومة طلعة الأنوار في علم آثار النبي المختار صلى الله عليه وسلم ، **للإمام الفقيه الأصولي المؤرخ** عبد الله بن الحاج إبراهيم بن مخنض أحمد العلوي **الشنقيطي** المالكي (ت ١٢٣٣ هـ) ، تحقيق محمد شايب شريف ، ط ١ ، (١٤٣٠ هـ ، ٢٠٠٩ م) ، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان .

- المنقذ من الضلال ، **للإمام المجدد حجة الإسلام** زين الدين أبي حامد محمد بن محمد بن محمد **الغزالي** الطوسي الطابراني الشافعي (ت ٥٠٥ هـ) ، عني به اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي ، ط ١ ، (١٤٣٤ هـ ، ٢٠١٣ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

- المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ، **للإمام الحجة المحدث الفقيه** شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر **القسطلاني** المصري الشافعي (ت ٩٢٣ هـ) ، تحقيق صالح أحمد الشامي ، ط ١ ، (١٤١٢ هـ ، ١٩٩١ م) ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان .

- الموطأ ، **لعالم المدينة وإمام دار الهجرة** أبي عبد الله **مالك بن أنس** بن مالك بن نافع الأصبحي (ت ١٧٩ هـ) ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط ١ ، (١٣٧١ هـ ، ١٩٥١ م) ، دار إحياء الكتب العربية لصاحبها عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، مصر .

- ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، **للإمام محدث الإسلام ومؤرخ الشام** شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني الدمشقي **الذهبي** (ت ٧٤٨ هـ) ، تحقيق العلامة علي محمد البجاوي (ت ١٣٩٩ هـ) ، ط ١ ، (١٣٨٢ هـ ، ١٩٦٣ م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

- نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار ، **للإمام الحافظ الحجة**

شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد **ابن حجر العسقلاني** الكناني الشافعي (ت ٨٥٢ هـ) ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ، ط ٢ ، (١٤٢٩ هـ ، ٢٠٠٨ م) ، دار ابن كثير ، دمشق ، سورية .

- نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض ، **للإمام القاضي الأديب** شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر **الشهاب الخفاجي** المصري الحنفي (ت ١٠٦٩ هـ) ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، ط ١ ، (١٤٢١ هـ ، ٢٠٠١ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

- نهاية المطلب في دراية المذهب ، **للإمام الكبير شيخ الشافعية** ضياء الدين أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الطائي **إمام الحرمين الجويني** النيسابوري الشافعي (ت ٤٧٨ هـ) ، تحقيق العلامة الدكتور عبد العظيم محمود الديب (ت ١٤٣١ هـ) ، ط ٢ ، (١٤٢٨ هـ ، ٢٠١٠ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

- الوفا بأحوال المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم ، **للإمام الحافظ المؤرخ** جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمٰن بن علي بن محمد **ابن الجوزي** القرشي البغدادي الحنبلي (ت ٥٩٧ هـ) ، عني به محمد زهري النجار ، ط ١ ، (١٣٩٦ هـ ، ١٩٧٦ م) ، مؤسسة السعيدية ، الرياض ، السعودية .



مُحتوى الكتاب

الباب الثاني

